كِتابُ التيجان

في مُلوك حِمْيَرْ



تحقيق ونشر

مركز الدراسات والأبحاث اليمنية

الجمهورية العربية اليمنية

صنعاء

مشروع المئة كتاب

كِتَابُ التِّيجَان

فِي مُلوكِ حِمْيَرْ

كِتابُ التِّيجَان

في مُلوك حِمْيَرْ

عن وهب بن منبه رواية ابي محمد عبد الملك بن
هشام عن اسد بن موسى عن ابي ادريس
ابن سنان عن جده لامه وهب
ابن منبه رضى الله عنهم

الطبعة الاولى ١٣٤٧ هجرية

تحقيق ونشر

مركز الدراسات والأبحاث اليمنيّة

الجمهوريّة العربيّة اليمنيّة

صنعاء

نشر

مركز الدراسات والأبحاث اليمنية

الجمهورية العربية اليمنية

صنعاء

مقدمة الطبعة الثانية

بقلم : الدكتور عبد العزيز المقالح

عندما كنت طالباً في القاهرة ، كنت أقابل عدداً كبيراً من الباحثين والأساتذة الكبار ، في قاعة المكتبة ، وفي أروقة الجامعة ، وفي المجالس الأدبية والندوات الشعرية قابلت أكثر من دارس وشاعر ، وكان على السنة الجميع سؤال يكاد يكون واحداً وهو : من فضلك هل أستطيع الحصول على نسخة من كتاب التيجان ؟ وكان جوابي دائماً بالنفي لأن الكتاب المطلوب الحصول عليه تم طبعة مرة واحدة في الهند ، ولم يتكرر طبعه بعد ذلك ، بل لقد تنوسي هذا الكتاب ولم يعد له من ذكر الآن في محيط الباحثين الجامعيين أو عشاق الأساطير العربية من الشعراء والأدباء .

وكنت – بصراحة – استغرب الاهتمام بهذا الكتاب واللهث وراءه ، وهو من الكتب التي قرأتها – صدفة – في بداية حياتي الأدبية كان ذلك منذ عشرين عاماً تقريباً حين عثرت عليه في مكتبة الجامع الكبير ، ولم تثر قراءتي له أية حماسة لأنه لا يزيد في نظري عن مجموعة من الأساطير والأسمار والأخبار المثيرة خاصة ما يتعلق منها بأخبار آدم وبقية الأنبياء عليهم السلام

وما دار بين أبناء نوح من صراع ، ان ما سمي بالاسرائيليات واضح كل الوضوح في هذا الجانب من الكتاب، يبقى الجانب التاريخي أو الأسطوري من هذا الكتاب وهو الذي يشوق الباحثين والأدباء . وذلك لأن الأساطير أصبحت هدفاً في ذاتها ، أصبحت قيمة أدبية وفنية وانسانية وهذا ما كنت أجهله ولا أستطيع تصوره عندما تصفحت الكتاب لأول مرة .

وأذكر – بالمناسبة – أنني دخلت ذات يوم في مناقشة طويلة مع الأستاذ الباحث الكبير « فاروق خورشيد » حول هذا الكتاب بالذات . كان يحدثني عنه وكأنه يتحدث عن كنز ثمين ، كان يقول عنه : لقد فتح هذا الكتاب عيني على عوالم عديدة وشكل بداية الصلة الحميمة بيني وبين اليمن شعباً وتاريخاً وحضارة وأساطير ، انه تحفة من الفن المكتوب .

وعندما رجعت من القاهرة إلى صنعاء وبدأت العمل في مركز الدراسات كان أول ما بدأت البحث عنه هو كتاب « التيجان » هذا الذي فتن عقول العلماء والشعراء على السواء،وقد عرفت بعد بحث طويل أن بلادنا لا تحتفظ بسوى نسخة واحدة منه ، هي تلك النسخة التي كانت في الجامع الكبير وانتقلت ضمن الكتب المطبوعة إلى « دار الكتب الجديدة » في قلب مدينة صنعاء . وهناك عكفت على قراءته للمرة الثانية ، قرأته هذه المرة بعين وقلب الشاعر لا بعقل الباحث أو المؤرخ ، وقد أدهشني حقاً وحملني إلى عوالم من الخيال والأساطير تتضاءل أمامها تلك الأفلام الغريبة المدهشة التي تمطرنا بها استديوهات هوليوود الكتاب كما قال عنه الأستاذ فاروق خورشيد تحفة فنية مرسومة بالكلمات .

ومنذ ذلك الحين – أي منذ عام ونصف العام – وأنا أتحين الفرص

لاعداد هذا الكتاب للنشر بعد استكمال تحقيقه ، لأن الطبعة الأولى منه لم تحظ بأي تحقيق سوى ما قام به ناشره السيد « زين العابدين الموسوي » من الإشراف على الطبع ، وما قام به المستشرق الألماني « سالم كرنكو » من المقارنة بين النسخة الأصلية ونسخة أخرى في مكتبة لندن .

ولكن كل ما هممت بنسخ صورة الكتاب وإعداده للنشر حالت المشاغل العامة والخاصة دون تحقيق ذلك الغرض ، لقد توزع وقتي بين المركز والجامعة ومجلس الشعب ولجانه المختلفة ، وكنت أرجو وما زلت أرجو أن أخلص للجامعة والمركز حتى أستطيع أن أحقق بعض الأهداف التي يرجوها كباحث لبلادنا ، وقد كان ما سمعته عن هذا الكتاب من ثناء ومن إعجاب حافز لي على أن أعكف على تحقيقه والعناية باخراجه ولكن كيف يتسنى لي ذلك في مثل هذه الظروف ! لقد تم طبعه للمرة الأولى على عجل وعلى أمل أن يظهر من أبناء اليمن أو من أبناء العربية الآخرين من يقوم بتحقيقه ونشره على أكمل وجه .

ومرت الشهور ، والوقت يفر من بين أصابعي ، ولا مجال لتحقيق الكتاب أو حتى لكتابة مقدمة تعريفية شاملة ، ورأيت بعد مواجهة صادقة مع النفس أن يقوم المركز بإعادة طبع الكتاب كما هو ، وعندما يتداوله الناس ، ويكثر من حوله الباحثون سيوجد من بينهم من له من العلم والوقت ما يعطي هذا الكتاب ما يستحقه من العناية والتحقيق .

بقي أن أذكر أن كتاب « التيجان » يجمع بين الحادثة التاريخية والقصص الديني ، وبين الخرافة والأسطورة ، والاهتمام به ليس اهتماماً بالتاريخ فهو لا يشكل مرجعاً تاريخياً أو مصدراً علمياً ، وإنما يأتي الإهتمام به والحرص

عليه من أنه كتاب فني يسجل ميلاد فجر القصة العربية ، وطريقة روايتها .

وقد ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٣٤٧ هجرية بمطبعة مجلس ادارة المعارف العثمانية في الهند ببلدة حيدرآباد . وقد تم العثور على النسخة الأصلية في صنعاء ، وهي نسخة قديمة يبلغ عمرها خمسمائة عام تقريباً ، فقد انتهى من كتابتها يوم السبت ١٦ شهر رجب سنة ١٠٣٤ـ هجرية ، وكتبها بخط يده مطهر بن عبد الرحمن بن المطهر بن الامام شرف الدين ، وهو سجين بقصر صنعاء المسمى « الدار الحمراء » وكان قد مضى عليه في السجن — كما يقول في خاتمة النسخة — سبع سنوات وهو لذلك يسأل الله فك أسره وأن يفرج عنه وعن كل سجين .

أما النسخة الثانية التي قوبلت بها النسخة الأصلية فقد كانت محفوظة في المتحف البريطاني بلندن تحت رقم ٢٩٠١ ، وقد فرغ ناسخها من كتابتها في غرة شعبان ١٠٣١ هجرية وناسخها هو أحد أبناء اليمن ويسمى علي بن محمد ابن هاجر القملاني ، والفرق بين تاريخ كتابة النسختين أربع سنوات .

ذلك هو كتاب التيجان يقدمه مركز الدراسات والبحوث اليمني في سلسلة ما يقدمه من كتب التراث راجياً أن يكون قد أسهم في خدمة اليمن والعروبة والإسلام والله ولي التوفيق .

١٩/ ٤/ ١٩٧٩

عبد العزيز المقالح
مركز الدراسات والبحوث اليمني

بسم الله الرحمن الرحيم

(رب يسر وأعن يا كريم)

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام عن أسد بن موسى عن أبي ادريس ابن سنان عن جده لأمه وهب بن منبّه أنه قال [١] : قرأت ثلاثة وتسعين كتاباً مما أنزل الله على الأنبياء فوجدت فيها أن الكتب التي أنزل الله على جميع النبيين مائة كتاب وثلاثة وستون كتاباً أنزل صحيفتين على آدم بكتابين صحيفة في الجنة وصحيفة على جبل لبنان وعلى شيث بن آدم خمسين صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثين صحيفة وعلى نوح صحيفتين صحيفة قبل الطوفان وأخرى بعد الطوفان وعلى هود أربعاً وعلى صالح صحيفتين وعلى ابراهيم عشرين صحيفة وعلى موسى خمسين صحيفة وهي الألواح قال الله (إنَّ هذا لفي الصُّحُفِ الأولى صُحُفِ إبراهيمَ وَموسَى) وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد الفرقان صلى الله عليه وآله وسلم وعلى

(١) في الأصل أنه قرأ مائة وسبعين كتاباً مما أنزل الله تعالى على جميع النبيين مائة كتاب وثلاثة وستون كتاباً .

جميع النبيين [١] .

قال وهب بن منبه: وأنزل الله على عيسى بدأ الخلق حين أنشأه وابتدأ ابتدعه فقصه الله على نبيه موسى صلى الله عليه من يوم ابتدأه حتى أنزل عليه التوراة .

قال وهب: ان الله لما خلق الماء على الهواء وخلق الهواء على [٢] مـــاء ...... الله بجميع ما وراء ذلك إلى الحي القيوم وكان عرشه على الماء حين لا سماء مبنية ولا أرض مدحية .

قال وهب : فاضطرب الماء وهاج فاصطفق فازبد فصار أرضاً فخلق الله الحوت والبحر من ذلك الزبد ثم رفع الله السماء وهي دخان (فقال لها : للأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين) وخلق الملائكة وأوحى في كل سماء أمرها أسكنهم السموات يسبحون ويهللون ويقدسون الواحد القهار وخلق الجبال في الأرض أوتاداً .

قال وهب : وخلق فلك سماء الدنيا شمسه وقمره ودراريه ونجومه وخلقه دائراً مستمراً [٣] قال الله : (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم)(والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون).

قال وهب : وخلق الجنة وخلق فيها أجناس الملائكة يسبحون الليل

---

(١) الذي في الأصل ن ل إلى طائتمين وهي عبارة سقيمة وفي ب والأصل – ووجد في التوراة وفي الانجيل وابتدعه ففضله الله على موسى من يوم ابتدأ .

(٢) هاهنا بياض .

(٣) بالأصل مسخراً وكذا في ب و ل .

والنهار لا يفترون ثم خلق النار بعد الجنة بألف عام [١] فزفرت النار وتغيظت فتطاير منها الشرر فخلق الله من ذلك الشرر ابليس والجان وأسكنهم الجنة يسبحون الله تعالى كما يرون الملائكة يفعلون ويعبد الله ابليس مع الملائكة .

قال وهب : وخلق الله الأزمنة أربعة،شتاء وصيفاً وربيعاً وخريفاً .

قال وهب : فبسط الله الأرض بقدرته وأمسكها كيف شاء بحكمته وخضعت لعظمته ورفع السموات كيف شاء بحكمته وأدار الأفلاك باتقان حكمه [٢] وحسن تدبيره فدار الفلك بهذه الأزمنة الأربعة فأول ما خلق الله من الأزمنة الشتاء بارداً [٣] رطباً وخلق الربيع حاراً رطباً فكان متصلاً بالشتاء بالرطوبة مخالفاً له بالحرارة [٤] وخلق الله الصيف حاراً يابساً فكان ملائماً متصلاً بالربيع بالحرارة [٥] مخالفاً له باليبوسة وخلق الخريف بارداً يابساً [٦] فكان ملائماً متصلاً بالصيف باليبوسة مخالفاً له بالبرد [٧] ولذلك زعمت الفلاسفة ان الله خلق الانسان على خلق الأربعة الأزمنة على أربع طبائع كطبائع الأزمنة فأول طبائع الانسان البلغم وهي مبنية [٨] الجسد وقوامه وأسكنه الأعضاء والمفاصل وعنصره الرأس وكان البلغم مضاهياً للشتاء لبرده [٩] ورطوبته ثم خلق الدم حاراً رطباً متصلاً بالبلغم ملائماً له بالرطوبة

---

(١) ل – بالف سنة .
(٢) بالأصل حكمته .
(٣) ب – بارداً يابساً وهو خطأ – ك .
(٤) بل في الحرارة .
(٥) بـول – في الحرارة .
(٦) ب – بارداً رطباً .
(٧) ل في البرودة .
(٨) لعله بنية وهذه الجملة من ل إلى مضاهيا .
(٩) ل – في برودته .

مخالفاً له بالحرارة مضاهياً للربيع وخلقه سفاحاً مسكنه العروق والعصب وعنصره الكبد وهو جوهر الجسد وحياته ثم خلق الصفراء حارة يابسة متصلة بالدم ملائمة له بالحرارة مخالفة له باليبوسة وهي خادمة الجسد منضجة للغذاء مميزة له ومسكنها المعدة وعنصرها الكلى ثم خلق الله السوداء باردة يابسة متصلة بالصفراء ملائمة باليبوسة مخالفة لها بالبرد [1] مضاهية للخريف بالبرد واليبوسة وزعموا أنها ريح خاملة في الجسد عنصرها الطحال وأنها ميزان الجسد وأنها ضد الدم والصفراء ضد البلغم .

قالوا : وحقيق [2] على التحرير العاقل أن يقابل الأزمنة بما يضادها من الأغذية فيقابل الشتاء بالحار اليابس لأنه ضده ويقابل الربيع بالبارد اليابس لأنه ضده ويقابل الصيف بالبارد الرطب لأنه ضده ويقابل الخريف بالحار الرطب لأنه ضده وقالوا الآن كل طبيعة يهيج سلطانها في زمانها فيعدل الجسد والطبيعة باختلاف الأغذية ولا باقي مع الله .

قالوا : فوجدنا ذلك مبيناً عيناً موجوداً في الإنسان وذلك ان الجوع حار قاتل فإذا قوبل بالشبع مات [3] الجوع وأن العطش حار قاتل فإذا قوبل بالري أمات [4] ذا العطش فكان هذا دليلاً على غيره من الأدواء ودليلاً على غيره من الأدوية الدافعة الآفات تدفع الآفات المعينة .

قال وهب : وان الله لما خلق الجنة حين شاء كيف شاء حيث شاء في سابق علمه وخلق النار وصار ابليس والجان إلى الجنة وهم [5] لا يتناسلون

---

(١) ل و ب – بالبرودة .
(٢) ل – فلما اتفقت هكذا كان حقيقياً .
(٣) ب – أمات .
(٤) في الأصل مات ذا العطش .
(٥) ل – فجعلوا يتناسلون .

في الجنة وان الجان تنافسوا في الجنة وطغى بعضهم على بعض وعصوا الله وسفك بعضهم [1] دم بعض عج الملائكة إلى الله بالدعاء — قالوا سبحانك ربنا ما أحلمك وأكرمك يتقلب في نعمك من يكفر بك لم تعبد زيادة في ملكك ولم تعص مغالبة في سلطانك تمهل من أساء وتصفح عمن عصى لم تخش الفوات فإليك المصير وأنت على كل شيء قدير لا يفوتك هارب ولا ينجو منك هارب [2] لم ينقص ملكك من عصاك ولا زاده من أطاعك أنت قبل كل شيء وأنت بعد كل شيء لم يؤدك حفظ ما خلقت فأنت بكل شيء عليم .

قال ابن منبه : فغضب الله على الجان فأوحى الله الى جبريل أن أخرج الجان من جواري وطهر منهم جنتي فأخرجهم جبريل من الجنة إلى أرضنا هذه فأسكنهم جزائر البحار وقفار الأرض وبقي ابليس مع الملائكة يعبد الله ثم خلق الله آدم عليه السلام لما شاء كيف شاء حين شاء في سابق علمه المكنون وحكمه النافذ من أديم الأرض من سهلها وجبلها وأبيضها وأسودها وأحمرها فجمع الطين فصار صلصالاً حمأ مسنوناً فصور آدم من تلك الطينة .

قال وهب : فلذلك وجد في بني آدم اختلاف الصور للسهل والجبل واختلاف الألوان لاختلاف الوانهم [3] فرفع جبريل آدم إلى الجنة فلما رأته الملائكة قالوا ربنا ما هذا قال الله تعالى (اني جاعل في الأرض خليفة قالوا ربنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) وأنت أعلم ربنا (قال إني أعلم ما لا تعلمون) وطاف ابليس بآدم فغمه ما رأى من جماله وحسن خلقه حسداً ثم جسه بيده فدوى آدم فقال خلق مجوفاً

---

(١) ب — دماء .

(٢) ب — منك غالب ل — منك طالب — ولعله محارب .

(٣) ب — الوان التراب .

أصبت والله فيه حاجتي ونفخ الله تبارك وتعالى الروح في آدم صلى الله عليه وعلى محمد وسلم فجال الروح في رأسه فأبصر فرأى جبريل فقال له جبريل عليه السلام[1] : يا آدم وكان قد خلق الله تعالى آدم ملهماً ثم انتشر الروح في جسم آدم فشق جوفه إلى حقويه فاستوى جالساً فلذلك أنزل الله (وخلق الإنسانُ عجولا)[2] لأنه جاس قبل أن يصل الروح إلى ساقيه وفخذيه وقدميه .

قال وهب : فقال جبريل يا آدم ان الله لم يخلق بشرا قبلك أنت أبو البشر فاشكر الله تعالى قال فرفع آدم بصره إلى العرش فلم يحجب عنه العرش فرأى في ساق العرش مكتوباً بالنور (لا اله إلا الله محمد رسول الله) وكان ملهماً للقراءة فقال يا جبريل ألم تقل اني أبو البشر وهذا محمد مكتوب في ساق العرش فقال له جبريل صدقت يا آدم صدقتك[3] هذا محمد حبيب الله أكرم البشر على الله خاتم الأنبياء من ولدك وبه تكنى يا أبا محمد له غداً المقام المحمود وله الشفاعة واللواء والحوض والكوثر .

قال وهب : وان الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم اليسرى .

قال وهب: [4] فقال بعض أهل العلم إن الله خلق حواء من الأرض كما قال (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) قال: أولئك الأولون قال الله [5] :(هو الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها)، فعطف على النفس لا على للأرض لأنه لم يسبق هاهنا الأرض قصة[6] .

---

(١) كذا في الأصول ولعله فقال له جبريل عليك السلام يا آدم – ل ملهوماً – وقال وعليك السلام وانتشر ... الخ .

(٢) ل – من عجل .

(٣) ل والأصل – صدقتكم .

(٤) ن – هذا قول بعض أهل العلم .

(٥) ل – يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم ... الخ .

(٦) ب – ذكر .

قال وهب : خلق حواء بيضاء نقية صافية البياض ناصعة كحلاء سوداء الاشعار وبه سميت حواء فأسكنهـا الله الجنة فعلم الله آدم اسم كل شيء في الجنة بكل لسان نطقت به ذريته بعده ثم قال تعالى للملائكة (انبئوني باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) في قولكم ،(أتجعل فيها من يفسد فيها)،(قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)،(قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال: ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)،(وأمر الله تعالى الملائكة وابليس بالسجود لآدم فسجدوا إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) وعتا أن يسجد لآدم وقال أتأمرني أن أسجد لمن [1] أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فغضب الله عليه وقال له (اخرج منها فإنك رجيم وان عليك اللعنة إلى يوم الدين قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون) قال الله له (انك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) قال وهب : ولم يعطه الله سؤاله ولكن أخره لما سبق في علمه أنه يكون محنة وابتلاء لآدم وبنيه .

قال وهب : ولم يعط الله تعالى ابليس الحياة إلى يوم القيامة ولكن إلى يوم الوقت المعلوم،وهو نذر قبلته الملائكة قال الله تعالى (يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون) وقال قوم أنه باق إلى موت الخلق كلهم فيموت .

قال وهب : وان الله أنزل صحيفة على آدم قال (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة) ونهاه عن فتنة ابليس ألا يفتنه ويطغيه وان ابليس أظهر لآدم عبادة الله رياء ثم طرقه ووسوس إليه وقال له : يا آدم أنا أحبك وأنا لك ناصح إن الله لم ينزل عليك النهاية عن هذه الشجرة إلا أن لا تكون أنت وزوجك ملكين فتكونا من الخالدين في الجنة واقسم بالله إني لكما ناصح ، قالت له حواء : يا آدم هل يحلف خلق الله وهو كاذب لا يكون ذلك . فذكر آدم النهاية فأبى وان ابليس

---

(١) في ب – له .

راعى [1] أحوال آدم فلم يجده يغفل إلا عند افاقته من نومه فلما أفاق آدم من نومه أتاه ابليس فقال له كل من هذه الشجرة يذهب عنك ما تجد من كسل ووسن وهو رأس النهي[2] ، فمد يده فأكل وأكلت حواء لما رأته أكل ثم ذكر النهاية آدم فرمى بما في يده وتفل بما في فمه وفعلت ذلك حواء وزجر آدم ابليس عن نفسه فقال له ابليس : إني بريء منك يا آدم عصيت الله ، قال آدم : رب إني نسيت واستفزني عدوي عند ساعة نومي وذلك قول الله (فنسي ولم نجدله عزماً) أي لم يعزم على مضغ ما في فمه ولا حبس ما في يده.

قال : ثم تطايرت عنهما حلل الجنة فعلم أنه عاص (فلما بدت لهما سوآتهما طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) .

قال وهب بن منبه : ولما أراد الله خروج آدم من الجنة للذي سبق في علمه قال : يا آدم اخرج أنت وزوجك [3] من جواري.

قال وهب : قال بعض أهل العلم ان ابليس ركب الحية وكانت ذات قوائم أربع حين أتى آدم ليأكل من الشجرة : قال لهم الله اخرجوا من الجنة اهبطوا إلى الأرض بعضكم لبعض عدو قال وسلبت الحية قوائمها وأخذ جبريل بجناحه فرماه بجبل جي بخراسان .

وزعم بعض أهل العلم أنه يخرج منه الدجال في آخر الزمان فنزل آدم على جبل لبنان وقال قوم على الجودي ونزلت حواء على جبل الطور وأن آدم لما غوى وأمره الله بالخروج من الجنة أخذ جوهرة من الجنة يمسح بها دموعه فلما صار إلى الأرض لم يزل يبكي ويستغفر الله ويمسح دموعه بتلك الجوهرة

---

(١) ل – لاحوال .
(٢) لعله وهو ناسي .
(٣) الأصل أخرجوا من جواري .

حتى اسودت من دموع الخطيئة وتاب الله على آدم قال الله (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) ثم أنزل الله عليه صحيفة نزل بها جبريل كتاب من عند الله أمره أن يسير إلى البلد الحرام ويبني البيت العتيق وكيف يكون نكاح ولده وولد ولده بما يصلحهم من معاشهم وهو قول الله تعالى (إهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فاما يأتيكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً)[1].

قال وهب: وان آدم قال يا حبيبي يا جبريل لا أعرف البلد الحرام فأوحى الله إلى جبريل اني دليل الأدلاء[2] دله على البلد الحرام فسار جبريل بآدم حتى أوقفه على الحرم وعلى المسجد وأراه مبتدأ البيت وأن حواء وجدت رائحة الجنة من قبل المسجد الحرام عن آدم فتوجهت قبل آدم[3] فاما رأى آدم شخصها من بعيد سعى إليها فالتقيا بعرفات فتعارفا فمن ثم سميت عرفات ثم بنى آدم البيت[4] وتعينه حواء حتى رفع الحطيم فأمره جبريل أن يجعل فيه الجوهرة التي خرج بها من الجنة ففعل وقال هذا منسك لك ولولدك من بعدك فلما تم بناء البيت أمره جبريل بقطع خشبة من المسجع[5] بين الطائف ومكة وقال بعض الناس بل من المسجد الحرام فقطع خشبة فرفع سماك البيت وأمره بالحج إليه والصلاة وأعلمه أنه قبلة له ولبنيه فأول أثر على وجه الأرض مكة وقال الله تعالى (ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً).

---

(١) بالأصل ضنكي.
(٢) الأصل الادلا.
(٣) ل – فأقبلت تستدل به اليه حتى وصلت اليه.
(٤) ب – هو يبني وحواء تعينه.
(٥) المسجع اسم موضع غير مذكور في الكتب التي بأيدينا – و ل المخشع – ك.

قال وهب : وأول ما تكاثف من الأرض وانعقد وصار أرض البيت [1] حين كانت الأرض زبداً ثم تكاثف المسجد الحرام حولها ثم دحى الله الأرض تحتها قال الله تعالى (ولتنذر ام القرى ومن حولها) مكة أم الدنيا وما فيها من أثر .

قال [2] الذي ألف هذا الكتاب:أن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم اختلفت في الجنة التي اهبط منها آدم عليه السلام فقالت فرقة أن الجنة التي خرج منها آدم هي جنة من جنات الدنيا وليست جنة الخلد التي وعد الله المتقين وكذلك النار التي أوعد [3] الكافرين ولم يخلقا وانما يخلقان غداً يوم الفصل واحتجوا فيذلك وقالوا أقاويل فكان ما احتجوا به أن قالوا قال تعالى(كل شيء هالك إلا وجهه) فان كانتا خلقتا فهما يهلكان بهلاك الدنيا وما فيها وقالوا قوله إلا وجهه ما أراد إلا هو كما تقول هذا وجه الأمر وهذا وجه الحق أرادوا بوجه هنا هو الأمر وأما الأمر فما له وجه ولا قفا [4] وهذا هو الحق وكذلك قوله لا وجهه إلا هو .

ومما احتجوا به أيضاً ان قالوا انما سميت الدنيا دنيا لأنها دنت بجميع ما فيها من خلق الله من كل شيء مخلوق [5] وسميت الآخرة آخرة لأنها تأخرت بعد الدنيا بجميع ما فيها فهذه الدنيا بما فيها وتلك آخرة بما فيها وليس في

---

(١) لعله أرضا .

(٢) ل – قال وهب .

(٣) ل – أعدت للكافرين .

(٤) ب – فالمراد بوجه هنا هو الأمر لأن الأمر لا يوصف بوجه ولا قفا .

(٥) ب – شيء خلقه الله تعالى .

الآخرة الا داران جنة ونار فان كانتا خلقتا فقد خلقت الآخرة في الدنيا [1] فحينئذ يكونان دنيا جميعهما وانتفت الآخرة وذلك غير جائز ويكونان جميعاً آخرة ولادنيا وقد بينها الله في كتابه فقال في الآخرة تلك الدار الآخرة وقال في الدنيا (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) فدار الآخرة عند الله ممدوحة غير غرور وهذه غرور فهذا من الله تبارك وتعالى البيان .

ومن حجتهم ان قالوا : ان الجنة دار الخلد لا يخرج منها من قد دخلها وهذه قد خرج منها آدم وحواء وابليس والجان فهذا دليل على أنها ليست جنة الخلد .

ومن حجتهم ان قالوا : ان جنة الخلد ليست دار تكليف وانما هي دار جزاء لعمل الدنيا وليس يكلف فيها أحد وقد كلف فيها آدم وحواء ألا يأكلا من الشجرة وكلف ابليس والملائكة السجود لآدم فهذه عبادة تعبدهم الله بها .

ومما احتجوا به ان قالوا ان الجنة التي وعد المتقون فيها فاكهة لا مقطوعة ولا ممنوعة وقد منع آدم وحواء في هذه الأكل من الشجرة وقالوا ان احتج من ناظرنا ان الله قال (اسكن أنت وزجك الجنة) إنما هي جنة الخلد سماها الجنة فقال الله (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه) فهذا يلزم أن تكون جنة الخلد لأنه سماها جنة [2] .

وقد احتج أيضاً من زعم أن الجنة مخلوقة والنار مخلوقة [3] فقالوا : قال

---

(١) في الأصل – وان الآخرة والدنيا دنيا ولا آخرة ثم أنهما ممتزجتان في هذه الدنيا وأما أن يكونا جميعاً دنيا أو فيكونا جميعاً آخرة وقد أبانها الله عن الدنيا بقوله تلك الدار الآخرة وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور – وفي ل وان الدنيا والآخرة آخرة وأن يكونا متأخرين في هذه الدنيا.

(٢) ب – وذلك معلوم البطلان .

(٣) قد خلقت – في الموضعين – ومما .

الله (جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) وأخبر أنها أعدت ولم يقل تعد لأن قوله أعدت فعل ماض وتعد فعل مستقبل وقال (اتقوا النار التي أعدت للكافرين) وقد أبان الله الماضي من المستقبل قال (فأتى الله بنيانهم من القواعد) ماض وقال (يوم يأتيهم الله في ظلل من الغمام) مستقبل والماضي كثير شاهده في القرآن .

ومما احتجوا ان قالوا : قال الله (ادخلوا آل فرعون أشد العذاب.النار يعرضون عليها غدواً وعشياً) .

ومما احتجوا ان قالوا : قال الله تعالى في حبيب النجار الشهيد (قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) فأراد قومه الذين خلف في دار الدنيا يعلمون كرامة الله له .

ومما احتجوا به ان قالوا : قال الله (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

لا خوف ولا حزن على الذين لم يلحقوا بهم من اخوانهم المؤمنين الذين في دار الدنيا قالوا : والآثار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة [١] غير أنا اكتفينا بالقرآن وجعلنا القرآن الناطق المحكم .

وقالوا بالقياس السوء فقد حمل القياس الفاسد على القرآن الناطق والآثار الصادقة فحملوا القياس السوء وادعوا به علم الغيوب ويعلمون من علم الله ما لا يعلمونه [٢] وقد قال الله تعالى [٣] ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات

---

(١) بالأصل كثير .

(٢) بالأصل يعلموا — يعلموه .

(٣) ل — لا تقول ما ليس لك به علم .

بل أحياء ولكن لا تشعرون) فقال الله لا تشعرون وقالوا بلى نشعر نحن رداً على الله وقد نهاهم فقال ولا تقولوا فقال [1] لا هم أموات وقد احتجوا به ان قالوا قد حملوا رأيهم بالقياس على الخصوص فجعلوه عموماً في قوله (كل شيء هالك الا وجهه) وقد أجمعنا [2] نحن وإياهم على أن أعمال العباد أشياء وان الله عدل لا يجوز أن يعذبهم على غير شيء وقال (ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً) فهل تفنى أعمال العباد والكتب التي [3] كتبتها الحفظة الكرام الكاتبين والله يقول (اقرأ كتابك) فإن هلكت الأعمال والكتب فما يقرأون غداً وما يجزون — واعظم غيهم أنهم يقولون أن أسماء الله وصفاته أشياء وهي غيره فهل تفنى أسماؤه وصفاته فأرادوا أن يدركوا علم الغيب بالقياس وقال الله (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض) وقال آخرون احتج هؤلاء ونحن نرد علم هذا إلى الله وقال الله (وما أمروا إلا ليعبدوا إلاهاً واحداً ، وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيامة) فلم نؤمر إلا بهذا ونرد علمه إلى الله تعالى غير انا نعلم أن لله جنة وناراً يثيب بهذه المتقين ويعذب بهذه الكافرين وهو العالم ان كان خلقهما الآن أو يخلقهما غداً فقد صدقنا بما قال والكلام في هذا كثير غير انا اختصرنا تأليف هذا الكتاب عن السلف الصالح .

قال أبو محمد عن أنس عن أبي ادريس عن وهب قال : حبلت حواء وآدم بمكة يبتني فولدت شيثاً وعناقاً في كل بطن غلاماً وجارية وكانت حواء

---

(١) لعله فقالوا بل هم أموات — ح .
(٢) وقد أجمعنا واياها على أن .
(٣) ب — كتبها .

تحمل في كل عام فتلد في كل بطن غلاماً وجارية فنزل جبريل على آدم فأمره أن يزوج الغلام من البطن الأول الجارية من البطن الآخر ويزوج أيضاً الغلام من البطن الأخير الجارية من البطن الأول ثم أمر الله تعالى آدم بالسير إلى البلد المقدس فآراه جبريل كيف يبني بيت المقدس فبنى بيت المقدس ونسك فيه وقبلته منه المسجد الحرام ويحج اليه وقت الحج ويحج معه ولده فكان آدم وولده يبنون البيت ويقربون القربان في جبل الطور فمن قبل سعيه نزلت نار من السماء على قربانه فأكلته فمن أكل قربانه علم أنه قبل سعيه [١] ومن لم تأكل النار قربانه علم أنه لم يتقبل سعيه فتفكر في ذنبه وسأل آدم أن يستغفر الله له من ذنبه ثم يقرب قرباناً آخر حتى إذا أكلت النار قربانه علم أن سعيه [٢] مقبول وقد تاب الله عليه .

قال وهب : وأنه لما أتى وقت الحج نزل جبريل على آدم فقال السلام يقرئك السلام يا أبا محمد ويقول لك أنا الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء حكمت عليك بالموت وعلى زوجك وعلى ولدك إلى يوم الدين [٣] ولا يبقى معي لا نبي مرسل ولا ملك مقرّب ولا جن ولا شيطان كل يذوق الموت فأتى آدم حواء وهو باك قالت له مالك قال لها حكم ربي علي بالموت وعليك وعلى جميع الخلق من الجن والانس والملائكة فبكت حواء لفراق الدنيا فقال لها آدم : الدار الآخرة خير للمتقين ثم سار آدم إلى الحج وان هابيل وقابيل قربا قرباناً فتقبل من هابيل ولم يتقبل قربان قابيل فقال له قابيل قربت قربانك وأخرت قرباني لأقتلنك قال له هابيل : (انما يتقبل الله من المتقين

---

(١) ب – قبل حجه – في الموضعين .

(٢) ب – حجه .

(٣) ب يوم القيامة .

لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين) .

قال وهب : قال ابن عباس كانت منافستهما على أخت قابيل التي ولدت معه في بطن وكانت جميلة فطلب هابيل أن يتزوجها وقال له قابيل أنا أتزوجها فقال له هابيل أن تحل لك قال له قابيل أقرب معك قرباناً فمن أكلت النار قربانه تزوجها فقربا فأكلت النار قربان هابيل فبقي قربان قابيل فحسد هابيل عليها ونهز [١] عليه فقتله .

قال وهب:قال بعض أهل العلم أن شيثاً وهابيل وقابيل وحبيب وعبد الصمد وعبد الرحمن و صالحاً وعبدالله وعبد الجبار [٢]

قال وهب : قال ابن عباس قتل قابيل هابيل بحجر هشم به رأسه وقال جبير بن مطعم قتله بقدوم كانت عنده وكان يبني بها البيت .

قال وهب:فلما رآه ميتاً حين قتله أقبل عليه يدعوويناديِ:يا هابيل يا هابيل فلما لم يجبه أقبل عليه يقلبه ليتحرك ، فلما رآه ميتاً لا يتحرك ولا يحير جواباً ولا ينظر ، ندم وأدركه الخوف وعلم أنه الموت وداخلته وحشة الموت وعلم أنه عصى الله فطلب الحيلة له فلم يدر ما يفعل فيه وضاقت عليه الأرض فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه فلما مات بحث الغراب الحي حتى خد في الأرض أخدوداً ثم جر اليه الغراب القتيل فالقاه في الأخدود فقال: هذا غراب علم ما يعمل بأخيه فما لي لا أواري سوأة أخي هكذا فلما حفر ليواريه

---

(١) بالأصل – ونفس .

(٢) بياض في الأصول ولعل الباقي – أبناء آدم من حواء – ك .

أتت حواء لتطلبهما لما غابا عنها فوجدته قد حفر له قبراً ووجدت هابيل قتيلاً فحملته وسارت به إلى آدم وقالت : له يا آدم هذا هابيل أكلمه فلا يكلمني ولا ينظر ولا يتحرك . قال : ما باله ، قال له قابيل : أنا فعلت به هذا ، قال آدم : اذهب عني فقد عصيت الله إياك أن تلقاني ، فذهب فلم يلق آدم بعدها . وقال آدم لحواء : هذا الموت الذي أعلمتك به تزودي منه فإنك لن تريه إلى يوم الدين يرجع إلى الأرض التي خلقنا منها ، فلما أيقنت بفراقه وأنها لا تراه أبد الأبد عظمت عليها المصيبة ورفعت يديها إلى رأسها صاحت ، فمن أجل ذلك صارت كل أمرأة على [1] الدنيا إذا أصابتها مصيبة تأدت بيدها على رأسها [2] وصاحت كفعل حواء ، فلما بكت حواء قال لها آدم : مذ خلق الموت في الدنيا لم تجف لعاقل فيها عين ولا تجف لأهلها عين يبكون ويبكي عليهم حتى يتفارقوا [3] ونفارقهم يا حواء ذهب الأمل وحل الأجل فمن قدم خيراً وجده ومن قدم شراً وجده وأنشأ يقول يرثي هابيل [4] :

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح

وجاورنا عدوٌ ليس يهدى ... لَعينٌ لا يموت فاستريح

أيا هابيل يا ثمر الفؤاد [5] ... أبعد العين مسكنك الضريح

محل تخلق الأجسام فيه ... ويبلى عنده الوجه الصبيح [6]

---

(١) ل - في الدنيا .

(٢) ب - تأدت ووضعت يديها على رأسها .

(٣) الاصل - تفارقوا .

(٤) قد وردت هذه الأبيات في مروج الذهب باختلاف الألفاظ والترتيب - ك .

(٥) ل - أيا هابيل يا بصري وسمعي .

(٦) زيادة في ب مأخوذة من مروج الذهب - ك .

تغير كل ذي طعم ولون ... وقل بشاشة الوجه المليح

قتل قابيل هابيلا أخاه ... فوا أسفا على الوجه الصبيح

فعيني لا تجف عليك سحـاً وقلبي الدهر محزون قريح[1]

قال وهب : قال قوم من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن قابيل لم يقتل أخاه هابيل قتلاً مفنياً ولكنه تناظر معه في الملكوت وكان قابيل أبعد بالحجة في ذلك فقتله بالحجة . والغراب عندهم تأويل ويحتجون أن الأنبياء لا تقتل الأنبياء ولو كان ذلك لما ذم بني اسرائيل بغير حق وإذا كانت الأنبياء تفعل ذلك فمابال غير الأنبياء – واحتجوا فقالوا : قال الله (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) أي من استدعى نفساً إلى الشرك فقتلها فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها ودعاها إلى الإيمان فأحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً فكان قتل ابن آدم لأخيه بالحجة لا بالقوة لأنه لم يقتل نبي نبياً .

قال وهب : قال جبير بن مطعم هذه القصيدة ليست لآدم هي منحولة ، وقال ابن عباس : تكلم آدم بجميع الألسن التي نطق بها بنوه ومن بعده من عربي وعجمي ، وهذه الأسماء لم تعلمها الملائكة (فقالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا أنك أنت العليم الحكيم) .

قال وهب : ان آدم غرس الثمار التي هبط بها من الجنة فأول ما غرس بالبلد المقدس ثم انتشر بنو آدم إلى الجزيرة وإلى بابل وإلى اليمامة وإلى الطائف

---

(۱) زيادة في ل – فأجابه ابليس لعنه الله تعالى :

تنح عن البلاد ومن عليهـا بدار الخلد ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في رخاء وقلبك من أذى الدنيا مريح
فما زالت مكايدتي ومكـري إلى أن فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبار أضحى قلبك من جنان الخلد ريح

وبلغوا البحرين يغرسون الثمار وبلغوا اليمن وعمان يغرسون الثمار ويحفرون[1] الأنهار ويبنون المصانع وينحتون الجبال . ثم ان آدم لما بلغ دعوة الله وعلت[2] حجة الله في بنيه وفي الجن وكثرت ذريته في الأرض فتكملت أيامه آتاه وعد الله آتاه جبريل فقال له : يا أبا محمد السلام يقرئك السلام ويأمرك أن تقيم شيثاً خليفة من بعدك في الأرض للأنس والجن يقيم فيهم حجة الله وينهاهم عن معصيته فعلم آدم أن نعيت اليه نفسه فأوصى شيثاً واستخلفه .

قال وهب : لم يقبض الله آدم عليه السلام حتى صلى خلفه الف رجل من بنيه وبني بنيه[3] ، ثم ان الله قبل روح آدم وأعلمه جبريل فلذلك قال : يا حبيبي يا جبريل نعيت إلى نفسي بموت حواء ، وكان موت حواء قبل موت آدم بعامين ، ثم دعا آدم فقال : رب هب لأوصيائي القائمين بجنبك عمري ما قاموا على عهدك وأظهروا حجتك وقاموا بحقك[4] فمن بدل فإنك أنت العليم الحكيم .

قال وهب : وكان عمر آدم عليه السلام تسعمائة وثلاثين[5] سنة ثم قبضه الله صلى الله عليه وسلم واسمه[6] بالسرياني والعربي (آدم) وكان عمر حواء تسعمائة وثمانية وعشرين[7] سنة ، خلقت حواء بعد خلقه بعام . وولي أمر بني آدم من أنس ومن الجن شيث (شيث) اسم عبراني وتفسيره باللسان

---

(١) الأصل – يفجرون .

(٢) ب – وكلت آياته .

(٣) ب – بنيه غير بني بنيه ول – ذريته من غير بني بنيه .

(٤) ل – مظهرين لحجتك قائمين بحقك .

(٥) ب – وسبعاً وثلاثين – ل – وسبعة وعشرين سنة .

(٦) زيادة في ب – واسمه الذي في التوراة على موسى (كذا) اذم بالذال .

(٧) ل – وخمسة وعشرين .

العربي خلف وشايث باللسان السرياني وتفسيره بالعربي نصب لأن عليه نصب الدنيا على ذريته ليس على الدنيا غير ذرية شيث وجميع ولد بني آدم أغرقهم الطوفان فقام شيث في الأرض وخليفة بأمر الله يصدع بالحق وذلك أن بني آدم وبني البنين انتشروا في الأرض يبنون ويغرسون فتنافسوا فيها وطغى بعضهم على بعض فأنزل الله على شيث خمسين صحيفة في صلاح الأرض يدعو الثقلين الجن والأنس وكان شيث مخبولاً [١] على القراءة ولا يكتب . فأنزل الله شريعة آدم في نكاح الأخ للأخت لأن آدم صلى الله عليه وسلم كان يزوج الأخ من الأخت إذا اختلفت البطون فأتت شريعته بخلاف ذلك ولا يزوج إلا ما تباعد نسبه كبنات العم وغير ذلك . قال الله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) . فأنكر عليه ذلك بنو آدم [٢] وسرحوا فقام فيهم بأمر الله وغلب عليهم بحق الله حتى تمت كلمة الله وعمت دعوته .

قال وهب : وان لامك بن هنوش [٣] بن هابيل بن آدم وهو هابيل قتيل قابيل مر عليه وهو يرعى غنماً له راكباً على فرسه ولامك أعمى فتكلم قابيل فقال : لامك من هذا المتكلم فقد انتفض لكلامه كبدي واقشعر له جلدي فقالوا : هذا قابيل قاتل هابيل جدك قال : أوترو الى قوساً فأوتروا له قوساً ثم استمع الكلام من أين [٤] يأتيه حتى علم أين هو ثم قال : أللهم اهدني وانتقم ثم رمى فأصاب نحر قابيل فسقط عن فرسه . ثم سأل من هذا قيل لامك بن هنوش بن هابيل قال : حسبي أبناء الأبناء قروا حدود [٥] الأجداد

---

(١) الصواب مجبولا — ح .
(٢) لعله ومرحوا .
(٣) بالأصل هوش والصواب في ل في المواضع كلها — ك .
(٤) ب — من أي جهة .
(٥) بالأصل مر وحدور — وكذا في ب علامة مع الشك وليست هذه الجملة في ل — فتأمل.

ومات فأتوا بنو قابيل بلامك الأعمى إلى شيث فقالوا : هذا قتل أبانا قابيل قال لهم : أخذ الله حقه بأضعف خلقه دعوه النفس بالنفس فان الله أوحى إلى آدم أنا أرحم الراحمين قتل ولدك ولا آمرك بقتل ولدك الآخر دعه لا يفوتني هارب ولا ينجو مني غالب وأنا القوي الطالب فلما بلغ شيث حجة الله وتمت كلمة الله بالصحف خمسين صحيفة وخمسين كتاباً وقد ذكر الله صحف شيث وغيرها من الصحف فقال : (رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة) وقال : (أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى) حكمنا حق في الأولين والآخرين ، وقال : لا تبديل لكلمات الله فأوحى الله إلى شيث ان اتخذ ابنك أنوش صفياً ووصياً فعلم أنه نعيت اليه نفسه فأوصى إلى ابنه انوش واستخلفه فلما بلغ تسعمائة سنة واثنتي عشرة سنة قبضه الله وولي أمر الله في الأرض ومن فيها انوش [1] بن شيث فحكم بما في صحف شيث واسمه باللسان العبراني انوش بكسر الهمزة الألف والشين[2] وتفسيره باللسان العربي انسان واسمه باللسان السرياني انوش بفتح الألف والشين وتفسيره باللسان العربي صادق فعمل في الأرض بطاعة الله حتى بلغ عمره تسعمائة وخمسين سنة [3]، فلما بلغ العمر المسمى في الدعوة أوصى الى ابنه قينان ثم قبضه الله عز وجل . (قينان) : عبراني تفسيره باللسان العربي مشترى وكذلك اسمه بالسرياني ، فعمل بأمر الله وقام بحق الله واسمه في الانجيل واينان [4] وتفسيره بالعربي عيسى . فلما بلغ من العمر غاية دعوة آدم وعاش تسعمائة سنه وعشر

---

(١) ل – وصي شيث وخليفته من بعده ولما ولى انوش الأمر من بعد شيث حكم ... الخ .

(٢) لعله بكسر الألف والشين – ح .

(٣) ل – والأصل وخمس سنين .

(٤) ل – ارجان .

سنين أوصى إلى مهليل [١] ابنه ، ومات قينان وولي الأمر ابنه . (مهليل) : عبراني وتفسيره باللسان العربي ممدوح واسمه بالسرياني في الانجيل مالالي [٢] وتفسيره بالعربي مسيح الله فصار بأمر الله قائماً فلما بلغ الغاية من العمر من دعوة آدم وعاش بضع [٣] مائة سنة وعشرين سنة أوصى إلى ابنه يارد : اسمه في التوراة عبراني وتفسيره بالعربي ضابط ، واسمه في الانجيل سرياني وتفسيره بالعربي هبط أي هبط في الأيام ثم قبض الله مهليل وولي الأمر في بني آدم يارد [٤] ، فعمل بأمر الله فلما بلغ إلى غاية الدعوة وعاش تسعمائة سنة واثنين وستين سنة أوصى الى ابنه (اخنوخ) ثم قبضه الله اليه . (واخنوخ) [٥] : اسمه في التوراة عبراني وتفسيره بالعربي ادريس وهو ادريس عليه السلام ، واخنوخ اسمه سرياني وأنزل في التوراة أنه حي إلى موت جميع الخلق وموت الملائكة فيذوق الموت حتماً مقضياً ، وأنه عاش في الأرض ثلاث مائة سنة وخمساً وستين سنة ثم رفعه الله إلى السماء السابعة فهو مع الملائكة . وقال الله : (واذكر في الكتاب ادريس أنه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً) . وقال بعض أهل العلم : ورفعناه مكاناً علياً أي أنه رفعه في النسب مكاناً علياً أن ليس بعد آدم وشيث نبي غيره والله أعلم .

قال وهب [٦] : ادريس النبي أول من كتب بيده من أهل الدنيا أنزل

---

(١) ل – فهلائيل .

(٢) ل – مالان .

(٣) كذا في الأصول ولعل الصواب تسع مائة لأنه العمر المسمى في الدعوة – ح .

(٤) بالاصل – بارد في الموضعين هذا والذي قبله وفي تاريخ ابي الفداء (يرد) بالدال المهملة والذال المعجمة أيضاً – ح .

(٥) بالاصل خنوح وفي تاريخ ابي الفداء (حنوخ) بحاء مهملة ونون وخاء معجمة – ح .

(٦) أوردها ابن قتيبة في كتاب عيون الأخبار عن وهب ج ا ص ٤٣ طبعة مصر – ك .

عليه الكتاب السرياني وعلمه اياه جبريل . فأول من أنزل الله تبارك وتعالى عليه (بسم الله الرحمن الرحيم) في صحيفة وبعده في الصحيفة مكتوب — شهد الله أنه لا اله إلا هو . إلى آخر الآية — ثم أنزل عليه أبجد إلى آخرها فكتب وقرأ ولما رفع الله ادريس استخلف ابنه متوشلح [1]: عبراني تفسيره باللسان العربي مطلوق وهو بالسرياني متشالح وتفسيره بالعربي مات الرسول . فعمل متوشلح بأمر الله وحكم بحكم الله حتى بلغ علم المدة التي علم بها آدم فأوصى إلى ابنه لامخ [2] . (لامخ) : عبراني وهو بالعربي لمك وهو بالسرياني لامخ فبنى المصانع وتجبر واحتجب فلما رآه بنوه كذلك فعلوا كفعله ونافسوه ودافعوه [3] ، فعاش لامخ تسعمائة سنة وسبعاً وسبعين [4] سنة ثم قبضه الله ومرج [5] الناس وطغى بعضهم على بعض فبعث الله نوحاً (نوح) صلى الله عليه وسلم : هو نوح بن لامخ فدعا الناس والجن [6] إلى طاعة الله وأنزل الله عليه صحيفتين بكتابين ودعاهم إلى ما في الصحف فعصوه وارتفع عنهم الغيث فقال لهم : (استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين) .

قال وهب : وأوحى الله إلى نوح (لا تبتئس بما كانوا يفعلون) فان حكم الله نافذ إلى يوم الوقت المعلوم فاصنع الفلك [7] فكانوا يسخرون منه

---

(١) الاصل — متشلح .

(٢) بالاصل لامح بالحاء المهملة والمشهور لمك بالكاف — ك .

(٣) ل — فارفعوه .

(٤) ل — وتسعين وفي ابي الفداء وتسعاً وستين .

(٥) في الاصل مرح .

(٦) ب — الناس والخلق .

(٧) ل — فصنع الفلك .

ويقولون ترك الكذب وصار [1] نجاراً فأقام نوح يدعو الثقلين الجن والانس الف سنة إلا خمسين عاماً فكان الآباء يوصون الأبناء بتكذيبه ويقولون لهم : لا تطيعوا هذا الشيخ الكذاب فانا أدركنا سلفنا يكذبونه ، فأوصى الأبناء أبناء الأبناء بتكذيبه فكلما طاف الأرض يبلغ حجة الله فيأتيه وقت الحج فيرجع إلى البيت الحرام فيحج . فلما رأوه يفعل ذلك قالوا : لو هدمتم بيت نوح لكف عنكم آذاه فائتمروا بهدم البيت وخراب المسجد الحرام فهدموا البيت وخربوا آثار المسجد الحرام . فأوحى الله إلى نوح فقال له جبريل : يا نوح السلام يقرئك السلام ، يا نوح جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً اشتد غضب الله وحقت كلمة العذاب على الكافرين لا ملجأ ولا منجأ لأهل الأرض من عذاب الله — احمل في السفينة من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم . فإذا رأيت التنور فاركب أنت ومن معك وكان الذي آمن معه سبعين رجلاً . قال الله : (وما آمن معه إلا قليل) فلما رأى التنور ركب بالسبعين رجلاً بلا نساء معهم وركب بنوه سام وحام ويافث ونساءهم كن قد آمن ، ثم رفعت الأرض ماءها وهرب ابن نوح الرابع إلى جبل فقال له نوح : يا بني آمن واركب معنا (قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء) ، قال له نوح : (لا عاصم اليوم من أمر الله) . والعرب تجعل فاعل في موضع مفعول قال الله (في عيشة راضية) و (ماء دافق) أي مرضية ومدفوق

قال وهب : فاوى ابن نوح إلى جبل وهربت معه امرأة بابنها فلما طما الماء على قنن الجبال وأخذها الماء جعلت المرأة ابنها على رأسها فلما الجمها الماء جعلت ابنها تحت رجليها لتنجو ثم علاها الماء فغرقا وغرق ابن نوح . فأوحى الله إلى نوح (لو كنت أرحم منهم أحداً لرحمت أم الطفل) . ثم انهمرت

(١) ب — يا نوح تركت الكذب وصرت نجار .

السماء بماء منهمر والتقى الماءان ماء الأرض وماء السماء . قال الله : (فالتقى الماء على أمر قد قدر) ولو نزل ماء السماء على الأرض لأغرقها ولكنهما التقيا في الهواء ودار الماء على البيت وعلى المسجد فلم يعله وبقي ما فوقه هواء وأنه لما آن وقت الحج قذفت الرياح السفينة إلى البلد الحرام فطاف نوح بالبيت أسبوعاً ثم قال نوح لبنيه : انكم في حج فاعتزلوا النساء فجعل نوح النساء بمعزل وجعل دون النساء رماداً وان حام جاز الى امرأته ليلاً فوطئها فلما أصبح نوح رأى الأثر في الرماد قال : من جاز إلى النساء ؟ قالوا : لا نعلم من جاز ، وكتمه حام . فقال نوح (اللهم سوّد [1] وجهه ووجه ذرية من عصى ووطىء أهله) فولدت امرأة حام غلاماً أسود فسماه كوشا فعلم أن الدعوة أدركته .

قال وهب : أقام الماء على الأرض أربعين عاماً [2] وقال بعض الرواة أربعين يوماً ثم أمر الله السماء فأقلعت ماءها وأمر الأرض فغاضت ماءها ونزلت السفينة بنوح على الجودي فقال : (بعداً للقوم الظالمين) .

قال وهب : وعاش نوح بعد الطوفان خمسمائة عام وأن السبعين رجلاً الذين كانوا معه في السفينة ماتوا بلا عقب وانما أعقب بنو نوح الثلاثة سام وحام ويافث [3] ، فولد سام ارفخشد وارم وبنين كثيراً درجوا ودرج أبناؤهم ، فولد أرم : عوص فولد عوص عاد الأكبر ، وولد [4] عابر بن

---

(١) لعله سودوجه ذرية .

(٢) ذراعا .

(٣) زيادة ل — نسب بني سام .

(٤) زياده ل — ارم أيضاً عاسراً — وفي أبي الفداء غاثر .

أرم فولد عابر ثموداً وطسم [١] وولد ارم أيضاً لاوي فولد لاوي عملاقاً ور يشاً وولد أيضاً فارساً ومارما ، فولد فارس الفرس . وقال بعض الرواة أن طسم وجديس ورايش وعملاقاً أولاد من ابن ارم فأما بني ارفخشذ فهم النخلة يعني نسبهم في نخلة النسب فاغنى [٢] عن أبنائهم هنا .

نسب ولد حام

ولد حام كوشا وماريع ، فولد كوش الحبشة ، وولد لماريع بن حام [٣] كنعان بن ماريع بن حام فولد بربر [٤] بن ماريع ونوبة بن ماريع ، وولد حام قبط بن حام وسند بن حام وقول بن حام وعامور بن حام [٥] ، وولد يافث عجلان بن يافث ، وولد يافث عوجان بن يافث وبرجان بن يافث ، فولد عجلان [٦] بن يافث ياجوج وماجوج والترك والخزر أولاد عجلان بن يافث ، وولد عوجان بن يافث صقالب بن عوجان وسكس بن عوجان وقوط بن عوجان [٧] .

---

(١) ل – فولد ارم أيضاً لاوذ بن ارم والأسود بن لوي ابن مادم بنوار فحتشذ النخلة يعني نسبهم في نخلة النسب .

(٢) ل – أغني عن ابنائهم هاهنا .

(٣) بالأصل بن كنعان .

(٤) بالأصل يزيد .

(٥) ل – وولد كنعان بربر بن كنعان وولد أيضاً حام قبط بن حام وسند بن حام وقران ابن كنعان بن حام وعينون بن حمام فهؤلاء بنو حام والله أعلم .

(٦) ل – علجان – ل .

(٧) وولد عرجان مثقال وبسكيش وقوطه فهؤلاء أولاد عرجان وولد لوهان الديلم – قال وهب فهؤلاء أولاد نوح وبنوه وليس على الأرض الا أولاد هؤلاء إلى يوم القيامة ولم يصح لنا بعض الاسماء لأنها غير منقوطة بالأصل – ك .

قال وهب بن منبه : ولما خلق الله الجنة جعلها خير معد لأوليائه وخلق الألسن فاختار لجنته من جميعها العربية وخلق بني آدم فاختار للعربية العرب[١].

قال وهب : ولما أراد الله اتمام أمره واظهار العربية [٢] أنزل كتاباً مقطعاً وهو : (شهد الله بالحق بسم الله الرحمن الرحيم شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة واولو العلم قائماً بالقسط لا اله إلاهو العزيز الحكيم) . حكم الحي القيوم أنه اذا اعتكر الزمان وكثر النسيان وحكم في ذرية آدم الشيطان وغلب هذا اللسان [٣] فعبدت الأوثان وقتل الولدان بعث الله محمداً بالعدل والبيان يصدع بالقرآن وينصر الايمان زمان ظهور السودان نبي لا نبي بعده ولم يخلف الله وعده .

قال وهب : قال جبريل يا نوح خذ هذه الصحيفة فانها كنز لذريتك فاحبسها عنهم فانه من صارت له من ولدك القسلة تعلم أنه خير ولدك وذريته خير ذريتك محمد صلى الله عليه وآله وسلم . فلم يزل تبارك وتعالى ينقله من الأصلاب الطاهرة والمحتد [٤] الطيب حتى بعثه الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكانت الصحيفة عند نوح لا يعلم ما فيها حتى نعيت اليه نفسه فقال له جبريل: ساهم بين بنيك بني سام وحام ويافث فقال لهم نوح : اقترعوا على هذه الصحيفة فأيكم صارت له فهو خير ولدي وذريته خير ذريتي ، فاقترعوا عليها فطارت لسام فأخذها سام فصارت اليه وكانت في يدي سام [٥] ولا

---

(١) ب — العربية للعرب .

(٢) زيادة ل لأهلها أنزل على نوح صحيفة مكتوبة بالعربية .

(٣) ل — وغلب عليهم العصيان .

(٤) ل — الجسد .

(٥) زيادة قال — قال حام بل نقترع فاقترعوا فطارت في الثلاث لسام فأخذها سام فصارت اليه .

يعلم ما فيها . (سام) : تفسيره بالعربية اسما ، ومات نوح وولي أمر أهل الأرض سام وهو وصي نوح . وقال بعض أهل العلم : أن وصي نوح ابنه نون بن نوح .

قال وهب : وكان سام جزوعاً من الموت فسأل نوح الله ألا يميته حتّى يسأل الموت . فعاش أربعة آلاف عام نبي الفين وعمّر الفين وان سام اعتل بنسمة [1] فسأل ربه الموت فمات .

قال وهب : أتى الحواريون عيسى بن مريم فقالوا له : يا روح الله وكلمته أرنا جدنا [2] سام بن نوح ليزيدنا الله يقيناً فسار بهم عيسى إلى قبر سام فقال : أجب باذن الله يا سام بن نوح فقام بقدرة الله كالنخلة السحوق قال له : كم عشت يا سام ؟ قال له : عشت أربعة آلاف سنة تنبيت [3] الفين وعمرت الفين ، قال له عيسى : فكيف كانت الدنيا عندك ؟ قال له سام : كبيت ببابين [4] دخلت من هذا وخرجت من هذا ثم ان سام قرع بين أولاده [5] في الصحيفة فصارت إلى ارفخشذ فعلم سام أنه خير ولده فأوصى له واستخلفه وولي ارفخشذ . وتفسير (ارفخشذ) بالعربي مصباح مضيء ، وارفخشذ باللسان السرياني واسمه بالعبراني ارفخشاذ ، فعاش ارفخشذ اربعمائة وثلاثاً وستين سنة فكانت الصحيفة عنده لا يعلم ما فيها وهو على دين الله فساهم بين بنيه فصارت الصحيفة بالسهم إلى شالخ بن ارفخشذ وولي أمر الناس شالخ . وشالخ بالعربي وكيل وكان على حق والصحيفة عنده لا يعلم ما فيها ، فعاش

---

(١) ب – وان ساما اعتل حتى سئم الحياة .

(٢) ل – قبر جدنا .

(٣) ب – نبيت .

(٤) ل – له بابان .

(٥) ب – والأصل – قد اقرع بين بنيه .

ثلاث مائة سنة وثلاثاً وستين سنة ، فلما حضرته الوفاة ساهم بين بنيه فصارت الصحيفة إلى عابر بن شالخ فأوصى شالخ إلى ابنه عابر[1] فولي أمر الناس عابر بالحق والعدل فبنى المجدل وحلب النهر[2] والصحيفة عنده لا يعلم ما فيها حتى أراد الله تفرقة[3] الألسن للذي سبق في علمه لظهور الحجة . قال الله : (واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين) .

قال وهب : وان عابر رأى في منامه كأن باباً من السماء فتح له ونزل منه ملك فأخذ بيديه فأقامه قائماً فشق صدره ونزع قلبه فشقه وغسله ثم أطبقه فعاد صحيحاً كما كان ثم رده في صدره وجريده على صدره فعاد سوياً . فلما أصبح داخلته وحشة وهيام منها فتوارى عن أخوته وقومه وأنكره أهله وولده وامتنع من الطعام . فلما أوى إلى فراشه رأى كما رأى في الليلة الأولى ، فرأى كأن الملك آتاه فأخذ بيده وأقامه على نفسه ثم قال : هات الصحيفة يا عابر فأتى بالصحيفة عابر[4] فقال له الملك : اقرأ يا عابر ، قال له عابر : ما الذي اقرأ ؟ قال : اقرأ (شهد الله بالحق بسم الله الرحمن الرحيم شهد الله أنه لا اله إلا هو[5]) . إلى آخر الصحيفة ثم قرأها معه مراراً فلما أصبح عابر ازداد وحشة وفراراً من قومه ، فقالوا : ان عابر خولط في عقله ، فجعلوا يحرسونه وهو يتوارى عنهم بالصحيفة يتذاكر[6] ما علمه الملك ويتدبر الأحرف بعقله وافتراقها واتصالها كيف نهاره أجمع . فلما أوى إلى فراشه عادت

---

(١) ل — وهو أول ملك ملك في الدنيا .

(٢) ل — جلب الدهر بعده بياض .

(٣) بالأصل — بفرقه .

(٤) ل — فكأنه ناوله اياها .

(٥) زيادة ل — والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم .

(٦) ل — يتدبر .

الرؤيا ثم أخذ الملك بيده فأقامه وقال : هات الصحيفة يا عابر ! فلما آتاه بها قال له : يا عابر تدبر أمر هذه الأحرف وسمها بما أعطاك لسانك وشفتاك ألا ترى أنك قلت باء بشفتك فسم الحرف الباء ، ثم قلت سين فهو سين ، ثم قلت ميم توالي [١] الحرف بالحرف يكن بسم . وكذلك في سائر الحروف فتدبرها وسمها بما أعطاك لسانك وشفتاك لتسعد . فلما أفاق عابر تدبر الصحيفة كما رأى فسهل عليه أمرها وفتحت له قراءتها فقرأها وعلم ما فيها فدعا ابنه هود — وهو هود النبي صلى الله عليه وسلم — فقال له : يا هود ان الله اختصني بعلم عظيم جليل القدر لنا به الشرف في الدنيا والآخرة ، ثم أخرج الصحيفة فقرأها فقال له هود : يا أبت رأيت رؤيا كأن آتياً آتاني فأطعمني طعاماً فلما وصل إلى جوفي تضوع له [٢] من فمي نور ملأ ما بين المشرق والمغرب . قال له عابر : أنت يا بني صاحب الصحيفة سيقال لك وتقول فاحترس بما [٣] في يديك . ثم تبلبلت ألسن الخلق فأقاموا بالمجدل وبأرض بابل يموجون ويعالجون اللغات فسلبوا اللسان السرياني الا أهل الجودي فانهم لم يعتوج لهم لسان يتكلمون بالسرياني . واجرى جبريل صلى الله عليه على كل لسان كل أمة لغة فنطق الناس بالألسن العجمي والعربي وأفصح يعرب بالعربية وهود أبوه [٤] وفالغ بن عابر أخو هود بالجودي يتكلم بالسرياني ، ويتكلم مع عابر جميع أخوته وبني عمه أرم بن سام ما خلا الفرس فانها تكلمت بلسان أعجمي ، وأما عاد وثمود وطسم وجديس وعملاق ورائش فانهم نطقوا مع ابن عمهم عابر بالعربية فأدركتهم بركتها وشرفوا وتغلبوا على جميع من كان معهم من الألسن

---

(١) ل — ثم وال .
(٢) ب — تطوع له — ل — أضاء له .
(٣) ل — فاحرض على ما .
(٤) ل — وأوضح عابر بالعربية وابنه هود .

حتى زهوا على الناس وأظهروا فيهم الطغيان وأشرفوا على الناس وكانوا كذلك إلى حين والناس اذ ذاك ببابل .

قال وهب : ولما تغلب المتعربون من ولدم سام بن نوح على الناس ببابل وطغوا عليهم وعاثوا فيهم ، بعث الله إليهم أخاهم هوداً نبياً [١] فدعاهم إلى طاعة الله فعتوا وهو قول الله تعالى : (وإلى عاد أخاهم هوداً) . فإنه لما تغلب بنو عابر على جميع أهل الألسن وقهروا الناس ، هبت الرياح الأربع الصبا والدبور والشمال والجنوب وهو أن تقف وتستقبل بوجهك مطلع الشمس فما هب عن وجهك فهو صبا وما هب عن يمينك فهو جنوب وما هب عن شمالك فهو شمال وما هب عن خلفك فهو دبور .

قال وهب : ولما هبت [٢] لقوم تبعوا ريح الصبا أين سارت واقتدوا بها وهم بنو حام فساروا حتى نزلوا اليمن ولم يسم إذ ذاك يمن . ثم هبت بعدهم ريح فتبعها قوم من بني يافث وهم القوط [٣] فنزلوا بجوار بني حام والموضع الذي نزلت به بنو حام [٤] يسمى العالية والموضع الذي نزلت فيه بنو يافث يسمى الهيفاء، فعملوا الأرض وافتتحوها وغرسوا الثمار وأجروا الأنهار ثم تنافس [٥] بنو حام وبنو يافث فاقتتلوا فغلب بنوحام على بني يافث وملكوهم وأجروا عليهم الخراج ، والقوط أول من أدى الخراج على الأرض من ولد نوح ، وفي ذلك كله هود يدعو الناس ببابل إلى الله ثم أن هوداً رأى رؤيا كأن

---

(١) ل – قصة هود وما جرى له مع قوم عاد حتى أهلكهم الله بالريح وآراهم الآية الباهرة
(٢) ب – ولما هب ذهب قوم – ل – هبت بقوم .
(٣) ل – الفوط كذا بالفاء وهو غلط .
(٤) بالأصل نزّلوه بني حام .
(٥) بالأصل تنافسوا .

آتياً آتاه فقال له : يا هود إذا ضربت رائحة المسك إليك أو إلى أحد من ولدك من ناحية من نواحي الأرض فليتبع تلك الناحية من وجد رائحة المسك ذلك النسيم حتّى اذا كف عنه نزل فذلك مستقره وللناس سعى ولله فيه علم وقضاء سبق ذلك فجاء مكنون علم الله . فقص الرؤيا هود صلى الله عليه وسلم على ولده وقومه . ثم آتاه آت في الليلة الثانية فقال له : يا هود من وجد ريح المسك اتبعه فإنه يفضي به إلى خير بلد الله وفيه بيته العتيق وحرمه وهو البيت الذي بناه آدم [١] والملائكة ورفعه الله من الطوفان [٢] . وقال بعض الرواة : بل هدمه قوم نوح. فأقام هود ببابل على الرجاء فلا يجد شيئاً وهو يدعو الناس المتقربين [٣] من ولد سام بن نوح عاد أو ثموداً وطسماً وجديساً ورائشاً وعملاقاً وبني ارفخشذ بن سام وعاد وأخوانهم بنو أرم بن سام ببابل .

قال وهب : وان يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه السلام وجد رائحة المسك فقال له هود : دانت ميمون النقيبة يا يعرب أنت ايمن ولدي مر فاذا سكن عنك ما تجد فانزل على اليمن ولا تمر فانها لك خير وطن وجاور بيت الله يا خير جوار . فصار [٤] يعرب بمن تبعه من بني قحطان وبني عابر ومن خف معه من بني ارفخشذ فساروا في جمع عظيم ووجوه أهل بابل وكان يعرب وسيماً كريماً أفضل غلام ببابل وقال في ذلك :

أنا [٥] ابن قحطان الهمام الأقيل ... لست لسكناك ولا مؤمل
يا قوم سيروا في الرحيل الأول ... قحطاننا الأوفر غير الأرذل

---

(١) ل – ابراهيم وهو غلط هنا .
(٢) ل – عند الطوفان .
(٣) لعله المتعربين – ح .
(٤) ل – فسار صح – ك .
(٥) ل – أنا الغلام ذو النصيب الاجزل – الايمن المعروف بالتجمل .

اني أنـــادي باللسان المسهل [١]	بالمنطق الأبـيـن غـيـر المشكل
ومنطق الأملاك بعدي الكمل	حسرت والأمة في تبليل
أجرى بعين الشمس في تمهل	لا قهر الأملاك بالتفضل [٢]
عن قول نوح غير ذي تغزل	وقول نوح ذاك علم الفيصل
يُرجى لتعقيب الزمان الأحول	زمان ذي الوحي الكريم المفضل [٣]
محمد الهـــادي النبي المرســـل	والناس عند سبقنـــا بمعزل
عن خير قول قلته واجمـــل	لله در المـــاجد المستقبـــل

قوله بمنطق الأملاك بعدي الكمل: طعن في علم ما يكون بعده أراد منطق التبابعة من ولده وأراد بقوله الزمان الأهول بعد ما بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه يحارب الجار جاره ويعادي المرء كلبه ووالده وأمه .

قال وهب : وقوله عن قول نوح – يريد الصحيفة التي كنز ذرية سام – ثم سكنت عنه رائحة المسك على رأس العالية فنزل بجوار بني حام فشاجره بنو حام كما فعلوا ببني يافث فرجعوا إلى يعرب وبنى عابر الذين معه فقاتلهم قتالاً شديداً فهزمهم يعرب ونفاهم إلى غربي الأرض فآتاه بنو يافث مذعنين فأمرهم بالإقامة ورفع عنهم الخراج الذي كانوا يؤدونه إلى بني حام .

قال وهب وورث يعرب أرض اليمن [٤] .

قال وهب : اسم (يعرب) يمن ولذلك قيل أرض يمن وأقام يعرب

---

(١) لعلل الرعيل .

(٢) ل – الأسهل .

(٣) ب – في التفضل ل ب – المفضل

(٤) في الاصل زيادة ليعرب

بها يغرس الثمار ويجري الأنهار . وكان يعرب أول من قال الشعر ووزنه وذهب في جميع الأعاريض ومدح ووصف وقص وشبب [1] فتعلم منه أخوته وبنو عمه حتى وصل الأمر إلى المتعربين ببابل عاد وثمود وطسم وعملاق ورائش فاستطابوا الشعر وخف على ألسنتهم وراموا قوله فنسج لهم قوله [2] .

قال وهب : وبلغ عادا ما يعرب فيه هو وبنو أبيه من النعمة ورفد العيش وكان شخص مع يعرب من بابل إلى أرض يمن رجل من عاد يقال له رقيم ابن عويل [3] بن الجماهر بن عوص بن أرم فلما رأى يعرب ومن معه في أمن وسعة ورغد من عيشهم حسدهم وكان يعرب يرى الأسباب في منامه وكان يخبر بها قومه ليكون الذي رأى رواية — رأى أن آتياً آتاه فقال له : يا يعرب هلا جعلت نقباً في الجبل الأغر من أرض برهوت في غربي [4] الأرض فإنه معدن عقيان وأفقر [5] شرقيه فإنه معدن لحين ففعل ثم أنه يرى ويستخرج معدن الجوهر من العقيق والجوهر فكثر اللجين والعقيان في أرض يمن وانما زيد في يمن الألف واللام لصلة الكلام ، وان رقيم بن عويل لما رأى أرض اليمن أتى قومه عاداً وكان فيهم رأساً فجمع عاداً ثم أخبرهم بما فيه بنو قحطان مع يعرب وأنكم ها هنا لستم على شيء واعتم على أنفسكم هوداً بكل من غشيتم عليه وقهرتموه من جميع الناس فصاروا يداً عليكم مع هود ولكن

---

(١) بالأصل شيد — ل سبه .
(٢) ب — فنسخ له قوله فقالوا الشعر — ول وسهل عليهم قوله .
(٣) ل — عويد بالدال .
(٤) ل — عريض .
(٥) لعله وآخر .

لا ينوا هوداً واعطوه عقوداً حتى يلين لكم ثم اخرجوا إلى اليمن وانزلوا ناحية منها واسألوا أخوانكم الجوار فإذا سكنتم كنتم من وراء أمركم فويل للمنزول عليه من النازل .

قال وهب : فأوحى الله إلى هود يخادعونك والله من ورائهم محيط اعطهم ما سألوا فاني لا أخشى فوتاً فوعزتي وجلالي ما ينتقلون إلا من أرضي إلى أرضي ولا يفرون من قدرتي إلا إلى قدرتي . فأعطاهم هود ما سألوه ورفعوا إلى اليمن فنزلوا بالأحقاف فلما نزلوا الأحقاف لم يتعرض لهم يعرب بشيء وقال لقومه : أخوانكم لجأوا إليكم فقال لهم رقيم : تحرموا عليهم الديون [١] حتى يقاتلوكم فاذا ظفرتم بهم قويتم على حرب هود بقتلكم ذريته فليس لأحد بكم طاقة وذلك ان الله خلقهم خلقاً عظيماً . قال الله تعالى : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد [٢]) أي ذات الأصلاب الطوال التي لم يخلق مثلها في البلاد ثم ان عاداً شاجرت يعرب [٣] وبني قحطان وتسببوا اليهم للحرب [٤] . فقال يعرب : يا بني قحطان ان كان أعطى الله عاداً أعظم الأجسام فقد أعطاكم الصبر والجلد فقاتلوهم بإذن الله تعالى ثم التقى بنو قحطان ويعرب ومن معهم مع عاد بموضع من اليمن يقال له بارق [٥] بين الأحقاف والعالية فاقتتلوا قتالاً شديداً فهزمهم يعرب وقتلهم مقتلة عظيمة فقال يعرب في ذلك :

لعمري لقد شادت على الدهر خطبة   سيوف بني قحطان في يوم بارق

---

(١) ل – تحترمو اليعرب ومن معه الجراير ودينوهم بالديون .

(٢) أي عاد بن ارم .

(٣) بالاصل يعربا وكذا في ب .

(٤) ب – الحرب .

(٥) قد ذكر ياقوت عدة مواضع بهذا الاسم ولكن عباراته غير واضحة – ك .

لقد حضرت عاد الى الموت ضحوة ... وللمرهفات الغر فوق العواتق
دلفنا إلى عاد بجمع كأنـــه ... على الأرض يعدو كالسيول الدوافق
أرادوا دفاع الله والله غالبٌ ... فكن عليهم منه احدى الصواعق
لنا لجة وسط العجاج يُرى لها ... على [1] فارسات الصبر حر الودائق
إذا عججوا أو لحجوا خلت جمعهم ... صخوراً تدلت من رؤوس الشواهق
بكل فتى ماضٍ على الهول باسقٍ ... يلاقي المنايا بالسيوف البوارق
نفينا بني حام عن الأرض عنوة ... إلى الجانب الغربي رجم [2] المضايق
لنا شرفات العز من حصن عابر ... علونا بها عن كل بان وسابق [3]
ابونا هو الهادي النبي الذي لـــه ... على أمم الدنيا عهود المواثـــق
سمونا إلى هود ومن كان مثلنا ... يقول بفخر واضح النور صادق

قال وهب : وان الله أنزل على هود صحيفة أمره فيها بالحج إلى البيت الحرام وأنزل عليه ما بقي على أبيه من العربية وأنزل عليه (ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ع غ ف ق س ش ه و لا ي) فأنزل لها تسعة وعشرين حرفاً [4] ولذلك علا اللسان العربي على جميع الألسن لأن كل لسان مـــن الألسن مثل العبراني والسرياني انما هو اثنان وعشرون حرفاً ، وأنزل عليه — يا هود ان الله قد آثرك أنت وذريتك بسيد الكلام وبهذا الكلام يكون لك ولذريتك من بعدك استطالة وقدرة وفضيلة على جميع العباد إلى يوم القيامة ويجري هذا الكلام فيهم أبد الأبد حتى يختم بنبوءة محمد صلى الله عليه وآله وسلم آخره في الأصلاب الطاهرات يخرجه من صلب إلى صلب نبي مطهر ثم يخرج من ولد أخيك فالغ على عشر آباء من نوح اليه .

---

(١) الأصل خطة .
(٢) الأصل فارشات .
(٣) الأصل شؤون .
(٤) ب — زحم .
(٥) ب باسق ولعله ب الصواب — ك .

قال وهب : فحج هود وقحطان ابنه ولحق بهم بمكة يعرب بن قحطان وحج معه يعرب بن قحطان والبيت مهدوم ، فإذا مر بموضع الحجر الأسود وهو مدفون أومأ اليه واستلم فقضى حجه . فقال يعرب : أتأمرني يا رسول الله أبنيه قال له : لا قد أخر[1] الله أمره يبنيه ويبني معه النبي بعده وتعينه الملائكة وذلك قول الله (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت (وقال) واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) .

قال وهب : نبي معه اسماعيل .

قال وهب ثم ان راس عاد وهو عاد بن رقيم بن عابر بن عوص بن ارم قال لرقيم : أنت مشؤوم ورأيك نكد دعوتنا إلى حرب يعرب ولم يردونا بسوء[2] فلما قتل عاد أدركك الجزع فلبست الذل وان ملك عاد عاد بن رقيم دعاه إلى حرب يعرب وآنشأ يقول :

ألا يا عاد ويحكم فسيروا إلى العلياء واحتملوا برشد
لقد ظفرت بنو قحطان منا بيوم طالع من غير سعد
لقد نزلوا البلاد فأوطنوها وكانوا في المحافل غير جند[3]
ولينوا في مداهنة لهود فقد صرتم إلى ذل وجهد
وداروه ومن يهوى هواه ليرضى من سجيتكم بود
وفي غب النفوس يكون غلا دفينا في الصدور له بحقد

---

(١) ل – لا قدأخر الله أمره لنبيه يبنيه وهو نبي من ذرية أخي فالغ يعينه فيه الملائكة مع ولد له وذلك قول الله تعالى (واذ بوأنا لا براهيم مكان البيت واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل – ولعله الصواب – ح .

(٢) بالاصل لم يرحونا .

(٣) – حيد .

فأجابوه إلى المسير وخرجوا إلى حربه ويعرب بمكة [1] ومعه وجوه بني قحطان وحملة أمورهم فلما برزت عاد أنشأ يقول عاد بن رقيم :

يا قوم أجيبوا صوت ذا المنادي سيروا اليهم غير ما أرواد
إني أنا عاد الطويل النادي وسام جدي غير جد هادي
سيروا إلى أرض بذي اطواد بنهد أرض في ثرى الثماد
اذ يعرب سار على الجياد بظهر قفر أو ببطن وادي
قد شاد من قبل على الآساد حتى سبا وعاث في البلاد
قوموا ليشهد خافق الفؤاد ويلق منا صولة الأعادي
يرمي الينا مرسن القياد

وبلغ بنو قحطان خروج عاد بقومه فعادوا اليهم فخرجوا والتقوا ببارق فاقتتلوا قتالاً شديداً ونال بعضهم من بعض فكان بينهم قتل عظيم وبلغ ذلك يعرب بمكة فأمره هود بالانصراف إلى اليمن ، فلما جاءهم يعرب تهيأ للزحف إلى عاد[2] وان الله أمر هوداً بالمسير إلى اليمن لينذر عاداً و يدعوهم إلى طاعة الله تعالى . فسار هود حتى نزل بجوار الأحقاف بموضع يقال له الهنيبق [3] وأمر يعرب فكف عما كان عليه من حرب عاد ودعا عاداً إلى الله تعالى ووعدهم الجنة ان هم أطاعوا الله وخوفهم بالنار إن هم لجوا وتمادوا على ما هم عليه من الكفر فقالوا له : صف لنا هذه الجنة التي وعدتنا ؟ فقال

---

(١) مع هود جده عليه السلام فخرج اليهم قحطان فاتقوا ببارق مرة فاقتتلوا فلما برزت عاد انشأ يقول،

(٢) زيادة ل – فلما بلغ أمرهم إلى هود صلى الله عليه وسلم أمر يعرب بالانصراف اليهم فسار حتى وصل اليهم وهم يقاتلون قحطان فتهيأ للزحف فهزمهم ثانية وقتلهم قتلا ذريعاً.

(٣) ل – الهسنوا (كذا) والكتابة غير واضحة بالأصل في الأماكن كلها ولم أجد لهذا الموضع ذكراً في الكتب التي بأيدينا – ك .

لهم : هي جنة بناؤها بطون العقيان وطينها لجين وفيها حور العين أبكار [1] والفواكه الدائمة التي لا تنقطع والأنهار من كل الأشربة تجري بين القصور تحتها والغرف المبنية من الياقوت على أعمدة اللؤلؤ والزمرد والزبرجد وقيعانها من فتيت [2] المسك والكافور والزعفران . قالوا : فصف لنا النار ؟ قال لهم : هي سوداء مظلمة مدلهمة وهي طبقات الهاوية والجحيم ولظاً وجهنم والسعير وأوديتها موبق والزمهرير [3] وطعامها الزقوم من أكله سالت عيناه وأحرق حشاه وشرابها الغسلين يتساقط منها لحم الوجوه [4] قبل أن يصل إلى أفواه الشاربين مع مقاربة الزبانية المعذبين . فقالوا : وهذا هود قد وصف لنا ولكن ارسلوا اليه وفداً من أهل الرياسة والشرف والعقول يسألونه أن يريهم الجنة ويريهم النار ؟ فأجمع أمرهم على ذلك فأرسلوا الف رجل وفداً . فقال لهم ملكهم عاد بن رقيم : اسألوه أن يريكم هذه الجنة وسموها على اسم جدكم أرم بن سام بن نوح فيكون اسم جدكم موجوداً مذكوراً أبداً ويكون له به فضيلة على الخلق أجمعين وينسى اسم جدهم ارفخشذ فيكون لكم علواً ولهم ضعة [5] إلى آخر الدهر . فبعثوا منهم رجلاً من أهل الشرف والرياسة والمنطق يقال له البعيث بن وقاد بن خضرم [6] بن هاد بن عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح ، فوفد البعيث على هود مع ألف رجل فقال له : يا هود أنت وعدتنا بالجنة ووصفتها لنا وأوعدتنا بالنار ووصفتها لنا في الآخرة وخير

---

(١) ل – قالوا صف لنا النار وصف لنا الجنة اللتين وعدتنا بهما فقال لهم هي بها تهتور (كذا) العقيان وطيبها لجين وفيها حور العين ابكار ... الخ .
(٢) بالاصل نبت والصواب في ل – ك .
(٣) ب – موبوق .
(٤) زيادة في ل – بئس الشراب .
(٥) ل – وضيعة .
(٦) ب – حضرم بعلامة الاهمال فوق الحاء وفي ل حضوم بن هماد – ك .

هذه الدنيا قد رأيناه فلسنا تاركين الحاضر للغائب بقول قائل صادق أو كاذب فنحن من قولك في شك أو تبين ما قلت من جنة أو نار وإلا فأنت كاذب وانا رأينا حور الدنيا وفواكه الدنيا ، ثم وصفت لنا ما هو أحسن من هذا فحقيق على من كان له لب أن يرغب فيما وصفت ثم رأينا نار الدنيا محرقة فزعمت أن تلك النار أشد احراقاً وظلماً [1] فحقيق لمن خوفته بها أن يخافها فاخرج لنا مدينة نسكنها ونسميها على اسم أبينا أرم بن سام بن نوح تكون لنا فضيلة إلى آخر الأبد واخرج لنا ناراً نتعظ بها ونزداد فيما دعوتنا اليه رغبة وتخرج لنا حيث نريد – وهم يسألونه ذلك على وجه الاستهزاء به وأنه لا يقدر على ذلك – فقال لهم هود : سألتم الله أمراً وهو يسير عليه ولكن أخشى عليكم أن لا تقوموا لله بوفاء العهود وانما يقول له كن فيكون فان عصيتم الآية قال : لما يهلككم كن فيكون فاذهب يا بعيث مع أصحابك فخذوا عهودهم لله ثم اعلموهم ان هم أعطاهم الله سوء لهم ان كذبوا ان الله يهلكهم بمثلة تكون عبرة للعابرين فرجع البعيث والذين معه فقال للملك ولعاد البعيث [2] :

لقد جئتكم من عند هود بقصة ... وما عنده قول إلى الحق يتبع
دعاكم لأمر ليس فيه حقيقة ... وما فيه شيء للجماعة ينفع
دعاكم لآمال غرور بعيـــدة ... وترك الذي يهوى الذ وأنفع
كتمت له في النفس مني جوابه ... وظني به يا عاد بالقول يخـــدع
واني مشير فيكم بنصيحـــة ... وان أصبحت عاد تطيع وتسمع
فان تقبلوا رأي تنالوا سعـــادة ... خذوه برشد في الذي قال او دعوا

---

(١) ب – ظلاما .

(٢) ل – الى قومهم فقال الملك مالك يا بعيث فأنشأ يقول .

ذروني أقل من قبل يبدأ قائـــل فاني له ان قلت بالفلج أطمع

قال له عاد : ما رأيك يا بعيث ؟ قال له : نسير إلى هود فنسأله أن يخرج لنا هذه المدينة في الحفيف. وهو واد يسيل ويخرج من بين جبال وجرز سود شعث والحفيف نهر يسيل ليلاً ونهاراً بالرمل يتيهأ [1] بالرياح العواصف . فخرج من عاد ثلاثة آلاف وفدا إلى هود ، فاتوا هوداً فقالوا له : يا هود اخرج لنا هذه المدينة على عهد الله علينا وعلى قومنا أن نؤمن وأخرجها لنا بنهر الحفيف؟ فسار معهم حتى وقفوا على الحفيف . فقال لهم هود : اذهبوا عني إلى نجاد الأحقاف فإذا هب لكم نسيم المسك أقبلتم إلي . فذهبوا وناجى هود ربه فاخرجها الله لهم قصور الياقوت على أعمدة اللؤلؤ والزمرد والدر والزبرجد وقصوراً مبنية بلبن اللجين والعقيان وقيعانها بالمسك والكافور والزعفران . فلما رأوا ذلك عشيت أبصارهم وخشعت قلوبهم وداخل قلوبهم منها رعب ورقي اليهم منها نور كشعاع الشمس . فقال لهم هود : هذه التي اسمها أرم على اسم أبيكم فان آمنتم كان لكم بها فضيلة على الخلق إلى يوم القيامة وان رغبتم فان الله قوي عزيز يهلككم كما أهلك من قبلكم ممن كان أشد منكم عتواً في الأرض ، فأنا أعلم أنكم لم تؤمنوا ولن يراها أحد من خلق الله إلا رجل من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قال وهب بن منبه : رآها تميم الداري [2] زمان عمر بن الخطاب ، ثم هموا بدخولها فعميت [3] أبصارهم واقشعرت جلودهم فولوا مدبرين ؛ فقال لهم ميسعان بن عفير : ويحكم آمنوا فانها آية من الله ، فقالوا : ان هوداً

---

(١) لعله ينهار — ح .

(٢) هو صحابي مشهور — ك .

(٣) ل — عنها .

لساحر من سحرة أرض بابل ، قال لهم ميسعان : آمنت بما جاء به هود . ثم ساروا ومعهم ميسعان يعظهم حتى بلغوا موضعاً يقال له لكنة المعتال [1] فأنزل الله عليهم ناراً بريح صرصر عاتية فأحرقتهم [2] وخلص ميسعان فلذلك الموضع يسمى الحرقانة [3] إلى اليوم فانطلق ميسعان سالماً حتى أتى عاداً ليلاً أول رقده فاستوى على شرف من رمل ونادى بأعلى صوته وهو يقول شعراً :

قد منحت القوم رشداً ناصحاً ... فأبى لي النصح من قد وفدوا [4]
آمنوا بالله وارضوا بالذي ... قال هود يال قوم اعبدوا
بعد أن ساروا وسألوا آية ... فرضوها بعد عقد عقدوا [5]
جعلوا الآية فيهم نسبا ... كانتساب الأب لما وردوا
ثم قالوا انما هم أرم ... وهي بحر [6] عليها وكدوا
فرضي هود بما قالوا معا ... فسنى [7] المسك ولاح العمد
قد رضوها فرأوها نسبا ... واليها بعد عاد قصدوا
ثم خانوا بعد صلح ورضى ... وعهود لنبي عهدوا
انما مهرج [8] شؤم وبه ... عن هوى هود لعمري عمدوا
حلت النار لهم فاحترقوا ... وكذا النار عليهم تَقِدُ
أُوقد النار عليهم خيرهم ... ما نجا غيري منهم أحد
ويل عاد ثم يا ويل لهم ... قدموا شيئاً فها هم وجدوا

---

(١) لم أجد ذكر لهذا الموضع في الكتب التي بأيدينا — ك — ل — لكنة الميعاد .
(٢) ريحاً صرصرا أحرقتهم .
(٣) بالأصل الحرفانة بالفاء ولعله الحرقانة بالقاف فلا ذكر لموضعين على هذا الاسم — ك.
(٤) الأصل من قذا وقدوا .
(٥) ل — بالعهد لما عهدوا .
(٦) ل — بالجد .
(٧) الأصل فسبا .
(٨) ل — واقي امهرج .

ومهرج هو الذي أمرهم أن لا يؤمنوا لهود ، وأنها لما سمعت عاد قول ميسعان ثاروا اليه في جوف الليل فقص عليهم ما كان من شأنهم فصاروا اليه يداً واحدة وقالوا له : يا ميسعان لقد دلنا شعرك على هوجك ولقد أعميت على وفدنا بالهوى . ولميسعان منعة بأخوته وولده وقومه فكرهوا أن يسرعوا اليه بسوء حتى يعذروا إلى قومه . فلما أعذروا اليهم قال له قومه : يا ميسعان ما حملك على خلاف جماعة قوم عاد ؟ قال لهم ميسعان : لقد أوضحت لهم المنهاج أنرت لهم السراج لئلا يجهلوا الحق لاشتباه الفتنة وتخليط العمى أني رأيت آية باهرة للعقول أقام الله علينا بها حجة ثم صدرنا إلى قومنا منذرين لهم فرجعوا عنه إلى جماعة يعتذرون عنه فكفت عنه عاد فقال لهم هجال بن رفيدة : يا معشر عاد عليكم بهود فلاينوه حتى يسكن جأشكم فان مصيبتكم بما حل في وفدكم عظيمة . قال لهم ميسعان : يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به ثم سيروا اليه في الهنيبق [1] نستبدل ما هو خير بما هو أدنى . قالوا له : لا حاجة لنا بقولك يا ميسعان فأنشأ ميسعان يقول شعراً :

إلى جزع الهنيبق عاد سيري ... توافى الأمن والرأي المبينا
وتبدو لي الحرون [2] وحقف رمل ... وتترك بارقاً أبداً حزينا
وترتحلي إلى بلد كريـــم ... وتتخذي المصانع والعيونا
من الماء المعين وكل غـــرس ... بها ترضونه عنباً وتينـــا
وتتخذون فاكهة وزرعا ... وماء في جعافره معينا
ترون برأيكم فيها بحزم ... إذا ما كان رأيكم مبينا

وان عاداً عملت مهداً فاسداً للماء غرسوا تحته الجنات فكانت عجيبة بها

---

(١) ب – هنينق ول – هينيق .

(٢) الاصل الحروب وحيث رمل .

من جميع الفواكه والزرع،وأقاموا على ملايبتهم لهود حولين كاملين يرجو ايمانهم وهم من ذلك في حيرة ويعرب معتزل لحربهم فأرسل إلى هود أن عادا قد مردت وأصرت فاذن لي في حربهم فأرسل اليه هود أن أمر الله أعظم من حربك فكف .

قال وهب: وان الله تبارك وتعالى رفع عن عاد الغيث عامين العامين اللذين هادنوا فيها هوداً فهلكت زروعهم وأسرع الهلاك في جناتهم وهلكت أنعامهم وأسرع الهلاك في أموالهم فأتوا إلى ملكهم عاد فشكوا اليه ما نزل بهم فقال : استسقوا فقصدوا إلى شيخ لهم يقال له قيل بن عنز[1] كان طلق اللسان خطيباً فقدموه وخرجوا خلفه فأنشأ أبو الهجال يقول :

ألا يا قيل ويحك قم فهيم لعل الله يسقينا غماما
فيسقي أرض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما
فما ترجو بها غرساً وزرعاً ولا الشيخ الكبير ولا الغلاما

ثم ان عاداً أرسلت إلى هود فشكت اليه ما نزل بها من القحط ، فقال لهم هود ان: الله يرسل عليكم ثلاث سحابات : سحابة صفراء وسحابة حمراء وسحابة سوداء ويخيركم في احداهن فاختاروا لأنفسكم ما شئتم ؟ فرجعوا إلى قومهم فاعلموهم بقول هود . ثم ان الله أرسل ثلاث سحابات : سحابة صفراء وسحابة حمراء وسحابة سوداء فأقامت عليهم ثلاثة أيام معلقة من جهة المغرب فأرسلوا إلى هود : انا قد اخترنا السوداء ولا حاجة لنا في الصفراء والحمراء . قال لهم : ان الله يرسلها عليكم واضمحلت الصفراء وذهبت ثم تبعتها الحمراء فذهبت ثم أرسل الله عليهم ريحاً صرصراً أحمت[2] الشجر

---

(١) بالاصل غير والمعروف عنز – ك .

(٢) ب – احسمت .

ولونت الزرع ، وكان درب العرب في الغربي من [١] اليمن وكان في الدرب ثلاثة فجوج فنفحت عليهم من الفج الأوسط من الدرب فذلك الفج يسمى إلى اليوم فج العقيم وكان في طاعة [٢] عاد خمس مائة رجل طوال الأجسام – كما ذكر الله – فخرج منهم ثلاث مائة رجل إلى الفج يريدون يبنون الفج لدفع الريح وتعسكر الباقون إلى هود لئلا يحاربهم [٣] من خلفهم وبينهم وبينه ثلاثة أيام ، وبينهم وبين يعرب شهران ، وان عاد بن رقيم ملكهم انتصب إلى هود بعاد [٤] وتكفل الطوال بالفج فجعلوا إذا وضعوا حجراً قلبته الريح ، فقالوا : اجعلوا رجالاً منكم يردون الريح عن البناء حتى يثبت ، فقدموا الخلخال وكان أطول عاد جسماً وأشدهم بطشاً،وخرج اليه هازل بن غسان[٥] فأمسك عنهم الريح وأسسوا بنيانهم إلى آخر النهار فعصفت الريح وصرصرت فأخذت رأس الخلخال وهازل فنزعت رؤوسهما بقلوبهما وأكبادهما وحشا أجوافهما فرمت بهما والقت أجسامهما وبقي الأساس على حاله لما أراد الله من هلاكهم وكان ذلك يوم الأحد ثم أرسل الله الريح يوم الاثنين أول النهار لينة لما أراد الله من هلاكهم ويجعلهم مثلاً للأولين والآخرين وعبرة للعابرين فلما غدوا الفج قلبت الريح الحجر فأخرجوا شداد بن حمام والأمنع بن اصبغ [٦] إلى آخر نهارهم فهبت الريح وصرصرت ثم أخذت رؤوسهما فنزعتهما بالاحشاء والقت بأجسامهما ثم قام يوم الثلاثاء سجار بن الهيعقان

---

(١) في الأصل في غربيهم .

(٢) ب – طغاة .

(٣) يحفر .

(٤) ل – لحرب هود بمن معه .

(٥) ب – ابن عينان – ل هاريل بن عينان .

(٦) ل – الحمام بن شداد والاصبغ .

ومبدع بن قفال فنزل بهم مثل ما نزل بأولئك ، ثم قام يوم الأربعاء يافث بن شرعب وسلاف بن الهيلجان [1] فمثل ذلك ، ثم قام يوم الخميس شرس بن عقاب وسجيل بن واغل [2] فمثل ذلك ، ثم قام يوم الجمعة تبان بن واقد وميدعان [3] بن السبل فمثل ذلك ، ثم قام يوم السبت سرحان بن عنبل وعامر ابن سالف [4] فمثل ذلك ، ثم قام يوم الأحد الرفصان بن هزيم [5] فمثل ذلك ، وخلفه الهندوان بن العميل فمثل ذلك ، فاشتدت الريح وصرصرت لتمام سبع ليال وثمانية أيام فعصفت الريح وصرصرت فلم تدع منهم أحداً وهدمت الجبال وخددت الأرض وحطمت الشجر وأخذت الحجر كما قال الله تبارك وتعالى : (وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم) فأخرجتهم من الكهوف والقنون [6] فكانوا كما قال الله : (واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ، فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية) ، فلم يبق منهم إلا ميسعان بن عفير وبنوه الذين آمنوا معه وانهم لعلى الدنيا إلى اليوم ولم يبق من الكافرين أحد فقال في ذلك ميسعان :

ألم تر الريح العقيم إلا يدا والعارض العراض [7] فيها الأسودا
تمطر بالنار وتهمى بالردى تخدد الأرض وتذري الجلمدا [8]

---

(١) ل — الهيجلان .
(٢) ب — واعل .
(٣) ل — شرعان .
(٤) ل — عليد بن سالفه .
(٥) ل — الرمضا بن هود .
(٦) ل — الغيران .
(٧) — ل — المعراض .
(٨) الأصل الحامدا .

أرسلها صرا [1] عليهم سرمدا أضحت بها عاد رماد آ أرمدا
فلم تدع في الأرض منهم أحداً إلا هشيماً بالمنايا والردا

قال وهب : وان الله أنزل على هود أربع صحف ، ثم ان الله تبارك وتعالى قبض هوداً ودفن بالأحقاف بموضع منه يقال له الهنيبق بجوار الخفيف فان نهر الحفيف أخرج الله فيه الماء المعين وغرست فيه الثمار من يوم أخرج الله فيه آية هود .

قال وهب عن ابن عباس:أن هود النبي عليه صلى الله وسلم أرى عاداً الآيتين الجنة والنار فأما النار فرأوها في وادي برهوت وزعم أن ببرهوت عيناً من عيون جهنم ، وأن جهنم في أرض المغرب يسكن عليها شرار خلق الله وهم الحبشة .

قال وهب : وأراهم الجنة بنهر الحفيف – قال : وصار أمر هود إلى وصيه ابنه (قحطان) . فقام قحطان بأمر الله وهو خليفة هود وانه تغلب بآذربيجان الاسكنان بن جاموس بن جلهم بن شاد بن علجان بن يافث بن نوح فغلب على جميع الألسن ببابل بعد هود وطسم وجديس وعملاق فهربت بنو عملاق إلى بيت مكة إلى جوار قحطان ولحقت بهم رائش وتبعتهم طسم وجديس فنزلوا اليمامة ورحلت ثمود ونزلوا بمأرب من أرض اليمن وشكوا إلى قحطان ما نزل بهم من الاسكنان بن جاموس فجمع قحطان أهل اللسان العربي وزحف إلى بابل يريد الاسكنان بآذربيجان وانتصب له الاسكنان في بني يافث فلقيه قحطان فهزمه وقتل الاسكنان وفضت جموعه من بني يافث إلى أرض أرمينية وإلى ما خلفها من الأرض وما والاها وهربت القوط

---

(١) الاصل صريحا .

والسكس والافرنج وهم بنو عرجان بن يافث ولحق بهم أخوتهم الصقالب بنو عرجان بن يافث .

قال وهب : وكان قد تملك بيت المقدس وملك الشام نمرود بن كنعان ابن ماريع بن كنعان بن حام بن نوح وأنه زحف إلى بيت المقدس وقحطان بسمرقند ، فلم يكن لبني عملاق به طاقة فأجابوه [1] ودافعه رائش بن لاوذ ابن سام بن نوح فقتلهما فمن بقي من رائش صاروا في اخوانهم عملاق في آخر الدهر . فأول قبيل انقطع عن الدنيا من ولد ارم بن سام عاد ورائش وبلغ قحطان خبر نمرود بن كنعان فأقبل اليه بجموعه فلم يستطع بنو حام مدافعة بني سام ومن لف اليهم من بني يافث فهربت النوبة والفرار إلى المغرب فنزلت النوبة والفراور بجوار القوط من بني يافث ولكنهم تقربوا إلى المغرب وكان القوط قبل ذلك باليمن فتبعتهم عاد إلى الشام وهربوا من قحطان إلى المغرب وان قحطان لما نزلوا على بني كنعان ببيت المقدس وخذلهم اخوانهم من بني حام ورحلوا عنهم القوط فنزلوا على النيل أخذ نمرودا أسيراً فقتله وصلبه ببيت المقدس وكان النمرود بن كنعان أول قتيل صلب . ثم حج قحطان ورجع إلى اليمن فعاش مدة طويلة ثم مات بمأرب ، وولي أمره ابنه يعرب بن قحطان ، وكان ولي الملك من ولد قحطان لصلبه عشرة إلا أنهم من تحت ملك أخيهم يعرب بن قحطان وهم : جرهم بن قحطان وعاد بن قحطان وناعم بن قحطان وحضرموت بن قحطان وظالم بن قحطان وغاشم بن قحطان وايمن بن قحطان وقطان بن قحطان والسلف بن قحطان وهميسع بن قحطان . فولي جرهم بن قحطان أمر مكة فتملك امر من كان بها ، وولي عاد بن قحطان أرض بابل ، وولي حضرموت بن قحطان أرض الحبشة ، وولي ناعم بن قحطان عمان .

---

(١) الاصل فاحربوه .

وولي أيمن بن قحطان الجزيرة ، فلم يكن من هؤلاء من لم ينل الملك ، ويعرب يملكهم ذلك . وعاش يعرب مدة طويلة ثم مات فولي (يشجب بن يعرب) بعد أبيه وكان سقيماً فدام به السقم حيناً ثم مات ولم يعمر في الملك . فلما مات يشجب ادعى كل رجل شريف من بني عابر الملك وأراد أن يتمنع ومرج أمر الناس فقام (عبد شمس بن يشجب) فجمع بني قحطان وبني هود فملكوه على أنفسهم .

قال وهب : فلما ملك عبد شمس قال : يا بني قحطان إنكم الا تقاتلو ا الناس قاتلوكم والا تغزوهم غزوكم ولم يغز قوم قط في عقر دارهم إلا ركبتهم الذلة ، فاغزوا الناس قبل أن يغزوكم وقاتلوهم قبل أن يقاتلوكم واعلموا أن الصبر فوز والعمل مجد والأمل منهل فمن صبر أدرك ومن فعل فاز فلتطب أنفسكم لغزو الأمم يعز غابركم ، ففي الصبر النجاة وفي الجزع الدرك ، ولا تغشكم الدعة فيطول داءكم والرأي اليوم لا غد وهو رزق مطلوب فواجد ومحروم فاعتمدوا العزم وكل ما هو كائن كائن وكل جميع بائن والدهر صرفان صرف رخاء وصرف بلاء والدهر يومان يوم لك ويوم عليك فإن أدر يوم من يوميك فلا تقنط من الرجاء في يوم معقب ، وان الناس رجلان رجل لك ورجل عليك والزمان دول له حين ينصر وحين يغدر— والناس مجتهدون فمن لقي رشداً كان محموداً و من لقي غياً كان مذموماً ورأى الناس منتظرين كل مجتال لثواقب [1] الدهر غـــير محتال للموت والتجارب علم والعزم عون وكل هذا الناس بنو الدنيا صحبوا أقدارها خيراً وشراً راجين خائفين ليس أحد آخذاً منها عهداً ولا آمناً منها غدراً قاصدين أجداداً حتمت وأقداراً قسمت حتمها غير نائم وقسمها من لا يلومه لائم فقد

---

(١) لعله نوائب —ح .

يسعى المرء إلى ميقات يوم فيه فراق الدنيا أو بلوغ العليا والدنيا صاحبة الغالب وعدوة المغلوب والصبر باب العز والجزع باب الذل وليس جمع خيراً من جمع ولكن جد خير من جد ولرب حيلة أزكى من قوة وكيد أسرع عياناً من جيش والأمل الخالب ولقدر الغالب والمرء الحازم من كيس دهره خالس[١] محملاً في بادله اقتصاده في دوله[٢] قدر ولم ينظر وبلى يخذل[٣] حذر من دهره ما لم ينزل به شرف همته بمحل النجم لم يرض من الزمان بأيسر خطة فلا تصحبوا التواني فإنه شر صاحب ولا ترضوا بالمنى فإنه مراتع العاجزين ولا تقروا على ضيم فإنه مصارع الأذلاء فقوموا قبل أن تمنعوا القيام.

قال وهب : فأجابوه فسار إلى أرض بابل فافتتحها وقتل من كان بها من البوار حتى بلغ أرض أرمينية وافتتح أرض بني يافث ، ثم أراد أن يعبر نهر الأردن يريد الشام فلم يستطع ذلك ، فقيل له : أيها الملك ليس لك مجاز غير الرجوع في طريقك فبنى قنطرة سنجة[٤] وهي من أوابد الدنيا وجاز عليها إلى الشام ، والشام اسم أعجمي من لغة بني حام وهو طيب تفسيره بالعربي فأخذ الشام إلى الدرب ولم يكن خلف الدرب أحد ثم نهض إلى المغرب فبلغ النيل فنزل عليه فدعا أهل مشورته ، ثم قال : لهم إني رأيت أن أبني مصراً بين هذين البحرين يكون صلة بين المشرق والمغرب فإنه يلجأ اليه أهل المشرق والمغرب ، قالوا له : نعم الرأي أيها الملك . فبنى المدينة وسميت مصر — كما قال لهم — وبنو حام بالمغرب سكنوا براري مصر فوصل إلى قمونية والقوط من ولد يافث بقمونية .

---

(١) كذا في الاصل .
(٢) ل — ونصره من أصله وعشيرته وخير الناس من قدر ... الخ .
(٣) لعله — وبلى فلم يخذل — ح .
(٤) كذا في الأصول .

قال وهب : وان عبد شمس كل من قتـل من الأمم سبي ذراريهم وعيالاتهم، ولذلك سمى سبأ ، وان سبأ ولي على مصر ابنه بابليون واليه تنسب مصر لملكه عليها ثم انصرف سبأ عبد شمس يريد مكة فسار بالعساكر على الشام وأوصى ابنه بابليون وأنشأ يقول :

الأقل لبابليون والقول حكمة	ملكت زمام الشرق والغرب فاجمل
وخذ لبني حام من الأمر وسطه	فان صدفوا يوماً عن الحق فاقتل
وان جنحوا بالقول للرفق طاعـة	يريدون وجه الحق والعدل فاعدل
ولا تظهرن الرأي في الناس يجترؤا	عليك به واجعله ضربة فيصل
ولا تأخذن المال من غير وجهه	فإنك أن تأخذه بالرفق تسهل
ولا تتلفن المال في غير حقـه	وان جاء ما لا بد منه فابـذل
وداو ذوي الأحقاد بالسيف انه	متى يلق منك السيف ذو الحقد يعقل
وخذ لذوي الاحسان ليناً وشدة	ولا تك جباراً عليهم وأمهل
وكن لسؤال الناس غيثاً ورحمة	ومن يك ذا عرف من الناس يسأل
وإياك والسفر الغريب فانـه	سيثنى بما توليه في كـل منهل

قال وهب:ورجع سبأ إلى اليمن فبنى السد الذي ذكر الله في كتابه وهو سد فيه سبعون نهراً ويقبل اليه السيل من مسيرة ثلاثةأشهر في ثلاثة أشهر وان سبأ لما أسس قواعدالسد لم يتم له بناؤهحتى نزل به الموت وكان عمره خمسمائة عام وسبعين عاماً [1] وكان ملكه خمسمائة عام فدعا[2] بحمير وكهلان ابنيه . وكان لسبأ عدد عظيم من ولده غير انه لم يكن له من ينقل ملكه اليه إلا إلى حمير وكهلان ، وانه لما مات سبأ صار الملك بعده إلى ابنه (حمير) وقال ابنه حمير يرثي آباه سبأ وهي أول مرثية في العرب فأنشأ يقول :

---

(١) ل – وخمسين عاماً .

(٢) ل – فلما حضرته الوفاة دعا بحمير .

عجبت ليومك ماذا فعل — وسلطان عزك كيف انتقل
فاسلمت ملكك لا طائعاً — وسلمت للأمر لما نـــزل
فيوملك يوم وجيع العزاء — ورزؤك في الدهر رزء جلل
فلا تبعدن فكل امرىءٍ — سيدركه بالمنون الأجل
لأن صحبتك بنات الزمان — وبدت يد الدهر اوجه الأمل
لقد كنت بالملك ذا قوة — لك الدهر بالعزعان وجل
بلغت من الملك أعلى المنى — نقلت وعزك لم ينتقل
فطحطحت في الشرق آفاقه — وجبت من الغرب حرب الدول
جريت مع الدهر اطلاقه — فنلت من الملك ما لم ينل
وحملت عزمك ثقل الأمور — فقام بها حازماً واستقل
فابقيت ملكك بالخافقات — وليس لرأيك فيها زلل
له قدم بمحل العــلا — فزلت بك النعل عنه فزل
فسام لك العيش عيب الهوى — شربت بذلك نهلا وعل
صحبت الدهور فافنيتها — وما شاء سيفك فيها فعــل
بنيت قصوراً كمثل الجبال — ذهبت ولم تبق إلا الطلل
وجردت للدهر سيف الفنا — تطاير عن جانبيه القلل
نعمنا * بأيامك الصالحات — شربنا بسجلك وبلا وطل
تؤمل في الدهر أقصى المنى — ولم ندر بالأمر حتى نزل
فزالت لفقدك شم الجبال — ولم يك حزنك فيها هبل
كأن الذي قد مضى لم يكن — وفقدك بعد الفناء لم يزل
وللدهر صرف يريد الردى — فصرح عن قيل ما لم يقل
نهار وليل به مسرعان — فهذا مقيم وهذا رحل
يسومان بالخسف ما يبديان — أطاعا لما شاء فينا لال (١)

---

(١) ب – فعل ولعله – الازل .

* في طبعة حيدر آباد غير واضحة

فيا عبد شمس بلغت المدى ... وشيدت مجداً فلم يمتثل
وشيدت ذخراً لدار البقاء ... فلما أفلت اليها افـل
فلم يبق من ذاك الا التقى ... وذاك لعمري ابقى العمل
فاحكمت من هود المحكمات* ... وآمنت من قبله بالرسل
واحرمت بالبيت توفي النذور ... كما كان هود لديها فعل
فطفت فأهللت حتى إذا ... أناف الهلال بها واستهل
رحلت وزادك خير التقى ... وقوضت** عن حرميها بجل

(ملك حمير)

قال وهب: وولي حمير بن سبأ فجمع الملك الجيوش وسار يطأ الأمم ويدوس الأرضين ، وأمعن في المشرق حتى أبعد يأجوج ومأجوج إلى مطلع الشمس

وبقي قبائل من ولد يافث تحت يده ، وهم : الترك والزط والكرد والصعد والخزر والقذر [١] والديلم وفرغان . ثم قفل نحو المغرب كما فعل أبوه سبأ ، فسار حتى نزل بمكة فآتاه قبائل من اليمن من بني هود يشكون اليه ثمود بن عابر بن ارم وما نزل بهم منه من الخسف والظلم وآتاه رسول أخيه بابليون من مصر يستدعيه لنصرته على بني حام ، وذلك لما بلغ بني حام موت سبأ بن يشجب ، عتوا على بابليون بمصر وكان بالشام قبائل من ولد كنعان ابن حام ، وهم : بنو ماريع بن كنعان ، وكان نزول الحبشة بني كوش بن حام على النيل إلى برية الرمل ، فتداعوا على مصر يريدون خرابها فرجع حمير إلى اليمن وأخرج ثموداً من اليمن فأنزلهم أيلة من أرض الحجاز فعمروها

---

(١) هذا الاسم غير معروف وفي ل العراريه بلا نقط .

* لعلها بالمحكمات

** لعلها قوّضت

من آيلة إلى ذات الاصاد إلى أطراف جبل نجد وذات الاصاد نهر من أنهار الحجاز وهو يجري في صفا أملس يرده الحافر ولا يرده الخف تزلق فيه فقطعت فيه ثمود الصخر لطرق الابل لمراعيها ونحتوا في جباله البيوت سترة من حر الشمس في الحجاز . قال الله تعالى : (وثمود الذين جابوا الصخر بالوآد) وقال : (وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين) . وفي ذات الاصاد كان السبق بين قيس بن زهير العبسي وحذيفة بن بدر الفزاري وفيه حبس فرس زهير داحس فقال في ذلك قيس شعراً :

كما لاقيت من حمل بن بدر	وأخوته على ذات الاصاد
هم فخروا على بغير فخر	وردوا دون غايته جوادي
وكنت اذا منيت بخصم سوء	دلفت له بداهية نآد
فأني الصقر منطلق كريم	وسوف أريك من طعن الطراد
أقاتل ما أقاتل ثم آوى	إلى جار كجار أبي دواد
مقيما وسط عكرمة بن قيس	وهوب للطرائف والتلاد
كفاني ما أخاف أبو بلال [1]	ربيعة فانتهت عني الأعادي

قال وهب : ونزل حمير بدمشق فقاتل بني ماريع حتى غلبهم وأجرى عليهم الخراج ، ثم مضى إلى الحبشة فلقيهم بالقيس والبهشة فهزمهم على النيل فتبعهم حتى بلغ بهم إلى البحر المحيط من المغرب فأذعنوا وأجرى عليهم أتاوة يؤدونها كل عام . فدرب الحبشة في غربي الأرض سبعة أشهر في سبعة أشهر ، ثم رجع عنهم على النيل إلى مصر فتزود من مصر ، ثم مضى في المغرب حتى بلغ إلى البحر المحيط ثم أجرى على القبط الخراج .

---

(١) الرواية المشهورة ابو هلال – ك .

قال وهب .: ولما توجه حمير إلى المغرب أقام في المغرب مائة عام يبني المدن ويتخذ المصانع . فمات بعده أخوه بابليون بمصر . وولي أمر المغرب امرؤ القيس بن بابليون وتكبرت [1] عليه ثمود وطغوا على بني كنعان بالشام وعلى جميع من جاورهم . فأرسل اليهم صالح نبياً وهو صالح بن عويم بن ساهر بن هميسع بن همر بن عميل بن عابر [2] فدعاهم إلى الله فعصوه وسألت أن يخرج لهم آية ؟ — كما سألت عاد هوداً — فقال لهم صالح : ما هذه الآية يا قوم ؟ قالوا له : اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة . فدعا الله فأخرج لهم . فكانت تشرب الماء من نهر الاصاد ذات يوماً وهم يشربون يوماً ، فأبوا أن يؤمنوا بعد الآية ، ثم ائتمروا بها ليعقروها فمشى اليها قدار بن سالف فعقرها فأرسل الله عليهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين .

قال وهب : وان حمير قفل من أرض المغرب راجعاً وكان يكتب بالمسند في جميع سلاحه من الحديد . وفي الأجبال اذا مر عليها فأكثر من ذلك فرأى في منامه كأن آتياً آتاه فقال له : اتق الله يا حمير . قال له : ومالي ؟ قال : تكتب هذا الخط المسند الكريم على الله على الحديد والحجر والعود يدرس وتعلوه النجاسات والله كرمه واصطفاه وأدخره للفرقان يأتي به محمد صلى الله عليه وآله وسلم في آخر الزمان فصنه واحفظه فان الله تبارك وتعالى اصطفاه للقرآن أكرم الكتب إلى الله واللسان العربي سيد الألسن وللجنة خير خلق الله ولمحمد خير البشر ولكن استخدم هذا الخط أنت وولدك فان لكم به على الخلق فضيلة إلى مبعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومر بنيك من بعدك بحفظ هذا الخط ، ثم ارتفع . فلما أصبح دعا بنيه فقال : يا بني أنه كان من

(١) ب – وتكثرت .

(٢) بالاصل عامر .

أمري ما كذا وكذا ، قالوا له : هل رأيت شيئاً ؟ قال : لا . قال له وائل ابنه : سترى يا أبت أن الله كريم لا يمنعك شيئاً الا جعل لك منه عوضاً . فلما نام الليلة الثانية آتاه آت فقال له : اقرأ يا حمير ! قال له : وماأقرأ فنظر إلى جبينه فإذا عليه خط مكتوب قال له حمير : اقرن هذا بخط أبيك المسند من الأول إلى آخره فاستخدم هذا الخط فقرأ حمير وردده حتى فهمه . فلما أصبح دعا بنيه وكتبه وهو هذا [1] .

ثم قال له : يا حمير استخدم هذا ولا تستخدم المسند فإنه وديعة عندكم إلى وقته وانما قيل له المسند لأنه أسند إلى هود عن جبريل .

قال وهب : وان حمير ملك الأرض ومن عليها حتى لم يبق منها مكان كما ملكها أبوه سبأ وكان عمر حمير أربع مائة عام وخمسة وأربعين عاماً أقام في الملك أربع مائة عام ، فلما جاوز مائة قال :

ملكت من عدد السنين هنيدة ... ذا الملك عمرك زينة الأيام
وأرى الشباب يميل في لهو الصبى ... ومع الشبـــاب غواية الأيـــام

فلما بلغ مائتين قال :

ساميت عن مائتين ملكاً باذخاً ... والعمر لا يبقى مع الأعوام
قالوا لحمير مدة محجوبـــة ... والغيب لا يخفي على العلاّم

فلما بلغ ثلاثمائة قال :

لما ركبت من المأين ثلاثـــة ... كان الذي أمضيت كالأحلام
والعمر يدأب والمشيب كلاهما ... يتسابقان إلى محل حمـــام

---

(۱) انظر الورقة الملحقة بهذا المحل . الورقة غير ملحقة في طبعة حيدر آباد

فلما بلغ أربع مائة قال :

بدلت من ذي أربع ملكتها عوضاً من الأيام بالاسقام
هيهات ما حكم الخلود وقد أبى من ان أخلد حاكم الحكام

فلما بلغ أربع مائة سنة وخمساً وأربعين سنة واتاه وقته وأيقن بالموت ، دعا بنيه ثم قال لهم : يا بني لم تصحبوني على عهد ان لا أموت بل كنتم تنتظرونه في صباحا وانتظره فيكم مساء فقد حل ما كنتم تنتظرون وقد أزف الوقت الذي ترقبون وامري لك يا وائل ، ثم أنشأ يقول :

يا من رأى صرف الزمان مصوراً يغدو على الآباء والأعمام
غدر الزمان بعهد ملكك فانقضى وبعبد شمس قبل ذاك وسام
راميت دهرك بالمنى وخطوبه بالغدر دانية اليك روامي
أزف الزمان على زمانك بغتة فغدوت مرتحلا بغير مرام
يبكون ان مروا عليك وقلما يغني البكاء على صوى الأعلام [1]
ولانت بعد حلوله مستيقظ من ضنك فاقرة لفضل مقام

فلما مات حمير صار أمره وملكه إلى ابنه .

(وائل بن حمير)

ونزل قصر غمدان . وكان يعرب أسسه وجعل يبني فيه ثم غزا البيت فأصلح ما كان حوله من القبائل وأمر بنقش الخط الحميري في قصر غمدان ، وقال في نقش الخط الحميري عمرو بن معديكرب .

---

(١) ب – يغني بكاء الأهل والأرحام .

ورثنا حصوناً شتت الدهر أهلها أولى العز [1] قدماً والحلوم الرواجح
كأن خطوطها فوقها حميرية تهاويل وشي في متون الصفائح

قال وهب : وكان يقال لحمير العرنجج ، والعرنجج : العتيق ، وكانت علته التي مات منها الغم ، فقال : يا بني اني لاجد ثقل الثرى وغم الضريح ولكن اجعلوا لي نفقاً في هذا الجبل، جبل عنفر [2]، ثم أجلسوني فيه ففعل به ذلك ابنه وائل بن حمير ، فحمير أول من جعل في مغارة ، وان وائلاً جعل مع حمير في تلك المغارة جميع لأمته غيرة وانفة أن لا يلبسها بعده أحد من الناس وكتب في لوح من رخام هذا الشعر وعلقه فوق رأسه :

عبر العرنجج مدة من دهـــره بعد الاقامة والأسى لم يعبر
واراش دهر لا تطيش سهامه ورمى فأثبت في العلا من حمير
قبر الندى والجود عند محلـــه والشخص باد فيهم لم يُقبر
ماتت لميتته المعالي جملـــة والعز أصبح ثاوياً في عنفر

(ملك وائل بن حمير)

قال وهب : وان الله لما أراد في سابق علمه أنه لما ولي الملك وائل بن حمير نافسه أخوه مالك بن حمير ودافعه حيناً ، فتغلب على أطراف اليمن ملوك عدة وعلى أرض بابل حسان بن حراش بن عمل [3] بن عابر وعلى الشام ملوك أخر . فلم يزل وائل يحارب أخاه مالكاً حتى مات مالك وولي أمره بعده

---

(١) ل – العزم .
(٢) بالاصل بلا نقطة على الفاء ولعل هذا الجبل الذي يسمى عيفر فيما بعد في خبر عامر ذي رياش – ك .
(٣) ب – عميل .

قضاعة بن مالك ، ومات بعده أخوه وائل بن حمير ، وولي بعده السكسك ابن وائل .

(ملك السكسك بن وائل)

كان السكسك حازماً جلداً وكان له مقعقع العمد وكان إذا غلب على من ناواه هدم بناءه وغير آثاره بالنار وهو أول من حرق بالنار وخرب المدن فسمي مقعقع العمد . وان سكسكاً زاحف قضاعة بن مالك فغلب عليه وصار اليه ملكه . فجمع الملك ، فلما اجتمع لسكسك الملك كله باليمن أنشأ يقول :

سأركب قطعاً للقرين وان أبى ... لي العزم في هذا الشقيق المجرب
واقطع حبل الوصل بالسيف كارهاً ... وأركب امرأ للردى ليس يركب
أألبس ثوب الذل والموت دونه ... أم اقطع قوماً قربهم لي مشغب
عصيت به قول النصيح وإنما ... ألاقي لفقد الملك من ذاك أعجب
سألقى المنايا السود بالبيض ضحوة ... وأقرع وجه الدهر والدهر مغضب
وأبذل نفسي للمكاره طائعاً ... إذا ما جبان القوم بالسيف يغصب
اذا الموت عند الجمع كالصاب طعمه ... يطيب لها عند الهياج ويعذب
اذا البيض من قانى الدماء كأنها ... عليها خطوط الحميرية تكتب

قال وهب : فغلب على الشام فلقيه عمرو بن امرىء القيس بن بابليون ابن سبأ من أرض مصر بالرملة بهدية فقبل منه هداياه وأقره على مصر والمغرب ورجع إلى غزو أرض بابل يريد نمرود بن ماش ، فلما نزل بجنو قراقر من أرض العراق اعتل فمات فحملوه ورجعوا به قافلين إلى اليمن وافترق ملك اليمن على ملوك شتى ، وولي ابنه يعفر بن السكسك بعده في مكانه وافترق أمر حمير للذي أراد الله وان نمرود بن ماش جمع جموعاً

ليقاتل بها السكسك بن وائل ، فلما مات السكسك ورجع جمعه إلى اليمن زاده ذلك جرأة واستكباراً في الأرض فطغى على بابل ونمرود بن ماش أول أعجمي متوج .

(ملك يعفر بن السكسك)

قال وهب : ولما ولي يعفر بن السكسك زاحف ملوكاً من أهل اليمن وكان عمره يسيراً فمات ومرج أمر حمير وافترقوا على ملوك شتّى .

قال وهب : وكان يعفر بن السكسك رجلاً سقيماً لم يكن يلي لزحوف بنفسه فكان يدخل عليه في عمالاته النقص ولم يكن له ولد فلما انقضت مدته وحان وقته وأيقن بالموت أخذ تاجه وهو تاج جده وائل بن حمير فقال لقومه : يا قوم هذا تاجكم فخذوه فأخذ قومه التاج ووضعوه على بطن امرأة يعفر وهي مثقلة وملكوا به ما في بطنها فولدت غلاماً فسموه النعمان فكان النعمان ملكاً في بطن أمه .

وقال وهب : كانت أم وائل ومالك وعوف بني حمير مالكة ابنة عميم ابن زهران [1] بن يشجب بن يعرب ، وكان وائل بن حمير حين ولي الملك بعد ابيه حمير ولى أخويه مالكاً وعوفاً فنافساه في الملك ، فغلب على مالك أخيه فعزله وأذعن له عوف فأقره على عمان والبحرين ، فعظم أمره وشأنه بعد أخيه وائل حتى ولي السكسك بن وائل الملك فدان له عوف . ومات النعمان فولي أمره باران بن عوف بن حمير ، فلما هلك السكسك بن وائل بن حمير وولي بعده ابنه يعفر بن سكسك نابذه باران العداوة وراجعه وأخذ الهنيبق

(١) ل – زهوان .

والأحقاف ، وكان يعفر رجلاً سقيماً ولم يكن يغزو فانتقص ملكه وعظم ملك باران بن عوف بن حمير ، ثم مات فولي الأمر بعده ابنه عامر ذورياش فزحف إلى غمدان وأخذه وأخذ صنعاء وما والاها فغيب نفسه النعمان بن يعفر بن سكسك في مغارة في جبل عنفر ومعه أمه نائلة بنت مالك بن الحاف ابن قضاعة بن مالك بن حمير .

(عامر ذو رياش)
أول الاذواء ولم يكن تبعا

قال وهب : فطلب عامر ذورياش النعمان بن يعفر فلم يقدر عليه ولم يجد له مكاناً فجمع كل منجم كان بأرض اليمن وكل عائف وزاجر فقال لهم : ما الذي طلبت وقد فرقهم فجعل أهل النجم ناحية وأهل العيافة ناحية وأهل الزجر ناحية فنظروا فلم يجدوا شيئاً غاب عنهم أمره إلى أن قام اليه عائف فقال له : ايها الملك ان الذي تسأل عنه امرأة وصبي . قال له الملك : لله درك من أين قلت ذلك . قال له العائف : أما ترى الجنازة التي مروا علي بها سألتهم عنها فقيل : انها رجل فنظرت فإذا يده على صدره كأنه يقول : أنا رجل والذي تسأل عنه صبي وامرأة ثم رجع إلى مكانه فنظر إلى صبي [1] يقفو أثر الميت والجنازة باكياً فرجع إلى الملك فقال : انه صبي باك حقق ذلك العلم ، ثم رجع فنظر إلى الصبي يتبع الجنازة حتى أدخلت مغارة ودخل الصبي في أثرها . فرجع إلى الملك فقال له : ان الذي تسأل عنه صبي حي غيب في مغارة في هذا الجبل فأمر العساكر فطافت بالجبل يتجسسون المغارات في

---

(١) في الاصل إلى أثر الميت .

الجبل ويقفون الآثار حتى دخلوا المغارة التي فيها النعمان وأمه فأخذوهما وأتوا بهما إلى عامر ذي رياش فأخذهما ورجع فنزل قصر غمدان ولم يكن ينزل قصر غمدان إلا الملك الأعظم ولا ينزله إلا من آستحق عندهم اسم تبع من ملوك حمير وحبس النعمان وأمه عنده في قصر غمدان ، فلم يزل النعمان محبوساً فماتت أمه وشب الصبي واحتلم . فبينما النعمان ليلة من ذلك الزمان مع الحرس الذين كانوا يحرسونه وكانوا عشرة وفيهم رجل يقال له همدان بن الوليد بن عاد الأصغر بن قحطان ، وكان يخدم السكسك جد النعمان ، وكان يرق له سراً وكان أغلظ الحرس في العلان فبنما النعمان في الحرس جالس اذ طلع القمر وقد خسف فبكى النعمان لما رأى القمر خاسفاً وقالوا له : ما الذي يبكيك ؟ قال : أبكاني تقلب الدهر بأهله لن ينجو من غدر هذه الدنيا وعثراتها شيء في الأرض ولا في السماء . فلما كان في الليلة الثانية طلع القمر مشرقاً زاهراً فضحك النعمان فقالوا له: ما الذي أضحكك ؟ قال لهم : لعل الذي أبكى يضحك، ثم قال لهم : أرى هذا الدهر يقيل واحداً عثرته فيدرك أمله وآخر يمضي عليه فيستريح وأنا كما ترون لا يمضي علي فأستريح ولا يقيلني عثرتي فأبلغ أملي ، وكان همدان بن الوليد رجلاً عاقلاً قد استمال اليه الحرس بعقله ولطفه يصرفهم كيف شاء ، فقال لهم : ان في الكلام راحة تريدون أن أجيب عنكم النعمان ؟ قالوا : نعم . فقال همدان : يا نعمان لعل أملك أقرب من أجلك ، ثم نظر همدان إلى من حوله وتصفح وجوههم ليرى من يرضى قوله ومن يسخطه ، فقالوا له : رضينا قولك يا همدان ــ فنظر النعمان إلى القمر في الليلة الثالثة وهو مشرق زاهر فأنشأ يقول:

اربد وجهك بعد حسن ضيائه ... وخسفت بعد النور والاشراق
هل كان هذا الشأن منك سجية ... أم خان عهدك غادر الميثاق

واراك بعد محلة مذمومة أمسيت مشرقاً [1] على الآفاق
علَّ الذي أنشا سناك بقــدرة من بعد مهلكة يريح وثــاقي
ان الزمان بصرفه متقلب بين الورى كتقلب الأخلاق

قال وهب : وان همدان قال للذين معه ويلكم ان ذا رياش نكد جبار لن يرحم قريباً ولا بعيداً ولن تروا معه راحة ولكن قدموا في النعمان يداً فإن أدرك أمله ووفى لكم أفدتم وان لم يكن هذا كنتم قد وفيتم لسلفه فأجابوه فقال لهم : يأتي كل رجل منكم غدا بحديدة ففعلوا ووضع النقب في وسط المجلس حتى خرجوا من خارج القصر وكان ذلك وقت رجوع ذي رياش إلى عمان خالفه اليها مالك بن الحاف بن قضاعة فأخرجوا النعمان من ذلك السرداب ليلاً وأن النعمان كان يرسل في وجوه بني وائل بن حمير وبني مالك ابن حمير وسائر بني قحطان ، فأجابوه إلى القيام على ذي رياش . فجمع حمير ثم سار يريد ذا رياش — وان ذا رياش لقي مالك بن الحاف فهزمه ذو رياش — ومر مالك على وجهه يريد أرض برهوت فان طلبه لحق بأرض الحبشة ولما بلغ ذا رياش ومن معه من أهل صنعاء وأهل العالية والهنيبق خروج النعمان بن يعفر في ديارهم وطوع الناس له فارقوا عسكر ذي رياش هاربين إلى ديارهم وذراريهم ، ثم خرج عنه من كان معه من بني وائل بن حمير وهم : أُعدّ حمير وتبعهم مالك بن حمير ، فلما رأى ذو رياش أن جمعه قد افترق أكثره عنه وصار إلى النعمان جميع من معه ، سار يريد حرم مكة عائذاً به . وسار النعمان في أثره فلقيه بالمشلل [2] فقاتله فهزمه النعمان وأخذه أسيراً . وسار النعمان إلى مكة فأوفى نذره ورجع إلى غمدان بذي رياش أسيراً [3] ثم أن

---

(١) ل — متسما .
(٢) بالاصل بالمشال والمشلل جبل بين مكة والبحر — ك .
(٣) ل — فحبسه في عمذان .

النعمان دعا همدان فقال له: هذا الملك لك ولأصحابك فما رأيك في ذي رياش؟ قال له همدان : حبس بحبس لا عدوان فقبل منه وأحسن اليه وإلى أصحابه وأنشأ يقول :

اذا أنت عافرت الأمور بقدرة ... بلغت معالي الأقدمين الأقاول[1]
فاما حمام النفس تلقاه عاجلاً ... وأما تراث الملك عن ملك وائل
فهل يدفع النعمان أمراً يريده ... وهل يتقي شر الذي غير نازل
إذا لم يكن بد من الموت حتمة ... فما تغن عني خافقات الجحافل
اذا لم يكن للمرء بد من التي ... تبذ الأماني عاجلاً أو بآجل
ويصبح في الأهلين يوماً جنازة ... ويلحق حتماً بالقرون الأوائل
علام يداري[2] الدهر والدهر جائر ... ويرضى بظلم من يد المتطاول
ولكن نباني الملك في درج العلا ... كنجم اعوجاج من فنا الملك وائل[3]
يفوز سعيداً أو يلاقي منية ... ويمسي على الدنيا بعيد المناهل
فما المرء للأيام تخلق نفسه ... وهل كانت إلا حيضة للقوابل
ألا أيها الراضي بأيسر خطة ... صبرت على خسف من الذل نازل
قيامك في الدنيا حياة لأهلها ... وصبرك عنها* غير طائل
إذا لم يكن للمرء عزم يزينه ... ولب يرى عيب القوي المخاتل
له سطوة تكسو العزيز مذلة ... وتهدي حتوفاً للنساء الحوامل
له علل تعلو النجوم وسطوة ... تصم فيخشى طرقها كل جاهل
وللموت خير من لباسك ذلة ... تجاذب مأسوراً صليل السلاسل
محلاً يراه الزائرون شماتة ... هواناً لمقدام العشيرة باسل

---

(١) ل – المقاول .

(٢) في الأصل على مرزى وفي ل ونحن ندارى .

(٣) كذا في الأصول .

* فراغ في ط حيدر آباد

(ملك المعافر بن يعفر)

قال وهب : كانت حمير إذا لقي بعضها بعضاً يقولون : ما حال اليتيم يريدون بذلك النعمان بن يعفر فيقول بعضهم لبعض : أصبح اليتيم معافراً للملك وذلك لبيت قاله وهو :

إذا أنت عافرت الأمـــور بقدرة بلغت معالي الأقدمين المقاول

قال وهب : فسمي بذلك المعافر بن يعفر بن سكسك بن وائل بن حمير

قال وهب: وان المعافر بن يعفر سار يريد أرض بابل ولم يكن للتبابعة ملك

أرض بابل هي من الأرض وينبوع الناس فسار النعمان وهو المعافر راجعاً وسار بذي رياش معه لئلا يفتق عليه من بعده فتقاً ، فسار النعمان حتّى أخذ أرض بابل وتوجه يريد خراسان حتّى بلغ صحراء بر فنظر عامر ذو رياش إلى أفعى رقشاء قد خرجت اليه من تحت فرشه فمد يده فأخذ ذنبها والحرس ينظرون اليه فحركه فعركه حتّى حميت وتلمظت وهم لا يدرون ما يريد ثم نصب ذراعيه ولدغته فمات مكانه وأعلموا بذلك النعمان فقال : سابقته في ميدان الموت فسبقني ، أما والله لو كنت أصبت مثل هذا لأرحت نفسي منه به واروه ، ثم مضى يأخذ البلدان ويتأدى اليه الخراج حتّى أتى الفرات فعبره إلى أرمينية فأخذها وقتل من عانده من ملوكها ووجد فيها ملوكاً شتى. ثم مضى فعبر قنطرة سنجة[1] إلى أرض الشام فأباح من وجد فيها من الملوك ، ثم قفل إلى البلد الحرام راجعاً فنزل بمكة فأصاب بها نفيلة بن مضاض الجرهمي وجرهم من قحطان وكان بها ملكاً بعد موت نابت بن اسماعيل فقدم بالبيت قيذار بن اسماعيل وأمر نفيل[2] بن مضاض بقصد مكة ورجع

(١) ل – قنطرة شيخة . في ط حيدر آباد شحة

(٢) نقدم – نفيلة ح .

* بياض في ط حيدر آباد

إلى غمدان ومات بها فكان عمره في الملك ثلاثمائة سنة .

قال وهب: وان النعمان — وهو المعافر بن يعفر — مات فقال لبنيه وقومه: لا تضجعوني فينضجع ملككم ولكن ادفنوني قائماً فلا يزال ملككم قائماً .

قال أبو محمد : قال أسد بن موسى عن أبي ادريس ان في خلافة سليمان ابن عبد الملك بن مروان فتحت مغارة في اليمن فأصابوا فيها جوهراً كثيراً وذهباً وسلاحاً ووجدوا فيها مالاً جسيماً ووجدوا فيها سارية من رخام قائمة ختم رأسها بالرصاص فاعلم بذلك سليمان بن عبد الملك فأمر بقلع ذلك الرصاص فأصابوا في السارية شيخاً واقفاً وعلى رأسه لوح من ذهب فيه بالحميرية :

أنا المعافر بن يعفر بن مضر نسبي إلى ذي يمن مقــر [1]
اسمو بحر مضري حــر من فتى بالبائع المحفر
باسق فرع وصميم سر

قال أبو محمد : لقيت الليث بن سعد وهو من أهل مصر وولاة المعافر ، وذلك أن عمرو بن العاص افتتح مصر بعسكر معافر في سبعين الفاً لم يكن معهم أحد غيرهم خلا كلب في ألف رجل وبهرة في ألف رجل ومهرة في ألف رجل فزعم الليث أن الشعر منحول وذلك فعل بني أمية ينتصرون بهم لمضر .

قال وهب : حدثني كعب الأحبار قال سمعت أهل الكتب الأول والأخبار المتقدمة يقولون أن حمير في الأرض كالسراج المضيء في الليلة الظلماء وان الناس ليريدون هكذا وخفض يده ويريد الله بهم هذا : ورفع يده .

---

(١) في كتاب المعمرين لابي حاتم السجستاني — انا المعافرين يعفر بن مر — وليست من ذي يمن بقر — لكنني مضري حر — ك .

(ملك شداد بن عاد)

قال وهب : ثم استجمع أمر حمير وبني قحطان على شداد بن عاد بن ملطاط بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان .

قال وهب : لما ولي (شداد بن عاد) الملك جمع الجنود وكان امرءاً حازماً فسار يدوس الأرض وبلغ أرمينية الكبرى فقتل فيها كل ثائر بها ثم عبر الفرات إلى المشرق فبلغ أقصاها لا أحد يقف له إلا هلك ، ثم مضى على ساحل سمرقند إلى أرض التبت ، ثم عطف على أرمينية فأمعن ، ثم جاز إلى الشام وبلغ إلى المغرب فأكثر الآثار في المغرب حتّى بلغ البحر المحيط يبني المدن ويتخذ المصانع فأقام في المغرب مائتي عام ، ثم قفل إلى المشرق فأنف أن يدخل غمدان ومضى إلى مأرب فبنى به القصر العتيق الذي يسميه بعض الرواة (ارم ذات العماد) فلم يدع باليمن دراً ولا جوهراً ولا عقيقاً ولا جزعاً ولا بأرض بابل وارسل في الآفاق بجمع ذلك فجمع جواهر الدنيا من الذهب والفضة والحديد والقصدير والنحاس والرصاص ، فبنى فيه وزخرفه ورصعه بجميع ذلك الجواهر وجعل أرضه رخاماً أبيض وأحمر وغير ذلك من الألوان وجعل تحتها أسراباً فاض اليها ماء السد فكان قصراً لم يبن في الدنيا مثله ثم مات شداد بن عاد بعد أن عمر خمسمائة عام فنقبت له مغارة في جبل شمام [1] ودفن بها وجعل فيها جميع أمواله .

(قصة المغارة [2] التي فيها شداد بن عاد والصعاليك الثلاثة حين دخلوها وما جرى عليهم)

---

(١) لعله شبام — ح .

(٢) قصة المغارة الآتية مزيدة من ل

قال وهب : قال ابو محمد عبد الملك بن هشام ، حدثنا زياد بن عبد الملك البكائي عن محمد بن اسحاق المطلبي عن عبيد بن شرية الجرهمي قال : حدثنا شيخ من أهل اليمن بصنعاء عام الردة وكان معمراً عالماً بملوك حمير وأمورها قال لنا : كان باليمن رجل من عاد بن قحطان وهو عاد الأصغر وأما عاد الأكبر فلم يبق منهم أحد . قال الله تعالى : (فهل ترى لهم من باقية) وان هذا الرجل العادي كان يقال له الهميسع بن بكر وكان جسوراً لا يهاب أمراً وكان يعرف بذلك ، وكانت الصعاليك تقصده من آفاق الأرض ، وكان أكثر طلبه المغارات يطلبها في جبال اليمن وعمان والبحرين وأنه آتاه رجل فاتك من عبس وآخر من خزاعة وكانا صعلوكين جسورين فقالا له : يا هميسع احملنا من أمرك على ما تريده فانا نبلغ مرادك ، فمضى معهما الهميسع حتى أتى بهما جبلاً وعليه غابة فيها ثعابين لا ترام والهميسع أمام الصعلوكين قد أتى الجبل مراراً وحده وكان إذا عاين الثعابين يجزع فيرجع فلما آتاه الصعلوكان جسر بهما وقال: الق رأسك بين اثنين ولوغم إلى الأذنين ثم أخذ سيفه وزناده ومشاعله وزاده وسار بهما حتى وصل إلى الجبل ولم يزل يترايا لهم الثعابين وتهرب حتى بلغ باب كهف عظيم وكأن الجبال على أكتافهم عظماً وثقلاً ، ودخلت قلوبهم وحشة عظيمة وسمعوا من داخل الكهف دوياً عظيماً وهينمة وعلى باب الكهف نقش بالحميري فقالا له : اقرأ يا هميسع فقرأه فإذا هو مكتوب هذين البيتين :

لا يدخل البيت إلا ذو مخاطرة   أو جاهل بدخول الكهف مغرور
ان الذي عنده الآجال حاضرة   موكل بالذي يغشـــاه مأمور

فغاب الخوف والجزع على الخزاعي في أول أمره ثم ان الجزع غلب أيضاً على العبسي فاستدرك نفسه العبسي وثبت فقال الخزاعي : يا هميسع قد عاش في الدنيا كثير ممن لم تبلغ نفسه هدا المبلغ — ثم ولى العبسي عن صاحبه

هارباً . فقال الهميسع : نمضي في هذا الكهف أم لا ؟ فقال له : نعم . فسارا في الكهف حيناً ، فإذا حيات يصفرن عن يمين وشمال ورياح تجري عليهما من داخل الكهف ، وسمعا دوياً من داخل الكهف ، فقال العبسي : لقد حملت نفسك على مكروه يا هميسع أعلى يقين أنت من هذا الكهف ؟ فقال له الهميسع : ما تيقنت إلا ما رأته عيني ، والرجاء فقال له:افعلي شك أنت هارش [1] الثعابين وأبيع مهجتي ببخس يا هميسع لقد بعت نفسك من دهرك أبخس ثمن وهميسع في ذلك لا يلوي إلى كلامه وهو يسير داخل الكهف حتى وقف به على باب آخر أعظم من الباب الأول وأهول وأشد وحشة وزاد عليهم الدوي والحسيس والهينمة وعلى ذلك الباب بالخط الحميري . فقال له العبسي : اقرأ يا هميسع ! فقرأه فإذا هو :

انظر لرحلك لا يساق فانه حتم الحمام إلى العرين يساق
يا ساكني جبلي شمام لعله يوفي بما أجنبتما الميثاق
قوموا إلى الانسي ان محله يدعو إلى يوم الفراق فراق

قال : فولى العبسي هارباً عنه وناداه الهميسع فلم يلتفت اليه ، وولى وهو يقول : قاتل الله أخا عاد ما أجسره ! قال : فهم الهميسع أن يفر ثم حمل نفسه على الأصعب ومضى حتى بلغ إلى باب هو أعظم هولاً وأشد وحشة وعليه نقش بالقلم الحميري فقرأه الهميسع فإذا فيه مكتوب :

قد كان فيما قد مضى واعظ لنفسك البينة المسمعه
ان جهل الجاهل ما قد أتى وكان حيناً قلبه في دعه

فدخل الباب الثالث فسمع دوياً عظيماً كالرعد وهدة عظيماً ، فبينما

---

(١) لعله اهارش .

هو كذلك إذ برز اليه تنين أحمر العينين فاتح فاه فلما رآه الهميسع رجع هارباً إلى خلفه ، فسكن حس التنين فوقف العادي وقال في نفسه : قد رآني ولو كان حيواناً لم يدعني وما هو إلا طلسم فرجع له ثانية حتى ظهر له ، فسار نحوه فسمع له دوياً عظيماً فهرب فأقبل يسمع الدوي فإذا هو في رجوع التنين كما قاله في ادباره فعلم أنه طلسم فأخذ حذره من صدمته وأقبل يمشي قليلاً قليلاً ويخفف وطأ قدميه حتى وضع قدمه في موضع فتحرك التنين ودوى ، فأخذ قدوماً كان معه فحفر على الموضع حتى ظهرت له سلاسل على بكرات . وأجنه الليل فأسرع الخروج من الكهف وجمع حطباً من الغيضة وأضرمها ناراً وبات عند باب الكهف ، فلما غشيه ظلام الليل سمع بكاء وحنيناً داخل الكهف فلم يزل ينتظر ويرتقب وينظر حتى نظر إلى نار عظيمة خارجة إليه من داخل الكهف ، فلما رآها لم يبرح من موضعه حتى غشيته فصبر لها فلم تؤلم فيه شيئاً ثم أتته أخرى ثانية أكبر من الأولى فصبر لها كذلك ، فلما مالت عنه أخذ مقياس النيران التي أضرمها وأقبل يضرب بها حيطان الكهف يميناً وشمالاً حتى سمع نداء من داخل الكهف يهتف : يا هميسع لا حاجة لنا في دخولك . فأقام حتى أصبح فدخل باب الكهف إلى أن وصل إلى الباب الذي رأى فيه التنين ، ثم حفر على بقية حد التنين حتى قلعه

وسقط التنين ، فسار اليه فقلع عينيه فإذا هما ياقوتتان حمراوان لا قيمة لهما ، وسار حتى انتهى إلى باب هو أعظم هولاً وأشد وحشة فلما هم أن يفتحه سمع دوياً عظيماً وبدا له أسد عظيم فرجع أيضاً إلى خلفه فرجع عنه الأسد بدوي عظيم فحفر على موضع حركته كما صنع بالتنين حتى أبطل حركته وقلع عينيه فإذا هما ياقوتتان حمراوان لا قيمة لهما ، ثم دخل الباب فإذا هو بدار عظيمة وفيها بيت في وسطه سرير من ذهب وعليه شيخ على رأسه لوح

من ذهب معلق وسقف البيت مرصع بأصناف اليواقيت وعلى رأسه في الحائط لوح من ذهب فيه مكتوب (أنا شداد بن عاد عشت خمس مائة عام وافتضضت فيها الف بكر وقتلت الف مبارز وركبت الف جواد من عتاق الخيل) وتحته مكتوب :

من ذاك يا شداد عاد أصبحت آماله مهزومة الأقدام
يا من رآني انني لك عـبرة من بعد ملك الدهر والأعـوام
فكأنني ضيف ترحل مسرعاً وكأنني حلم من الأحلام
احذر تصاريف الزمان وريبه لا تأمنن حوادث الأيـام
هلا يضرك من كلامي مرة يا ساكن الغيضات والآجـام

قال : ثم ملت إلى الركن الذي عن يمينه فإذا هو سرير من ذهب وعليه جاريتان فوق رأسهما في الحائط لوح من ذهب أو قال من عاج فيه مكتوب (أنا حبة وهذه لبة بنت شداد بن عاد أتت علينا أزمان انفقنا فيها الطارف والتليد على عبيدنا ثم طلبنا صاعاً من بربصاع من در فلم نجده — فمن رآنا فلا يثق بالزمان وليكن على بيان فإنه يحدث العز والهوان) — قال فأخذ الهميسع الألواح وما بالبيت من در وجوهر وياقوت وخرج.

(ملك لقمان بن عـاد)

قال وهب : فلما مات شداد بن عاد صار الأمر إلى أخيه لقمان بن عاد وكان أعطى الله لقمان ما لم يعط غيره من الناس في زمانه أعطاه حاسة [1] مائة رجل وكان طويلاً لا يقاربه أهل زمانه .

---

(١) ل — قوة .

قال وهب : قال ابن عباس كان لقمان بن عاد بن الملطاط بن السكسك ابن وائل بن حمير نبياً غير مرسل .

قال أبو محمد : لقيت عامة من العلماء يقولون أن لقمان وذا القرنين ودانيال أنبياء غير مرسلين وعامة يقولون عباد صالحون والله أعلم بذلك .

قال وهب : لقمان بن عاد هو الذي سمته حمير الرايش لأنه كان [1] متواضعاً لله لم يكن متوجاً .

قال وهب : وكان لقمان بن عاد يدعو قبل كل صلاة ويقول :

ألّلهم يـــا رب البحار الخضر والأرض ذات النبت بعد القطر

أسألك عمرا فوق كل عمر

فنودي قد أجيبت دعوتك وأعطيت سؤالك ولا سبيل إلى الخلود واختر ان شئت بقاء سبع بقرات عفر في جبل وعر لا يمسهن ذعر وان شئت بقاء سبع نوايات من تمر ـ مستودعات في صخر لا يمسهن ندى ولا قطر وان شئت بقاء سبعة نسور كلما هلك نسر عقب بعده نسر . قال : فكان ذلك أنه اختار سبعة نسور .

قال وهب : فيذكر أنه عاش الفي سنة وأربعمائة سنة وهو صاحب لبد .

قال وهب : وكان لقمان يأخذ فرخ النسر من وكره فيربيه حتى يموت وهو يطير مع النسور ويرجع إليه .

قال وهب : وأعطى لقمان سؤله وأخوه شداد في ملكه وعاش معه

(١) في الأصل ـ الرأس إلا أنه .

دهراً طويلاً وهو يدعو إلى الله ، فلما مات شداد صار إليه الأمر فكان الناس يأتونه من أقاصي الأرض وأدانيها .

قال وهب : وان عاد الأصغر بن قحطان كانوا أهل غدر ومكر وختر لا يأمن فيهم ابن السبيل ولا يطمئن فيهم جار ولا ينزل فيهم غريب ولا يثق بهم معاهد ، وكان فيهم قبيل يقال لهم : بنو كركر بن عاد بن قحطان فعاشوا بأقصى اليمن فحاربهم جميع قبائل عاد وأعانهم عليهم وناصرهم بنو غنم بن قحطان وبنو غانم بن قحطان وبنو ظالم بن قحطان فغلبوا على بني كركر . فلما رأى بنو كركر بن عاد ما صاروا اليه من الذل بعد العز ومن الضر والجهد بعد النعمة شكوا ضر ما نزل بهم إلى سيدهم وصاحب أمرهم السميدع بن زهير فقال لهم : يا بني كركر كنتم أهل غدر ومكر لا يثق بكم قريب ولا بعيد ولا يأمنكم بغيض ولا حبيب أقرضتم الدهر قرضاً فرده إليكم فلم ترضوه . قالوا له : قد علمنا أنا فتحنا على أنفسنا باب الموت فدلنا على باب الحياة ؟ قال لهم : أما هاهنا فلا ولكن سيروا بنا إلى هذا الملك الحميري لقمان بن عاد فان عنده رشداً وسداداً وصلاحاً للعباد يدعو إلى الله وإلى أبواب البر ومن دعا إلى الله أمن من الأذية واطمأن من لجأ اليه وطاب له وجه أمره ورضي عاقبته . قالوا له : لك الأمر فخذ بنا حيث شئت ، قال لهم : يا بني كركر قدمتموني إلى أمر جليل وان الله لا يرضى من أفعالكم شيئاً وأنه رأى ما فعلتموه منكراً فغيره ، وأنشأ يقول :

من أضمر المكر وابدى الغدرا يلقى مدى الأيـــام ضراً مرا
لم يدر ما سر وما قد ضـــرا يعذل فيما قـــد لقيه الدهـــرا

ورحل بهم إلى لقمان بن عاد وقال :

سيروا بني كركر في البلاد اني أرى الدهر إلى فســـاد

قد قام من حمير ذو الرشاد لقمانها فقد هـداه الهـادي
يدعو لها النادي وأهل النادي من حمير السادة في العباد
فغير المنكر بالسداد يا حبذا من رائد مرتـاد
دعو بني كركر كل عاد إلى مقام الفصل والميعاد [1]

فسار بهم السميدع إلى لقمان ، وأن لقمان عرض عليهم الايمان فآمنوا كلهم ، فأنزلهم أرض العالية وتزوج منهم امرأة وهي سوداء بنت أمامة — وكانت جميلة — وكان لقمان غيوراً فأخذها فجعلها في كهف عظيم في رأس صخرة عالية لا يطيق أحد يطلع إليها إلا هو لطوله وتمامه ، وكان يعبد الله في ذلك الكهف وكان له عيد يصلي بالناس فيه كل عام بالرجال والنساء فصلى ببني كركر وقد اجتمع النساء والرجال فبصر هميسع بن السميدع بن زهير إلى امرأة لقمان فهويها فقال : (معشر عاد والله ان لم تحتالوا لي حيلة أدرك فيها سوداء امرأة لقمان لاقتلن لقمان ثم تأتي على آخركم حمير) ، وكان جسوراً فتاكاً وعلموا أنهم ان لم يفعلوا ذلك يفعل ما قال، فاجمع أمر بني كركر على أن يحتالوا كيف يجمعون بينهما ولا يعلم لقمان فقال رجل منهم — يقال له عامر بن مالك : أسأتم الجوار ونقضتم العهد فما أشبه أول أمركم بالآخر لا أمان بعد مكر ولا عذر بعد غدر ولا نقض بعد أصر ، أطعتم غوياً عاهراً وعصيتم ناهياً آمراً أطعتم شيطانكم فكأني بكم وقد رمتكم العرب عن قوس واحدة فاحسن لقمان جواركم فكيف تخونونه في حريمه . فلم يلتفتوا إلى ما قال ومضوا فيما هم فيه من الحرام فقال عامر :

أفي كل عام سنة تحدثونهـا ورأي على غير الطريقة تعبروا

---

(١) زيادة في ب — سيروا بنا الأرض بلا ارتياد — لكم بني عمر على المنادي بالمقضبات الصقل الحداد — سيروا وعزنا بلاد الهادي — خليل رب بادي السداد .

وان لعاد سنة مــن حياضهــا سنحيــا عليها ما حيينا ونقبر
وللموت خير من طريق تسبنا بهاجرهم فيما تسب وحمير

قال : فضربه الهميسع بن السميدع بن زهير فقال : يا بني كركر أراد دماركم فاقتلوه فقتلوه ، ثم انهم أتوا لقمان فقالوا له : انا خشينا الحرب فيما بيننا ، ولكن ان رأيت أن تحبس سلاحنا عندك في هذا الكهف فان تنازعنا لم يكن لنا سلاح نسفك به دماً ولا نقطع به رحماً . قال : افعلوا فأخذوا السلاح فجعلوا في وسطه الهميسع بن السميدع وستروه به من كل جانب وأعطوه لقمان فطلع به الكهف ، فلما خرج لقمان تكلم هميسع إلى سوداء امرأة لقمان وقال لها : أنا هميسع بن السميدع ، وأخرجته ونال منها وأطعمته وسقته ثم ردته في السلاح ، فلم تزل تعمل معه إلى أن رقد معها على سرير لقمان ثم تنخم ورمى النخامة إلى سمك الكهف وقد التصقت النخامة في سمك الكهف ثم أن لقمان أتى وقد أعيا فألقى بنفسه على سريره ثم رمى بصره إلى سمك الكهف فرأى النخامة فقال لامرأته : من بصق هذه البصقة ؟ قالت : أنا . قال : ابصقي فبصقت فلم تدرك . ثم قالت له : أنا جالسة حين بصقتها ، قال لها : اجلسي فجلست فبصقت فلم تدرك ، قالت له : واقفة كنت ، قال لها : قفي ، فوقفت وبصقت فلم تدرك ، فقال لها : من السلاح أتيت — ثم بادر إلى السلاح ففتحه واستخرج هميسع . فدعا بحمير فقال لهم : ما رأيكم في بني كركر ؟ قالوا له : يا لقمان انف بني كركر بن عاد من أرض حمير فإنهم أهل غدر ومكر لا يزرعون فينا الا الغدر ويحملونا الأحقاد ويورثونا الضغائن . فقال لقمان لعاد : اخرجوا من جواري . ثم طلع على الجبل وشد سوداء امرأته مع هميسع في السلاح الذي كان هميسع فيه، ثم رماهما من أعلى الجبل، ثم رماهما بالحجر ثم رماهما جميع من كان معه ، فأول من رجم في الحد حد الزنا

لقمان فقتلهما ، ثم أخرج بني كركر من جواره . فقالوا له : يا لقمان ان أنت لم تشيعنا نتخطف من الأرض فسار معهم لقمان ليمنعهم من قبائل حمير ، فبينما هو يسير إذ سمع رجلاً يقول لامرأة منهم : يا رجيم [1] أين زوجك قالت له : يرعى غنمه وهذا عشي النهار وهو وقت ايابه الينا ولكن خذ ما تريد قبل أن يأتيك فزنى بها ولقمان يسمعهما ويراهما فهما كذلك إذ سمعت ثغاء الشاء فقالت له : هذه غنمنا . قال لها : خذي لي حيلة فأخذته فأدخلته تابوتاً لها وأقفلت عليه ثم أتى زوجها إلى حيه ثم انهم رحلوا ليلاً فقالت له : ان حليّي وجميع شأني في هذا التابوت فأحمله فحمله قال ، وساروا ومعهم لقمان فهم يسيرون اذ ضيق البول على الذي في التابوت فبال فلما سال على رأس زوجها ، قال لها : ما هذا الذي سال على رأسي من هذا التابوت ؟ قالت له : في التابوت اداوة الماء . قال لها : انه مالح ، ورمى بالتابوت عن رأسه فانكسر وثار الرجل هارباً يسعى في سند الجبل فثار في أثره زوج المرأة فأدركه وأخذه وجاء يدفعه يريد به لقمان وتعاوره من كان معه حتى أتى به لقمان فقال : يا لقمان إن هذا من شأنه كذا وكذا ، فلما أصبح أمرهم لقمان بالنزول ونزلوا ثم قال : جيئوني بالرجل المأخوذ وبالمرأة فاتي بهما فأنكرا قول الرجل . فقال لهما لقمان : قد رأيتكما وسمعت كلامكما وعلمت كل ما فعلتما ، قال له بنو كركر : الأمر لك يا لقمان احكم فيهما . قال لهم : حملوها ما حملت زوجها فأخذ الرجل فحمله في التابوت وشده بالحبال على رأسها ، ثم قال لهم : دعوها تجول حتى تموت ويموت . فلم تزل تجول به حتى ماتت ومات على رأسها. وان رجلاً أتى لقمان قال له : يا لقمان ان سارقاً يأتي رحلي فيدخل يده في خرق الخيمة ويسرق ما أصابت يده من الخيمة ، فقال له لقمان : احرسه

---

(١) الأصل رخيم .

حتى إذا هو أدخل يده وسرق فخذ يده واقطعها . ففعل ذلك الرجل وان السارق آتاه كما كان يفعل أول مرة فقطع رب الجيمة يده وذلك ان أول من حكم بالقطع في السرقة لقمان .

قال وهب : وان لقمان أخرج بني كركر بن عاد من آرض حمير وردهم إلى قومهم عاد بن قحطان .

قال وهب : ورجع لقمان إلى مأرب ومعه لبد نسره الآخر وهو أطول النسور عمراً .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثنا زياد بن عبدالله البكائي عن محمد بن اسحاق المطلبي قال : كان عمر لقمان بن عاد أربعة آلاف عام عاشت ستة نسور كل نسر خمسمائة عام وذلك ثلاثة آلاف عام وعاش لبد وكان آخرها الف عام .

قال وهب : فلما كان اليوم الذي أصبح فيه لقمان مشرفاً على الموت فأراد أن ينهض فضربت عروق ظهره ولم يكن قبل ذلك يشتكي شيئاً منها فقال :

يا ل قومي نعى إلي بموتي اختلاف النساء وحبل الوتين

ثم نظر إلى لبد وقد تطايرت النسور ولم يطير فلم يطق فقال له :

انهض لبد نهضاً شـدد اذ لم يكن أبد الابـــد
فاراك حين تطايرت تلك النسور فلم تعـد
بشرت لقمان بـه ولعله لم يعتمـــد

قال : ثم أخذ لبداً بيديه ورمى به ليطير فسقط لبد وتطاير وتناثر ريشه

فلم يطق أن ينهض ، ثم قال له : يا لبد صحبتني فصحبتك وكذبتني فكذبتك، ثم عاد لقمان فأخذ لبداً فرمى به ليعلو ويطير فسقط وتطاير ريشه فقال :

انهض لبد نهضاً شـــــدد فان الملك للمجرد

يشير إلى الحرث بن ذي شدد .

فلما أيقن بالموت قال : يا قوم دعوني من سير الجبارين واسلكوا بي سبيل الصالحين احفروا لي ضريحاً واروني ترباً وحصباً ولا تجعلوني للناظرين نصباً ومات لقمان ودفن بالأحقاف إلى جوار قبر هود النبي عليه السلام [1] .

وقد ذكر لقمان والنسور كثير من الشعراء فقال تيم اللات بعده : شعراً

رأيت الفتى ينسى من الدهر حقه حذار لريب الدهر والدهر آكله

ولو عاش ما عاشت للقمان انسر لصرف الليالي بعد ذلك يأكله

قال النابغة يصف لبداً :

امست خلاء وامسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد

وقال لبيد بن ربيعة الجعفري فذكر لقمان وقصته ولبداً وقصته :

لله نافله الأجل إلا فضـــــل ولـــه العلى واثيث كل موصل

لا يستطيع الناس محو كتابه انى وليس قضـــاؤه بمبدل

سوى فاعدل دون عزة عرشه سبعاً طباقاً فوق فرع المنقل

والأرض تحتهم مهاداً راسيـــاً نبتت جنباتهم بصم الجندل [2]

بل كان سعيك في حياتك باطل وإذا مضى شيء كأن لم يفعل

لو كان شيء خالد لتواءلت عصماء مؤلفة ضواحي مأقل

بظلوفها ورق انبشـــام ودونها طود يزل سراته بالأجـــدل

---

(١) من هنا إلى قال وهب مزيد من — ل .

(٢) كذا في الأصل .

أو ذو زوائد لا يطاف بأرضه ... يغشى المهجهج كالذنوب المرسل
في نابه عوج يجاوز شدقـــه ... ويخالف الأعلى وراء الأسفل
فأصابه ريب الزمان فأصبحت ... أنيابه مثل الزجاج النصل
ولقد رأى صبح سواد خليله ... ما بين قائم سيفه والمحمـــل
صبحن صبحاً حين حق حذاره ... أصبحن صبحاً قائماً لم يعقل
ولقد جرى لبد فأدرك جريه ... ريب الزمان وكان غير مثقل
ولقد رأى لبد النسور تطايرت ... رفع القوادم كالفقير الأعزل
من تحته لقمان يرجو سعيـــه ... ولقد رأى لقمان ألا ياتلي
غلب الليالي بعد آل محـــرق ... وكما فعلن بتبع وبهرقـــــل
وغلبن أبرهة الذي الفينه ... قد كان عمر فوق غرفة [1] موكل
والحارث الحراب امسى قاطناً ... داراً أقام بها ولم يتحمـــــل
والشاعرون الناطقون أبادهم ... سلكوا سبيل مرقش ومهلهل
ودعت قومي بالسلام كأنني ... ماض إلى سفر بعيد المرحل

وقال الأعشى في ذلك أيضاً :

فأنت الذي سقيت عمراً بكأسه ... ولقمان اذ خيرت لقمان في العمر
فقال مميت الخلق ما يصحب الندى ... ثم لم يلق بدعوتها القطـــــر [2]
لنفسك أن تختار سبعة أنـــسر ... إذا ما مضى نسر خلفت إلى نسر
فقال فنسر حين أيقن انـــه ... خلود وهل تبقى النسور مع الدهر
وهي لبد والطير يخفقن حوله ... وقد بلغت[3] منه المدى صحوة القدر
فقال له لقمان إذ حل ريشه ... هلكت وقد أهلكت عاداً وما تدري

---

(١) في الأصل عزم .
(٢) هكذا في الأصل .
(٣) هكذا في الأصل أيضاً .

وأصبح مثل الفرخ أطلق ريشه   وبادت به عمراه في ليلة الحشر

قال وهب : كان بنو كركر بن عاد بن قحطان أصابهم قحط فسار لقمان إلى بيت مكة وسار معه قيل بن الكثير [1] بن عنز العادي يستسقيان ويدعوان الله تعالى ، فكان يسأل لقمان العمر وقيل يسأل القطر فأجيبت دعوة لقمان ولم تقبل دعوة قيل الا أنه رأى في المنام كأن آتياً آتاه فقال له : يا قيل انك ضيف الله في البلد الحرام قصدت الله وجاورت بيته فلك قرى الدعاء وقد استسقيت لقوم الله عليهم غضبان ولكن اذهب إلى الموضع الذي تدعو الله فيه فانك تصيب فيه كأساً ناشرب به كأساً من زمزم إجابة لدعائك فانك لن تصم ولن تعمى ولن تسقط لك سن ولا ضرس بعده حتى تلقى الله ، فلما أفاق سار إلى الموضع فأصاب به كأساً فأخذه وسار به إلى زمزم فشرب به كأساً كما أمره فما اعتل بعده بعلة في جارحة حتى مات .

(ملك الهمال بن عاد)

المعروف بذي شدد ملك متوج

وأنه لما مات لقمان بن عاد صار الملك إلى أخيه الهمال بن عاد بن الملطاط ابن السكسك بن وائل بن حمير . والهمال بن عاد هو ذو شدد ، فلما صار الملك إلى همال ذي شدد دخل إلى المغارة التي دفن فيها أخوه شداد بن عاد فأخرج التاج وتتوج به وكان لقمان غيبه في تلك المغارة لأنه لم يكن متوجا كان متواضعاً لله ، فلما ولي الهمال بن عاد أخذ الملك أخذاً شديداً فولي ذلك

---

(١) ل – بن بكير .

حيناً من الدهر ثم مات ، وانما قيل له ذو شدد بلغة حمير كقولك ذو شطط ابن عاد بن مناح [1] أي ذو عطاء .

(ملك الحارث بن الهمال)

قال وهب : وولي أمر الملك بعد الهمال بن عاد ابنه الحارث بن الهمال وهو الرائش الأصغر والرائش الأكبر عمه لقمان بن عاد وهو الحارث ذو مراثد بن الهمال ذي شدد بن عاد بن ذي مناح وكانت تأتي هدايا الهند إلى التبابعة من أصناف الطيب والمسك والعنبر والكافور وحب البان والينجوج والزعفران وغير ذلك من أنواع الطيب ومرافق أرض الهند والفلفل والهليلج وغيره ، ويأتي الجوهر والعقيق والدن [2] ، فلما أتت الهدية إلى الرائش الحارث ذي مراثد وذو مراثد في لغة حمير ذو أيادي وذو مرثد ذو يد .

قال وهب : فلما أتت الهدية من قبل الهند إلى ذي مراثد ورأى ما رأى من عجائب الهند تطلعت نفسه إلى غزوها فعبى الجنود وجمع العساكر وأظهر أنه يريد المغرب في البحر وأعد السفن وكان غزاها قبله ثلاثة من الملوك على البر من جبال حران [3] وأرض التبت حتى وصلوا إليها وهم : عبد شمس ابن* سبأ وبعده ابنه وائل بن حمير وبعده ابنه السكسك بن وائـــل ، فكان خراجهم الذي أجروه على الهند جميع هذه الطرائف يطرفونهم بها .

قال وهب : فلما أمكن لذي مراثد الرائش جواز البحر ركب وقدم بين

---

(١) في الأصل مناخ .
(٢) كذا في الأصول .
(٣) ل ــ حزسان.
* هكذا في ط حيدر آباد

يديه رجلاً من حمير يقال له : يعفر بن عمرو [١] . فسار يعفر حتى دخل أرض الهند وتبعه الرائش ذو مراثد فقاتل أهل الهند يعفر حتى آتاه الرائش فغلب عليهم فقتل المقاتلة له وسبي الذرية وغنم الأموال ورجع إلى اليمن من جهة مطلع الشمس وكان طريقه مدينة الصغد وهي سمرقند وخلف يعفر بن عمرو في اثني عشر الفاً في مدينة بناها الرائش ذو مراثد وسماها على اسم الرائش . فلم يقدر أهل الهند يقيمون اسمها فسموها الرائد فهي مدينتهم اليوم وبها ملكهم . وقال في ذلك نوفل بن سعد من رؤساء حمير :

من ذا من الناس له ما لنــا من عارب في الناس أو اعجمي
سار بنــا الرائش في جحفل مثل مفيض السيل كالأنجم [٢]
يوماً لأرض الهند يسمو لها تجري به الأمواج كالضيغم
فأول الغاية قاموا بها واستسلموا للفيلق المظلم
في بحرها المنشور ســام بــه يوم أمام الملك المعلــم
يغيرها يعفر اذ جاءهـــا يا حبذا ذلك من مقـــدم
فصبح الهند له وقعـــة هدت قواه بالقنا الصيلم
وانغص الرائش أملاكها وآب بالخيرات والأنعم
فالدر والياقوت يجبى له والخرد الابكار في الموسم

قال وهب : ولما صار الرائش بجبال خراسان أتته هدايا أرمينية اتقوه خوفاً لما وقع في الهند فأرسل ملوك ارمينية ببزاة بيض وديباج وسروج ومتاع عجيب مما يقابل به الملوك فقال للرسل : كل هذا في أرضكم ؟ قالوا : نعم أيها الملك . قال : فلم نأخذ شيئاً إذ لم نأخذ أرض أرمينية ، فسار يريد أرض

---

(١) ل ـ محمود

(٢) ل ـ منفض السيل بالجم .

أرمينية فقدم بين يديه شمر بن العطاف[1] الحميري في مائة الف وسار يتبعه بالجمع فأخذ أرمينية وأخذ في دروب الأرض إلى عجز الأرض ما تحت بنات نعش وأبواب زوايا الأرض ، ثم قفل راجعاً حتى بلغ آذربيجان حتى بلغ إلى الصخرتين من آذربيجان وهما صخرتان قد تقابلا جبلان شامخان يحسر الطرف عنهما وليس يأخذ أحد بآذربيجان إلا بينهما . فكتب في الصخرتين بالحميري المسند وسموا الحميري المسند لأنه على عدده وهو منثور مثله فكتب في الصخرة الواحدة أن الرائش ذا مراثد سيد [2] الأوابد بلغ من الدنيا أمله وبقي ينتظر أجله فمتى ينقض يمض وتحته منقوش :

يا جابيا خرج خراسان ملججاً في أرض حران
فتحت أرض الهند مستأثراً يعفر الأول والثاني
يتبع قرن الشمس انأشرقت حتى بدا نور الضحى قاني
سام على البيت [3] مستعجلاً مقتحماً أرض آذربيجان
سينقضي الرائش بعد الذي نال ويبقى الناس في شان

وكتب في الأخرى :

إلا ان الزمان أطاع أمري وسوف أطيعه قهراً بقسر
ركبت الدهر اعصاراً عزيزاً سيسأم طول هذا الدهر دهري
يخادعني بأيام حسان ويقطع دائباً في ذاك عمري
لقد صبر الزمان على اعتزامي ليعلم ان عصاني كيف صبري
له ايد طوال عن قصار تناول ذا الورى خسري ويسري[4]

---

(١) ل – القطاف .

(٢) بالأصول – شيد .

(٣) ل – سار عن الأرمن .

(٤) كذا في الأصول .

قال أبو محمد : ان ذلك الكتاب لمكتوب فيها اليوم — قال : وان الرائش ذا مرائد رجع إلى اليمن ونزل غمدان ومات ، فكان عمره في الملك مائة عام وخمسة وأربعين عاماً ، والله أعلم .

(ملك الصعب ذي القرنين)

وولي بعده ابنه الصعب ذو القرنين بن الحارث الرائش ذي مرائد بن عمرو الهمال ذي مناح بن عاد ذي شدد بن عامر بن الملطاط بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام ابن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام .

قال وهب : رفع الحديث إلى أمير المؤ منين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال (حدثوا عن حمير فان في أحاديثها عبراً) .

قال وهب : وولي الملك الصعب ذو القرنين بن الحارث الرائش ذي مرائد بن عمرو الهمال ذي مناح بن عاد ذي شدد تجبر تجبراً لم يكن في التبابعة متجبر مثله ولا أعظم سلطاناً ولا أشد سطوة وكان له عرش من ذهب صامت مرصع بالدر والياقوت والزمرد والزبرجد ، وكان يلبس ثياباً منسوجة من الذهب منظومة دراً وياقوتاً وكان عظيم الحجابة . قال : فبينما هو في ذلك المكان إذ رأى رؤيا كأن آتياً آتاه فأخذ بيده وسار به حتى رقي به جبلاً عظيماً منيفاً لا يسلك فيه سائر من هول ما رأى إذا شرف على جهنم وهي تحته تزفر وأمواجها تلتطم وفيها قوم سود تتخطفهم النيران من كل جانب . فقال له الصعب : من هؤلاء ؟ قال له : الجبابرة فاخلع يا صعب رداء الكبر وتواضع لله يعطك عزاً أعظم من عزك وهيبة أجل من هيبة الكبر وعزاً أعظم من عز

الملك فاختر لنفسك أي المقامين أحب إليك . قال : فلما أصبح برز للناس بعد الحجابةوتواضع وانبسط بعد العز والقسوةوجلسبين الناس ودخل قلبهوحشة خوفاً من اللهثم أمر بالعرش فأخرج، ثم قال: أيها الناس اهتكوا ولكل يد ما أخذت فهتك العرش وانتهبه الناس ثم رمى بثوبه فتخطفه الناس ، ثم قال : أيها الناس ان الله الجبار يبغض الجبارين ، قهر الموت من ادعى أنه نده وأذل بالملك من ادعى أنه ضده واستأثر بالبقاء بعد ذهاب الاملاء .

قال وهب : ثم أنه رأى في الليلة الثانية كأنه نصب له سلم إلى السماء ورقى عليه ، فلم يزل يرقى حتى بلغ إلى السماء فسل سيفه ثم علقه مصلتاً إلى الثريا ثم أخذ بيده اليمنى الشمس وأخذ القمر بيده اليسرى ثم سار بهما وتبعته الدراري والنجوم ، ثم نزل بهما إلى الأرض ، فلم يزل يمشي بهما وتبعته النجوم في الأرض ، فأفاق . فلما أصبح خرج إلى الناس هائماً لا يدري ما هو فيه فاستنكر الناس أمره .

قال وهب : ولما كانت الليلة الثالثة رأى كأنه جاع جوعاً شديداً وظهر إلى الأرض فصارت له غذاء فأقبل عليها يأكلها جبلاً جبلاً وأرضاً أرضاً حتى أتى عليها كلها ، ثم عطش فأقبل على البحار يشربها بحراً بحراً حتى أتى على السبعة الأبحر ، ثم أقبل على المحيط يشربه فما أمعن فيه إذا هو بطين وحمأة سوداء لم تسغ له بما آتاه [1] فترك ثم أفاق من نومه فلما أصبح هام وحار فيما رأى وغاب عن الناس لما به . فقال الناس : يوماً يظهر ويوماً يحتجب .

قال وهب : فلما نام في الليلة الرابعة رأى كأن الأنس والجن آتوه من

---

(١) كذا في الأصول .

الأرض كلها حتى جلسوا بين يديه ، ثم أقبلت البهائم والأنعام من الأرض كلها حتى جلست بين يديه ، ثم أقبلت الوحوش من الأرض كلها حتى جلست بين يديه ، ثم أقبلت الطير كلها حتى أظلته وأقبلت الهوام من جميع الأرض كلها حتى حفت به ، ثم أقبلت الرياح حتى استدارت فوقه . قال : فارسل أمماً من الانس والجن مع ريح الصبا إلى المغرب فهبت بهم إلى المغرب ، ثم أرسل أمماً من الانس والجن مع ريح الشمال ، فهبت بهم إلى يمنى الأرض فلما ذهبت الانس والجن أمر البهائم والأنعام فذهبت بهم الرياح الأربع وجوهاً من الأرض ، فذهبوا في سبيل الأنس والجن ، ثم أمر الطير فذهبت بها الرياح في الوجوه الأربع ، ثم أمر الرياح فذهبت بالوحوش وحبس سباعها تحت قدميه ، ثم أمر الرياح فذهبت بالهوام في سبيل من مضى من جميع من أرسل ، فلما أصبح غلب عليه هول ما رأى من الرؤيا الأولى والثانية والثالثة والرابعة فأرسل في وزرائه وأهل مشورته ووجوه قومه فجمعهم ، ثم قص عليهم ما رأى . قال لهم : كنت كتمتكم أمري وهو أمر جسيم . قالوا له : هال علينا حالك أيها الملك فتحيرنا في أمرك وخشينا من سخطك ان نحن سألناك من قبل أن تظهره ، فلما كان اظهاره منك فرجت علينا أيها الملك أمراً جليلاً واطمأنت قلوبنا فما هو أيها الملك ؟ قال لهم : رأيت رؤيا عظيمة ، ثم رأيت في الليلة الأخرى أعظم منها ، ثم رأيت في الليلة الثالثة ما هو أعظم منهما جميعاً ، ثم رأيت في الرابعة ما هو أعظم مما تقدم ، فلم أدر ما أفعل ؟ قالوا له : ما هي أيها الملك ؟ فقص عليهم جميع ما رأى . فهالهم ما سمعوا منه فقالوا له : نامت عينك أيها الملك اجمع أهل العلم بالتأويل والنجم والكهانة والحبابرة [1] من أهل الدين الأول فإنهم يفسرون للملك جميع ما رأى في

---

(١) كذا بالأصل ولعله الحبورة — ح .

الليلة الأولى والثانية والثالثة والرابعة ، فقالوا له : أيها الملك هذا شأن عظيم لم تدرك عقولنا تأويل هذا ، وان نحن تأولناه لك لم نأمن ان نحن لم نصب وجه الرؤيا يسخط علينا الملك وقد يخرج تأويل الرؤيا على غير ظن المتأول .

قال : ثم قام إليه شيخ منهم له عقل ودين وقد جرب الأمور وحكمته [1] الدهور . فقال له : أيها الملك اما أنهم قد أحسنوا إلى أنفسهم اذ لم يفسروا شيئاً من رؤيا الملك ولو أجابوا الملك لرددت عليهم ، أنا وان تقدمت في ذلك بين يدي الملك تحسن العاقبة قال له الصعب ذو القرنين : لم ذلك ؟ قال له الشيخ : ذلك لأن الله فوض اليك أمراً جليلاً وقلدك أمراً جسيماً ثم أراك وحياً عظيماً ، فقد استمسكت بأمر الملكوت واني يفسره لك من من الله عليه فاضطره إليك وجعل حكمك في دمه وماله فقد وقفك الله بين جنة ونار فان عدلت يميناً فجنة وان عدلت يساراً فنار ، ثم أراك هذا البناء العظيم فأردت أن تسبرن في علم الله من أباح لك جهله دمه وماله يحملون آراءهم على علم الملكوت ووحي الغيوب فقد رأيت أيها الملك عظيماً فليس على الأرض من يفسر تأويل رؤياك إلا نبي ببيت المقدس من ولد اسحاق بن ابراهيم الخليل .
قال له الصعب : ولله نبي على الأرض ؟ قال له الشيخ : نعم أيها الملك ما أتيت الملك إلا وقد لقيته وسمعت منه ما يدعو اليه فأمر ذو القرنين بالجنـــود فجمعت ، فجمع جنودا لم يجمعها ملك قبله ، وذلك عند كمال قوة بني سام ابن نوح النبي صلى الله عليه وسلم وبه كانوا يتداعون في ذلك الزمان وهم عمود النسب على من ناواهم من جميع العجم ، فلما اجتمع للصعب ذي القرنين الجموع العظيمة والعساكر البرازة [2] أوقفها بمأرب وعمل بطاعة

---

(١) ل – حنكه الدهر .
(٢) لعله – الجرارة – ح .

الله وحكم بحكمه ، ثم أمر بعمود من رخام فنقش فيه بالمسند الحميري :

يلوم اللائمون الجهل جهــلاً ... وداء الجهل ليس بذي دواء [1]
وعلم العالم النحرير جهل ... إذا ما خاض في بحر البــلاء
إذا كان الامام يحيف جوراً ... وقاضي الأرض يدهن في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويــل ... لقاضي الأرض من قاضي السماء

ثم أمر الصعب ذو القرنين الجنود فنهضت وجعل على طالعته الف الف فارس ، ثم مشى بعد بالخيل والرجل فسار حتى انتهى إلى البلد الحرام فنزل به ، ومشى في الحرم راجلاً حافياً وطاف بالبيت وحلق ونحر ، ثم قضى حجه ومشى في الحرم راجلاً حافياً حتى إذا خرج منه ركب ثم سار إلى بيت المقدس، فلما نزل بيت المقدس سأل عن النبي الذي ذكر له ولم يطلب شيئاً غيره حتى ظهرعليه.قال له الصعب:أنبي أنت ؟ قال له موسى الخضر : نعم ، قال له : ما اسمك ونسبك ؟ قال له : موسى الخضر بن خضرون بن عموم بن يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليه السلام . قال له الصعب : أيوحى إليك يا موسى ؟ قال له : نعم يا ذا القرنين ، قال الصعب له : يوما هذا الاسم الذي دعوتني به ما هو ؟ قال :أنت صاحب قرني الشمس وذلك أن أول من سماه ذا القرنين الخضر .

قال وهب : ثم قص عليه كيف رأى جهنم والجنة ثم قص عليه كيف رأى أنه علق سيفه بالثريا مصلتاً وأنه أخذ الشمس والقمر وتبعته النجوم والدراري ونزل بهم إلى الأرض ومشى بهما في الأرض والنجوم تتبعه ، ثم قص عليه كيف أكل الأرض بجبالها وشرب البحار كلها ، ثم شرب عامة ماء البحر المحيط

---

(١) بالأصل – ليس يبرأ بالدواء .

حتى آتاه كدر وحمأة فلم يستطع شربه وكف عنه . وقص عليه كيف رأى الأنس والجن والبهائم والأنعام والوحوش والطير والهوام وعقد الريح وكيف صرفهم في الأرض . قال له : ان الله مكن لك في الأرض وأعطاك من كل شيء سبباً فاما جهنم فقد أنذرت فانتبه . فاما طلوعاك إلى السماء فهو علم من عند الله تدركه ، وأما الشمس والقمر والدراري والنجوم فإنه لا يبقى معك في الأرض ملك إلا خلعته ولا رأس إلا تبعك . وأما الأرض التي أكلتها إلى غايتها فلم تبق منها شيئاً فإنك تملك الأرض ومن عليها . والسبعة البحار التي شربتها فإنك تركب السبعة الأبحر وتملك جزائرها . وأما البحر المحيط فإنك تركبه وتبلغ منه غاية حتى يأتيك عكر لا تستطيع تعبره فترجع دونه ، وأما الأنس والجن فإنك تنقلهم في الأرض من مكان إلى مكان تحول أهل المغرب إلى المشرق وأهل المشرق إلى المغرب وأهل يمين الأرض إلى شمالها وأهل شمالها إلى يمينها ، وأما الانعام والبهائم فإنها تسخر لك ، وأما الوحوش والطير والهوام فانها تسخر لك لا تضر شيئاً في زمانك وحيث ما شئت عقدتها بيدك زمامها ، وأما الرياح فانك تملك عقدها تصرف ضرها عن أي بلد شئت ، وأما رؤياك أنك طفت بالشمس والقمر في الأرض فانك ستجاوز مغرب الشمس وتصير في ظلمة لا تهتدي إلا بما في يديك من العلم ويذهب عنك ضوء الشمس والقمر فانهض بأمر الله واعمل بطاعة الله فان الله يغنيك ويسددك ويوفقك .

قال وهب : وان ذا القرنين نام فرأى سبباً كأن الأرض كلها عليها ليل إلى أن طلعت له الشمس من المغرب بيضاء صافية فسار يلقى الشمس فلم يزل يتبع نورها حتى بلغ أرضاً مفروشة بنجوم السماء ، فمشى عليها . ثم أفاق فاعلم الخضر بهذا السبب ، قال له الخضر : أمرت بأن تسير إلى المغرب

وتبلغ وادي الياقوت . فكان الخضر يأتيه الوحي فيعلم بذلك ذا القرنين ، وتأتي الأسباب الصادقة إلى ذي القرنين فيعلم بها الخضر . فكان ذو القرنين يعمل بالعلمين ، ثم سار ذو القرنين إلى المغرب وسار معه الخضر فسار ذو القرنين يطأ المغرب بالجنود يقتل ويسبي وينقل الناس من أرض إلى أرض فعاد على أرض الحبشة ، فلم يزل يفتحها أرضاً أرضاً وأمة أمة حتى بلغ أقصاها .

قال أبو محمد عن أسد بن موسى عن أبي ادريس عن وهب عن عبدالله ابن عباس أنه قال : الدنيا مسيرة خمسمائة عام فثلاث مائة منها بحار ومائة قفار ومائة عمران ، فثمانون منها لياجوج وماجوج وأربع عشرة للسودان وست منها لما سوى ذلك من الخلق .

قال وهب : لما لجج ذو القرنين في أرض السودان يقتل ويحرق بالنار إلى أن أتى إلى قوم بكم قال له الخضر : هل لك أن تسمعهم فانهم قوم لا ينطقون فمن عمل بما أمرته علم أنه قبل ومن لم يعمل قتلته . ثم مضى حتى انتهى إلى قوم سود زرق الأعين فقتل من قتل وآمن من آمن ثم مضى حتى انتهى إلى قوم بلق آذانهم كآذان الجمال فقتل منهم أمماً وعفا عمن آمن ، ثم مضى حتى انتهى إلى قوم آذانهم كبار من أعلى رأس أحدهم إلى ذقنه فإذا رقد وضع شقاً عليها وغطت الأخرى الشق الأعلى فقتل من كفر وعفا عمن آمن حتى غلب على أرض السودان وجلب منهم أمماً بين يديه في عساكره ، ثم مضى حتى بلغ أرض بني ماريع بن كنعان بن حام فقتل وغنم وسبى وساق منهم أمماً بين يديه ، ثم جاز إلى جزيرة الأندلس فغلب عليها إلى أقصاها ، ثم رام ركوب البحر المحيط فزفر عليه البحر وصار كالجبال الشم فرأى في الأسباب عقده فبنى منارة وجعل عليها صنماً من نحاس عقد بها عاصفات الرياح ، ثم سكن البحر فلان فركبه وسار بجميع جموعه حتى أبعد عن العقد،

ثم طغى عليه البحر فبنى منارة أخرى ونصب عليها صنماً عقدا . فلم يزل يسير في المحيط وكلما عبر وزفر عليه بنى منارة وعقد عقداً حتى انتهى إلى عين الشمس فوجدها تغرب في عين حمأة في البحر المحيط ووجد من دونها جزائر فيها أمم لا يفقهون ما يقولون ولا ما يقال لهم فقال ذو القرنين : من رمى بكم هاهنا ؟ فقالوا له : سبأ ، فأخذهم ذو القرنين فأراد قتلهم قال له الخضر : يا ذا القرنين (اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسناً ، قال : اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً . وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً ثم اتبع سبباً) حتى بلغ وادي الرمل وأقبلت الشمس حتى سقطت في العين الحمأة ، فكاد يهلك ويهلك جميع من معه من حر الشمس . فلما أتى وادي الرمل وجده يسيل بالرمل كالجبال الرواسي فرام أن يعبره فلم يطق ، وأقام عليه أربعة أيام حتى دخل عليه السبت فسبت وأمر عمرو بن يعفر الحميري فعبر وادي الرمل في عشرين الفاً فمضى حتى غاب عنه فلم يرجع اليه من عنده أحد ، ثم أمر زهير بن مالك الحميري فعبر في عشرة آلاف رجل وقال له : يا زهير انظر ما صار اليه عمرو ومن معه وانصرف ولا تمض فعبر زهير فلما صار إلى مكان عمرو ولى بمن معه . فلم يرجع اليه من عنده أحد وغاب عنه . فلما رأى أن عمراً ذهب وذهب زهير فلم يرجعا بمن معهما علم أنه علم مغيب عنه فقال للمسقر[1] بن حوشب يا مسقر أنت أعظم رجالي عندي وارجاهم فاعبر وارجع إلي بما رأيت وما صار إليه عمرو وزهير . فعبر المسقر في خمسة آلاف رجل ، فلما عبر وصار مكان عمرو وزهير مضى جميع من معه مستعجلين ، ووقف المسقر مكانه لا يرجع ولا يذهب حتى غشيه الليل وسقطت الشمس فأصبح الوادي يوم الأحد

(١) ب – المشقر – ول المستقر .

وهو يجري كالجبال الشم وحال بينه وبين المسفر وغاب عنهم فلا يدري ما صاروا إليه . قال له الخضر : يكفيك يا ذا القرنين فإنه لن يجوز إلا من قد جاز ، اتبع ذو القرنين سبباً وسار مع وادي الرمل حتى بلغ إلى الظلمة فصار ليله ونهاره واحداً وعين الشمس تسقط خلفه فشق وادياً تزلق فيه الخيل والجمال وجميع ما معه . قالوا : يا ذا القرنين ما هذا ؟ قال لهم : أنتم بمكان من أخذ منه ندم ومن تأخر ندم . فساروا فيه أياماً ، ثم عطف بهم الوادي إلى جهة أشرق عليهم نور أبيض يكاد يخطف أبصارهم ، قالوا له : يا ذا القرنين ما هذا الوادي الذي عبرناه ؟ قال لهم : الوادي الذي عبرتم أنتم ذلك وادي الياقوت فمن أخذ منه قال : ليتني أخذت كثيراً ومن لم يأخذ قال : ليتني أخذت منه قليلاً . ثم انتهى إلى الصخرة البيضاء فكادت تذهب بأبصارهم من نورها وشعاعها وكان الذي وجدوا من الظلمة نور الصخرة ونظر ذو القرنين إلى منكب من مناكب الصخرة فرأى عليه نسوراً فعجب ذو القرنين منها ومن تعلقها في ذلك الموضع . قال ذو القرنين للخضر : يا ولي الله ما لهؤلاء النسور هاهنا ! قال له الخضر : لهم شأن عجيب ونبأ جسيم ، قال له ذو القرنين : ما هو يا نبي الله ؟ قال له الخضر نعم يا ذا القرنين انه لما أمر الله خليله ابراهيم بالهجرة إلى أرض بابليون أرسل ابراهيم جرجير بن عويم داعياً،وكان ولياً من أولياء الله داعياً من دعاته ، إلى المغرب ليقيم حجة الله تعالى على الناس فبلغ قمونية فدعا الناس إلى الله تعالى فأجابه أمم وعصى أمم ، ثم عبر إلى جزيرة الأندلس فأصاب بها أمما من بني يافث بن نوح وهم السكس [1] والقبط والافرنج والجلالقة والبربر [2] والرعر فدعاهم إلى الله فقتلوه والقوه في

(١) ل – السكسكين .

(٢) بالاصل الترمز – وفي ل البرسة ق.

موضع يجتمع فيه حشوشهم ، فأرسل الله له هذه النسور للذي أراد من خلاص وليه من ذلك الموضع فجبذوه [1] وأزالوه منه ونزل غيث وابل فطهره ، ثم أكله هؤلاء النسور حتّى نخر لحمه [2] من عظامه وتفرقت عظامه وأوصاله ، ثم أتى النسور إلى هذه الصخرة المنيعة فنزلوا فلم يقدروا على إمساك لحمه في حواصلهم فتقيؤوا فألقوه في ذلك الموضع فلم يبق من لحمه في حواصلهم شيء ، ثم أرسل الله على عظامه طيراً بعد من فرقتها النسور فكانت تأخذها عظماً عظماً فاذا استقلت بها في الهواء القتها في الأرض فتنزل العظام في غابة عظيمة تغيب فيها فيتبعها الطير وتمنعه الغابة فلا يجد الطير اليها سبيلاً فعظامه فيها إلى يوم القيامة ولحمه على هذه الصخرة إلى يوم القيامة طهره الله من نجاسات المشركين وقد حرم الله النبيين والشهداء دماءهم ولحومهم على الأرض والطير والوحوش والهوام حتّى يقفوا بين يدي الحكم العدل فسائل ومسؤول وخاصم ومخصوم فهناك الفوز والدرك ، ثم دنا ذو القرنين من الصخرة ليرقى عليها فانتفضت وارتعدت وتقعقعت فرجع عنها فسكنت ، ثم عاد إليها ثانية فانتفضت وارتعدت وتقعقعت فرجع عنها فسكنت، ثم عاد إليها ثالثة فانتفضت وارتعدت وقعقعت ، ثم دنا منها الخضر فسكنت فرقى عليها فلم يزل يرقى وذو القرنين ينظر إليه والخضر يطلع إلى السماء حتّى غاب عنه فناداه مناد من قبل السماء امض أمامك فاشرب فانها عين الحياة وتطهر فإنك تعيش إلى يوم النفخ في الصور ويموت أهل السماوات وأهل الأرض فتذوق الموت حتماً مقضياً. فمضى حتّى انتهى إلى رأس الصخرة فأصاب عيناً ينزل فيها ماء من ماء السماء فشرب منه وتطهر ،فلما رأى الماء ينزل ويستدير ولا يسيل منه شيء

---

(١) ب – فأخذوه .

(٢) ل – تجرد .

قال: إلى أين تذهب أيها الماء فنودي قد بلغ علمك ، فلما رجع الخضر إلى ذي القرنين قال له : يا ذا القرنين إني شربت من ماء الحياة وتطهرت منه وأعطيت الحياة إلى يوم النفخ في الصور وموت أهل السماوات والأرض ثم أموت حتماً مقضياً ، ومنعت أنت ذلك ولك مدة تبلغها وتموت فارجع فليس بعدها مزيد لأنس ولا جن — ولم ير ذو القرنين سبباً فأقام حيناً ينتظر السبب ، فأنشأ يقول :

منع البقاء تقلب الشمس	وطلوعها من حيث لا تمسى
وطلوعها بيضاء صافية	وغروبها صفراء كالورس
تجري على كبد السماء كما	يجرى حمام الموت للنفس
لم أدر ما يقضيه حكم غد	ومضى بفصل قضائه أمس
وتشتت الأسباب تخلجني	نحو العراق ومطلع الشمس
ازجي لهم حرباً تؤدبهم	يلقون ذاك بأوجه عبس
تهوى المنون عليهم قذفاً	بليوث غاب غير ما نكس
في الف الف كالنجوم لهم	زجل كأسراب القطا الهمس
والصعب ذو القرنين قاد بها	لصلاح أرض الترك والفرس
يا رب معصوم لساحتها	عن هالك بعالم درس
للدهر أيام لعبن بنا	يأتي القضاء بمحكم الطرس
كم من قرير العين في دعة	ومروع الأيام في نحس
ومسود من غير مكرمة	وممجد في ذاته يمسى
وعسيف قوم ظل في سعة	ومقام حر عاش في تعس
ومعزز لم يلق قط وغى	وحليف ذل فارس الدعس
اني أرى الأسباب واضحة	وأرى علوم الغيب في طمس

يجري الزمان لنا بأربعـــة غيرن ما أصلحن بالأمس
يوم وليل دائر بهمـــا نحس وسعد غاية النفس
ان المسقر بعد عزتـــه ناء عن الخلان والأنس
والموت اس للنفوس متى حل القضاء رجعن للاس
هيهات لم يخدع فكان فتى لا بد أن يمسي بلا حس
رهنا ببطن تنوفة ابداً بالحنو حنو الرمل في رمس

وان الخضر عليه السلام قال لذي القرنين : قد بلغت مبلغاً ليس وراءه من مزيد ولا مرمى (١) وطفت جزائر المحيط وبلغت حجة الله على الجن والأنس بالمغرب ، فانتظر ما يوحى اليك فأقام حيناً ينتظر حتى رأى السبب الصادق فناداه مناد من السماء : يا ذا القرنين يحكم الحكم العدل على من يعرفه بالصبر على الضر فيما يرضى يا ذا القرنين اليوم الغناء وغداً الفناء اليوم العارية وغداً الهبة يا ذا القرنين ان النار زفرت وتغيظت على من يعرف الله ولم يغضب له يا ذا القرنين عذ بالرضى من الغضب وبالولاء من السخط ، يا ذا القرنين اطلع مشارق الأرض فانها ثلاثمائة مطلع وخمسة وستون مطلعاً تحت كل مطلع أمة لا يعرفون الله ولا يوقنون بالبعث فبلغ حجة الله وأقمها على من لا يعلم وعده ووعيده . وان الخضر أتى ذا القرنين فقال له : يا ذا القرنين ان لم يقل لك فسيقال لك وإن لم تر فسترى فهل قيل لك أو رأيت ؟ قال له ذو القرنين : رأيت الأسباب الصادقة وسمعت النبأ العظيم يأمر وينهي .

(وصية الخضر عليه السلام)

قال له الخضر : يا ذا القرنين ان الله مكن لك في الأرض وآتاك من كل

(١) ل – بر ولا بحر –

شيء سبباً ولم تعلم إلا ما شاء الله أن تعلمه من علمه ولو ظهر إليك حرف مما غبب عنك لا نصدع قبلك فرقاً ، يا ذا القرنين حملت امانة لو حملت على السماء انفطرت وعلى الجبال انهدمت وعلى الأرض انشقت ، أعطيت الصبر وأوتيت النصر ، وسترى قوماً يرون أهل الأرض عبيداً لهم وأنهم شركاء الله في خلقه ، وهم يأجوج وماجوج والله الطالب لا يفوته هارب ولا يغلبه غالب والعقوبة بعد القدرة والمنع قبل الذل والغضب تحت الرضا والوفاء بعد العهد ، يا ذا القرنين مرٌ ينفع خير من حلو يضر ، خذ ودع ، خذ ما لزمك ودع ما لم يلزمك ، يا ذا القرنين ربما رأت عينك شيئاً لم تدركه يدك ومثل لك أملك ما لم يبلغه عملك وحال دونه أجلك ، يا ذا القرنين اعمل عمل من لا يموت وازهد زهادة من نزل به الموت واقنع من عيشك بالقوت . يا ذا القرنين أيقن واتقن فاتقانك صلاح الدنيا ويقينك صلاح نفسك ، يا ذا القرنين اجعل نفسك يدك في الدنيا وعينك في الآخرة امش مشي من لا يغفل ولا تعجل ولا تمهل فان في الغفلة الهلكة وفي العجلة الندامة ومن المهل العطب كن بين حالين سدد ففي السداد الرشاد والحق دليل فاستدل ترشد والغنى لهو ومهلكة واني يفيق غاوٍ لاهٍ — يا ذا القرنين من نظر إلى الدنيا بعين سقيمة نظرت اليه بعين صحيحة وأرته النجاة وأعاضته جدة لا تخلق ومن نظر إليها بعين صحيحة شوقته بالآمال الكاذبة وكان حظه منها غدراً وزادته ندماً ، يا ذا القرنين من عاش كذب ومن مات صدقَ مدة غايتها القطع كذب وغرور وابد لا يفي فالمطمئن إلى الحياة مخدوع والميت في منزل الأموات قدم علمه وأخر أجله فذلك الحي الذي لا يموت [1]،يا ذا القرنين الناس عبيد الدنيا فمن نصح نفسه اعتقها ومن خلط طال رقه — راحة النفس القناعة وعذابها الحسد

---

(١) كذا في الأصل .

وزينتها العفاف — ، يا ذا القرنين خذما ما أتيت بحزم وعزم واجعل الصبر دثاراً والحق [1] أشعاراً والخوف من الله جنة ، يزكو لك العمل وتأمن من هول الأجل ، خذ بيدك سيف الله فإنه ليس له دافع ولا لنصره مانع وحسبك من كان الله له ناصراً ، يا ذا القرنين خذ تحت أكتاف السماء عن شمال الأرض .

قال : فحمل عساكره في المحيط يريد جزائر الأرض خلف جزيرة الأندلس ، فلما وصل وعبر إلى الأرض وأخذ أهل الجزائر . أنشأ ذو القرنين يقول :

ألا أيها الوراد قد نلت خطة ... علوت بعلميها ملوك الأعاجم
سلكت غروب الأرض حزماً بجحفل ... لنأتي أرضاً غير أرض التشائم [2]
فعمت جميع الغرب لله دعوة ... إلى غايتها بالقنا والصوارم
خرجت على الدنيا عن اللهو محرماً ... وسقت جموعاً كالهضاب الرواكم
وردت بباب الغرب والجمع مشرع [3] ... على موج بحر مزبد متراكم
عقدت بعين الريح عقداً يكفه ... فامسك عن مجرى المدى المتفاقم
فارجيت فيه أمة بعد أمة ... وقدمت فيه عالماً بعد عالم
فأوردتها مثل القطا فيه نهلاً ... لندرك في الدنيا قصيّ المعالم
تجرعته عذباً من الماء سائغاً ... وكان أجاجاً طعمه كالعلاقم
فصرت كمثل الطير فوق متونه ... تطير خوافيه بهز القوادم
أتيت إلى واد حثيث مسيله ... برمل تراه كالجبال الرواسم

(١) ل — والحلم .
(٢) ل — التائم .
(٣) ل — وقدت كماة العرب والعجم مسرعا .

تسير نهاراً والليالي كأنها ترامى بسافيه[1] حفي المخارم
صحبت ولياً مسكن الوحي قلبه ليعلم من أسراره كل كاتم
وأعطيت أسباباً أرى الرشد عندها تناهت بصدق العلم عن كل عالم
فلما آتاه السبت اسبت وارتقى على متنه عمرو وعاد بعاصم[2]
فبادر سباقاً ويعفر بعده بجمعهما أهل النهى والمكارم
وغودر إذ ذاك المستقر قائماً له همة تزري على كل قائم
فرجم بعض الناس بالظن أمرهم وقال دعوا في الأمر دعوة حازم
وقالوا رأوا مالاً يقيمون عنده فحثوا إلى الحور الحسان النواعم
ومن قال في علم الغيوب بعلمه له نومة تربى على كل نائم
فهد جنا حيَّ المسقر فجعة وأنت على فقدانه غير نادم
فودعني عمرو عليه تحيتي وفارقني من يعفر حزم حازم
فهل مبلغاً في العهد يأتيه انه ليعلم أن النقص غير المآثم
كتبت بخط الحميرية آية بأن ليس بعدي من مسير لقادم
ولا مذهب غير[3] الذي قد أتيتم بني حمير غير النسور القشاعم
ولا بد مما أن تريحون غزوة لقتل الأعادي والملوك النواجم
ويوشك أن تدعوا يقيناً لمثلها إلى المشرق الأقصى لأمر ملازم
ليعرف حق الله من قد أضاعه ويهتك بالأسباب سجف المظالم
ويعلم أن الدهر يبلي جديده ومن قارع الأيام ليس بسالم
ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى ومن يك مهدوما فليس بهادم

---

(١) ب — بنافيه .
(٢) ل — عاد بن عاصم .
(٣) ب — خلف .

ثم أرسل عساكره إلى جزيرة الأندلس وأمرهم أن لا يبقوا عليهم حنقاً عليهم لما فعلوا بجرجير بن عويم داعي ابراهيم الخليل عليه صلوات الله إلا من آمن منهم أو من كان على دين جرجير وما دعا اليه من الحنيفية دين ابراهيم . ثم أرسل الخضر إلى قمونية في عساكره وأمره أن يلقاه بدروب الشام ، وأخذ ذو القرنين على الأرض الفرقاء ، وانما سميت الفرقاء لانفراق جزائرها في البحر حتى وصل إلى الشام لا يأتي على أمة إلا آمنت أو هلكت ؛ وسار الخضر إلى قمونية يفعل كذلك إلى أرض بابليون يقتل من صدف ويتجاوز عمن آمن ومر إلى الشام فاخربوه ونجوا هاربين إلى بيت المقدس مستجيرين ، فأرسل إلى ذي القرنين استجاروا بالله نعم الجار ، فمن كان قد آمن فله ذمام الإيمان وحرمة الدين ومن كفر فان الله عدو للكافرين أخرجهم من حرم الله المقدس واجر عليهم الجزية ففعل ذلك الخضر حتى انتهى إلى الدروب ، فلقي ذا القرنين ، فسارا يريدان مطلع الشمس يدعوان إلى الإيمان ولا يأتيان على أمة إلا آمنت أو هلكت حتى بلغ المحيط من عجز الأرض تحت بنات نعش فأصاب فيها أمماً من بني يافث بن حام وأوساه (١) من بني سام ، فلم يزل يحملهم على الإيمان فمن آمن نجا ومن صدف عن الحق حمله على السيف ثم عطف على الجزيرة ومضى إلى العراق يدعو ويقتل ، ثم قصد أرض فارس فآمن من آمن وقتل من غدر وكفر ونزل على جبل الصخر ونزل على قصر المجدل وهو القصر الأبيض قصر عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح الذي بني في زمان البلبلة حين تبلبلت الألسن وكان من أمره وشأنه أنه استخرج الصحيفة المستودعة عند النبي نوح صلى الله عليه التي فيها العربية ، فكان عابر أول من نطق بالعربية ونطق بها معه هود عليه الصلاة والسلام ، وذلك أنه لما بني القصر

---

(١) لعله واو شابا .

الأبيض وبني فيه الصرح وجعل حول القصر المجدل [1] ، وبني القصر بألواح الرخام الأبيض وسقوفه بالزجاج الأبيض وأرضه الواح الزجاج الأبيض وكان لجامه الفردية [2] ، وأفرغ الماء تحت الزجاج من أسفل القصر ، فكان القصر الأبيض أعجب ما بني في الدنيافي وقته ولم يبن قبله في الدنيا مثله وهو آبدة من اوابد الدنيا ، فلما بناه عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وتكلم بالعربية تكلم بها معه ابنه هود النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يتكلم بها معه ابنه فالغ للذي أراد الله ، وذلك أن فالغ بن عابر جد ابراهيم النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن ارعوي ابن فالغ بن عابر ، وعابر بن هود النبي صلى الله عليه وسلم وأبو فالغ ، فهود أبو بني قحطان وأخوه فالغ أبو بني عدنان ، فلما تكلم عابر بالعربية تكلم بها معه ابنه هود وتكلم بها معه بنوعمه ارم بن سام بن نوح وعملاق بن لاوي بن ارم بن سام بن نوح وطسم وجديس ورائش وقطورا بني لاوذ ابن أرم بن سام بن نوح فتكلم بنو ارم بن سام بالعربية كلهم ما خلا فارس ابن لاوذ بن سام بن نوح فانه تكلم بالفارسية وهو فارس الأسود ورحل عابر من أرض بابل حتى نزل العراق وحير الحيرة وهو أول من نزلها وحيرها وعرق العراق بغرس النخيل وغير ذلك من الثمار وبقي ابنه فالغ بالقصر الأبيض فتكلم بالفارسية مع بني فارس الأسود فأقام فيهم هو وولده حتى بعث الله ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فأمره بالهجرة والخروج مع بني فارس إلى بني عمه هود وهم العرب بنو قحطان ، فأمره أن ينزل ابنه اسماعيل في بيته مكة في بني جرهم بن قحطان للذي أراد الله من تمام أمره ووعده لنبيه اسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وبقي القصر الأبيض قصر عابر بن

---

(1) كذا في الأصل .

(2) لعله لحامه القزدير — ح .

شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح إلى زمان ذي القرنين الصعب بن ذي مراثد ، فلما رحل ذي القرنين من جبل الصخر لاح له القصر الأبيض فقال : ما هذا ؟ قيل له : هذا القصر الأبيض قصر عابر بن شالخ ، فأنشأ يقول :

أين رب الملك بل أين الذي شيد القصر زماناً ثم جن
أين من ينجو من الموت ومن أخذ العهد على رب الزمن

ثم نزل على القصر ودخله فرأى فيه أعاجيب يرى من يمشي فيه من داخل القصر ويرى من في مجالسه من ظاهرها فقال حكم فيه ما أرادوا حكم فيه ما لم يرد ، وأنشأ يقول :

خرجنا من قرى الصخر إلى القصر فقلنا
فمن يسأل عن القصر فمبنياً وجدناه
رأينا القصر كالشمس منيراً حين امناه
فأين الساجد السامي مليك القصر بناه [1]
وقد كان به حيناً ولو كان سألناه
عن القوم وما قالوا ولو قال لقلناه
أراه العيش [2] آمالاً على بعد ومناه
جرى باللهو اطلاقاً وسلم الدهر هناه
فراق القصر رب القصر حيناً ثم أفناه
اذا ما أقبلت منه اماني حمدناه
وان ألوى لسوء منه أحياناً سئمناه
إذا ما خاننا الدهر بصرف منه خناه

---

(١) لعله فضد .

(٢) ب ـ العيش .

سريعاً بعدنا يفني اذا نحن تركناه

ثم سار حتى بلغ إلى فج عظيم بنهاوند ثم لقيته جبال شم منيعة بينهاشعاب عظيمة . فقيل له : يا ذا القرنين هذا الشعب ينفذ إلى جابرصا وهذا الشعب يصل إلى هرات ومرو وسمرقند وهذا ينفذ إلى جاجا [1] وبلخا وحابلجا وبارد وأرض ياجوج وماجوج، فأخذ شعب جابرصا وجابلقا فقتل من قتل وآمن من آمن وهو في عجز الأرض وغلب على أرمينية ومن بها ، ثم عطف إلى فج نهاوند فقيل : هذا باب الأبواب وهو اسمه إلى اليوم باب الأبواب، فأنشأ ذو القرنين يقول هذه الأبيات :

جزعنا الغرب والشرق وجئنا باب أبواب

واعلا ما من الدنيا بآيات وأسباب

بعلم صادق الحزم وبأس غير هياب

بأمر الواحد القهار رب فوق أربـاب

وفي الأمر تصاريف وآيات لألباب

وعلم فوق ذي علم وغلاب لغلاب

ثم مضى حتى بلغ أرض ياجوج وماجوج فقاتلهم فغلب عليهم وأناب أمة منهم وهم بنو علجان بن يافث بن نوح فتركهم في جزيرة أرمينية إلى ناحية جابرصا فسموا الترك لأن ذا القرنين تركهم ومضى يطلب ياجوج وماجوج حتى لجج في أرضهم فلم يزل يأخذها أرضاً أرضاً وأمة أمة حتى انتهى إلى الأرض الشماء وهي جبال شم شواهق شوامخ ، فلم يزل يخرقها بالطرق وينزل

---

(١) هذه الاسماء كلها محرفة في الاصل والمراد بجاجا مدينة جاج فيما وراءالنهر وهي بجيمين فارسيين وقد عربت العرب اسم هذه المدينة فقالت شاش وبلجا محرف من بلخ بالخاء وحابلجا لعله محرف من جابلق والظاهر ان هذه الأسماء كلهامأخوذة من كتاب باللغة الآرامية بحيث في آخرها الف واما بارد فلا أدري أي بلد يعني بهذا – ك .

العلو ويرفع الوهاد ويفتتحها حتّى غلب عليها وبلغ الأرض الهامدة فافتتحها – وهي أرض مبسوطة لا تلعة فيها ولا ربوة عليها – وغلب من بها من ياجوج وماجوج . ثم بلغ جزائر الأرض الرواب [١] التي تزاور عنها الشمس عند طلوعها ، فوجد عندها قوماً صغار الأعين صغار الوجوه مشعرين وجوههم كوجوه القردة وهم لا يظهرون في النهار وانما يظهرون في الليل يختفون من حر الشمس في المغارات والكهوف في الجبال فدعاهم بلسانهم وقد أعطاه الله سبباً من كل لسان ، ثم صار في أرضهم حتّى بلغ أطراف جزائر المحيط فأصاب بها أمماً من ياجوج وماجوج يقال لهم الأحرار [٢] تطلع عليهم الشمس وهم قوم سود زرق الأعين طوال الوجوه طوال الأنوف تشبه وجوههم وجوه الخنازير وهم يختفون في النهار من حر الشمس ويظهرون في الليل فدعاهم وآمنوا . فكان كما قال الله تعالى وتبارك : (ثم اتبع سبباً حتّى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً) . ثم ركب البحر المحيط فسار فيه حولاً حتّى ترك الشمس عن يمينه ولجج في الظلمات حتّى وصل إلى أرض بيضاء كالثلج فيها نبات وعليها ضوء ليس كنور الشمس نور أبيض يكاد يخطف الأبصار . قال أبو محمد : فرام أن يمشي فساخت بهم الدواب إلى الصدور فترك عساكره كلها ومضى وحده وأعطى سبباً عبر به الأرض فسار أياماً حتّى أشرف على دار مفردة بيضاء فيها بيت واحد وعلى باب الدار رجل أبيض واقف وعلى سطح الدار رجل مبيض واقف قد أخذ شيئاً كمزمار فحبسه في فمه وأمسكه بيديه جميعاً وعيناه تشخص إلى السماء يشخص بهما ، قال له الرجل الذي على باب الدار : إلى

---

(١) ل – الزور .

(٢) ل – الاجدار .

أين تريد يا ذا القرنين ألم يكفك أرض الأنس والجن حتّى أتيت أرض الملائكة ! قال له ذو القرنين : من أنت يا عبد الله ؟ قال : أنا ملك من ملائكة الله ، قال له ذو القرنين : فما هذه الدار ومن هذا عليها ؟ قال له الملك : هذه الدار دار الدنيا وهذا الذي عليها ملك من ملائكة الله أوحى الله إليه أن يريك كيف أخذ اسرافيل الصور وعيناه شاخص بهما إلى العرش ينظر متى يؤمر بالنفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض ، ثم ينفخ فيه أخرى فيقومون إلى الميقات فهناك الفصل والعدل وكفى بالله حسيباً يا ذا القرنين ارجع فليس لك مزيد وخذ هذا العنقود يا ذا القرنين فأعطاه عنقوداً من عنب وقال له: كل منه يا ذا القرنين وليأكل منه عساكرك فان لهم فيه آية وهو يبلغكم إلى أرض الأنس والجن وخذ هذا الحجر فأعطاه حجراً مثل البيضة وقال له : زنه بما ترى عينك في الدنيا فان لك فيه عظة وعبرة فرجع ذو القرنين بالعنقود والحجر إلى عساكره فأكل العنقود وأكل العساكر كلهم ولا ينقص حتّى بلغ أرض العمارة فكان مما زادهم يقيناً إلى يقين وكان لهم عبرة وآية ، ثم أخذ الحجر فوزنه بجميع جواهر الأرض فرجح الحجر ، فلم يزل يزنه بالحجر العظيم والحديد الكبير فرجح عليه ، ولم يزل يرجح كل ما وزنه به ولو وزنه بالكثير من جميع ما في الأرض ما وزنه والخضر ينظر إليه ساكتاً . قال له ذو القرنين : يا ولي الله هل عندك علم من هذا المثل ؟ قال له : نعم هذا الحجر مثل لعينك لم يملأ عينك جميع ما في الأرض مثل هذا الحجر الذي لم يرجح عليه شيء في الأرض ، ولكن هذا يملؤها ومد يده فأخذ قبضة من تراب فجعلها في الكفة وجعل لحجر في الكفة فرجح عليها التراب وخف الحجر . قال له الخضر: هذه عينك لا يملؤها إلا التراب وهو الغلب عليها .

قال أبو محمد عبد الملك : ثم ان ذا القرنين رجع حتّى بلغ السد وهو

بالصدفين ولا سد فيه فوجه فيه قوماً أوقر آذانهم حسيس الفلك فقليل ما يسمعون . قال الله تبارك وتعالى : (ثم اتبع سبباً حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً ، قالوا : يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ؟ قال : ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردماً ، آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال : انفخوا حتى اذا جعله ناراً قال : آتوني افرغ عليه قطراً فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً . قال : هذا رحمة من ربي ، فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً) .

قال أبو محمد : فبنى السد ذو القرنين بين يأجوج ومأجوج وبين الناس قال : عظم السد في جسمه الف ذراع وفي طوله الف ذراع . بنى جسراً دونه وهو من اوابد الدنيا من الصدفين إلى أرض أرمينية وهو مسيرة سبعة أشهر ثم سار يريد أرض الهند حتى بلغ قطر بيل فوجد بها قوماً سموا بالترجمانيين وهم من بني يافث بن نوح وانما سموا بالترجمانيين لأنهم ترجموا صحف ابراهيم بلسانهم فأجابوا بما فيها ، فلما آتاهم ذو القرنين وجدهم بقرطبيل[1] وهم من بني عرجان بن يافث بن نوح وجدهم قد سكنوا مقابرهم ووجدهم لا غني فيهم ولا فقير ولا قاض فيهم ولا أمير ولا ناه فيهم ولا آمر ورأى مواشيهم بلا رعاة ورآهم بين الأنهار في خلاء من الأرض وقفار[2] واستغنوا منها باليسير عن الكثير ، قال لهم : يا بني عرجان ما بالكم سكنتم المقابر ؟

---

(١) مضى بتقديم الطاء .

(٢) ل – وليس عندهم مزارع .

قالوا : يا ذا القرنين سكناها لئلا ننسى الموت ونطمئن إلى الحياة وتستهوينا الدنيا ، وانا رأينا الأرض كالبحر يسلكه المرء فيغطي قدميه ثم يمضي فيغطي ساقيه ثم يتمادى فيعلو حقويه ثم يمضي فيعلو منكبيه ثم يعلو رأسه ثم يضطرب بيديه ورجليه فتقلبه أمواجه فتذهب به حيث شاءت فلا يدري ما تحته من الهواء ولا ما فوقه من السماء ، فكذلك تستدرج المرء تخدعه ويتبعها حتى إذا لجج سارت به حيث شاءت والدنيا دار ابليس والآخرة دار الله فمن عمل للآخرة أطاع الله وعصى ابليس ومن عمل للدنيا أطاع ابليس وعصى الله فان ابليس نصب فتنه بكل سبيل .

قال : وما بالكم أراكم ليس فيكم غني ولا فقير ؟ قالوا له : رأينا غني الدنيا فقيراً بالآخرة ، ورأينا معاش هذه الدنيا أعز أهلها وأعظمهم كعيش أذل من فيها وأحقرهم ، ولو أن الدنيا كلها للعزيز ذهب وفضة ودر وجوهر ليس له من جميع ماله غير شبعه ولا من كسوته غير لبسه ، فارفع طعام ذا في شبعه وأحسن لباس ذا في كسوته اذ دفع عنه حره وبرده كأحقر لباس ذا من كسوته اذ دفع عنه حره وبرده وكان الأمل من قلوبهما واحداً تواسينا فيما لا فضل فيه بين الأرواح والأجسام ، ثم رأينا القوي منا لا غنى له عن الضعيف ، والضعيف لا قوام له دون القوي وأنه متى هلك الضعيف منا هلك القوي ، ومتى هلك القوي هلك الضعيف فتساوينا لئلا يكون منا ضعيف يحسد قوياً ويبغضه ولا يكون قوي يحقر ضعيفاً فواصل القوي الضعيف حتى تكافأ الناس في معاشهم فحسنت معاشرتنا .

قال لهم : فما بالكم لا أمير فيكم ولا قاض ولا آمر ولا ناه؟ قالوا له : رأينا القرون من قبلنا والأمم في دهرنا يغصب القوي الجاهل الضعيف القايل الناصر ، ويقهر العزيز القادر الذليل المهين ويستطيل كل ذي يد إلى ما قدرت

عليه . فما من عزيز إلا آرسل الله عليه أقوى منه يسلبه قواه وأذله بعد عزه ولا يد استطالت فبطشت الا حال الله بينها وبين ذلك بيد أبطش منها وأجهل وما من متكبر إلا أديل عليه بمتكبر ولا من أمة الا انتقم الله منها بأمة ، فلما رأينا ذلك كففنا بعضنا عن بعض البغي والعدوان والجهل والتسافه والحسد والتواكل فأصبحنا وأمسينا أخواناً وليس فينا ظالم ولا مظلوم فلما لم يجر بيننا ظلم كفانا الله بغي غيرنا من الناس واطمأنت بنا الدار وطاب لنا القرار .

قال : فما بالكم بين أنهار وأنتم في خلاء وقفار ليست لكم إلا عمارة يسيرة ؟ قالوا له : اجتزينا بالقوت ويسير المعاش . قال لهم : أحسنتم في جميع أحوالكم خلا عمارة الأرض اعمروها لعقبكم فان العقب إذا لم يجد متعة يتمسك بها من معاشه تطاول بها إلى ما في يد غيره فحمل نفسه على الهلكة فاما لا دنيا ولا آخرة وأما دنيا بلا آخرة ان ظهر عليه عدوه كان بلا دنيا ولا آخرة وان ظفر فدنيا بلا آخرة . ولكن ذللوا الأرض للحرث واغرسوا الأشجار واستخدموا الأنهار فانها حياة النسل والبهائم والأنعام فإن لكل دين فترة ولكل فترة كفرة ولكل كفرة سكرة واحذروا التبديل فإن لكل أمة تبديلاً وتكذيباً .

ثم مضى إلى أرض سمرقند فوجد فيها الزط والكرد والصغد فقتل منهم من قتل وأجاب من أجاب ، ثم أخذ أرض مرو فوجد فيها الخزر وفرغان والديلم وجميع هؤلاء القبائل من بني يافث فقتل منهم من كفر وآمن من آمن ثم مضى إلى أرض هراة [1] فوجد فيها الحوز والافرنج فأجابوه فغلب عليهم وقتل الجبابرة وأهل العتوّ في الأرض ، ثم سار على البر إلى

---

(١) ل – هرمز .

أرض الصين فلقي السند ، وهم من بني حام بن نوح فقاتلهم فغلب عليهم وقتل من قتل ، ثم دخل أرض الهند – والهند أخوة السند – من بني حام بن نوح فقاتلهم فغلب عليهم وعلى جميع أرض الصين ، ثم رجع إلى أرض بابل فغلب عليها وعلى من بها من قبائل بني نوح حتى أجابوا ، ثم سار يريد أرض تهامة والحج بمكة ، فلما صار من رمل العراق بموضع يقال له حنوقراقر من أرض برقة رحرحان رأى في الأسباب أنه يموت بالحنو ويكون فيه قبره ومنه محشره وكان رآه أيضاً حين امتنعت من طلوعه عليها الصخرة البيضاء – فلما رأى الموت وأيقن به ونعيت اليه نفسه أعلم بذلك الخضر فقال له الخضر : يا ذا القرنين انقضى الأمل وحان الأجل وبقي العمل فحكم عليك اليأس لما تقحم [1] عليك الممات فنزل الرضا وغاب عنك القضاء ، وقد وعدك الله وعداً والله متم وعده – عصم دعاته في الدنيا من المكاره وحرمهم في الآخرة على النار ، فقال ذو القرنين الصعب بن ذي مراثد الحميري :

لما رأيت من المنون وعيـــداً	قوضت رحلك سحرة تجريدا
مثل لنفسك ملحداً اخدودا	واحذر لنفسك موقفاً مشهودا
وبدت لك الأسباب عن آياتها	لما بدرت وجردت تجريدا
ان اليقين يزيد لحظاً صادقاً	وترى من الأمر الخفي وعيدا
قد حقق السبب الخبير بأمره	لما آتاك يصـــدق الموعـــودا
ودعاك اذ حان الرحيل ولم تجد	لما دعاك عن الرحيل محيـــدا
ولقد رجوت بأن تقال فلم تجد	عند الرجاء من السنين مزيدا
ولت سنوك وغاب عنك مقامها	وأرى لعمرك فقدها موجودا

(١) ب – لما هجم عليك .

ليس الذي ولى وان أملته ... مما تحب إلى المنى مردودا
أني يلوم أخو النهي أيامه ... سفهاً ويكثر عندها التفنيدا
أسفاً لمن جارى الزمان ولم يزل ... بظبي المنية نحره مقصودا
أين الذي يخشى وينسى عمره ... يوماً على بعد المدى معدودا
لا بد أن يلقى المنون وان نأت ... وتأبدت أيامه تأبيدا
ولقد رأى من حكمها فيما مضى ... عبرا مشين معجلاً ووئيدا
كم جددت من ذي السقام واخلقت ... بعد الغضارة والنعيم جديدا
كم الفت من شاسعين وشتت ... بعد الاقامة والجميع عديدا
من كان في حقب الدهور مخلد ... أو كان في جمع العبيد عتيدا
تستعبر الأيام منه جدة ... بعد النعيم ولو غدا جلمودا
يهتكن عنقة والثبير ووائلا (١) ... وتحط بعد علوه عبودا
لا يطمئن إلى الزمان وريبه ... من كان لم يعهد عليه خلودا
فايأس فلا يبقى وان طال المدى ... من كان فوق أديمها مولودا
الوى بحمير والمقعقع بعده ... وأباد عاداً قبله وثمودا
يا صعب حقاً كل شيء هالك ... الا الآله الواحد المعبودا
هتكت خطوب الدهر عزك هتكة ... أمسى حسامك دونها مغمودا
أخذ الزمان من الشبيبة فرصة ... فارى الزمان وعصره محمودا
عمرت الفاً بعد الف قبلها ... في العالمين وقد دعيت وحيدا
يا سائلين عن الزمان وسيره ... مذ كنت منه مضغة موؤدا
أعطيت ما لم يعط قبلي قائم ... وجمعت جمعاً كالدبا محشودا
وجلبت أهل الأرض من آفاقها ... الفت املاً كابها وجنودا

---

(١) كذا في الأصل .

عج النساء لدى الحجون بمكة ... لما رأين حريمها مقصودا
فنحرت فيها الف الف ضحوة ... ودعوت قولاً بالمقام سديدا
فلقد أخم اللحم فيها برهة ... وحنذت لما ان أضل قصيدا
وقصدت آفاق الغروب بقدرة ... فوجدت نحساً عندها وسعودا
فهديت منها مؤمناً ذا همة ... وقسرت منها كافراً وجحودا
ما ان ارم لما أجاب مخافة ... حتى يظل عن الصراط لدودا
ورأيت عين الشمس عند سقوطها ... ووردت أمواج المحيط ورودا
وبلغت أعلام المشارق كلها ... أبقى لمن أبقى بهن حدودا
فوطئت يأجوجاً ومأجوجاً بها ... وبنيت قطراً دونها وحديدا
فجعلت عن سربيهما [1] مندوحة ... والفج عن صدفيهما معقودا
وولجت في الظلمات حتى جبتها ... خوفاً وكان رتاجها محدودا
ولقيت تحت الشمس قوماً خلتهم ... تحت الظلام خنازرا وقرودا
وعلى بني حام غدوت بسطوة ... بالنصين حتى بددوا تبديدا
فلقد كشفت الناس عن أسبابهم ... وبلوت منهم طارفاً وتليدا
ولقيت منهم أنوكاو ولبيبا ... ورأيت منهم عاجزاً وجليدا
يوماً [2] يشب من الحروب خمودها ... يوماً وتطفى للحروب وقودا
وعلوت في الدنيا بعزة قادر ... أكدت فيها للبقاء تأكيدا
حاولت أن أعطي الخلود وارتقي ... في الخافقين إلى السماء صعودا
فأبى لي الله الذي املته ... أمسى المنى دون الرضا مردودا
فالحنو للصعب المعبهل منهل ... يمسي به أمداً له ممدودا

---

(١) في هامش الأصل – شربها .
(٢) لعله قوما – ح .

سيموت من تنسى المنية يومه ... وتنال بنت الدهر منه بعيدا
سلَّ المفاصل والنفوس رهائن ... تزجي البوارق فوقهن رعودا
من ذاك يدري الاين من أرواحهم ... أو ما تراهم راقبين خمودا
حالان لا تلقى النفوس سواهما ... فيها شقياً خاسراً و سعيدا

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام عن أسد بن موسى عن أبي إدريس ابن سنان عن وهب بن منبه قال : لما نزل الصعب بن ذي مراثد بالحنو حنو قراقر من أرض العراق، مرض ثماني ليال ثم مات ثم غاب الخضر ، فلم يظهر إلى أحد بعده إلا إلى موسى بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين ودفن ذو القرنين بحنوقراقر ، فقال النعمان بن الأسود ابن المعترف بن عمرو بن يعفر بن سكسك المقعقع الحميري يرثي ذا القرنين الحميري :

بحنو قراقر امسى رهيناً ... أخو الأيام والدهر الهجان
لئن أمست وجوه الدهر سودا ... جلين بذاك للملك اليماني
لقد صحب الردى الفين عاما ... ولاقاه الحمام على ثمان
اذا جاوزت من شرفات جو ... وسرت بايلك برقة رحرحان
وجاوزت العقيق بأرض هند ... إلى الصوبات [1] والنخل الدواني
هناك الصعب ذو القرنين ثاو ... ببطن تنوفة الحنوين عانى
فمن صحب الزمان بغير صعب ... لقد صحب الزمان بلا أمان
هو الوزر الذي يلجأ اليه ... بنو الأيام من أنس وجان
لقد جاز الخلود إلى مداه ... وسار كما جرى فرساً رهان
ألم تر أن حنو الرمل أمسى ... لملك الدهر والدنيا مغان
فقل للنازلين بكل أرض ... لكم امن على بعد وآن

(١) في الأصل – الصوب .

وقال المحمود بن زيد بن غالب بن المنتاب بن زيد بن عملاق يرثي ذا القرنين بن الحارث ذي مراثد الملك الحميري :

اسمع ذا القرنين لما علا عن المغاني النبأة الشامله
فيا لها من نبأة لم تكن مصروفة عنه ولا حائله
يخدعها عن نفسه ساعة فيا لها من خدعة قاتله
فأصبح الصعب ذليلاً لما صبحه من صيلم نازله
لم يجهل الموت ولكنه قد جهلت أيامه الجاهله
لم يدفع الموت الذي جاءه بسكسك العز ولا عامله
سالوا على الدنيا كمثل الدبا ونفسه بينهم سائله
لم يصرفوا عنه سهام الردى لما أتته الرمية القاتله
فأصبح الحنو له منزلا أخرس لا ينبي به سائله
قد قدم المرء له عدة مستنصراً زاداً بلا راحله

قال ابو محمد : حدثنا أسد عن أبي ادريس عن وهب عن عبد الله بن عباس أنه سئل عن ذي القرنين ممن كان ؟ قال : هو من حمير وهو الصعب ابن ذي مراثد . هو الذي مكن الله له في الأرض وآتاه من كل شيء سبباً ، فبلغ قرني الشمس وداس الأرض وبني السد على يأجوج ومأجوج ، فقيل له : فالاسكندر الرومي ؟ قال : كان الاسكندر الرومي رجلاً صالحاً حكيماً بنى على بحر افريقس منارتين واحدة بأرض بابليون وأخرى في غروبها بارض ارمينية [1] ، وانما سمي بحر المغرب بأفريقس لأنه عظيم من عظماء التبابعة اكثروا الآثار عليه في المغرب من المصانع والمدن والآبار .

---

(١) في الأصل رومية .

قال: وسئل كعب عن ذي القرنين فقال : الصحيح عندنا من علوم أحبارنا وأسلافنا أنه من حمير وانه الصعب بن ذي مراثد والاسكندر رجل من بني يونان بن عيص بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل ورجاله أدركوا عيسى بن مريم صلوات الله عليه منهم جالينوس وارسطاطاليس ودانيال وجالينوس وارسطاطاليس من الروم من بني يونان ودانيال من بني اسرائيل نبي من أنبياء الله .

قال كعب : لم تكن الروم تروم ذلك ، ولا لها قوة ذلك . والذي بعث محمداً بالحق ، ما حمير في أهل الدنيا الا كالأنف في الوجه أو قال : بين العينين ولقد قال ، رسول الله صلى اللهعليه وآله وسلم : أوحى الله إلي (اني بعثتك أمياً وجعلت لك ما تحت قدميك وشددت ظهرك بمن خلفك من اليمن وجعلت لك ما بين يديك غنيمة العراق والشام والمغرب أما أنه ليزيدن الهدى فيهم وينقص من كل أمة) . فلا أدري قوله ليزيدن الهدى فيهم عنه أو رفعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال ابو محمد : رفع الحديث إلى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : كان ذو القرنين من حمير من أعظم تبابعتهم ، وهو الصعب بن ذي مراثد الحميري .

قال أبو محمد : عن أسد بن موسى عن أبي ادريس عن وهب قال : دخل عبدالله بن عباس بمكة على معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص بعد وفاة علي بن أبي طالب ــ كرم الله وجهه ــ ومعاوية وعمرو يقرآن سورة (الحمد لله) الكهف فقرأ معهم حتى قرؤا (وجدها تغرب في عين حمئة) فقرأ معاوية وعمرو وجدها تغرب في حين حامية من الحرارة وقرأ

عبد الله حمئة من الحمأة ، فقالا : يا بن عباس قرأت في عين حمئة من الحمأة وقرأنا نحن حامية من الحرارة ولنا صحبة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما هي لك ونحن اثنان وأنت واحد فعليك البيان أو فارجع إلى قراءتنا . قال لهما : نعم فخرج من عندهما فلقي كعب الأحبار فقال كعب : مالك يا أبا محمد أراك حثيثاً مشغولاً ؟ قال له عبدالله : نعم يا كعب الأحبار دخلت على معاوية وعمرو وهما يقرآن (الحمد لله الكهف) فقرءا (وجدها تغرب في عين حامية) وقرأت أنا (وجدها تغرب في عين حمئة) من الحمأة – فقال له : صدقت يا عبدالله والذي بعث محمداً بالحق نبياً ما أنزل الله على موسى ابن عمران في التوراة الا حمئة ، قال له عبدالله : صدق الله ورسوله . ولكنهما طلبا شاهداً من كلام العرب ، ثم مضى عبدالله بن عباس فلقيه نافع بن الأزرق فقال له : مالك يا ابن عباس ؟ فقال له : كما قال لكعب وادعا عليه قصة القوم ، فقال له : فأين أنت من قول تبع تبان ابي كرب في قوله حين غزا المدينة ومكة ورفع الجزية التي كانت بنو خندف يؤدونها إلى جرهم وطسم وجديس واليهود . قال له عبد الله بن عباس : ما الذي قال تبع أبو كرب ؟ قال نافع قال تبع ابو كرب هذه الأبيات :

نحن الملوك ذو العلا والسؤدد ... نحن الحماة بنو الهمام الأمجد

سميت أسعد والسعود طوالع ... لا بد أن ترقى النحوس لأسعد

أفبعد وائل والمقعقع بعده ... ترجو الخلود وأنت غير مخلد

أودى بيعفر والمعاقر فانقضى ... ملك تضعضع للزمان الأنكد

يعلو على الدنيا بعزة قـــادر ... يعلو العلو إلى المحل الأبعد [1]

نحن النجوم فلا نرام بهيضة ... منا المقاول في الزمان الأوحد

---

(١) ب – الاجد .

قدت الجياد إلى المشارق غازياً أضحت قلاع الروم قسراً في يدي
فقتلتهم قتل الجهول سفاهـــة وتركتهم ترك الشقيق المسعد
ما بال عيني لا تنام كأنمـــا كحلت مآقيها بسم الأسود
حنقاً على سبطين حلا يثربا أولا لهم بعقاب يوم مفســـد
فنزلت منزل عرصة في خيمة بين العقيق إلى بقيع الغرقد
حتى آتاني من قريظة عـــالم من خير حبر في اليهود مسود
قالوا ازدجر عن قرية محجوبة لنبي مكة من لؤي أحمد
فعفوت عنها عفو راج ربه وتركتها لعقاب يوم سرمد
وتركته لله أرجو عفــوه يوم الحساب من الحميم الموقد
ولقد تركت بها لمؤمن قومنا نفراً أولى حسب وبأس أيد
ومضيت قصداً نحو مكة عائذاً وتركت ترك مؤدب ومسدد
قوماً إلى البيت العتيق صلاتهم أكرم بقوم ركع أو سجد
قوم يكون محمد من نسلهم ان الكريم إلى الأكارم يهتدي
فدفعت عنهم جزية يعطونها في الدهر من حكم الزمان الأربد
ورفعت من احيا قريش عصبة وفككت عنها غل كل مقيد
ووهبتهم أموالهم وسلاحهم والسيف فوق رؤوسهم لم يغمد
لما أتوا يستنصرون أجبتهم بجواب لا وكل ولا متبلد
والأمر مسدود الحجاب متى يحك في قلب ذي عزم يغر أو ينجـــد
وهززت سيفي في وجوه معاشر طلباً لحق فيهم لم يـــردد
غضباً لما فعل اليهود بخندف يرمون جرهم في الوريط الأوهد
حلوا حماهم يعلمون حجازهم بيض الكنائس بالعبيد الحسد (1)

---

(1) كذا في الأصل .

أقسمت صدقاً لا أرى بشراً بها يأوي إلى طلح هناك منضد
ولقد آتاني من هذيل أعبد يستعجلون بشؤم يوم أنكد
قالوا بمكة بيت مال داثر ومعالق من لؤلؤ وزبرجد
فأردت أمراً حال ربي دونه والله يمنع من خراب المسجد
لما أرادوني بمكر جبتهم من عيشة الدنيا بحد مهند
فرددت ما أملوه مني فيهم وتركتهم مثلاً لأهل المشهد
فالحمد لله الذي صرف الردى عنا فلو لا مَنّه لم نهتد
بيت يطاف به وينحر حوله جزر لدى حرم وركن أسود
في رأس جلمدة شديد أسرها مما يشبهها سواد الأثمد
بيت به يوفي الحجيج نذورهم ويودعون طوافه للموعد
وأقام ذو القرنين فيها حجه خوفاً يطوف على اللظى المتوقد
اذ كان ذو القرنين جدي مسلما فمتى تراه له المقاول تسجد
طاف المشارق والمغارب عالماً يبغي علوماً من كريم مرشد
ورأى مسير الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثأط حرمد
فلقد أذل الصعب صعب زمانه وأناط قوة عزه بالفرقد
حكم الأمور وأحكمت أيامه تجري إلى أجل ولما يقصد
لم يدفع المقدور عنه قوة عند المنون ولا ائتلاف المحتد
من ذا يحيد عن الردى وسهامه تقضي على أوتاده وكأن قد (١)
قطع الزواخر لجة عن لجة وعلا المهامه فدفداً عن فدفد
فهدى القبائل أمة عن أمة وابار قتلا مفسداً عن مفسد
كم من عمي القلب أضحى مبصراً وعميد قوم سيد لم يهتد

---

(١) لعله تمضي على أوتارها — ح .

جريا بأمر غاب عنـــا حكمه نحس على فصل القضاء واسعد
فلرب مسعود أزاح عقاله ولرب غاو منهم لم يرشد
والله أجرى ذي الأمور بعلمه جعل المنية للأنام بمرصـــد

قال : فروى عبد الله بن عباس الشعر عن نافع بن الأزرق ، ثم دخل على معاوية وعلى عمرو فأتى به كما سمعه من نافع بن الأزرق ، فقال له معاوية وعمرو : علمنا أن مقرأك أقرب إلا أنا طلبنا منك سبباً تأتي بهذا الشاهد عليه ، ثم عطف معاوية على عبدالله بن عباس فقال له : يا أبا محمد هل تدري شكر تبع فيما فعل بقومك وما كشف عنهم ؟ قال له عبدالله : به جعله الله خيراً منك . قال لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم في قومك (أهم خير أم قوم تبع) ؟ قال معاوية : يا ابن عباس فما الخلب والثأط والحرمد ؟ قال : الخلب الحمأة،والثأط ما تحتها من الطين،والحرمد ما تحته من الحصى والحجر .

ولقد أتت العرب بالشواهد في أشعارها وخطبها بذي القرنين الصعب ابن ذي مراثد . قال امرؤ القيس بن حجر المقصور بن الحارث آكل المرار الكندي يذكر ذا القرنين الصعب بن ذي مراثد .

ألم يحزنك أن الدهر غـــول ختور العهد يلتهم الرجـــالا
أزال من المصادر ذا ريـــاش وقد ملك السهولة والجبالا
همام طحطح الآفاق وحيا وقاد إلى مشارقها الرعالا
وسد بحيث ترقى الشمس سدا ليأجوج ومأجوج الجبالا [1]

وفيه يقول قيس بن ساعدة الأيادي: ــ وكان قيس بن ساعدة أحكم

---

(١) قضية ماهنا أنه وصف لذي رياش والواقع أنه لذي القرنين فلعله سقط ذكره ــ ح.

* هكذا في ط حيدر آباد

العرب في زمانه وأخطبهم – حدثنا زياد البكائي عن محمد بن اسحاق المطلبي قال : أتى وفد أياد البيضاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اسلموا قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل فيكم قيس بن ساعدة ؟ قالوا له : مات يا رسول الله في العام الأول . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شهدته بعكاظ وهو على جمل أحمر وهو يخطب الناس ويقول :

معشر الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا ، أما بعد فانه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ، ان في السماء لخبرا وان في الأرض لعبرا نجوم تمور ولا تهور، وبحور تفور ولا تغور ، وسقف مرفوع ومهاد موضوع، ومولود يولد وحي يفقد، اقسم قيس قسماً بالله وما رفع ليطلبن من الأمر لخطا وان كان في بعض الأمر رضا ان في بعضه لسخطا وان بلغت لقد قصرت .

أن وراء هذا لعجبا – اقسم بالله أن لله ديناً هوأرضى من ديننا هذا الذي نحن عليه – مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون – يموتون ولا يحيون ارضوا بالمقام فأقاموا لم تركوا كلا ليبعثن وقال أبياتاً لا أحفظها – وكان صلى الله عليه وسلم لا يروي الشعر ولا يقوله فقال له رجل من الوفد – أنا أحفظها يا رسول الله – قال له – قل – فقال له الأيادي قال يا رسول الله هذه الأبيات :

في الـــذاهبـــين الأولـــين   من القرون لنـــا بصائر

لمـــا رأيـــت مـــوارداً   للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومـــي نحوهـــا   تمضي الأكابر والأصاغر

لا يرجـــع المـــاضي ولا   يبقى من البـــاقين غابر

فعلمت أنـــي لا محـــا   لة حيث صار القوم صائر

ثم قال رجل من الوفد ـ لقد شهدته قبل موته بعام يا رسول الله وهو على جمل وهو يخطب الناس ويقول : هيهات هيهات ـ أيها الناس كذب الكاذب وصدق الصادق وقد أفلا فاعتدلا ولا بد من موقف يشهد الشاهد ويحكم الحاكم ـ أين احسان المحسنين وإساءة المسيئين ـ كلا لتجدن كل نفس سعيها ـ أيها الناس هيهات والله هيهات كذب الأحياء الأموات يسكنون منازلهم فلا يعتبرون ويرون مضاجعهم فلا يتعظون ويأكلون تراثهم فلا يحزنون ـ ويعلمون ما يعلمون وهم آمنون ـ أما بعد فإن كل آكل مأكول وكل وارث موروث وكل ساكن ظاعن وكل آمن خائف اليوم يوم وغد يوم فغد سالب واليوم مسلوب والغالب خير من المغلوب ـ أيها الناس هل أتاكم ما لم يأت آباءكم الأولين أم أخذتم عهداً من السنين أم عندكم من ذلك اليقين ـ أم أصبحتم من ذلك آمنين ـ بل والله أصبحتم في غفلة لاعبين ـ أين الصعب ذو القرنين جمع الثقلين وأداخ الخافقين وعمر الفين لم تكن الدنيا عنده إلا كلحظة عين من لم يتعظ اتعظ بها ـ أيها الناس أين الآباء والأمهات والأخوة والأخوات والأبناء والبنات ـ أما ترون آيات بعد آيات وأمواتاً في إثر أموات إلا وأن علم الغيب باطن ونبأ الخلق ظاهر اضمحلت الأشخاص فذهبت العظام رفاتاً ـ كلا ليصلحن كل عامل عمله كلا بل هو الله إله واحد ـ ليس بمولود ولا والد أسكنهم التراب وإليه المآب.

أما بعد فإن الحي حكم بالموت أيها الأشهاد أين ثمود وعاد وأين الآباء والأجداد ـ أين الظالم والمظلوم ـ أين الحس الذي لم يسكن واين الوعيد الذي لم ينتقم واين الوعد الذي لم يتم ـ هل تعلمون أين ذهب أبرهة ذو المنار وعمرو ذو الأذعار ـ أم تدرون ما صار إليه عبادة الفتاح وأذينة الصباح وجذيمة الوضاح ـ عزوا فقهروا ونهوا وأمروا وبنو المصانع

والآبار وجدولوا الأنهار وغرسوا الأشجار واستخدموا الليل والنهار فكانا مطاياهم إلى دار القرار – أرسلوا مالهم وانتظروا ما يرجع به سؤالهم – ارتقبوا فلم يرقبوا – هجمت الآجال دون الآمال ألا وأن كل شيء إلى زوال وأنشأ يقول :

قد كنت أسمع بالزمان ولا أرى ... أن الزمان يطيق نتف جناحي
فأراه أسرع في حتى أصبحت ... بيضا متون عوارضي وصفاحي
وأنا الكبير بسنه في قومه ... هيهات كم راوحت من أرواح
صافحت ذا جدن وأدرك مولدي ... عمرو بن شمر يتقى بالراح
والقيل ذو يزن رأيت محاسه ... بالقصر بين مرامر الصفاح
فتك الزمان بملك حمير فتكة ... يسعى بكل مسأ وكل صباح
أودى ابو كرب وعمر وقبله ... وابار ملك أذينة الصباح
واباد افريقيس بعد مقامه ... بالمغرب المستغرق الفياح
والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً ... بالحنو بين ملاعب الأرواح
وغدا بأبرهة المنار فأصبحت ... أيامه مسلوبة الأصباح
اخنى على صيفي بحادث صرفه ... مستأثراً بجذيمة الوضاح
أم أين علكدة الهمام وملكه ... أم أين عز عبادة الفتاح
والعبد والهدهاد صارا عبرة ... طارا عن الدنيا بغير جناح
لا تمش [1] في شك الظنون أما ترى ... أيامه مشهورة الإيضاح
لا تأمنن مكر الزمان فإنه ... أودى الزمان بشمر الصباح

---

(١) لعله لا تمس .

من بعد ملك الصين أصبح شالكاً   أكرم به من هالك محتـاح
برك الزمان على ابن هاتك عرشه   وعلى المتمعقع حل بالاتراح
شخصت على بعد النوى أشخاصهم   فرآهم الأوهاج بالأشباح
أفبعد أملاك مضوا من حمير   أرجو الفلاح ولات حين فلاح
من ذا يصافق كفه كف الردى   يشرى البقاء عن بيعة الأرباح

قال أبو محمد : وفيه يقول الأعشى بني ضبيعة بن قيس بن ثعلبة :

والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً   بالحنو في جدث أشم مقيما

في شعر له

قال أبو محمد : ومما ذكرت العرب به ذا القرنين في أشعارها قول ربيع ابن ضبع بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدي بن فزارة بن ذبيان وكان معمراً(عمر مائتي عام)وكان أحكم العرب في زمانه وأشعرهم وأخطبهم وشهد يوم الهباءة وهو ابن مائة عام وكان من انجد فارس في حرب داحس وهو القائل في يوم شبيم وامر شبيم [١] : ظلمتم يا بني فزارة والظلم عاقبته وخيمة . فداووا الظلم بالرفق أو فأنتم شاة الذئب وغرض الرامي . وقال لحمل بن بدر عند هزيمتهم :

يا حمل هل تعلم ما لا أعلمه   سديت غزلاً لا تطيق لاحمه
والظلم للظالم حتماً يلجمه   ألا ترى قيساً تأطّت أسهمه

يقتل ذا الظالم ومن لا يظلمه

وكان انجد فارس يوم الهباءة حبس خلف بني فزارة حتى بلغوا

(١) كذا في الأصول .

حريمهم ، وهو القائل يوم الهباءة لما حبس خلف بني فزارة حتى أثخن جراحاً فقال :

رأيت موتين علينا نـــزلا موتي وموت الغر من قومي الملا
بذلت روحـــاً دونهم معجلا كيما ألاقي الموت منها منهلا

قال أبو محمد : لما كبر وخرف وأدرك الإسلام فقال قوم : أسلم وقال قوم : لم يسلم منعه قومه ذلك ، قال أبو محمد : جمع بنيه وبني بنيه فقال لهم : (١)

ألا أبلغ بني بني ربيع فأشرار البنين لهم فداء
بأني قد كبرت ودق عظمي فلا يشغلكم عني النساء
وان كنانتي لانت بقسر واني لا أسر ولا اساء
اذا جـــاء الشتاء فدثروني فان الشيخ يهرمه الشتـــاء
وان دفع الهواجر كل قر فسربال خفيف أو رداء

ثم قال : يا بني اجمعوا لي بني ذبيان ، ثم قال : يا بني فزارة بن ذبيان من أعزكم ؟ قالوا : أنت يا أبا سالم . قال : ان لكم أن تدوسوا أعزكم عليكم بأرجلكم ، فذلك ارفع لقدره عندكم . يا بني ذبيان آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع : آمركم بالحلم فإنه بحسن المعاشرة والجود فإنه يزرع المودة ، وآمركم بحفظ بعضكم بعضاً يهابكم الناس الأباعد ، وآمركم بالعلم فإنه زين ومحبة في قلوب العالم . وأنهاكم عن السفه فإنه باب الندم ومنزل الذل وأنهاكم عن البخل فإنه سلم السب ، وأنهاكم عن التخاذل فإنه آفة العز ، وانهاكم عن الجهل فإنه رزية ومهلكة واسألوا عما جهلتم فإن

(١) انظر كتاب المعمرين لابي حاتم – ك .

في السؤال هدى وفي الصمت على الجهل عمى ولا تستصغروا من لا تعرفونه ولا تحسدوا من لاتدركونه ولا تحمدوا غير كريم ولا تبخلوا على شريف [1] ولا تفضلوا على غير محتاج فيذهب فضلكم هباء ولا تمنعوا السائل فان منعه مقت ولا غيبة [2] فانها قرض مردود ولا سيما أنها تعقب . يا بني ذبيان : اجعلوا قبري علماً فاني قدمت في الناس خبراً فانه شأن وذكر حسن وتركت للبنين فخراً ، ولو قدمت سيئاً أمرتكم أن تخفوه فانه علم السب احفظوا قولي فانه مقامي ورائي فيكم ، وانشأ يقول :

لقد عزفت نفسي عن اللهو جمه ... وان نهلت من لهوها ثم علت
رأيت قروناً بعد قرن تقدمت ... فلم يبق الا ذكرها حين ولت
ألا أين ذو القرنين أين جموعه ... لقد كثرت أسبابه ثم قلت
خرفت وافنتني السنون التي خلت ... فقد سئمت نفسي الحياة وملت
تجاوزت في يوم الهباة هنيدة ... والفيت عوداً حين ما حين حلت
فكم مشهداً وردت نفسي وطيسه ... أجشمها مكروهه حين كلت
وكم غمرة ماجت بأمواج غمرة ... تجرعتها بالصبر حتى تجلت
وكانت على الأيام نفسي عزيزة ... فلما رأت عزمي على الأمر ذلت
هي النفس ما منيتها تاق شوقها ... والا فنفس أويست فتسلت

وقال أيضاً الربيع بن ضبع :

ألا يا لقومي قد تبدد اخواني ... ندامای في شرب الخمور واخداني
وأنسى قليلاً ثم آتي سبيلهم ... فتبلى عظامي يال سعد وذبيان
وابلى ويبقى منطقي بعد ميتتي ... وكل امرىء الا أحاديثه فاني

---

(١) في الأصل غير شريف .
(٢) كذا في الأصول .

سيدركني ما أدرك المرء تبعاً ... ويغتالني ما اغتال أنسر لقمان
أحار مجير النمل من عز ملكه ... وأنزل سيف البأس من رأس غمدان
والوى بذي القرنين بعد بلوغه ... مطالع قرن الشمس بالأنس والجان
أنا بين يومين فامس الذي مضى ... وصرف غد لا بد بالحتم يلقاني
ألم تر أن الدهر يا قوم طالب ... وان لم أكن يوماً لأوتاره جاني
سيأخذ ما أعطى وان كان محسناً ... وما كان من شرح الشبيبة أولاني

وقال أيضاً الربيع بن ضبع :

قل للذي راح عن أخيه وقد ... أودعه حين ودع الحجرا
هل أبصرت عينه له أثراً ... أو سمعت أذنه له خبرا
أين همام الجديل اذا مرا ... وأين رب السدير اذ قدرا
أين بنو هود النبي ومن ... شمر عن راحتيه وابتكرا
والصعب لما عتت أرومته ... وخان ريب الزمان فادكرا
لم يدفع الموت بالجنود ولا ... رد بأسباب علمه القدرا
فاز على الدهر ينحني[1] فرمى ... فوق جناحي ومفرقي شررا
لا تعجبي يا أميم من صفتي ... فقبل ما كنت أخسف القمرا
أصبو بهند وزينب أمماً ... ونسوة كن قبلها دررا
لما رماني الزمان عن عرض ... وقا مرتني خطوبه قمرا
أصبح عني الشباب قد حسرا ... أن ينأ عني فقد ثوى عصرا
ودعنا قبل أن نودعه ... لما قضى من جماعنا الوطرا
أصبحت لا أحمل السلاح ولا ... أملك رأس البعير ان نفرا
والذئب أخشاه ان مررت به ... وحدي وأخشى الرياح والمطرا
من بعد ما قوة أسر بها ... أصبحت شيخاً أعالج الكبرا

(١) لعله نازعني الدهر بهجتي .

ها أنا ذا آمل الخلود وقـــد أدرك عقلي ومولدي حجـــرا

وقال أيضاً الربيع بن ضبع

طال الثواء عن السنين اميما القى عذاباً للزمان اليما
أنسيت أم لم انس ام عاهدتـــه فوجدته بعد السفاه حليما
لا بد أن القى المنون وان نـــأت عني الخطوب وصرفه المحتوما
هلا ذكرت له العرنجج حميرا ملك الملوك على القليب مقيما
والصعب ذو القرنين عمر ملكه الفين امسى بعد ذاك رميما
ونبت به أسبابه حتى رأى وجه الزمان بما يسوء نسيما [1]
امن الأمور أخو الدهور فهل رأى ذا مرة من قبله معصومـــا
طال الزمان وطال عني غيبه ما زال من قبلي الزمان قديما
الوى بشمر والمقعقع بعـــــده واباد سعداً بعده وتميما
لما حشون حشا علي لطيفـــة واستحسن القيصوم والتنوما [2]

وفيه يقول الربيع بن ضبع بسوق عكاظ عند صلح عبس وذبيان .

قال أبو محمد : لما همت عبس بصلح ذبيان قام بأمر الصلح بينهم عوف ابن حارثة بن أبي حارثة وحصن بن حذيفة وكان عوف بن مرة بن سعد بن ذبيان وكان حصن عن فزارة بن ذبيان وقام هرم بن سنان بن أبي حارثة المري عن بني عبس . قال : لما آتى بنو عبس بدية بني ذبيان ، وأتى بنو ذبيان بدية عبس ، وقع على حصين بن ضمضم المري عشرة أبكار وكان بخيلاً أكولاً لحماً ، وكان فارس بني ذبيان فأدركه البخل فأراد نقض

(١) لعله مسيما .
(٢) كذا في الأصول .

الصلح وقال : والله يا بني عبس لا نصالحكم الا الصلح المخزية جدع الأنوف والأذنين ، فقال الربيع بن زياد : الحريم ولج الغريم وطال الشر وغدر الدهر . فغضب عنترة وقال : يا حصين الحرب خير لي والصلح خير لك . فدونك أضعفنا حقاً خسره الله فأرسلها مثلاً ، قال حصين : أيها الغراب جار بك الخطاب اسكت يا بني عبد شمس [١] ، قال له عروة بن الورد العبسي — وكان رأس الصعاليك وأجسرهم — : يا حصين شهدتك وأباك وأخاك وأنتم تسألون العرب بسوق عكاظ سنة المسغبة ؟ قال حصين : كف أيها الصعلوك الشاعر ، فقال عروة ارتجالاً :

أرى الناس في الآفاق جما وانني ... على كل فج خائف الشعب واحد
لي الذئب ندمان ولي الليث صاحب ... تثور اذا أحدر النعام الشوارد
أطيل الطوى حتى اذا برح الخفا ... طعمت يسيراً والتجمل رائد
وما بي أملاق ولكن تكرما ... أشيد ما شاد الكرام الأماجد
ولست كمن يمسى بطيناً وانه ... يبيت خميصاً جاره وهو راقد
أنيل نوالي الأقربين وانه ... ليدرك معروفي الأقاصي الأباعد
أفرق جسمي في جسوم كثيرة ... واحسوا قراح الماء والماء بارد

وقال الربيع بن ضبع : يا حصين تعرضت للسب ، وقال الربيع :

دار الصديق إذا استشاط تغيظا ... والغيظ يخرج كامن الأحقاد
ولربما كان التعصب باحثا ... لمثالب الآباء والأجداد

وقال عروة بن الورد يهجو حصين بن ضمضم :

لن يكن [٢] فارس الهياج هجيناً ... ان شداد لم تلده العبيد

---

(١) كذا في الأصول ولعله يا عبد بني عبس والله أعلم .

(٢) هذا الشعر ليس في ديوان عروة وهو ظاهر التوليد — ك .

هل يجور الحطاب ليث عرين ولنار الخطوب فيه وقود
ان خير العشير من جمع الشمل وعاد بما تساد الصيد
ويلك أمر الاله في كل حين وقضاء بكل يوم جديد
أين طسم ورائس وجديس ثم عاد من قبلها وثمود
لم أبيت الرشاد من سلم عبس وآتانا من دون ذاك الوعيد
أنت أوعدت للحروب وعيدا ذاك وعد يأتي بك الموعود
انما عاقك العشار عن السلم وطعم الحروب مر شديد
صدك البخل عن حريمك حتى جئت بالشؤم والبخيل صدود
هل تخوفت ما مضى من سؤال وزمان الردى عليك يعود
ان من عضت الكلاب عصاه ثم أثرى حقيق ألا يجود

فجعل بنو عبس وبنو ذبيان أمرهم إلى حكم الربيع بن ضبع . فقام الربيع بعكاظ بين عبس وذبيان خطيباً فقال : أيها الناس أصاب الاياس وأخطأ القياس ، وبين الحق والباطل التباس — أيها الناس من عبر غبر وكل عثار جبار وكل فائت مطلول — يا بني ذبيان الخير والشر على اللسان والنجاة في البيان . يا بني ذبيان : داروا الحروب فانها تذل ، يا بني ذبيان : طلب الثأر ضالة الأشرار ومزالق الأعمار وهلاك الأخيار ، أخوكم عبس عدوكم أمس فطلاب أمس الذاهب هلاك غد المقبل هلا سألتم عن الأحقاد طسم وجديس وعاد.اعلموا أن كل ذاكر لناس وكل مقيم ظاعن وكل ثابت زائل وبين (١) الأموات موت الأحياء والسرعة إلى الآجل ذهاب العاجل والذل غنيمة الظالم وقال :

على حرج يا عبس أضحى أخوكم وبت على أمر بغير جناح
حذار حروب الأقربين وانه ليأتي افتلاتاً وجه كل صباح

(١) في ل — وبغي الأموات

أخاك أخاك ان من لا أخا له كساع إلى الهيجاء بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحـــه وهل ينهض البازي بغير جناح
لنا عظة في الذاهبين وعـــبرة تفيد ذوي الألباب أمر صلاح
ألم تعلموا ما حاول الصعب مدة وما صبح الساعي وآل رزاح
فهل بعد ذي القرنين ملك مخلد وهل بعد ذي الملكين يوم فلاح
تريش له الأطيار عند غـــدوه وتجنح أن اومى لها بـــرواح

فاصطلحوا على حكمه .

قال أبو محمد : قال أبو مخنف عن كميل بن زياد النخعي أنه لما سار عمر بن الخطاب إلى الشام في خلافته سار بعلي بن أبي طالب من المدينة إلى الشام ، فلما بلغ إلى الشام وعبر وادي الأردنين قال : قاتل الله الربيع بن ضبع حيث يقول :

وكم غمرة ماجت بأمواج غمرة تجرعتها بالصبر حتى تجلت
وكانت على الأيام نفسي عزيزة فلما رأت عزمي على الأمر ذلت
هي النفس ما منيتها تاق شوقها والا فنفس أويست فتسلـــت

فزاد علي بن أبي طالب — كرم الله وجهه — عليه بيتاً فقال :

وما جزت وادي الأردنين تطرباً ولكن أموراً وكلت بي فحلت

وفيه يقول طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، حيث يقول :

وكيف يرجى المرء دهراً مخلـــدا وأيامه عما قليل تحاسبه

ألم تر لقمان بن عاد تتابعت ... عليه نسور ثم غابت كواكبه
وللصعب أسباب تجلت خطوبها ... أقام زماناً ثم بادت مطالبه
اذا الصعب ذو القرنين أزجى لواءه ... إلى ملك ساسان فقامت نوادبه
يسير بوجه الحتف والعيش جمعه ... وتمضي على وجه البلاد كتائبه

وقال أوس بن حجر السعدي :

حنانيك يا أوس بن حجر فانه ... سيفقد من جاري الأمور ويهلك
وتجري الليالي بانتقاص وفرقة ... وان سبيل الصعب لا شك يسلك

(ملك أبرهة)

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : لما مات ذو القرنين الصعب بن ذي مراثد ، ولي الملك ابنه أبرهة ذو المنار سماه الصعب على اسم ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ، وانما سمي أبرهة باللسان الحبشي وتفسيره وجه أبيض . قال أبو محمد : كان أبرهة أبيض وسيماً جميلاً . فلما دفن أبرهه أباه ذا القرنين الصعب بن ذي مراثد بالحنو حنوقراقر في رمل العراق ورجع بعساكره ، ظهرت لهم الزمردة بعد موت ذي القرنين وهي صنف من الحيات تسكن الرمل قصيرة لها رأسان في طرفيها وما أكلت بهذا الرأس القته برأسها الآخر وهي لا تظهر إلا في النهار وتعمى في الليل لأن جميع حيوان الأرض لا يستطيعها يسري سمها في الأبدان كسير البرق في الهواء تفر منها الثعابين والشجعان والأفاعي ، فلما كثرت على عساكره الزمردة ذات الرأسين أضرت بعساكره ضراً شديداً . فكان يعرس نهاراً ويسير ليلاً فكانت تضل العساكر في الليل بعضها عن بعض فأمرهم أن يوقدوا النيران على رؤوس الجبال ليهتدوا بها . وهو أول منار جعل في الدنيا

فسمي بذلك أبرهة ذا المنار . فسار أبرهة حتى نزل بالمشلل ، وكان أجمل الناس وجهاً فرأته امرأة من الجن فعشقته فهجمت عليه ليلاً إلى فراشه . قالت له : أيها الملك إني عشقتك وليس لي منك بد وأنا حنيفية على دين ابراهيم ، وأنا لا أرضى بالزنا ولا أدين به فاختر من أربع خلال أي خصال واحدة ان شئت قتلتك وان شئت أعميتك وان شئت أبرصتك والا فتزوجني . قال لها العاقل اذا خير اختار أنا أختار منك العافية يا عيوف فذهبت مثلا فأتته بنفر من الجن فيهم الرابع [1] أبو هافز وجه اياها قال له الرابع : أيها الملك منزلي وادي الجن بالمشلل من أرض جو وهي أرض اليمامة اليوم – وان الأنس ينزلون وادي الجن من أرض الجو فتتعرى نساءهن إلى رجالنا ويتعرى رجالهم إلى نسائنا . قال له أبرهة : أنا أبدر [2] اليهم وأمنعهم من أن ينزلوا بوادي الجن وهم لا ينزلونه ما عشت فمن نزله أحرقوه بالنار ، فكان حرماً عند العرب حتى أتى رهط من بني حلوان بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير فنزلوه فبينما هم نائمون في جوف الليل اذ سمعوا دوياً وهينمة وناداهم مناد : انما هذا محرم الرابع وحمي أبرهة وأتتهم نار عظيمة فأكلت أموالهم وأكلت أناساً وولوا هاربين فسمي ذلك الموضع الحرقانة [3] فهو اسمه إلى اليوم . حدثنا أبو مالك عن زياد البكائي عن محمد بن اسحاق المطلبي : أن عمر بن الخطاب دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم فوقف بين يديه رجل كالنخلة السحوق فقال له عمر : من أنت ؟ قال له الرجل : أنا حارق ، قال له عمر : ابن من ؟ قال له : ابن شهاب ، قال له عمر : وأين مسكنك ؟

---

(١) ل – الرائع وكذا في المواضع كلها – ك .

(٢) ل – أنظر اليهم .

(٣) في الأصل – الحرمانة ول – الحرفانة .

قال له الرجل : بالحرقانة حرقانة الجو . فقال له عمر : ويحك ادرك أهلك فقد احترقوا . قال : فرجع الرجل إلى الحرقانة فأصاب قومه قد أقبلت عليهم نار ليلاً فاحترقوا ، وكان عمر أعيف العرب في الجاهلية وأزجرها ولقد حكم بالقيافه .

قال أبو محمد : وان العيوف ابنة الرابع ولدت لأبرهة ولدين العبد ذا الأشرار وعمراً ذا الاذعار ، وفي العيوف يقول طرفة بن العبد بعد ذلك الزمان ويقال أنه للرابع الجني حيث يقول :

لابنة الجني بالجو طلل ... حله الرابع حيناً وارتحل
حرم الجن على الانس فمن ... شاء بعد الملك والرابع حل
حل منه ذو منار أهلـه ... فتولى الجمع عنه واحتمل
كل ما حل عليه رائـد ... أوقدت نار عليه فاشتعل
كم به من ذات دل حسن ... وقوام ووسام ومقـل
وجواد وهمام حازم ... عاقه عنهم زماناً ونـزل

قال أبو محمد : ثم ان برهة ذا المنار جمع الجموع العظيمة وسار يريد المغرب أرض بابليون فأرسل اليه حلوان بن امرىء القيس بن عملاق بن عمرو بن امرىء القيس بن عمرو بن بابليون بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم — وعمرو بن باباليون هو فرعون ابراهيم بمصر -- فسار أبرهة يريد حلوان بن امرىء القيس إلى مصر أرض بابليون ، وقد رجعت اليه الحبشة وبنو ماريع بن كنعان ، فسار أبرهة بجموع عظيمة حتى بلغ مأرب ثم سار حتى بلغ الأحقاف حتى بلغ نهر الحفيف . فأصابوا بنهر الحفيف نصل سهم قد رشق في شق من صخر في صخرة منيعة وقد عفن القدح ، فذهب وبقي النصل فأخذوه فوجدوا بجانب منه مكتوب

بخط من ذهب :

لقلبك من بين الخليط سواد وحلت بموماة العراق سعاد [1]

نأى النوم عن طرف المشوق فهل له بطرف الذي يهوى عليه سهاد

ألاهل إلى أبيات سمح بذي اللوى لوى الرمل يوماً فاعلمن معاد

بلاد بها كنا وكنا نحبهـــا اذ الناس ناس والبلاد بلاد

وفي الجانب الآخر مكتوب :

ألا حبذا العيش السنين التي خلت وأيامنا دهر الملوك المقــاول

خرجنا لنبني الملك للناس بعدنا ونتبع آثـــار القرون الأوائل

على عهد ذي القرنين والمرء حازم يموت ويخلى للأمور النوازل

رأى سبباً والله بالغيب عــالم فقام ولم يرقب مقالة قائل

فقرأوا تاريخ السهم فأصابوا مكتوباً فيه بالمسند لذلك السهم الف عام مذ سقط في ذلك المكان . فسار أبرهة بجموعه حتى دخل مكة فنذر وأقام حجه ، ثم أخذ على الشام يريد أرض [2] بابليون مصر وحمل ابنه العبد في السفن إلى أرض الحبشة فبلغ ذلك الحبشة فولوا منهزمين ولحق أبرهة بحلوان فتبع الحبشة على النيل وأمر حلوان أن يتبع بني ماريع بن كنعان إلى البحر المحيط من أرض المغرب ، وسار أبرهة في طلب الحبشة وأن العبد بن أبرهة مضى على وجهه في أرض الحبشة فقتل وسبى حتى تضلل ولم يدر أين يسير وغرق في المخالب ، فكاد يهلك ويهلك من معه ، وكان العبد بن العيوف الجنية ، فطلع على جبل من جبال أرض الحبشة في الليل ، فقال : يا معاشر الجن أنا العبد بن العيوف بنت الرابع فاعطوني منكم دليلاً كيلا أضل فسمع

---

(١) لعله شراد .

(٢) ل – حلوان بن بابليون .

صوتاً وهو يقول :-

خذ الجانب الغربي تنجو مسلماً   على النيل تحدوك المناهل ياعبد
وخذ لبني حام من الأمر صعبه   إذا ما بدت للناس أوجهها الربد
وعند حراج الأمر لو وبعده   مقالة ليت لا يهولنك البعد
فانك تلقى أمة ليس مثلها   على الأرض أقواماً جدودهم نكد
يكون مجال [1] عنده الموت نازل   ويدخل فيه النحس اذ ذاك والسعد

فرجع إلى الموضع الذي أمره به فأصاب النيل ، فسار عليه شهراً حتى فرغ النيل وانقطع عنه وذهب عنه أشهراً حتى لقي قوماً سوداً قصاراً [2] بيض العيون ليست لهم أعناق وجوههم على الصدور ، فقاتلهم فغلب عليهم وأسر منهم أمماً وأصاب منهم مالاً كثيراً وأصاب إذ جاءهم الذهب يدخر كما يدخر البر فغنم مالاً كثيراً وسبى أمماً من الحبشة ، وقدم اليمن وقد عبر بحر النجاة [3] ونزل بحرم مكة فجعل العرب يختلفون إلى الأسرى من الحبشة ويتعجبون من خلق أمم مختلفة ، وأن أبرهة ذا المنار قفل من أرض الحبشة راجعاً ، فأخذ على ساحل البحر حتى وصل إلى أرض بابليون ، ثم أخذ على الشام وبلغ الدرب فلقيته هدايا الروم وأهل أرمينية ، ثم سار حتى بلغ مكة فلقيه ابنه العبد بسبايا الحبشة . فرأى قوماً قصاراً فأمر بهم أن يمضي بهم إلى أرض البحرين وعمان يخدمون المراكب فيزعمون أن النوتيين الذين كانوا بعمان والبحرين من بقايا سبايا الحبشة الذين سبي العبد بن أبرهة ، ثم

---

(١) لعله تكون بحال .

(٢) في الأصل عقار بيض العيون قصار الأعناق ليست ... الخ .

(٣) لعله البجاء .

رجع أبرهة إلى غمدان وهو دار مملكة التبابعة . فكان ملك أبرهة ثلاثمائة سنة وستين عاماً ، ثم مات فرثاه المحموم بن زيد بن غالب بن السياب بن عمرو بن ذي أنس بن قدم بن الصوأر بن سكسك فقال :

أزفت خطوبك يا أبن هاتك عرشه ... لم تدر حتى صبحتك بذالكا
عاصيت ذا اذ لم يكن لك عاجل ... وأطعت ذاك إلى مدى اذ لا لكا
فلقد بلغت من البلاد مبالغاً ... يا ذا المنار وضعضعت لجلالكا
قدت الجنود إلى الجنود سريعة ... وحملت منها على السفين كذالكا
سرت الجيوش فأمعنت في سيرها ... ما تهتدي إلا بنور جمالكا
حتى وطئت جميع حيث تغلبت ... أسباط حام فاهتدت بهلالكا
أوغلت عبداً فاستقر به النوى ... حتى تشرد حالهم عن حالكا
فسقيتهم سجلاً بكل مهند ... حتى أبرت حرامهم بحلالكا
فآتاك بالنسناس خلق وجوههم ... فوق الصدور وليس مثل رجالكا
زالت لك الشم الشوامخ هيبة ... لما قصدت إلى الوغى بنزالكا
قالت لك الأرضون سمعاً وطاعة ... لم تستطع أن تصطبر لقتالكا
قد قصرت همم الزمان عن التي ... كانت لمن جر الكتائب سالكا
أنا هديت وأنت هاد للتي [1] ... لما سعيت لمنتهى آجالكا
من ذا يجاري من سموك خطة ... هيهات من يهدي لحسن فعالكا
خضع الملوك لوجه ملكك هيبة ... لم ينج من حتم المنية ذالكا

(ملك العبد بن أبرهة)

قال أبو محمد عبد الملك : عن محمد بن السائب الكلبي : لما مات أبرهة

---

(١) بالأصل كانت عرحرا سالكا .
(٢) كذا فليتأمل .

ذو المنار ولي الملك بعده ابنه العبد بن أبرهة وهو ذو الأشرار ، وانما قيل له ذو الأشرار لأن الحبشة هم الأشرار وكان العبد هو الذي غلب على جميع أرض الحبشة وسباهم أمماً وساقهم في الأغلال إلى مكة ، وهو أول من رأت العرب في زمانه داء الكلب . وداء الكلب داء يعرو الدماغ فيسكن من حركته فلا يبرأ حتى يسقى الخمر بدم من دماء بني مذحج ، قال عبد الله ابن حزم الأزدي :

وجوه بني زبيد ان تجلت ... إلى الأبصار تخطف كالبروق
اذا نطقوا يزينوه بعدل ... وان صمتوا على علم حقيق
وان فخروا آتوك بعز بأس ... وبالأفعال والحسب العتيق
دماؤهم على الأشفار أشهى ... إلى الكلبي من المسك الفتيق

وقال حصين بن الحمام المري لبني العنقاء حين أعطاهم ابنه ديا رهينة فابوا :

خذوا ديّا بما أحدثت فيكم ... فليس بكم على داب غلاء
فلستم من بني عمرو بن عمرو ... ملوك والملوك لهم نماء
ولا العنقاء ثعلبة بن عمرو ... دماء القوم للكلبي شفاء

زعم أنه من بني زبيد وذلك ان بني مرة بن سعد بن ذبيان يزعمون أنهم من بني زبيد واما عبد الله بن حزم في قوله :

دماؤهم على الأشفار أشهى ... إلى الكلبي من المسك الفتيق

أراد أن دماءهم أطيب من المسك الذي يبري الدماغ عن داء الكلب وذلك أن النتن [1] إذا خامر الدماغ أفسد طبيعته وأضعف قواه .

---

(١) كذا — ولعله السم .

قال عبد الملك : وولي أمر الملك العبد بن أبرهة بن الصعب فغزا الملوك ودانت له العرب والعجم وخضعت له الملوك فأقام في الملك ستين عاماً ، ثم سقط شقه من الفالج ، فلم يغز بنفسه وكان يرسل الجيوش فدخل عليه الوهن في ملكه ، ثم عدا عليه الفالج فمات وكان ملكه ستين عاماً .

(ملك عمرو بن أبرهة)

وولي الملك أخوه عمرو بن أبرهة وهو عمرو ذو الاذعار وأمه العيوف بنت الرابع الجنية ، وقد أبى من هذا عامة الناس وزعموا أنه لا يظهر الجن للأنس وأنه لا يتناسل جنسان مختلفان ولا ينسل أنسي من جنية ولا جني من أنسية وان هذا باطل وأتى بهذا الحديث علماء والله أعلم أي ذلك كان .

قال أبو محمد : لما ولي عمرو ذو الاذعار الملك قهر الناس بالملك وذعرهم بالجور فلا يرفق لقريب ولا بعيد وأسرف على العرب بالسلطان وشرد الناس ووسم من سخط عليه بالنار من أبناء الملوك وبدل على الناس السيرة التي كانوا عليها يعرفون . فذعر الناس من خوفه ذعراً شديداً وبه سمي عمرو ذو الاذعار وأنه كان يزني ببنات الملوك من حمير ، فيؤتى بهن أبكاراً وغير أبكار فكن يشربن معه الخمر وكان ينادمهن على الخمر ويصيب منهن حاجته ، فلما فعل ذلك بحمير كرهوا أيامه وابغضوا دولته وكان شرحبيل بن عمرو بن غالب بن السياب [١] بن عمرو بن زيد بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ نازلاً بمأرب في قصر بينون ولم يكن بني مثله ومثل قصر غمدان وسلحين باليمن ، فجمع شرحبيل حمير وقبائل بني قحطان ممن كان بمأرب ، ثم قام فيهم خطيباً ، فقال : يا بني قحطان

(١) ل – المنتاب .

النساء هن الحمى فدون الحمى سفك الدماء هل جزعتم يسمكم بالنار فالنار ولا العار . والصبر صبركم وصبر كفر [1] . فقد صبرتم على ما لا يصبر عليه أحد . أغضبوا لله ولاعراضكم قبل أن تخذلوا ويسلط عليكم النقم وتسلبوا النعم وتلبسوا الذلة فلم كسبتم الأنساب [2] واعتدتم اللامــات فتنافست فيكم الأحساب اذ لا تدفعون عن الحريم وتكشفون الضيم . قد شكت الأرحام وضجت إلى الله من الآثام . فاما عزة وسلامة أو ذلة وندامة وناصر الله منصور اما والله لئن لم تغضبوا لله ولانفسكم لأضعن سيفي هذا على صدري فأخرجه من ظهري . فالموت عن مثلكم حياة والذهاب عنكم نجاة فقدموه فيهم وملكوه .

(ملك شرحبيل)

فولى الملك بمأرب شرحبيل بن عمرو بن غالب فرجع الملك في نجلته [3] ، الأولى نجلة يعفر بن سكسك ، فجمع القبائل من قحطان وأجابته حمير للذي أراد الله من انقطاع دولة ذي الاذعار ،وبلغ خبر شرحبيل بن عمرو إلى عمرو ذي الأذعار فجمع جنوده وزحف اليه وزحف اليه شرحبيل بن عمرو فالتقوا بالعالية فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم افترقا ومات بينهما خلق كثير . ثم رجع عمرو ذو الاذعار إلى غمدان ، ورجع شرحبيل إلى بينون فأقام شرحبيل في الملك سنة ثم مات .

(ملك الهدهاد ابنه)

وولى ابنه الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو وهو الهدهاد أبو بلقيس الملكة

---

(١) كذا – والمعنى صبر حلم وصبر ذل – ح .
(٢) ل – الأسياف .
(٣) بالأصل نخلته .

باليمن ، وكان الهدهاد بن شرحبيل رجلاً شجاعاً حازماً .

قال أبو محمد ، حدثنا ابن لهيعة عن مكحول عن أبي صالح عن ابن عباس قال : أنه لما ولي الهدهاد بن شرحبيل ، زحف اليه عمرو ذو الاذعار وبرز اليه الهدهاد والتقوا بموضع معروف باليمن فتحاربوا أياماً فلما فصل العسكران ، وبرز بعضهما إلى بعض ، خرج الهدهاد على ناقة في زي اعرابي حتى وصل إلى عساكر عمرو ذي الاذعار ، فطاف به وتدبر عساكره ، ثم سمع لغطهم وما يتوعدون به عمراً ذا الاذعار من الخذلان واسترق ما يريدون له فزاده ذلك عزماً إلى لقاء عمرو ، فانصرف الهدهاد يريد عساكره ، فسار حتى بلغ إلى شرف العالية في يوم قائظ أجرهد [١] فيه الصخور ، والتهبت الهواجر وقال الضب : فنظر إلى شجاع أسود عظيم هارب وفي طلبه شجاع رقيق أبيض فأدركه فاقتتلا حتى لغبا ، ثم افترقا ، ثم أقبل الشجاع الأبيض إلى الهدهاد فتشبث معذراع ناقته حتى بلغ رأسه إلى كتفها ففتح فمه كالمستغيث ، فرد يده الهدهاد إلى سقائه . فصب الماء في فيه حتى روي ، ثم عطف في طلب الأسود فأدركه فاقتتلا طويلاً فلغبا فافترقا ، وأقبل الأبيض إلى الهدهاد كما فعل أولاً كالمستغيث فصب الهدهاد الماء في فيه حتى روي ، ثم أقبل على الأسود وأخذه ، فلم يزل الأبيض حتى قتل الأسود . ثم مضى على وجهه حتى غاب عنه ، ومضى الهدهاد إلى شعب عظيم فاختفى فيه ، فبينما هو مستتر بشجر اراك إذ سمع كلاماً فراعه فسل سيفه فأقبل اليه نفر جان حسان الوجوه عليهم زي حسن فدنوا منه فقالوا : عم صباحاً يا هدهاد . لا بأس عليك وجلسوا وجلس

---

(١) بالأصل أحدهد .

فقالوا له : أتدري من نحن ؟ قال : لا . قالوا : نحن من الجن ولك عندنا يد عظيمة . قال : وما هي ؟ قالوا له : هذا الفتى أخونا من أبناء ملوكنا هرب له غلام أسود فطلبه فأدركه بين يديك فكان ما رأيت وفعلت فنظر الهدهاد إلى شاب أبيض أكحل في وجهه آثار خداش . قال له : أنت هو ! قال : نعم ، قالوا له : ما جزاؤك عندنا يا هدهاد الا أخته نزوجها منك وهي رواحة بنت سكن [1] . فزوجوه إياها وقالوا له : لها عليك شرط لا تسألها عن شيء تفعله مما تستنكر منها فان سألتها فهو فراقها قال : نعم ، قالوا له ارجع إلى قصرك بينون فانها تأتيك ليلة كذا ارجع فلا تقم لأن عمر ذا الاذعار رجع إلى غمدان بعد انصرافك عنه ، فرجع الهدهاد وفرق عساكره ، ولحقه الخبر أن عمراً رجع فجلس في الليلة التي أمروه أن يجلس فيها مرتقباً حتى أحس ثقلاً في القصر وهرب جميع من معه في القصر من ثقل الذي أحسوه ووحشة داخلت قلوبهم حتى أتوا بها اليه فأدخلوها عليه وأولدها ولداً ذكراً ، فلما شب وصار ابن سنة ، فبينما هو يناعيه اذ أقبلت كلبة من باب المجلس فأخذت برجل الطفل وجرته حتى ذهبت به عنه فغاب فنظر إلى رواحة فسكتت وسكت ، ثم ولدت أنثى ، فلما صارت بذلك السن أتت الكلبة فجرت برجلها وهو ينظر فسكت وغابت عنه ، ثم ولدت ذكراً ، فلما بلغ سن أخيه وأخته أتت الكلبة وفعلت كما فعلت أولاً قال لها : يا رواحة ، قالت له : كيف ؟ قال لها : أكف ما نال هؤلاء الأطفال ؟ قالت له : فارقتك يا هدهاد اعلم أنه لم يجر منهم أحد بل هم محمولون وتلك درة [2] تحملهم وتربيهم حتى يبلغوا خمس سنين فيأتوك

---

(١) في تفسير الآلوسي – ريحانة بنت السكن – ح .

(٢) ل – داية .

أنقياء . فأما ابنك الأول فقد مات أحسن الله عزاءك فيه وأما الآخر فإنه يأتيك وليس يعيش بعد اني وهو يموت ، وأما ابنتك فانها تآتيك وتعيش لك . ثم ذهبت عنه فلم يرها بعدها ووجد في الفراش ابنه وبنته بلقيس ، فمات الصبي وعاشت بلقيس ، وقد رد هذا الحديث عامة من العلماء ويقبله عامة من العلماء ، والله أعلم أي ذلك كان .

فأقام الهدهاد في الملك عشرين سنة فلما حضرته الوفاة أحضر جميع وجوه حمير وأبناء ملوكهم وأهل المشورة من بني قحطان فقال : يا بني قحطان أما انكم تعلمون فضل رأي بلقيس علي فانها لا تخطىء ما تشير به عليكم كيف تجدون بركة رأيها ؟ قالوا : نعم قال : وانها أعقل النساء والرجال ، قالوا : نعم قال : فاني استخلفها عليكم ، فقال له رجل منهم : أيها الملك تدع أفاضل قومك وأهل ملتك وتستخلف علينا امرأة وان كانت بالمكان الذي هي منك ومنا ؟ قال : يا معاشر حمير اني رأيت الرجال وعجمت أهل الفضل وسبرتهم وشهدت من أدركت من ملوكها فلا والذي أحلف به ما رأيت مثل بلقيس رأياً وعلماً وحلماً مع أن أمها من الجن واني أرجو أن تظهر لكم عامة أمور الجن مما تنتفعون به وعقبكم ما كانت الدنيا فاقبلوا رأيي فانها مع اختياري فيها مؤدبة لغيرها من أهل بيتها واني كنت سميت الملك لمالك بن عمرو بن يعفر بن حمير بن عمي وهو غلام له حزم وعقل فاذا بلغ فله الملك اما في حياتها واما بعد موتها . قالوا : سمعنا وأطعنا أيها الملك انظر لنا . فمات الهدهاد بن شرحبيل وولي الملك بلقيس .

(ملك بلقيس)

فلما وليت بلقيس الملك ازدرى قومها بمكانها لما كانت امرأة وانفوا

من ان يلي أمرهم امرأة وبلغ ذلك عمراً ذا الاذعار ، فجمع الجيوش ونهض إلى بلقيس ، فلم تكن لها طاقة فهربت مكتتمة بأخيها عمرو بن الهدهاد ، وهما في زي اعرابيين حتى أتت جعفر بن قرط الأسدي وهو جعفر بن قرط بن الهميسع بن مالك بن عمرو بن أسد بن هزان بن يعفر بن سكسك ابن وائل بن حمير بن سبأ . وكان جعفر بن قرط عمر ثلاثمائة عام ، وكان أنجد فارس في زمانه ، وكان في ثورة من قومه أسد بن هزان ، وكان قومه هزان لهم أرض جو وهي اليمامة ، وكان هزان أطول الناس أجساماً وأعناقاً وكانوا يعرفون في العرب حيث ساروا ــ وفيهم قال الشاعر :

لقد كان في فتيان قومك منكح وفتيان هزان الطوال الغرانق

والغرانق : الطوال الأعناق ــ ومنه قيل للغرنوق غرنوق لطول عنقه فسارت بلقيس حتى نزلت على جعفر بن قرط وهو في حصنه علعال على نهر الحفيف من أرض الأحقاف ، ونهر الحفيف هو الذي أظهر النبي هود صلى الله عليه وسلم لعاد بن لاوذ بن ارم الآية الباهرة حين هلكت عاد بالريح العقيم فأخر من بقي من هزان باليمامة كان بقي من طسم وجديس وراثش بن لاوذ بن أرم ، وهلك طسم وجديس وبقي سعدانة بن هزان بعدهم وبعد قومه هزان باليمامة وكان أطول الناس جسماً وعمراً فأقعد من الكبر وهو الذي هجم عليه عبيد بن عبد العزى الربعي إلى اليمامة فأصابه جالساً وهو يأكل تمراً من نخلة سحوق وهو يقول :

تقاصري آكل جناك قاعداً إني أرى حملك ينمي صاعداً

فهجم عليه عبيد بالقناة ليطعنه ، فقال له سعدانة : لا تفعل يا عبيد قال له عبيد : ومن أنبأك بي ؟ قال له : السلف يقولون بالعلم الأول آخر

من يبقي من هزان بن يعفر باليمامة أرض جور رجل يسمى سعدانة وأول من يهجم عليه يجاوره فيها رجل من بني ربيعة بن نزار يسمى عبيداً ، ولكن يا عبيد أجاورك قال له عبيد : لك سؤالك يا سعدانة ، وأنشأ يقول :

ان الليالي أسرعت في نقضي أكلن بعضي وتركن بعضي
حنين طولي وطوين عرضي اقعدنني من بعد طول نهضي
تركنني ملكاً لأهل الأرض أليس ذا يا زمني من قرضي
هواك تركي وهواي يمضي

فأجاره عبيد حتى مات ، وتمثل هذه الأبيات هزان بن سعدانة العمري بعد هذا الزمان .

قال أبو محمد : وان بلقيس أتت جعفر بن قرط الأسدي ثم الهزاني . فقالت له : أنا بلقيس بنت الهدهاد وهذا أخي عمرو أتيتك به هاربة مطيعة فاجرني وأخي . قال : هلم يا بنية أمنعك مما أمنع منه نفسي وبناتي فادخلي إلى بنات عمك آمنة . فأجارها جعفر بن قرط وأخاها عمراً وعمرو ذو الأذعار يطلبها وأخاها فلا يجد لهما حساً . وكان جعل على نفسه جعفر ابن قرط في كل عام عمرة يحج إلى مكة فيحرم بمكة شهر رجب ثم يرجع إلى حصنه علعال [1] وجعل على نفسه بعد رجوعه عن العمرة يجاور قبر هود النبي صلى الله عليه وسلم شهر المحرم كله حتى ينسلخ ، فكان يفعل ذلك كل عام ، ثم يرجع إلى حصنه علعال ، فكان بين حصنه علعال وبين قبر النبي هود صلى الله عليه وسلم مسيرة يوم وهي مسافة وقد أخلى جعفر

---

(١) ل – علقال .

ابن قرط تلك المسافة من الناس فلا ينزلها أحد — كانت له حمى وكان جعفر ابن قرط رحل إلى قبر هود بالعيال والولد وكان غيوراً انفاً لا يصحبه في ظعنه ولد أدرك الحلم ولا ابن عم ، فرحل بأهله وولده الأصاغر وسارت معه بلقيس وأخوها عمرو طفل لا يعلم بهما أحد من الناس ، فسار يريد قبر النبي هود صلى الله عليه وسلم فأخذ على شاطىء نهر الحفيف بين النخل يأكل تمرها ويعلفه الحف والحافر وانه اذا نزل بالأحقاف بجوار قبر هود اتبعته السباع فيقاتلهم ويقتل من لقيه منهم ، ثم يخرج اليه تنين عظيم فيقاتله حتى يولى من بين يديه ويقول لأهله : لا تجزعوا فانه لص شيطان وانه كان رجل بمأرب تحت السد يقال له عمرو بن عباد بن مهرس بن عفار بن أود الله بن سعد العشيرة [1] . وكان صعلوكاً لا يقر به قرار ويطلب المبارزة في كل قبيل من العرب وفي كل أوب ، وتبعه على ذلك شريك بن عمرو ابن هلال بن آود الله وتبان [2] بن ثور بن أسلم بن زبيد ، وكانا صعلوكين فاتكين جسورين على كل هول فتبعه عمرو بن عباد فسار بهما يطلبون الأموال وغيرة القبائل لا يصطلي بنارهم ولا يسلم من لقيهم ، فبينما هم كذلك سائرين إلى أن رمت بهم الأرض إلى نهر الحفيف اثر ظعن جعفر ابن قرط فمشوا على الرسم واقتصوا الأثر حتى تراءى لهم جعفر يمشي كالشبح خلف ظعائنه فجدوا في طلبه حتى أدركوه وبينهما نهر الحفيف — وهو نهر ينهال فيه الرمل فيبتلع من سقط فيه — فطلبوا سرحة [3] للنهر يعبرون منها اليه ، فلما دنوا منه ووقفوا في عدوة النهر قريباً منه رأوا شيخاً جالساً في سرجه كالنخلة ولحيته سقطت على عرف فرسه ، فانحرف عليهم

(١) ل — عمرو بن هسوس بن عقال بن سعد الصبيرة .

(٢) ل — بيان .

(٣) لعله شرجة .

بوجه كالمجن وقد بلغت ركبتاه حذاء أذني الفرس فقال لهم : من أنتم وما شأنكم ؟ قال له عمرو بن عباد : أنا عمرو بن عباد الأزدي وهذا شريك ابن عمرو الأزدي وهذا تبان بن نور الزبيدي لم ندع في العرب مثلنا بأساً ولا نجدة ،فاسلم الظعائن وانج بنفسك . قال له تبان بن ثور : يا عمرو لا طاقة لنا بالشيخ اذهب عنه ودعه فلسنا من جيله ولا من خلقه ، قال له عمرو بن عباد : دع عنك الجزع قوة الشباب تغلب صلابة الهرم . قال عمرو بن عباد للشيخ : ما اسماك يا شيخ ومن أنت ؟ قال له : أنا جعفر بن قرط الأزدي ، قال له عمرو : وهل لك في المبارزة ؟ قال له جعفر : لو رمت غير هذا ما وجدته اللقيا [1] الحمى قد عرف الحق أهله ، فأنشأ عمرو ابن عباد يقول :

زم المطى قليلاً	فلست تلقى مقيلا
حرمت أهلي ومالي	وخنت فيه الخليلا
تذوق عيناي بردا	حتى أراك قتيلا
يكون أهلك اهلي	إذا أرأيت الأصيلا
جدوا الرحيل فاني	أبحث خيلاً فخيلا
والدهر طوع تمني	اذ ليس دهري طويلا
قل للزمان يميني	ما شئت قيلاً فقيلا

فقال جعفر بن قرط :

قد كنت عني غنياً	فعش سليماً مليا
ما أنت والقول في ذا	تراه فخراً سنيا

---

(١) في الأصل لورمت غيرها لم تجد شبكا إلى الحماط بالدماء وعج الحر يم من الضيم عز والحل لعله – وهي كما ترى .

فحسبك الآن مني ان كنت قرماً كميا
فما أراك خؤنا ولا أراك وفيا

فهم يسايرونه حتى أصابوا سرحة عبروا عليها ورأوا الظعائن ليس فيها رجل غيره ، قالوا له : سلم الظعائن وانج بنفسك وحملوا عليه فثبت لهم فطعنوه فألقى اليهم المجن فلم يعمل سلاحهم فيه شيئاً وحمل عليهم فولوا ، وثبت له عمرو بن عباد فطعنه جعفر فعقر فرسه ثم عطف على صاحبيه فعبرا النهر وعلما أنه لا طاقة لهما بجعفر ، ووقفا لينظرا ما يصير اليه أمر عمرو بن عباد ، فرجع الشيخ إلى عمرو فقال له : الق سلاحك واستأسر وإلا قتلتك ، فألقى سلاحه ونزل اليه الشيخ فكتفه وشد وثاقه إلى نخلة وتبان وشريك ينظران فقال تبان لشريك : الينا يريد فانج بنا ، ثم عبر اليهما من السرحة التي عبروا اليه منها فعطفا اليه في السرحة قبل أن يعبرها فطعناه فألقى تبان الزبيدي عن نفسه فطعنه شريك بن عمرو فأصاب صدره فنشب سنان قناته في يلب جعفر فأخذ جعفر القناة من صدره فكسر السنان وجرحه جرحاً خفيفاً ، فلما نظر شريك إلى سنانه كسر ولى فأدركه جعفر فعقر فرسه ولم يرد قتلهم إلا أسرهم لأن الأسر أشهر ذكراً في العرب وهو مال . فان أطلق منّ وان أخذ المال استغنى ثم قال : استأسر يا شريك فإنه لا ملجأ لك من نهر الحفيف ومعاطشه (١) ، فجلس شريك بن عمرو على لوى رمل وجد جعفر في طلب تبان وكانت فرس تبان كلت لأنها جائلة الليل والنهار فأدركه جعفر وفرس ثبان توضع يديها فأدركه جعفر فطعنه تبان فشك جعفر درع تبان وضربه على الكشح فأخرجها من صدره ولم تعمل قناة تبان شيئاً في يلب جعفر ، ثم عطف عليه ثانيه فعقر فرسه وقال

(١) ل – مفاضته .

له تبان : لم عقرت فرسي يا جعفر وهي لك مال زيادة في الفداء ؟ قال له جعفر : اني قاتلك ، قال له تبان : ولم ؟ قال له جعفر : الجرح يقتلك ، قال له تبان : ليست بجائفة فانها سلكت في الكشح سلكاً فنزل إليه جعفر فحشى جرحه رملاً ثم ساقه بين يديه فأصاب شريكاً جالساً على حبل رمل فساقهما بين يديه حتى بلغ بهما إلى عمرو بن عباد فحل وثاقه وساقهم بين يديه ، فلما بلغ قبر هود عليه السلام نزل ونصب لهم قبة بعيداً من الحي ، ولم يزل تبان يتعاهد جرحه حتى برأ ، ثم قال لهم : هاتوا الفداء ؟ قالوا له : يا أبا عامر خذ منا ما رأيت ؟ قال : ادفعوا إلي جميع أموالكم حتى لا يبقى لكم سبد ولا لبد ، قالوا له : أو بالطف يا بن ملك الملوك ؟ قال : هو ما قلت لكم قالوا : وليس من ذلك بد ! قال : نعم ، قالوا : يا أبا عامر جميع أموالنا نأتيك بها . قال : أقم أنت يا عمرو وأنت يا شريك رهينة واذهب يا تبان سق لي الأموال . فلما عبر تبان نهر الحفيف وعلم منهم العزم على ذلك ركض في طلب تبان ، فلما رآه تبان جزع وظن منه الغدر فقال له بعد الأمن والرضا بالفداء : يا أبا عامر قا ل له جعفر : ارجع الذي رأيت أحسن من الذي رأيتم . قال له تبان : يا أبا عامر ملك الملوك [1] أنتم وجه الدنيا وشم العرب لم يضعكم الله مذ رفعكم ، فمضى به حتى رده إلى صاحبيه . قال له : يا أبا عامر الوفاء أشبه بك والجهل أشبه بنا . قال لهم : اني لم أعط نفسي منكم فداء ولا طمعت فيه ولكن كان مني سؤال الفداء ابتلاء لكم واختباراً اذ سألتكم جميع أموالكم فلم تبخلوا بها عن اعراضكم وأنفسكم وجعلتم أموالكم دونها فاحمدت لكم ذلك وجعلت العفو مني مكافأتكم وعلمت أن لانفسكم منكم وفاء ولو بخلتم عن اعراضكم وأنفسكم

---

(١) لعله يا بن ملك الملوك — ح

بأموالكم لقتلتكم فأقيموا في رحب وسعة ودعة ، ثم يا بن عباد أردت الموت فنأى بك الأجل واستعجل العفو وأنشأ يقول :

أتى يروع بابراق وارعـــاد … الف المنية في قرب وابعاد
هلا مررت بعلعال فقلت له … من ذاك يدفع عنك الشر يا وادي
بأبيض المتن صافي الماء ذي شطب … وادهم أزرق الحدين وقّاد
خل الظعائن تسلك جانب الوادي … واصرف جراءك عنا يا بن عبّاد
لا تعرضن لقوم من بني أسد … فان خلفهم ضرغامة عـــادي
يا أيها الراكب المزجى مطيته … اذهب ودعني أمارس حية الوادي
أما قصدت ولم تخش الحتوف إلى … ليث العرين و لم تقصد بميعاد
لا تسأم الناس والدنيا مزخرفـــة … والناس ناس لا صلاح وارشاد
إذا مررت على نخل الخفيف فقل … اسلم سلمت حريم الحائم الصادي
أقوى الوجيف مغانيه فقد سلفت … له هنيدة لم تـهل لـــرواد
حريم ليث يخاف الدهر سطوته … يصول عن مجد اباء وأجداد
لم يعب بالموت إذا جاشت كتائبه … وقدم الحين امجاد الأمجاد
تسربل النقع والأبطال كالحة … والروع يحفز أكباداً بأكباد
شد الازار على قلب وأورثه … طيب المعيشة آباد الآباد
أردت قصداً إلى باب على عجل … صفر اليدين بلا رحل ولا زاد
والدهر ينقض والأيام فانية … يا بعد دهرك من أيام ميلادي
ما حبب العيش عندي غير واحدة … خوف المذلة أن تنزل بجد جاد
يا وهب لا تسأمي لما لقيت ردى … أو تحزني فالذي أسررت لي بادي[1]
لاعرفنك بعد اليوم تندبني … وفي حياتي ما زودتني زادي

(١) كذا في النسخ .

اني نذرت يميناً لا افندهــا   حتى أجاور قبر العالم الهــادي

جدجاد ابنته بكر في حجره لم يكن في وقتها أجمل منها ووهبة احدى نسائه لم يكن لها نظير [1] وان جعفر بن قرط قال للأسرى الذين في يده : أقيموا حتى أقارع التنين – وان التنين آتاه في الوقت الذي كان يأتيه فيه – فأخذ بيده شجرة أم غيلان وأخذ بيمينه خشبة عظيمة [2] ، فإذا هجم عليه التنين أدخل الشجرة في فمه وضربه بالخشبة في الرأس ، فلم يزل يقاتله حتى كل التنين وانصرف ، وانه كان كذلك يفعل وهبت ريح باليمن فهدت الصخر من قنن الجبال وخددت الأرض ونقلت أحقاف الرمل من مكان إلى مكان فزعم أهل اليمن أنها كالريح العقيم هبت من جور عمرو ذي الاذعار فكشفت تلك الريح جبلاً من رمل عن منبر هود النبي صلى الله عليه وسلم فقال جعفر بن قرط : يا جدجاد دافعت عنكم أهل الدنيا وبأس أهل الأرض ولادافع لأمر الله وغلبت الرياح النصيح ، وأنشأ يقول :

لم يبق يا جدجاد من لــذاتي   الا نزال الجحفل الكماة [3]
والصفرة الصدق من اللمات   وراحة النفس إلى الميقات
كم مشهد ارتاع من اباتي   وفيلق أزور من قناتي
امنع من نجران والجنات   ومسقط البحر إلى السفرات
ما واحدٌ قرني ولا عداتي   يرجون مني أسرع الغايات
قارعتهم بالموت بالساعات   إذ لا زعيم ضامن حياتي
وكل جمع فالى شتات   وكل حي في يد الممات
ما جاز حر الشعر عن أبياتي   بلغت منه غاية الصفات

---

(١) في الأصل – باره .
(٢) ل – وهو متقلد سيفه .
(٣) لم يتبين لنا صوابها – ح .

يكتب للشعر من الرواة   فقدك يا جدجاد من فتاة
لا بد أن يذهل عن هبات   قد عبث الدهر على منساتي
منتظراً فيه إلى دعاتي   إذا أزلت الرحل عن أبياتي
سابقت أيامي إلى ميقات   أبو بنين وابو بنات
أحسب في الحي من الأموات   هل مشتر أبيعه حياتي

وان الريح هبت فكشفت عن منبر هود عليه السلام دراً وياقوتاً، وعن يمينه عمود من جزع أحمر مكتوب فيه بالمسند لمن ملك ذمار الحمير الأخيار لمن ملك ذمار للحبشة الأشرار لمن ملك ذمار لفارس الأحرار لمن ملك ذمار لقريش التجار فيقال ان هود عليه السلام كتبه ، وأنه من علم الوحي وذمار غمدان ومأرب وصنعاء والعالية وما بينها . ثم رأوا عموداً من جزع أخضر وفيه مكتوب بالمسند على باب مغارة هذا قبر قضاعة بن مالك ابن حمير ملك ثلاثمائة عام أدخل واعتبر وأخرج وازدجر ، فدخل جعفر ابن قرط وعمرو بن عباد وشريك بن عمرو وتبان بن ثور فأصابوا شيخاً جالساً على سرير من ذهب أجمل من رأوا وأعظمهم جسماً وعليه ثوب منسوج من ذهب وعلى رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه بالمسند : أنا قضاعة بن مالك بن حمير سخطت ورضيت . سخطت غدر الامل ورضيت حلول الأجل ومن لم يرض بالقدر جهل الخبر ومن لم يقنع بما أعطى تعب ولم يطب له العيش — بعدما كنا زينة للناظرين صرنا عبرة للزائرين — وتحته مكتوب :

أنا رب العتيق وغمدا   ن وبينون والعراقين حينا [1]

---

(١) عمله — انارب البيت العتيق — ح .
(*) وربما وغمدان

والسديرين والهوى الأبيض القصـــر الذي شاد عابر للبنينـــا [1]
وإلى الملك من سبا عبد شمس ملك الأرض والانام مثينـــا
ولي الأخضر المنيبق بالطلـــح اراعي عليه عيرا وعينا
ولقومي يدعو الحجيج لدى البيـــت يرون الحجيج ذلك دينا
حين كنا على البرية نوراً وغياثاً وزينة الناظرينـــا
فرمانا الزمان منه بصرف فمضى حكمه علينا وفينا
من رآنا رأى المنية تحدو ه الينا بذاك حتماً يقينا
ثم صرنا من بعد ذاك وهذا بالمغارات عبرة الزائرينـــا
أنا بين الرجاء والخوف امسيـــت مقيماً إلى التنادي رهينا

فأمر جعفر بن قرط بالخروج ولم يأخذ شيئاً من منبر هود ولا من كسوة قضاعة ومنعهم ذلك وان جعفر بن قرط أمر لهم بأفراس فحملهم عليها وأذن لهم بالانصراف ، فانصرفوا . فلما بلغ عمرو بن عباد منزله هيأ هدية من جمال وخيل وغير ذلك وسار إلى جعفر بن قرط فأصابه في مكانه لم يرحل عن جوار قبر النبي هود صلى الله عليه وسلم فدفع اليه عمرو الهدية فقبلها منه جعفر وكافأه جعفر وأضعف له الهدية ونصب له قبة بعيداً عن الحي وحمل عمرو معه خمراً ، وكان استرق النظر فرأى جدجاد فهويها وهو أسير . فلما آتاه جعفر بالطعام أكل وجعل يشرب الخمر . قال له عمرو : اشرب من خمري يا أبا عامر . قال له جعفر : يا بني أنا راعي الحي فان أنا سكرت ضاع الحي ، قال له عمرو : اشرب شرابي فهو بري عندك فاني ضيفك ، فلم يزل به حتى شرب وعملت الخمر في الشيخ فصرعته . فقام عمرو بن عباد فسل سيفه وضرب به رأس جعفر وجسده

(١) كذا فحرره — ح .

وابان رأسه من جسده وأخذ لحيته يجريها رأسه فلما نظر أهل الحي إلى رأس جعفر خضعن خيفة وليس في الحي الا امرأة وطفل . قال لهم عمرو : زينوا جدجاد حتى أخلو بها ، قالت لهم : بلقيس : ويلكن اني أيدة ليس في الرجال مثلي ولا من يدافعني وقد أعديت مدية خوصية للملك عمرو ذي الاذعار – وهي أول ما عملت من الخوصيات باليمن مكراً فجعلت نصاب المدية ذهباً ورأس النصاب ياقوتة زرقاء فتدخلها من مفرقها في قرونها حتى تخرج رأس المدية من شعر قفاها وتبقى الياقوتة والذهب على جبينها وهي زينة ولا يدري ما وراء ذلك ، فزين بلقيس ثم أتين بها إليه فقالوا : هذه جدجاد . وكانت بلقيس أجمل من جدجاد ومن نساء زمانها ، فلما رآها أنكرهـا وعلم أنها ليست جدجاد ، غير أنه رأى ما غلب على عقله ؛ فلما خلا بها في القبة هم بها قالت له : يا عمرو ان الابكار من النساء كالاناث من الخيل لا يسمحن إلا عن صهيل ومجابذة ، وانما أرادت أن تعلم أين هو من قوتها ، ومد يده إليها ورأى أنه حاكم عليها فجذبها إلى نفسه ودافعته فغلبت عليه فأخذت يديه جميعاً بيدها الواحدة فأمسكته ، فلم يستطع معها حراكاً ، ثم مدت يدها إلى قرونها فسلت المدية فضربت بها نحره ، فلما وجأته ومات أخذت برجليه تجره في الحي وتقول : قليل لك هذا مني يا أبا عامر ، ثم قالت : لهن اسرجن فرس أبي عامر فركبته ولبست لامة أبي عامر وقالت ارتحلن من قبيل أن يشيع قتل أبي عامر فيتخطفكن العرب من هذا الشعب . فرحلن ومشت خلفهن بلقيس كما كان أبو عامر يفعل . ولما رجعن إلى علعال بكين جعفراً وشاع قتله في العرب وعرف عمرو ذو الاذعار مكان بلقيس فأرسل عمرو فأخذها وقالت لأخيها : لي حيل إذا لقيت عمراً أخدعه وأنت لا حيله لك إلا الموت فاهرب ، فهرب عمرو بن الهدهاد – أخو بلقيس – إلى البحرين مكتتماً في زي اعرابي فلم

يعلم به أحد . وسارت بلقيس حتى دخلت على عمرو ذي الاذعار ، فأمر بالخمر ينادمها كما كان يذادم بنات الملوك ويفعل بهن ، فلما أخذت الخمر منه هم بها ، قالت له : أيها الملك سترى مني من المال أكثر مما رأيت من الحرص وحاجتي فيك أعظم من حاجتك في ، وسامرته أحسن مسامرة ، فألهاه ما سمع منها وما أعطته من نفسها من القرب وهي تعمل فيه بالخمر داباً حتى علمت أن الخمر عملت فيه ، فقامت إليه وسلت مديتها من قرونها ثم نحرته ، فلما مات جرته فألقته في ركن مجلسه والقت عليه بعض فرش المجلس ، ثم خرجت إلى الحرس في جوف الليل وقالت لهم : يأمركم الملك بفلان أن تأتوا به ، فلما أتوا به وكان يتبعه الوف من حمير ، فلم تزل ترسل إلى ملوك حمير وأبناء الملوك المسموع منهم المتبوعين ، فلما اجتمعوا إليها في قصر غمدان خرجت عليهم فقالت لهم : ان الملك قد تزوجني على أني برئت اليه من ملكي في حياته وأنتم تعلمون أنه لا يولد له ، فلما علم مني الخضوع بحقه والاستسلام لارادته والطاعة لأمره فوض إلي بعده ورآني أهلاً له وأمرني أن آخذ عليكم بذلك عهداً . قالوا : سمعاً وطاعة للملك فيما أراد ، فأخذت عليهم العهد ان لها الملك بعد عمرو ، فلما توثقت منهم قالت لهم : هل تسمعون من الملك فأدخلتهم المجلس قالوا لها : أين الملك ؟ قالت لهم : ها هو ذا وكشفت عنه فرأوه قتيلاً ، قالوا لها : من فعل هذا ؟ قالت لهم : أنا ولي العهد عليكم بالملك بعد موته وهذا هو قد مات وعهدي لكم لازم ، قالوا لها : أنت أولى بالملك اذ أرحتنا من هذا الرجس الجائر . فوليت بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل ملكهم .

(ملك بلقيس بنت الهدهاد ملكة)

فوليت بلقيس ملك حمير وهي التي ذكرها الله تعالى في كتابه ويزعم بعض الرواة أن تبع عمراً ذا الاذعار لم يمت من سقط شقه من الفالج

ولذلك قتلته بلقيس وكان ملكه مائة سنة وخمساً وعشرين سنة فرثاه المضرب بن وائل بن يعفر بن عمرو الحميري فقال شعراً :

عجبت للدهر وآوانــه [1] وصرف أيام له فانيه
فبينما المرء يريد الهوى اذ ما ل لا يبقى على باقيه
لو كان ذا الدهر اذا جاءنـا يختلب العبد وذا الداهيـه
لو يعلم الدهر بما قد أتى لم يعلن البيان من نـاعيـه [2]
حال عن الدنيا بصرف الردى يختلس الحاضر والباديـه
عم على ملك لنا قاهر مالك أنس في ذرى ساميه
وملك حيان هم أصله لم يكن الباقي بذي راقيه
أخرج ذا الأذعار من ملكه ولكن الدنيا إلى ناهيه
لم تلبس الشمس سرابيلها على مليك كان ذا تاليه
قد خسف البدر ولاذت به لما تولى الأنجم الساريه [3]

وقال عمرو بن الهدهاد بن شرحبيل يهجو عمراً ذا الأذعار : وهو أول هجو كان في العرب :

أصبح ذو الاذعار في رمسه يأكله الجور الذي قدما
لم يحمد الله له سعيه ولم يحرم دهره محرما
لم تبك عين بعده حسرة ولم ير الدهر له مكرما
محت ضياء الدهر أيامه فأصبح الدهر له اسحما
اربدّ وجه الدهر من دهره فظل عرنين الرضى أكشما
عاصاه وجه الحق لما دعا إلى ردى الجور الذي جحما
ينزل عن رفع العلى هابطاً ولم ير الدهر له سلما
كم من فتاة طفلة غـادة تذكر من يوميه ما احرما

---

(١) في الأصل وبلواته — ولعله تلوينه — ح .
(٢) كذا في الأصل .
(٣) هذه الأبيات فيها تصحيف كثير فتأملها — ح .

وكم كريم ماجد سيد من حمير الأنجاد قد أوسما
شكت وجوه العدل أيامه أسلمه الحق الذي اسلما

قال أبو محمد : لما وليت بلقيس الملك قالت حمير رجع الملك إلى نجلته [1] الأولى وذلك أنها من نجلة يعفر بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ — وهي بلقيس ابنة الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن غالب بن السياب ابن عمرو بن زيد بن يعفر بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ — وعمرو ذو الاذعار من نجلة الملطـــاط بن سكسك ، فكان الملك لأخيه يعفر بن سكسك وفي بيته من قبل الملطاط وبيته ، وذلك أنه عمرو ذو الاذعار بن أبرهة ذي المنار بن الصعب ذي القرنين بن الحارث ذي مراثد بن الهمال ذي مناح بن عاد ذي شدد بن الملطاط بن سكسك بن وائل بن حمير — فلما وليت بلقيس الملك جمعت الجيوش العظيمة وسارت إلى مكة فاعتمرت وتوجهت إلى أرض بابل فغلبت على من كان بها من الناس وبلغت أرض نهاوند وأذربيجان ، ثم قفلت إلى اليمن وكان حرسها الرجال الذين يوا زرونها وبطانتها النساء ، وكانت لا أرب لها في الرجال ، وأنها لما غلب عليها رسول الله سليمان بن داود صلى الله عليهما تلوم أمره فيها حتى آتاه الوحي ببراءتها من ريب الجاهلية فتزوجها وهي جارية عذراء ، وكان معها ثلاثمائة وستون امرأة من بنات أشراف حمير ، وكانت تحبس الجارية حتى تبلغ ، ثم تحدثها حديث الرجال فاذا رأتها قد تغير لونها ونكست رأسها عرفت أنها أرادت الرجال فسرحتها إلى أهلها ووصلتها وزوجتها وأحسنت إليها ولا تزوجها إلا من أشراف قومها ، وإذا رأتها مستمعة لحديثها معظمة لها أطالت النظر غير متغيرة اللون ولا مستحية من الحديث علمت أنها لا تريد فراقها وان

(١) ب — نخلته .

الرجال ليسوا من بالها ، فكانت بلقيس صائنة لنفسها غير واقعة في المساوىء ولا غافلة عن المكارم فكان ملكها قبل سليمان بسبع سنين . فلما أراد الله اكرامها بسليمان خرج مخرجاً لا يريد إليها ، وذلك أنه لما بلغ ملك حمير مبلغاً لم يبلغه أحد من أهل الدنيا عظمت نفوسهم وتكبروا وتجبروا (ولله الكبرياء والجبروت) فأراد الله أن يريهم قدرته فأرسل الله سليمان بن داود بن ايشا بن حصرون بن عموم بن ناهب بن لاوى بن يهوذا [1] بن يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه الله ملكاً لم يعطه أحداً من قبله ولا ينبغي لأحد من بعده فأتى إلى حمير بالآيات التي لا يستطيع مخلوق أن يأتي بها تقله الريح كما قال الله عز وجل (غدوها شهر ورواحها شهر) وتظله الطير وعلمه منطق الطير ومنطق كل شيء فما من شيء يسبح بحمده الا فهم تسبيحه وتسير معه الجبال إذا أقلته الرياح تسبح بتسبيحه وسخرت له الأنس والجن والشياطين كما قال الله جل ثناؤه (كل بناء وغواص) لما أراد الله أن يهدي بلقيس وحمير ، فبعث الله نبيه سليمان بالآية الباهرة التي بهرت عقولهم ، فخرج سليمان مخرجاً لا يريد إليها فقضى أن يمر على بلدها وهو يريد غيرها وكان إذا ركب غدا من تدمر وكانت منزله فيقيل باصطخر من أرض فارس ، ثم يروح فيبيت بكابل فغدوها ورواحها مثل هذا المسير إلى كل وجه أخذ إليه — وقول الله أصدق القائلين (غدوها شهر ورواحها شهر) — وأمر سليمان الريح فأقلت عرشه وامرها أن تنقل كراسي جلسائه ، ثم جلس على عرشه وأجلس الأنس عن يمينه وشماله وأجلس الجن من ورائهم على مثل ذلك منهم قاعد

---

(١) في الكامل — ايشا بن عويفذ بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمينو ذب بن رام ابن حصرون بن فارض بن يهوذا — والله أعلم — ح .

وقائم . ثم قال الريح أقلينا وقال للطير : أظلينا ، فأقلته الريح وأعلته الطير ومن معه من الأنس والجن من التمس والخيل واقفة والطباخون في التوابيت جلوس على أعمالهم ، وأمرها سليمان بالمسير لا تزيل أحداً منهم عن مجلسه ولا تفسد عملاً في يده حتى يأذن لها في وضعهم على الأرض ففعلت ، وان سليمان سار في المشرق متوجهاً من تدمر ثم توجه من المغرب فمر بموضع المدينة فأمر الريح فوقفته تم أمر أصحابه بالهدو وقال : أنها مهاجر نبي يخرج في آخر الزمان من العرب اسمه أحمد وهو خاتم النبيين أكرم مخلوق عند الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم سار إلى مكة فقال : هذا بيت الله الذي بناه ابراهيم أبي ، وهو أول بيت وضع في الأرض ، أمر الله به آدم ببنيه فبناه ، فنزل سليمان فصلى فيه ، ثم سار إلى مدينة مكة ومر بقبر اسماعيل صلى الله عليه وسلم فنزل اليه وألم به وكان ملك مكة يومئذ البشر ابن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عبد المسيح بن نفيلة بن عبد المدان بن حشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم – وكان البشر عاملاً لبلقيس على من كان بمكة وبالحجاز ، وكان نبت بن قيذار بن اسماعيل النبي بمكة يومئذ وبنو عمه فأتى البشر إلى سليمان مستجيراً مستسلماً ، فأمره سليمان أن يبرأ من أمر مكة إلى نبت بن قيذار ابن اسماعيل وأقر البشر وجرهم على القيام بالبيت – كما فعل اسماعيل – ثم سار سليمان بن داود نحو أرض اليمن حتى نزل بنجران على القلمس بن عمرو – وهو أفعى نجران – وكان من بني عبد شمس بن وائل بن حمير ابن سبأ وهو عامل بلقيس على نجران والمشلل إلى البحرين وما والاهما من البلد . وكان القلمس أفعى نجران أحكم العرب في وقته وكان حكيماً بما يظهر للناس في وقته وبما بطن عنهم – فلما رأى طوالع عساكر سليمان

طلعت ، فتواضع وذل وقال : تواضع وذلة تحت عز وسلطنة ان هذا شأن سماوي ، وان القلمس أفعى نجران جمع أهل نجران وهي دار العلم وقال : يا أهل نجران أنتم أهل العلم الأول هل عندكم من هذا العلم ؟ قالوا له : ما لم يكن عندك يا سيدنا وأنت جهبذ العالم فيكون عندنا [1] . قال لهم : اني البس لهم مسحاً وعباءة وأسير إليهم بثلاث : بكهانة وطب وحكمه ، فان كان فيهم نبي لم يحتاجوا إلى طبي وحكمتي لأن فيهم طباً أبلغ من طبي ولا يسمعون من حكمتي لأن فيهم من حكمة الوحي أحيا من حكمتي ولا يلتفتون إلى كهانتي ، لأن فيهم من علم الوحي أصدق من كهانتي ، فلبس القلمس المسح — وكان أول من لبس المسح يعقوب النبي تواضعاً لله — وحرم الشحوم على نفسه — ويعقوب هو اسرائيل وتفسير اسرائيل ولي الله باللسان السرياني ومعنى اسرا ولي وايل الله وجبرائيل رسول الله جبرا رسول وايل الله وعزارائيل عبداً لله عزرا عبد وايل الله وميكائيل صفي الله ميكا صفي وايل الله — فسار الملك القلمس بن عمرو الحميري حتى دخل عساكر سليمان فتعرضهم بالكهانة فلم يسألوه وعرض الحكمة فلم يلتفتوا اليه وعرض الطب فلم يسمعوا منه فتركهم ومضى إلى سليمان فرأى الريح تقله والطير تظله فرأى ملكاً عجيباً ، فدنا من سليمان فقال سليمان : يا آصف — وكان آصف كاتب سليمان — سبحان قاصف الجبابرة ذلك عميد نجران المبتكر ادعه فقال له آصف : هلم الرجل ، فلما وقف بين يدي سليمان سبح سليمان فسبحت الجبال فقال أفعى نجران : بطلت حكمتي ثم نظر إلى البقل بين يدي سليمان فكل بقلة تقول له : يا نبي الله اسمي كذا ذا لكذا فقال أفعى نجران : بطل طبي ثم قال لسليمان : ان هذا عميد نجران

(١) ل — فكيف عندنا ما ليس عندك .

له من الأمر أمران بين ضلال وبيان ، فآمن أفعى نجران وصدق بما أتى به سليمان . ورجع أفعى نجران إلى قومه فقالوا : ما رأيت ؟ قال : يا قوم (الرائد لا يكذب أهله) فارسلها مثلاً ولم يظهر لهم أنه أجاب سليمان إلى ما دعا إليه اتقاهم عن ايمانه ، ثم بعث إلى بلقيس يخبرها بخبر سليمان وكتمها ايمانه وكتب إليها ، فقال لها : إني رأيت قوماً لبسوا الذل تحت العز والفاقة تحت الغنى والصبر تحت القدرة ينصرون بلا حرب ويقدرون بلا استطالة فكتبت اليه بلقيس : تفعل الملوك ذلك يستميلون أهواء العالم حتى يقدروا فإذا قدروا عزوا فبزوا ولكن لا تحاربهم ودعهم فليس كل الناس صائناً لنفسه ، فإن سرقوا فليسوا بأهل دين ، فخلي أفعى نجران بينهم وبين الزرع فلم يأكلوا منه سنبلة ، فأرسل إلى بلقيس فأعلمها فكتبت اليه : ان ادفع إليهم الخف والظلف ففعل فلم يأخذوا منه شيئاً ورجعت إليه كما سارت . فأعلم بذلك بلقيس . فأرسلت اليه : ادفع إليهم الخيل ذكوراً أناثاً ، ففعل فلم يأخذوا شيئاً ورجعوا على حالهم . فبعثت إليه ان ابعث اليهم بجارية حسناء واعطها شيئاً تطوف به على عساكرهم حتى تغمر بها فأرسل أفعى نجران ابنته ، ولم يكن في وقتها أجمل منها ، فطافت في جميع عساكر سليمان ، فكانوا يساومونها ولا يرفع إليها رأسه أحد حتى انتهت إلى سليمان فنظر إلى ما في يدها ولم ينظر إليها فرجعت وأعلمت بذلك أباها فكتب بها إلى بلقيس ، فكتبت إليه : كف ومل إلى سلمه ولا تعرض أجنادنا إلى أمر الله فان الله لا يغالب . ثم رفع سليمان حتى كان من مأرب مدينة سبأ على مسيرة ثلاثة أيام . أراد النبي سليمان النزول — وكان لا ينزل إلا على الماء — وكان الهدهد الذي يدله على الماء فتفقد الهدهد لأنه دخلت عليه الشمس من موضعه وكان مثل البطة . وقال الله تبارك وتعالى (وتفقد الطير فقال : مالي لا أرى

الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين) .

قال أبو محمد عن أسد عن أبي ادريس عن وهب عن ابن عباس ، أنه قال : لاعذبنه عذاباً شديداً ، أي لانتف جناحيه حتى لا يطير مع الطير . وقوله بسلطان مبين : العذر البين والسلطان : الحجة . وكان الهدهد تقدم من ذلك الموضع فلقي هدهداً من أرض مأرب فقال ذلك لهدهد سليمان : أخبرني ما هذا الذي أرى ما رأيت ملكاً أعجب من هذا الراكب الريح ومعه من الجنود ما أرى لم أره ولم أسمع به ؟ قال له هدهد سليمان : هذا سليمان ابن داود نبي الله قال: فمن أنت قال: أنا من أرض سبأ قال له هدهد سليمان فمن ملكهم ؟ قال : ملكتنا امرأة لم ير الناس مثلها في حسنها وفضلها ورأيها وحسن تدبيرها وكثرة جنودها والخير الذي أعطيته في بلدها وأمها من الجن ، مع هذا وهي من ولد حمير ، فقال : انطلق بنا إليها. فانطلقا حتى نظر إليها ورجع إلى سليمان – قال الله تبارك (فمكث غير بعيد فقال : أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين أني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) قال (سليمان) : (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فالقه إليهم ، ثم تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون) فكتب سليمان كتاباً ودفعه إلى الهدهد فأخذه الهدهد بمنقاره وانطلق حتى انتهى إليها فكان بحيال رأسها حتى حاذى تاجها وهي على عرشها القى الكتاب فوقع في حجرها فنظرت إليه ونظر الناس إلى طائر رمى الكتاب فقالوا : رمى اليك كتاب من السماء فخاضوا في ذلك ، ثم أنها بعثت إلى مقاول حمير وكانت أول من استشار المقاول من حمير فقالت لهم : ما ذكر

الله في القرآن (يا أيها الملأ أنى القي إلي كتاب كريم أنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وآتوني مسلمين . قالوا : نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين ؟ قالت (لهـــم تمتحنهم) : ان الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزه أهلها أذلة وكذلك يفعلون ، واني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون).

قال أبو محمد . بعثت إليهم بهدية اختارت أربعين رجلاً لم تدع في أبناء الملوك أجمل منهم ولا أعقل ولا أشد ثقة ولا أبعد غاية ولا أعلى صوتاً فعنفهم صوتهم [١] قبل أن يصلوا إلى سليمان وأرسلت إليه معهم بهدية تمتحنه بمائة وصيف ومائة وصيفة ولدوا في شهر واحد كما ولدوا في ليلة واحدة ، وأرسلت إليه بحق مملوء ذهباً وفضة ودراً وياقوتاً وزبرجداً وزمرداً وختمت على الحق ولبست الوصائف والوصفاء زياً واحداً ليظن من رآهم كلهم غلمان ، وأرسلت اليه بخيل عتاق ذكور واناث وقالت لرسلها : مروه يخبركم بفرق بين الذكور والاناث من هذه الخيل بعضها من بعض من غير أن يخبره أحد ، ومروه أن يخبركم بما في هذا الحق من غير أن يفكه . قال : فتوجه رسلها حتى بلغوا إلى موضع لا يدركهم أحد . فقال بعضهم : ان سئلتم عن شيء فعليكم بالحق الذي لا اختلاف فيه وإياكم أن يجيب كل واحد عن نفسه فيقع الاختلاف فيرتاب بكم ، فمضوا وجمعت بلقيس أشراف حمير فقالت : خذوا في أهبة الحرب ، فجمعت الجيوش واستعدت للحرب وقالت لقومها : ان هو قبل الهدية ولم يرد الحرب ودعا إلى الله فهو نبي فاتبعوه وان هو لم يقبل الهدية [٢] و لم يعلمنا

---

(١) لم يظهر لنا الصواب في هذا .

(٢) الذي قصه الله عز وجل في كتابه خلاف ذلك –ح .

بما سألناه فهو ملك من ملوك الدنيا حاربناه فما لأحد بنا طاقة وان كان نبياً فما لنا بالله طاقة – فلما أتت الهدية الى سليمان نسب لهم الخيل بعضها عن بعض وميز الغلمان عن الجواري في لباسهم وأخبرهم بما في الحق من عدد الياقوت والجوهر والزبرجد والزمرد ووزن العقيان واللجين . فأجابه الرسل وصدقوه إلى ما دعاهم اليه من طاعة الله ، ثم دعا عفريتاً من الجن يأتي بعرشها – وكان عرشها ذهباً صامتاً مرصعاً بالدر والياقوت عشرين في عشرين ذراعاً [1] وتاجها كالعنقل [2] معلق إلى رهو المجلس بالسلاسل فقال العفريت (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين) قال آصف بن برخيا – كاتب سليمان وقد كتب الوحي الذي أمر الله به سليمان – : (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) . فأمر سليمان الريح فأقلت آصف أسرع من طرفة عين فأتى إلى العرش وهو في قصر غمدان ودونه عشرة حجب بالمجالس في كل مجلس حرس ، فأمر آصف الريح فأقلته وأمسك آصف صدر العرش فأتى به سليمان وكان سليمـــان لا يحتجب عن آصف عند نسائه – فآتاه بالعرش ، وأمر سليمان الجن والأنس فبنوا اه مجالس لم يبن مثلها فجعل العرش في أقصى المجلس ولما رأى سليمان العرش من ذهب ولؤلؤ وجوهر قال: (نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون).

قال ابن عباس : زيد فيه جوهر وياقوت ونقص منه . وقال ابن عباس : للقرآن ظاهر وباطن : فعندي لظاهره تبيان ولباطنه علم يهتدي به إليه من اعتصم بالله . وان وفد بلقيس الذين أوفدت إلى سليمان آتوها فأعلموها بما

---

(١) ل – طوله عشرون ذراعا وعرضه عشرة أذرع .
(٢) ب – كالهيكل .

رأوا وبإيمانهم . فأمرت بالجهاز وسارت في مائة رجل وعشرين رجلاً من أشراف قومها ورؤسائها وأخيارها مع كل رجل من وجوه جنده وأفاضل أصحابه وقادة خيله مائة رجل ، ثم جمعت أبناء الملوك ، ثم قالت : معاشر حمير أنتم تلاد الله أصطفاكم من أول الدهور وفضلكم بأفضل الأمور وقد ابتلاكم بهذا النبي سليمان بن داود . فان آمنتم وشكرتم زادكم نعمه وان كفرتم سلبكم النعم وسلط عليكم النقم.فقالوا لها : الأمر إليك وعلموا إنها شفيقة عليهم ناصحة لهم فخرجت إلى سليمان في مائة الف واثني عشر الفاً وتركت جميع أجنادها بغمدان وبمأرب فتركها ثلاثة أيام فقال لها قومها : ما في أمر هذا الرجل أتريدين الدخول في طاعته أم تحاربينه أم تقولين انه نبي ؟ قالت لهم : سأعلمكم منه ما تعرفون أنبي هوام ملك من هؤلاء الملوك انظروا إلي إذا أنا دخلت عليه فان هو أمرني بالجلوس فهو ملك من هذه الملوك لأن الملوك لا يجلس عندهم إلا باذنهم وما أقل من يجلس عندهم إلا خاصتهم وان هو لم يأمرني ولم ينهني فهو نبي ومع اني أسأله عن أشياء ان هو أخبرني عنها فهو نبي وأنا داخلة في أمره ولا طاقة لكم بمحاربته قال : فأمر سليمان الجن فجعلوا له عن يمينه وشماله حائطين مموهين بالذهب وبنوا من وراء ذلك داراً ومجلساً وجعلوا أرض الدار لبنا مموهاً بالذهب غير موضع لبنة واحدة ، ثم أذن لها بالدخول ، فلما رأت الحائطين ودخلت الدار فرأت أرضها وحيطانها من ذهب تقاصر إليها ملكها ورأت شيئاً لا يشبه ما كانت فيه وسليمان في مجلسه في أقصى الدار ومعها لبنة من ذهب في يدها تريد إن أمرت بالجلوس أن تجلس عليها فنظرت فإذا هي على باب مجلس سليمان من خارج بموضع لبنة من فرش الدار ليس فيها لبنة فكرهت حين رأت ذلك أن تمضي بما في يدها فتتهم بها فرمت باللبنة في الموضع الخالي وسليمان

ينظر فلما دخلت عليه وسلمت وحيته تحية الملوك وتواضعت له كما يتواضع للملوك تمتحنه بذلك . فقال لها سليمان : أهكذا عرشك ؟ قالت له : كأنه هو ، ثم قامت بين يديه فلا يأمرها ولا ينهاها عن القيام حتى إذا طال ذلك منها قال سليمان ورفع رأسه إليها : الأرض لله فمن شاء فليجلس ومن شاء فليقم . قالت : الآن علمت أنك نبي ، قال : ومن أين ؟ قالت : انه لا يجلس عند الملوك إلا باذنهم وأما القيام فعندهم يقام وما أقل من يقعد عندهم إلا من كان من خاصتهم ، لكنك قلت مقالة أهل العلم بالله وقد أتيتك وأنا أريد أن أسألك عن ثلاث خصال فان أنت أخبرتني بهن دخلت في طاعتك وان لم تفعل فعلت رأيي فيما بيني وبينك . قال سليمان : فسلي ولا قوة إلا بالله . قالت : اخبرني عن ماء روي ليس من أرض ولا سماء ، وأخبرني عن تشبيه الولد أباه وأمه ومن أين يأتيه ذلك ، وأخبرني عن لون الرب تبارك وتعالى — وسألته عن ذلك وهي جالسة مما يليه على كرسي — والأنس والجن عن يمينه وشماله . فقال سليمان للأنس : هل عندكم في هذا شيء ؟ قالوا : يا نبي الله لا علم لنا . قال للجن : هل عندكم في هذا شيء ؟ قالوا : لا علم لنا يا نبي الله ، ثم قال سليمان للجن : اركبوا هذه الخيل فأجروها فإذا تصبب عرقها فخذوه وجيئوني به . ففعلوا وآتوه بماء كثير من عرق الخيل فقال لها : هناك يا بلقيس ماء روي ليس من أرض ولا سماء . قالت : أجبت عن هذه فماذا تقول في الخصلتين ؟ قال لها : اما شبه الولد ، فان النطفة إذا سبقت من الرجل كان الشبه له وان سبقت من المرأة كان الشبه لها — قالت : صدقت ، قالت : فالخصلة الثالثة ؟ قال لها : تبارك وتعالى عن سؤالك وأنا راغب إلى ربي ، فرغب سليمان إلى ربه في مجلسه ذلك فأوحى الله إليه — إني قد أنسيتها ذلك فاسألها عنه فسألها —

فقالت : ما أدري ما سألتك عنه يا نبي الله فعرض عليها سليمان الإسلام . فقالت : انظر في أمري هذا يومي هذا ، فقالت الجن : كنا نصيب في سليمان رحمة النبوة ، فيسأل عما نريد [1] فإذا هو تزوج بلقيس أتتنا فطنة الجن وحيل الأنس وكيد النساء فلم نصب راحة فكيف إذا اجتمعت مع أعوانها من الجن والأنس أهل القسوة والتطاول على من دونهم لم نأمن على أنفسنا الهلكة يحجب عنا كل خير وينزل بنا كل سوء وشر. تعالوا فلنزهده فيها فإنه قد ذكر أنه يريد يتزوجها ، فقال لهم عفريت من الجن يقال له زوبعة : أنا أكفيكم سليمان . فآتاه فقال له : يا نبي الله بلغني أنك تريد تزويج بلقيس وأمها من الجن ولم تلد جنية من أنثى قط ولداً إلا كان رجلاه مثل حافر الحمار وساقه اجمان [2] صلب القسوة حاد النفس حار الجسم ، قال سليمان : فكيف لي أن أنظر إلى ذلك منها واعلم من غير أن تعلم ما أريد به منها؟ قال له زوبعة: أنا أكفيك ذلك . فصنع زوبعة لسليمان مجلساً من قوارير وجعل أرض المجلس لجة وسرح فيها السمك، ثم جعل فوق ذلك صرحاً ممرداً من قوارير ، ثم قال له : ارسل إليها فلتدخل عليك فإنك ترى الذي تريد . فبعث إليها وهو على كرسيه ليس في البيت مجلس غيره ، فلما رأت الماء والسمك تجول فيه ضربت ببصرها للتنظر مكاناً تجلس فيه فلم تجد ، وحسبته لجة ، فكشفت عن ساقيها لتخوض الماء فلما رآها سليمان ونظر إلى ساقيها عليهما شعر كثير أسود على بياض ساقيها . قال لها سليمان : لا تكشفي عن ساقيك انه صرح ممرد من قوارير . فنظرت فإذا

---

(١) في الأصل يريد .

(٢) لعله وساقاه احمان – ح .

ملكها ليس هو شيء عند ملك سليمان وأيقنت أنها آية من عند الله ليس من تملك المخلوقين فقالت : يا نبي الله ظهر الحق وذهب الباطل ، ثم قالت (رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) . فلما نظر سليمان إلى شعر ساقيها ورأى جسمها أحسن جسم صرف وجهه عن ساقيها للشعر الذي رأى ، فعلمت بلقيس أنه انما صرف بصره ووجهه للشعر الذي رأى قالت : يا نبي الله ان الرمانة لا يدري ما هي حتى تذاق . قال سليمان : ما لا يحلو على العين لا يحلو على الفم ، ثم تاوم سليمان أمره في بلقيس شهراً حتى أنزل الله عليه براءتها من ريب الجاهلية ، فلما عزم سليمان على تزويجها ، قال له رجل صالح من الجن — كان يحب ما وافق سليمان : يا نبي الله هل كرهت منها إلا الشعر ؟ قال : بلى ، قال : اني سأتركها لك مثل الفضة من غير عيب ، قال له : افعل . فصنع لها النورة وبعث بها إليها واتخذ لها الحمام — قال بعض أهل العلم : كانت أول نورة عملها مخلوق وأول حمام صنع ذلك الجني وصنع لها ذلك الجني صرحين ممردين وضروب الصناعات — وتزوجها سليمان فأعجب بها وبعقلها وتدبيرها بحسن رأيها فولدت له داود ورحبعم فأما داود فمات في حياة سليمان ابيه وبقي رحبعم بعد سليمان وسرح بلقيس على ملكها ونزلت بمأرب ، فكان يأتيها سليمان في كل شهر مرة فيقيم عندها سبعاً ثم يسير في الأرض ، وكان يعينها بالشياطين يعملون لها . فعامة صناعات أهل اليمن من قبل الشياطين . وافترقت عنهم في الناس شرقاً وغرباً .

وان سليمان أمر الريح فسارت به إلى الأحقاف ليزور قبر هود النبي صلى الله عليه وسلم ، فسار حتى نزل في الأحقاف ودخل إلى قبر هود ورآه ثم انصرف ومر على البحر حتى بلغ عدن .

قال أبو محمد : لما بلغ سليمان إلى عجز الأحقاف أمر الريح فأمسكت ، ثم قال : وأشار بيده هناك ولي الله حنظلة بن صفوان صدق وكذبوه فنجا وهلكوا وإلى الله المصير .

قال ابو محمد عبد الملك بن هشام عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال : ذكرت أحاديث القبور في مجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فتشعبت بنا فيها فنون كثيرة فلم يبق منا أحد إلا حدث حديثاً ، فأقبل رجل من جهينة يسمى جفينة ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (وعند جفينة الخبر اليقين) ، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم : قد أتى من يحدث فيحسن . فلما جاءنا سلم ثم جلس ثم قال : أفيكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قلنا له : هذا رسول الله ، فقام إليه مسرعاً فقبل يده فنفضها عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال : ان هذا حمقة من حمقات الأعاجم كانوا يستطيلون على الناس بتجبرهم ، فإذا جلسوا في مجالسهم فدخل عليهم من هو دونهم تملقهم بهذا يستجلب رأفتهم وان تحية الإسلام المصافحة فقال : يا رسول الله اني أتيتك من ظهراني قوم جربتهم فقست قلوبهم ومرنت على التكذيب جلودهم وإني أحببت الإسلام وأتيتك فيه راغباً فاشرح لي إعلامه وادللني على فرائضه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بن عباس علمه من ذلك ما يفقهه . فمكث أياماً فتعلم السنة وقرأ سوراً من القرآن وحسن فقهه . وان الأيام جمعتنا وإياه في مجلس كما كنا أول مرة فأعدنا ما كنا فيه من أحاديث القبور ، فقال جفينة : حدثني أبو قنبرة بن الغسان عن أشياخه قالوا : نزلت بنا جحرة

أزمة سنة شديدة أكل الناس خيلهم ، فلما أكلوا خيلهم مطيهم فكانت الذخائر التي لا يفضى إليها إلا في الجهد الشديد ، فلما أفنوها تتبعوا خشاش الأرض من الحرشة وأولادها من شدة الأزل فخرجت جماعة من الحي في طلب النبات فاشرفوا على هجل ذي نبات جم ، فلما توسطوا ساحته رأوا غيراناً متقابلة تأوي إليها السباع وجن عليهم الليل في بعض ما كانوا يطلبون فأووا إلى غار منها وهم لا يعلمون البلد الذي هم فيه ، فإذا فيه أولاد سبع . قال : فحدثني رجل منهم يقال له مالك قال : فرأيت في الغار أشبالاً حين شدت قال فخرجنا هاربين قال : فدخلنا وهدة من وهاد الأرض بعدما تباعدنا من ذلك الموضع فأصبنا على باب الوهدة حجراً مطبقاً فاعتونا عليه فقلعناه فإذا رجل عليه جبة صوف في يده خاتم عليه مكتوب : أنا حنظلة بن صفوان نبي أهل الرس،رسول الله وعند رأسه صحيفة نحاس مكتوب فيها بعثني الله إلى عريب [1] وهمدان والعرب من اليمن بشيراً ونذيراً فكذبوني وقتلوني . قال : فاعادوا عليه الحجر كما كان والصخرة في مكانها كما كانت .

عن هشام عن أبي يحيى السجستاني عن مرة بن عمر الأيلي عن الاصبغ بن نباتة قال : انا لجلوس ذات يوم عند علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — في خلافة أبي بكر اذ اقبل رجل من حضرموت لم أر قط أطول منه ولا أكره وجهاً ، فاستشرفه الناس وراعهم منظره وأقبل حتى وقف فسلم وحيا ثم جلس فكان كالقائم فكلم أدنى القوم اليه مجلساً وقال : من عميدكم ؟ فأشاروا الى علي بن أبي طالب — كرم الله وجهه — وقالوا : هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعالم الناس والمأخوذ عنه . فنظر اليه

(١) بالأصل غريب .

علي فقال . اجلس أيها الرجل . فقال : أنا جالس أيها الهادي فقال له علي : من حضرموت أنت ؟ قال : نعم . ثم قام اليه الحضرمي فقال .

اسمع كلامي هداك [1] الله من هادي   وافرج بعلمك عن ذي لوعة صادي
جاز التنائف من وادي السكاك إلى   ذات الاماحل من بطحاء أجياد
تلفه الدمنة البوغاء معتمداً   إلى السداد وتعليم بارشاد
سمعت بالدين دين الحق جاء بـه   محمد وهو قرم الحضر والبادي
فجئت متنقلاً من دين طاغية   ومن عبدة أوثان وأنداد
ومن ذبائح أعياد مضللة   نسيكها خائب ذو لوثة عادي
فادلل على القصد وأجل الريب عن كبدي
بسرعة ذات ايضاح و رشاد
والمم بفضل هديت اليوم من شعثي   ثم اهدني انلك المشور في النادي
ان الهداية والايمان شافية   عن العمى والتقى من خير ازواد
وليس يفرج ريب الكفر عن أحد   أضله الجهل الا حية الوادي

قال : فأعجب علياً شعره وقال له علي : لله درك ما أرصن شعرك ! قال : فسر به وشرح له الإسلام ، فأسلم على يديه وحسن إسلامه ، ثم ان علياً سأله فقال له : أعالم أنت بحضرموت ؟ قال : إذا جهلتها ما أعلم غيرها . قال : أتعرف موضع الأحقاف ؟ قال له : كأنك تسأل عن قبر هود النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال له علي : لله درك ما أخطأت . قال : نعم ، خرجت في عنفوان شبابي في غلمة من الحي ونحن نريد أن نأتي قبره لبعد صوته فينا وكثرة ذكره فسرنا في بلاد الاحقاف أياماً وفينا رجل

---

(١) ل - كلاك .

عرف الموضع حتى انتهينا إلى كثيب أحمر فيه كهوف مشرفة فانتهينا إلى كهف منها فدخلناه. فأمعنا فيه طويلاً ، فانتهينا إلى حجرين قد طبق أحدهما على الآخر وفيه خلل يدخل منه النحيف متجانفاً ، فدخلته فرأيت رجلاً على سريره فإذا مسست شيئاً من جسده أصبته رطباً لم يتغير ، ورأيت عند رأسه كتاباً بالمسند : أنا هود النبي آمنت بالله وأشفقت على عاد بكفرها وما كان لأمر الله مرد – فقال لنا علي – رضي الله عنه – : كذلك سمعت من أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم .

قال ابو محمد : لما نزل سليمان عدن وسار من اليمن بعتاق الخيل من بقايا خيل الصعب ذي القرنين ، أخرجت اليه الخيل من البحر الخيل الخضر فأعجبته وفتن بها فطفق مسحا بالسوق والأعناق فانسته التسبيح والتهليل . وقال بعض أهل العلم : بل نسي صلاة العصر ، ثم ذكر الصلاة والتسبيح فقال : ليبلوني أأشكر أم أكفر ، فأمر بالخيل الخضر فعقرت فزعموا أنها ردت إلى البحر . ثم سارت به الريح حتى بلغ تدمر وكان لخاتمه نور يقوم بين السماء والأرض فيزدحم عليه الطير في الهواء على رأس سليمان . ثم أن خاتم سليمان سقط من يده فذهبت الطير وسكنت الريح لما أراد الله أن يرى سليمان ومن معه من المؤمنين أن الدنيا وما فيها إلى زوال ، ثم سلب الله سليمان ملكه ليبتليه ، فلما سلب ملكه علم أنه لما نسى من ذكر الله فخرج هارباً يجول في الفيافي ويتضرع إلى الله وأن شيطاناً من الشياطين كان ساحراً كتب سحراً وجعله تحت كرسي سليمان وسحر به آصف كاتب سليمان وتمثل في صفة سليمان ، وصعد على كرسيه ودخل على نساء سليمان وآزره آصف وهو لا يعلم أنه شيطان ، فلما نظر آصف إلى فعل ذلك

الشيطان أنكره وقال : ابطل جوره على عدله [1] الأول ، ثم دخل على نساء سليمان فسألهن عنه فقلن له : إنه يأتينا في المحيض وإذا طهرنا لم يقربنا ! وقال : أنكرت قضاءه لما رأيت من عدله وأظهره من جوره ، ثم بث ذلك الشيطان السحر في الناس فقال : ليس هو سليمان . ورد الله على سليمان ملكه — وقال بعض أهل العلم : ان الله تبارك وتعالى لايمكن الشيطان من هذا فيخلو بنساء النبيين — وقال قوم ذلك ان الله ابتلاء لخلقه والقتل أكبر من النساء وقد قتل الكافرون النبيين . قال الله (ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) ، فلما رد الله على سليمان ملكه بقدرته وأتى فأصاب الخاتم فرفرف الطير على رأسه وعصفت الرياح وطافت به وهو يسبح وسبحت الطير والجبال بتسبيحه ودخل قصره وقتل الشيطان . ثم لم يمكث سليمان بعد ما رد الله عليه ملكه ونعمته حتى مات صلى الله عليه وسلم ، فكان عمره بعدما تزوج بلقيس أربعين سنة ، فلما مات صلى الله عليه وسلم قام بنجران القلمس بن عمرو بن قطن بن همدان ابن سار بن زيد بن وائل بن عبد شمس بن وائل بن حمير بن سبأ — والقلمس أفعى نجران — وكان داعياً من دعاة سليمان بنجران آمن وحسن ايمانه فقام خطيباً في أهل نجران واجتمع مؤمنوا نجران فقال : أيها الناس ان الدهر أنذركم والموت أدبكم فهل تجدون من ذلك مجيراً وعنه محيداً ان الله لم يشرك أحداً في ملكه خلقهم للفناء واستأثر بعدهم بالبقاء . جعل الموت منهلاً ليس عنه مزحل ، ان سليمان نبي الله مات أعطاه الله ما لم يعط أحداً قبله ولا بعده فلم يك بذلك يدفع المقدور ولا يصرف المحذور ، ولما قرب الأجل اضمحل الأمل ونزل الموت عليه بالفوت ، فهو لكم عارية وأنتم له تراث

---

(١) لعله جوره وعدله — ح

فأضحى لكم نوراً وكنتم له مناراً ، فمن استمسك فقد أصاب ومن الحد فقد أخطأ . دعا فأصاب ودعي فأجاب ، غاب وشهدتم فأدوا ما سمعتم وعلمتم ، أيها الناس هيهات والله هيهات أصبحتم بين طبقتين من الأموات تسابقون الساعات وتنتظرون الميقات خلقتم قبل الوعد والوعيد وتقدمتم النبأ وجاءكم الخطاب وغاب عنكم الثواب وإلى الله المآب — خلقتم قبل كل شيء ولكم نفع كل شيء وعليكم ضر كل شيء فعليكم الشكر ولكم النصر ، أيها الناس سمعتم وأبصرتم والسمع والبصر للفؤاد ، فمن سمع وأبصر نجا ومن لها هفا وعهد الدهر لكم هباء وثاركم جبار ولتعودن أخباراً ، ثم من بعد من أين إلى أين [1] ، ثم أنشأ يقول :

ألم يوجلك ذا الخبر اليقين ... بذاك وان نأى وقت وحين
ألم تر كلما ولى وأودى ... قرانا [2] لا يعود ولا يكون
وما دنياك إلا حلم يوم ... تنبه كي تدان بما تدين
فان الزاد محفوظ إذا ما ... تحمل عن مغانيه القطين
ألم تسمع بذي القرنين لما ... تمكن عنده الملك المكين
وكان الصعب في الدنيا بصغو [3] ... وجد الدهر فيه له قرين
تقضي طول مدته فاخنى ... عليه بصرفه دهر خؤون
تعدت فيه أسباب الليالي ... وأخرج من أمانته الأمين
فجاد بروحه لما دعته ... دواعي الحين وهو بها ضنين
لقد جارى الخلود إلى مداه ... وبان فأنجم الأفلاك جون
ألم تر صاحب الملكين أمسى ... تحزمه عن الدنيا المنون

---

(١) كذا بالأصل .
(٢) لعله قرين .
(٣) في الأصل — بن الصعب .

وكان عليه للأيام دين — وقد قضيت عن المرء الديون
رفاهة ملكه يوماً [1] سواء — عليه الغث فيه والسمين
على الكرسي معتمدا عليه — يرف الخد منه والجبين
فخانته العصا من بعد ما قد — لما به حين وحين [2]
فخانته فخر لها وخرت — وصرح عندها الخبر اليقين
يسير بشر جع لا وصل فيه — تحار الشمس فيه والعيون
وتضحى الجن عاكفة عليه — كما عكفت على الأسد العرين
فسخرت الجبال له جميعا — عليها الطير عاكفة عزين
فدان له الخلائق ثم قسرا — ودان الجن فيما قد تدين
بنوا صرحاً له دون الثريا — وأجرى تحته الماء المعين
تراه أملساً لا عيب فيه — يحار بصرحه الذهن الذهين
وقد ملك الملوك وكل شيء — تدين له السهولة والحزون
فأفنى ملكه كر الليالي — وخون الدهر فيما قد يخون
وكل أخي مكاثرة وعز — على ريب الحوادث مستكين
كذاك الدهر يفني كل شيء — فيضعف بعد قوته المتين

قال ابو محمد : لما مات سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم ، ولي أمره في الخلق بعده ابنه — وهو وصيه وخليفته — رحبعم بن سليمان — وهو بن بلقيس — .

(ملك رحبعم بن سليمان عليه السلام)

فولي اليمن رحبعم بن سليمان سنة فآتاه رسول بني اسرائيل من بيت

---

(١) فيه ما فيه فلينظر .
(٢) كذا بالأصل .

المقدس فقالوا له : ان أهل الشام ارتدوا بعد سليمان عن دين الله فاجتمعت اليه حمير ، فقال له القلمس أفعى نجران : يا خليفة رسول الله أردت الشام وأهله أهل بأس وفتنة لا يعطون إلا عن قسر فاجعل سيفك دليلاً وعزمك خليلاً وأن للكفر طرباً من القلوب لا يحول بينها وبينه إلا الخوف ولن تخيفهم إلا بعزم وصبر وان الله المعين . قال رحبعم : لله جنود بيت المقدس ينصرون الله وينصر هم ، خذوا أهبة الحرب وأعدوا الجيوش حتّى يأتيكم أمري فان السنة محلة والجدب عام فتربص كل قوم من جيوش حمير عند أنفسهم ومضى رحبعم إلى الشام وخلف أمه بلقيس بمأرب حاكمة على اليمن ، وسار رحبعم إلى بيت المقدس فاختار من بني اسرائيل مائة رجل ، فسار بهم على مدائن الشام فأجابوه إلى أمر الله حتّى بلغ إلى انطاكية فأتمروا به فقتلوه وهم من الجبارين من بقايا بني ماريع بن كنعان بن حام بن نوح فقتلوه وقتلوا المؤمنين الذين كانوا معه وتجبر بنو كنعان بأخوانهم من القبط ابن كنعان والنوب بن كنعان ، فلم يكن لبني أسرائيل بهم طاقة ، وبلغ ذلك بلقيس وقد أدركها الهرم فلم تستطع النهوض إلى الشام ووقعت فتنة باليمن فنبغ الثوار كل يدعي الملك وتغلب على من تحت يده ، وأرسل الله تبارك وتعالى جنداً من الملائكة على أهل أنطاكية فأغاروا عليهم فخرج أهل أنطاكية في طلبهم فاما فحصوا عطفوا عليهم ووضعوا فيهم السيف فقتلوهم إلى باب أنطاكية فأغلقوا باب المدينة ونزل عليهم الملائكة في المدينة فقتلوهم أجمعين . فزعم أهل العلم : أن فيهم أنزل الله (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين ، فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون ، لا تركضوا وارجعوا إلى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون قالوا : يا ويلنا انا كنا ظالمين ، فما زالت تلك دعواهم حتّى

جعلناهم حصيداً خامدين)

(ملك مالك بن عمرو بن يعفر)

قال ابو محمد عبد الملك بن هشام : ثم قام الغلام الذي سماه الهدهاد ابن شرحبيل للملك – وهو مالك بن عمرو بن يعفر بن عمرو بن حمير بن السياب بن عمرو بن زيد بن يعفر بن سكسك المقعقع بن وائل بن حمير ابن سبأ – خطيباً فقال : يا بني حمير نطق الدهر وخرستم وانتبه الذل ونمتم ، أما ترون الجبابرة تجاهلت وكل يد تطاولت ، سفهت الأحلام وانتبه العوام والملك تراث أهل العزم والألباب دعوتكم ودعاكم الذل أجيبوا احدى الدعوتين فلكم نبأ ولله قضاء وقد عهد اليكم الهدهاد عهدا فيه الفصل والسداد فأجابوه وقدموه في الملك فسمى مالك ناشر النعم .

قالت حمير : نشر لنا مالك الملك بعد الموت وأحياه بعد الهلكة ورده بعد الذهاب – فقال في ذلك النعمان بن الأسود بن المعترف الحميري :

أنا شر وجه العز من جدث القبر	أجدت على ما شئت من أجركم أجرى
حييت بروح الملك في كل شارق	تحية ملك في نماء إلى الحشر (١)
لعمري لقد جللت حمير نعمة	ستبقى لها فخر السيوف على ذكر
وراجعتها الملك الذي كان قد مضى	فأنت حسام الدهر ذي النعم الزهر
ولولا سليمان الذي كان امره	من الله تنزيلاً ووحياً على قدر
لما كان انس يبتغي أن يرومنـــا	ولا الجن إلا أن نساق على قسر
ولكن قدراً كان تحويل ملكنا	إلى ابن نبي الله داود ذي النصر

(١) هذا البيت والذي قبله كما ترى .

فنحن ملوك الناس قبل نبيه وقبل أبيه الحبر عصراً من الدهر
ونحن ولاة الملك في الدهر ما بقى إلى أن يكون الدين قصراً إلى الحبر
نبي أمين أمره غير زاهق رحيم بذي القربى لطيف بذي الوتر
شفيق رفيق واهب متفضل أمين له أمر يؤول إلى أمر
محمد الهادي وأحمد اسمه رسول منير مشرق الوجه كالبدر
له أمة منا غطاريف سادة مصا ليتها أهل النكاية والصبر
يدينون دين الحق عن دين أحمد يسيرون في الدنيا على الحق بالنصر
وسوف ترى السودان من أرض حمير من الاثل والأحقاف قسراً إلى هجر
يكون لها ملك لهم غير طائل يقيم بها عشراً تؤول إلى عشر
فيخرجهم ذو الشأن منها بقدرة ويقتلهم قتلاً ذريعاً إلى البحر
ويغلب آفاق البلاد بعزمه ويبقى بذاك الذكر في آخر الدهر
يرد عماد الملك من آل حمير يقوم له إلا ملاك بالحمد والشكر
بني حمير عدوا البلاء لعزكم فإن المعالي لا تصاب بلا صبر
فليس ينال العز من كان خاملاً وليس يدينون العباد بلا قهر

قال أبو محمد فلما ولي الملك ناشر النعم أقر بلقيس على ملكها بمأرب ولم يغير عليها شيئاً من ملكها ـ فقال الأعصم بن سام بن نوح بن زيد ابن المنتاب بن زيد بن عملاق الحميري يرثي سليمان بن داود النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

إن يكن الدهر أتى عامداً فنال بالقسوة خير المنال
معتمداً قهراً إلى ذي النهى وخير خلق الله عند الفعال
إلى سليمان بن داود إذ علا على الناس بفضل الكمال

فهـــدّ بالملك ذرى ملكنـــا ... جلا بنور الوحي دين الضـــلال
هدى سريعـــاً بالهدى أمـــة ... عارفة في الحق حسن المقـــال
يا خير مفجوع فجعنـــا بـــه ... مصطفياً بلقيس دهر الـــزوال
لـــئن بعثنا من بني حمـــير ... فوارس الهيجاء يوم الـــنزال
راحوا إلينـــا بالذي قالـــه ... قلنا الذي يسأل خير السؤال
دنا الذي دان عـــلى أننـــا ... لم نعطه الذلة عند المحال
فلم يـــرد حربـــاً ولكنـــه ... مال إلى الرحمة قبل القتـــال
أقـــام رحبعم لنـــا دعوة ... من بعده يومـــاً كفئ الظلال
انتقـــم الله له منهم بعاج ... ل السيف وبرد الشمـــال
فقام بالملك لنـــا ماجـــد ... يجود بالعرف وبذل النوال
يا ناشر الخيرات أحييتنـــــا ... يا ناصر الملك على كل حال

قال أبو محمد وحدث أسد عن أبي ادريس عن وهب أنه قال — لما هزمت الملائكة أهل انطاكية الذين قتلوا رحبعم غلقوا باب سورهم وعلوه فهبت عليهم ريح الشمال ببرد صرفاً سقطتهم موتى ونزلت الملائكة إلى الباقين فقتلوهم والله أعلم — وعاشت بلقيس بعد ابنها رحبعم سنة وماتت فقال النعمان بن الأسود بن المعترف بن عمرو بن يعفر الحميري وهو من بيت الملك وأبناء الملوك يرثي بلقيس ابنة الهدهاد بن شرحبيل :

• أخرج الموت من ذرى قصر بينو ... ن همامـــاً على الحمادير[1]
حمير الخير قد رأيتك عصـــراً ... ذا بهاء من قبل تقضي الأمور
فـــأراني إذا ذكرت هماماً ... ملكاً قد تضمنتـــه القبور
يا لقومي لقد أراهم وللدهـــر ... صروف تمضي بهـــم فتبير
ناعماً بالنا قد أوطـــأت ذلاً ... في شروق البلاد والخيل زور

(١) في هذه القصيدة ابيات غير مستقيمة .

وغروب البلاد ترجف منها وعلى ملكها السحاب المطير
فهم اليوم حشوة في قبور وأرى ما بقي إليهم يصير
صاح إن كان ملك حمير أودى جار فيه الزمان فيما يجور
أوحش العرش من ذوي أهل عز ورمى للزمـــان كف هصور
ان بلقيس قد أذل لها الملك سليمان واصطفاها قدير
إذ رسول له الينا عجيـــب بكتاب وما آتانا غرور
قد آتانا بذاك في الطرس سطراً فاهتدينا وكل ذلك نور
ذاك وحي من الآله بيـــان فاضا الحق إذ آتانا البشير
هدهد من طيور أرض شآم فرمى في الهواء على العرش نور
باقتضاء الهدى إلى ملك بلقيـــــس بغمدان إذ آتاها النذير
إذ أتى آصف فاختلس العر ش سريعاً وما لديه مجير
لم تحس الاحراس نبأته حيـــن تولى وكأنه مسحو ر
أبصرت في الكتاب بلقيس عجباً فأتى منظر مهيب كبير
أرسلت في ملوك حمير اني قد آتاني الغداة أمر منير
فاشيروا فقد رضيت بما قلـــتم فان الملوك ممـــن يشـــير
فنطيب الصحاح منا لما جـــا ء ومر العباد أمر نكـــير
قام أهل النهي وقالوا الخير ان منك السداد والتبشير
نحن أهل الرشاد والملك والعـــز لنا البأس والردى محذور
قالت الآن فاتقوا الذل منـــه كل ما قلت عنده معذور
ان اسنى ما لدي من الرأ ي وفي ذاك للجواب ظهور

لاطلاع الأنباء من خبر القو م وحكم من دونه مستور
أرسلت بين عاتق وغـــلام مائة شبهت عليها الحرير
وعتاقاً من الخيول تهادى وعليها من الملا تعبير
وصنوف الفصوص حمراً وصفرا وعلى ذاك لؤلؤ منثور
ولجين بحق عـــاج ودر مطبقاً ما يرى لديه فطـــور
وأتى بالبيان والعلم وحيا وهداه به العليم الخبير
كان ما كان بينهم من أمـــور وإلى ربها ترد الأمور
وأتى الوفد بالجواب على الحين وكل بشأنه مأمـــور
ثم ولوا بذاك من ذا وهذا ك وبادوا وملكهم مشهور
استعاروا من مالك الملك ملكا وإلى الله ما أعار يحور
اسلموا ملكهم ولم يسلموا من غير فالردى عليهم يدور
كل عسر وان تطاول دهرا بعده الموت ذاك عسر قصير

قال ابو محمد : حدثنا أسد بن موسى عن زياد بن عبدالله عن محمد ابن اسحاق قال عبد الله بن عباس : أول من خرج من اليمن وشخص إلى أرض تهامة عملوق ويقال ـ عملاق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح النبي ـ وأنشأ عملاق يقول عند شخوصه إلى مكة :

لما رأيت الناس في تبلبـــل وسائر مما درا النبأ الأول (١)
يعفر في الجم الغفير المعضل فقال سيروا في البلاد الأمثل
قلت لقومي قول من لم يجهل سيروا بجمع القوم في تمهل
إلى يماني الأرض ذات القرمل نزلته حينا ولما ارحل
ثم رحلت عن مقام أطـــول إلى حريم البيت ذات الحرمل

(١) ل ـ زصار لينا ذو اللسان الأول .

وقلت يا طسم إلي فاعجل نحل بالبيت العتيق الأفضل

فسار عملاق ببنيه وبني بنيه وهم قبيل كثير حتى نزل مكة وبها بقايا هزان بن يعفر بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ ، ثم شخص بعده أخوه طسم بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم في طلب عملاق وأنشأ يقول :

اني أنا طسم العلا بن سام ووالدي لاوذ بن رام
لما رأيت من بني الأعمام عملاق قد سار إلى المقام
قالت لنفسي الحقي في عام أخاك عملوقاً وذا الاقدام
وخلفي يافث وآل حام

فسار حتى نزل الطائف وأرض جو — وهي اليمامة — وانما سميت أرض اليمامة بالجارية الحادة البصر التي تسمى اليمامة ، ثم شخص جديس ابن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح في أثر أخيه طسم — وقال سعيد بن سعد بن جديس :

أنا ابن مأمون الحياة عبقر لما بدا عملوق ذو التهير [1]
إلى بلاد البيت ذي المحجر رأيت وجه الدهر في تغير
وفاض منا غير نكس امدر قضيت سيراً بالوجوه البصر [2]
إلى حريم الأرض ذات المشعر من أرض سام جدنا المعمر
حتى نزلنا بالمقام الميسر

فسارت جديس حتى نزلت بجوار اخوتهم من طسم ، وكان طسم بنوه

---

(١) ل — التهور .

(٢) ل — طفقت اسري للوجوه النضر .

نزلوا مران من أرض جو وغلبوا على بقايا هزان بن يعفر بن سكسك المقعقع، وكان بنو هزان قد هربوا من مكة وأرض تهامة وحرها إلى طيب اليمن ، فما أقل من بقي منهم بمكة والطائف وجو . ونزل جديس وبنوه على هزان في بوادي جو فأساء جديس وبنوه جوار هزان وتطاول عليهم فقال الأعفف [1] بن هزان الهزاني في ذلك :

قد غرنا من دهرنا طول المنا وهرنا من دهرنا ما لزنا
وشتت الله علينا أمرنا ثم اجتنى الأحياء علينا بالفنا
قد غرنا الدهر لما قد غرنا ابناء عمرو ما نجوا من غمنا
قد تبعتهم غمنا ذوي الغنا

ثم سار قطورا ورائس ابنا لاوذ بن ارم بن سام بن نوح حتى نزلوا بأجياد . ولما ولي يعرب بن قحطان ملك مكة جرهم على بني عملاق وطسم وجديس ورائس وقطورا وجاور عملاقاً وكثر بنو جرهم بمكة حتى شاركوهم بها . فأقام جرهم بمكة دهراً طويلاً ، ثم مات وولي الملك بعده ابنه عبد ياليل بن جرهم فولي عبدياليل بن جرهم بمكة الملك دهراً طويلاً ، وكان ملكه كملك أبيه من تحت ملك يعرب بن قحطان والملوك من بنيه . ثم مات عبد ياليل فولي الملك من بعده ابنه حشرم بن عبد ياليل . فولي الملك دهراً طويلاً وكان أجود خلق الله في وقته وانداهم كفا فعمرت في زمانه مدينة مكة وكثر البناء بها وكثر الحجيج – فقال في ذلك الأسعر بن أسعد العملاقي يمدح حشرم بن عبد ياليل :

لابن عبد ياليل المعظم حشرم تناهى الندى فاقعد لذلك أو قم

(١) ل – عقب .

لقد جر سجف العرف حتى اباحه تناول منه كل غان ومعدم
يرى ماله نهباً لمن رام أخذه كأن عليه فيه الوه مقسم
لقد ضاع من يستودع الذئب شأنه كما ضاع مال ضمه بيت حشرم
إذا عذت مما لا يطاق بعزه تعوذت بالحرمان من رأس جرهم

فولي الملك بعده ابنه عبد المدان بن حشرم الجرهمي دهراً طويلاً ، ثم مات فولي الملك بعده ابنه نفيلة بن عبد المدان بن حشرم الجرهمي وكان عاملاً لعبد شمس سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود . فولي الملك دهراً طويلاً، ثم مات فولي الملك بعده ابنه عبد المسيح بن نفيلة الجرهمي وغزا بالجيوش إلى أرض الحبشة وإلى بني ماريع بن كنعان ، وإلى الشام فعمرت بذلك دهراً طويلاً ، ثم مات فولي الملك بعده ابنه مضاض بن عبد المسيح ، واسم عبد المسيح عمرو – فغزا بالجيوش وقاتل الأمم ، فولي بعد ذلك دهراً طويلاً ثم مات ، فولي الملك بعده ابنه الحارث بن مضاض الجرهمي .

قال أبو محمد [١] في زمان شرحبيل وعمرو ذي الاذعار وقعت فترة في ملك حمير فنبغ في بني ماريع بن كنعان بن جالوت بن هربال ، وقام بالشام ونصره بنو حام بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم ونصره القبط بن كنعان بن حام من أرض بابليون ونصره بنو النوب بن كنعان بن حام بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم من برية أرض بابليون ، وكان طالوت داعياً من دعاة النبي داود صلى الله عليه وسلم،وهو طالوت بن روحيل بن شمعون ابن خصرون بن عمون بن واهب بن يهوذا [٢] بن يعقوب بن اسحاق بن

---

(١) في ل – عنوان ولاية الحارث بن مضاض الجرهمي .
(٢) قد تقدم في نسب سليمان عليه السلام ما يخالف هذا فراجعه .

ابراهيم أمره داود بجهاد جالوت ، فخرج اليه في بني اسرائيل وأمره النبي داود أن يحمل التابوت الذي فيه السكينة ، فسار بين يديه وقال له داود : ان الله أنزل فيه السكينة وأسكنها قلوبكم وزلزل أكباد بني ماريع وقذف فيها الرعب فجعل طالوت التابوت بين يديه كما تسير العرب بالرايات وكما تسير العجم بالفيلة فحمل التابوت على القنا ، ثم سار بريد طالوت إلى النبي داود صلى الله عليه وسلم يستمده فخرج داود عليه السلام بمن معه وكان طالوت عالماً بالحروب وبكل علم وأعطاه الله بسطة في العلم والجسم. فلما أتى داود انهزم جالوت وبنو حام وقتل داود جالوت ، كما قال الله تعالى (وقتل داود جالرت)

قال ابو محمد : كان بنو اسرائيل من بعد داود وسليمان يزحفون بذلك التابوت ، وذلك أنه لما حمى الوطيس واستمر الوغى القى بنو اسرائيل القنا من أيديهم الذين يحملون بها التابوت فسقطت وحملت التابوت الملائكة فوق رأس داود صلى الله عليه وسلم حتى هزم الجبارين وقومهم .

قال ابو محمد : لم يزل بنو اسرائيل يزحفون بالتابوت حتى كان في زمن الحارث بن مضاض الجرهمي بعد موت اسماعيل النبي صلى الله عليه وسلم وبعد موت ابنه ووصيه نابت بن قيذار بن اسماعيل ، فبدل بنو اسرائيل دين داود وسليمان صلى الله عليهما وانتحلوا على الزبور كتباً انتحلوها وأنهم زحفوا إلى أهل الحرم وهم اذ ذاك عملاق وجرهم وبمكة بنو اسماعيل وكان اذ ذاك القائم والوصي فيهم بدين الله ودعوة اسماعيل هميسع بن نبت بن قيذار بن اسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليهما. والملك يومئذ بمكة وما والاها الحارث بن مضاض الجرهمي ، فلما أتى بنو اسرائيل إلى مكة زاحفين بمن

نصرهم من بني اسحاق والروم الاول من أرض الشام برز اليهم جرهم في مائة الف وعملاق في مائة الف فقاتلوهم قتالاً شديداً فانهزم بنو اسرائيل ومن معهم ورموا بالتابوت فأخذته جرهم وعملاق فأتوا به إلى مزبلة من مزابل مكة فحفروا له ودفنوه فيها فنهاهم عن ذلك هميسع بن نبت بن قيذار بن اسماعيل ونهاهم عنه الحارث بن مضاض الجرهمي فعصوهما وقال لهم هميسع : ان فيه صحف الزبور وفيه السكينة فأخذهم الوباء بالغم وكانوا لا يتداركون فعمد الحارث بن مضاض إلى التابوت في تلك المزبلة فاستخرجه ليلاً وأخذه هميسع وكان عنده يتوارثونه وارث عن وارث إلى زمان عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه أخذه من كعب بن لؤي بن غالب ، فلما هلكت جرهم وعملاق غماًوفنوا جميعهم ولم يبق من عملاق إلا عشرون رجلاً فكانوا مؤمنين على دعوة اسماعيل مع هميسع وثمانية رجال من جرهم مع الحارث بن مضاض الجرهمي . فلما رأى الحارث قومه هلكوا ترك ابنه عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي عند الهميسع وخرج هارباً يجول في الأرض هماً وغماًووحشة لما نزل بقومه ، وشب ابنه عمرو وتغرب الحارث ابن مضاض ثلاثمائة عام ، ولقد كثرت فيه الأمثال وسار بغربته الصوت حتى ذكره حبيب بن أوس الطائي في الإسلام فقال :

غربة تقتدى بغربــة قيس بن زهير والحارث بن مضاض
والفتى من تعرقته الليـــــالي في الفيافي كالحية النضناض
صلتان اعداؤه حيث كانوا في حديث من ذكره مستفاض

هذه الأبيات في شعر له . وحدث ابن لهيعة عن أبي مخنف عن كميل بن زياد النخعي عن علي بن أبي طالب رحمه الله عليه ورضوانه أنه حدث يوماً

عن غربة الحارث بن مضاض الجرهمي قال : أخبرني عبد مناف عن أبيه عبد المطلب بن هاشم أنه قال : أدركنا الحكماء والمعمرين وأهل الآثار بالعلم الأول من أهل تهامة يذكرون غربة الحارث بن مضاض الجرهمي المتوج فكل قد رفع الحديث إلى الياس بن مضر وكان الياس بن مضر مؤمناً . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لا تسبوا جدي الياس فإنه كان مؤمناً ولا تسبوا تيما فإنه كان مؤمناً) زعم ان الياس قال: سألت عمي اياد بن نزار بن معد بن عدنان بن ادد بن هميسع بن نبت بن قيذار بن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام قال : قلت له يا عم ما كان أصل مالك ؟ قال لي: نعم يا بني مات أبي نزار وخلفنا ونحن أربعة أخوة- أنا ومضر وربيعة وانمار- وكنت أكبر أخوتي فاستخلفني عليهم وأمرني إن لم يتراضوا في القسمة أن يرتفعوا إلى القلمس الحكيم - أفعى نجران- فبلغنا إلى أفعى نجران فحكم لي بالخف والظلف وحكم لمضر بالقبة وحكم لربيعة بالفرس وحكم لانمار بالأرض . فحلت علينا أزمة شديدة فأهلكت مالي فلم يبق لي غير عشرة أبعرة فكنت أكري ظهورها وأعود به إلى أهلي حتى أتت رفقة إلى الشام من أهل مكة وأهل تهامة فأكريت ظهور جمالي وخرجت معهم وخرج أخوتي في الرفقة ربيعة ومضر وانمار فباع الناس تجاراتهم واشتروا ثم اني أكريت ابلي إلى المدينة ، فلما بلغناها التمست شيئاً أكري فلم أجد ، وتواعد الناس للرحيل بالغداة وبيننا وبين مكة عشر مناهل ، فأمسيت مغموماً ، فبينما أنا كذلك إذ سمعت صوتاً كالرعد وهو ينادي ويقول : أيها الناس من يحملني إلى البلد الحرام وله وقر جمله دراً وياقوتاً وعقياناً ، فلا يجيبه أحد ، اشتغل الناس عنه بأموالهم ، قلت لنفسي ومالي لا أعطيه جملاً فان كان صادقاً كان في ذلك الغنى وإن كان كاذباً لم يضرني ذلك ، فلم أزل أتبع الصوت حتى ظهر لي فإذا بشيخ كالنخلة

السحوق أعمى ولحيته تناطح ركبته فراعني ما رأيت من عظم جسمه . فلما دنا مني قلت : يا شيخ عندي حاجتك ، قال : ادن مني يا بني ، فدنوت منه فوضع يده على منكبي فكأني أحس يده على عاتقي كالجبل . قال : اياد ابن نزار ؟ قلت : نعم من أنبأك باسمي ؟ قال لي : علمك عندي عن أبي عن جدي أن اياد بن نزار يرد الحارث بن مضاض الجرهمي إلى مكة من بعد طول غربته . فكم عندك من الجمال ؟ قلت : عشرة قال : يكفي . قلت : أمعك أحد غيرك ؟ قال : لا ولكني أركب الجمل يوماً ويحيد [1] قال : قلت أنا قد أنعمت له وبالله لا أرجع عن قولي أبداً ، قال : قلت له نعم ، قال : فمل بي عندك أبيت ، فبات عندي ، فلما أصبح رفع الناس يريدون مكة وحملت الشيخ أريد معهم مكة ليس معي أحد . فسرنا نهارنا أجمع إلى الأصيل فحيد جمل فقطرته وحملته بالغداة على غيره فسرنا ولم يزل يحيد لي جمل في جمل حتى بلغنا مكة وعلونا جبل المطابخ ، قال يا بني : أحس الجمل يجرني جراً أواقع جزت جبل المطابخ ؟ قلت له : نعم ، قال لي : أيجاورك أحد يسمع كلامي ، قلت له : لا — قوماً أخرت وقوماً قدمت — قال : أتدري من أنا ؟ قلت له : لا ، قال لي : أنا الحارث بن مضاض بن عبد المسيح بن نفيلة بن عبد المدان بن حشرم بن عبدياليل بن جرهم بن قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم — كنت ملك مكة وما والاها من الحجاز والتهائم إلى هجر والأنعمين وحضر العالمين إلى مدائن ثمود وكان الملك قبلي أخي عمرو بن مضاض — وكنا أهل تيجان — كنا نعلق التاج يوماً على رؤوسنا ويوماً على الرتاج بالبيت العتيق ، وأنه أتى رجل من بني اسرائيل بدر وياقوت تاجراً إلى مكة واشترى الملك أخي عمرو ما أتى به من الدر والياقوت ونقض الملك التاج

---

(١) كذا ولم يظهر معناه .

وزاد فيه العقيان والدر والياقوت وجعله كالمجن وان الاسرائيلي غيب أحسن ما كان معه من الدر والياقوت ثم عرضه على بعض الناس وبلغ ذلك الملك عمراً ، فأرسل إلى الاسرائيلي فأتى به فقال له : لم غيبت عني عتيق ما معك وبعت مني نفايته ألم أبلغك أملك في درك وياقوتك ؟ قال : نعم أيها الملك ، قال : فما حملك على ما فعلت ؟ قال له الاسرائيلي : هو مالي أيها الملك أبيع منه ما ما أحببت وأحبس منه ما أحببت . فغضب عليه الملك وأمر به فنزع عنه ما معه من در وياقوت وكان يسيراً وان الاسرائيلي رصد الذي يحمل التاج إلى البيت يوماً ليعلق على البيت فعمد اليه الاسرائيلي فقتله وأخذ التاج وركب نجيباً ورفع رأسه في أول الليل وأصبح الناس فلم يدروا من ذهب بالتاج واشتبه عليهم الأمر حتى أتى الخبر اليقين من بيت المقدس ، فأرسل الملك عمرو إلى بني اسرائيل — وكان صاحب أمرهم فاران بن يعقوب بن سبط بن يامين — يأمره برد التاج ويأخذ منه كفاف حقه ويطل له الدم الذي أصاب ، واعترف الملك بالزلة وندم عليه ، فأبى عليه فاران . فارسل إليه الملك عمرو : أنه يعلق على البيت العتيق بمكة ولم يجعل في ذلك التاج غصباً قط ولا غلولا ، فأرسل إليه فاران أني أعلقه على بيت المقدس ، فأرسل اليه الملك عمرو : ان الله هو الغني ، فهل تسلب بيتاً لبيت فتعظم شعائر الله وتحلها بغلول ؟ فأرسل اليه فاران : نحن أهل كتاب أعلم بالله منك ، فأرسل اليه الملك عمرو : اعلم الناس بالله من أطاعه ولم يعصه ولم أر بيتاً يسلب بيتاً ولكن ملكاً يسلب ملكاً . فخرجنا اليهم في مائتي الف نحن جرهم في مائة الف وعملاق في مائة الف ونصرنا الأحوص بن عمرو العبدودي بطن من قضاعة بن مالك بن حمير في خمسين الفاً من عبدود بن كليب بن وبرة بن حلوان بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير . واستنصر فاران بن يعقوب بقومه من الروم — وكان صاحب

أمر الروم شنيف بن هرقل – فنصره شنيف في مائة الف من الروم . وخرج فاران في مائة الف من بني اسرائيل ونصرهم أهل [1] الشام في مائة الف ، فسار فاران بن يعقوب حتى نزل هذا الجبل وجاز عمرو الملك بمن معه حتى نزلنا هذا الجبل – جبل المطابخ – أفتدري لم سمي جبل المطابخ ؟ قلت : لا ، قال لي : نعم لما نزل شنيف وفاران شرقي الجبل أوقدوا النيران وطبخوا . ونزلنا غربي الجبل فأوقدنا وطبخنا فسمي هذا الجبل جبل المطابخ . قال لي : فما اسم هذا الموضع الذي تريده ؟ قلت له : قعيقعان ، قال : أفتدري لم سمي قعيقعان ؟ قلت : لا قال لي : نعم أصبحنا وأصبحوا تأخرنا لهم عن الجبل ونزلنا إلى سهب قعيقعان ، فلما تساوت بنا وبهم الأرض قعقعنا عليهم الجحف فسمي ذلك الموضع قعيقعان، قال لي: أفتدري وترى ربوة يقال لها « فاضحة » قلت له : نعم ها هي تلك وأنا أراها ، قال لي : فسمعت بيوم شنيف ؟ قلت له : نعم ، قال : أتدري لم سمي يوم شنيف ؟ قلت له : لا قال : نعم لما برز الجمع إلى الجمع برز من جمعنا أخي عمرو الملك وقال لي : يا حارث لك الملك بعدي . ثم تقدم اليهم فقال لهم : من ملككم وصاحب أمركم واني أنا عمرو بن مضاض . قيل له : آمرنا إلى شنيف بن هرقل ، قال لهم : ابرزوه لي لأكلمه . فبرز اليه شنيف فقال له عمرو : لم يموت الناس بيني وبينك ولكن ابرز إلي فان قتلتني سمع لك من معي وأطاع لك ولك جميع السلاح والخف والظلف والحافر والذهب والفضة . وإن قتلتك سمع لي وأطاع جميع من كان معك ولي ما فيه من جميع ما ذكرت لك ، آخذه منهم ان قتلتك . قال له شنيف : نعم . فتعاهدا على ذلك . ثم برز اليه الملك عمرو وبرز اليه شنيف فاختلفت طعنتان بينهما ، فطعنه عمرو فقتله على ربوة فاضح ونزل

---

(١) بالأصل وسل .

إليه فجرّه برجله وفضحه كذلك فسميت تلك الربوة فاضحة لما فضح عليها عمر شنيفاً . ثم أرسل عمرو إلى فاران أن أعطني ما تعاهدت عليه مع شنيف ، فأرسل اليه فاران أعطيكه بمكة من أموال أهلها إذا غلبت عليها . فأرس إليه عمرو يقول له : ما أشبه أول ظلمك بآخره وقد أوعدتك القتال غداً ، فقام الأحوص بن عمرو العبدودي في قومه خطيباً فقال : يا عشيرتاه ان الرأي اليوم ليس له غداً أوصيكم بشكر ذي النعم والغيرة للحرم والتمسك بالحسن والكف عن المن على المن وعليكم بالحمية فانها وجه العز ولا ترضوا بالدنية ففيها التلف ، ولا تسارعوا إلى الحرب فإن فيها ذهاب المهج ، وان هجمت عليكم كرهاً فخذوها عزماً ولا تخدعوا عند اشتباهها فان لها شبهات وشهوات تعمي القلوب وأحذروا كيد الحروب فانه يهدم العز ويسلب المجد ، وأنتم أهل الملك التالد والحرب الأول وبنو اسرائيل والروم ثوار في الملك والحروب ، فان زلت بكم قدم الحرب تقاعد أمركم بقديم الملك وان تك عليكم الدائرة فهلاك الناس عند أول عثرة ، فاصبروا يحييكم ربكم . وان الملك عمراً نهض اليهم بمن معه ونهضوا الينا فتضاربنا طويلاً فحطمناهم بالسيوف حطماً ، ثم كانت لنا عليهم الدائرة فقتلناهم قتلاً ذريعاً فبذلك سمي يوم شنيف . وأدرك الملك عمرو فاران بن يعقوب على تل فقتله فسمي ذلك التل تل فاران وقال الملك عمرو شعراً :

ولما رأيت الشمس أشرق نورها ... تناولت منها حاجتي بيميني

قتلت شنيفاً ثم فاران بعده ... وكان على الآيات [1] غير امين

فللموت خير من مذلة خامل ... يضيء بها حقاً لغير قرين [2]

ثم مضى في أثرهم إلى بيت المقدس فاذعنوا له بالطاعة وأتوه بتاج الملك

---

(١) ل — الحبلات .

(٢) كذا في النسخ التي بأيدينا .

فأخذه وكانت فيهم امرأة جميلة يقال لها وبرة [1] ابنة شمعون لم يكن مثلها في وقتها من سبط يوسف بن يعقوب ، فأرسلوها إليه تكلمه في أمر نزل بها ، وقدلبست حليها وحللها،فلما رآهاعمرو الملك فتن بها فتزوجها — وكان ذلك مكراً منهم له — فلما خلا بها قالت له : أرضيت ؟ قال لها : نعم ، قالت له : فارضني ، قال لها : لك رضاك ،قالت له: ارحل عن قومي ولا تضرهم فقد تشفعوا إليك بي ، قال لها : لك ذلك . ثم رفع عنهم ، فسار حتى بلغ مكة وكان سار معه مائة رجل من أكابر بني أسرائيل رهينة بالولد والعيال على السمع والطاعة من قومهم . ثم نزل بأجياد ، ثم قال لي : أتدري لم سميت أجياد ؟ قلت : لا ، قال لي : نعم ، لما نزل بأجياد عمدت برة بنت شمعون امرأته على حسكة من حديد فسمتها ثم القتها في فراشه عند منامه بالليل وأعدت نجباً ورجالاً يردونها إلى بيت المقدس ، فلما القى عمرو الملك نفسه في فراشه شجته الحسكة جنباها ودخله السم فمات وهربت وهرب معها المائة رجل الرهائن . فأخذت فرسان جرهم وعملاق وبلغت تل فاران وليس لهم عنه محيد حتى اتوا،فأخذتهم وأخذتها ورجعت بهم وبها إلى مكة فأصابت الملك عمراً وقد تناثرت مفاصله من السم فحفرت له ضريحاً وواريته،ثم أمرت بالمائة الرجل فقدموا إلى السيف فقال المتقدم الأول للسياف : احتفظ لا ترفع ولا تخفض وانزل سيفك على الأجياد ، فسمي بذلك الموضع « أجياد » ، ثم وليت الملك بمكة وتوجت ورجعت إلى بني اسرائيل والروم وأهل الشام من كان منهم باللسان الأعجمي ، فخرجت إليهم في مائة الف من جرهم ومائة الف من عملاق فقاتلتهم بأمر [2] فهزمتهم وكانوا زحفوا إلى بتابوت

(١) ل — مرة .
(٢) كذا ويحتمل أنه — بآمد .

داود الذي فيه السكينة والزبور فالقوه ، فأخذته جرهم وعملاق ودفنوه في مزبلة من مزابل مدينة مكة فنهيتهم عن ذلك فعصوني ، ولم يكن لجماعة قومي طاقة ونهاهم عن ذلك هميسع بن نبت بن قيذار بن اسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم فعصوه فعمدت إلى التابوت ليلاً فأخرجته وجعلت مكانه تابوتاً ودفعته إلى هميسع . ونزل بجرهم وعملاق الغم فماتوا أجمعين إلا يسيراً ممن نهى عن ذلك ، ثم أخذت برة لاقتلها فقالت لي : خدعت في مجلس الملك ودخل اليه نقيب بني اسرائيل وهو المقتول الأول ففعل ما رأيت ولا علم لي بذلك وكيف أفعل ذلك وأنا مثقلة منه ، وأمرت القوابل فأصابوا الحمل بينا وكان عمرو منع الولد غير بنتين كانتا له . فلما قيل لي ذلك أدركني أمري وغلبت علي الشفقة فحطتها وأدخلتها داخل القصر وجعلت عليها حرساً حتى وضعت حملها فأتت بغلام سميته مضاضاً باسم أبي جده ، فشب فلم يكن في وقته أجمل منه وجهاً . ودبرت أمري في قتل برة فقلت أقتلها لا آمن عليَّ ولدها ، ولكن أترك أمر أمه في أبيه اليه ، ثم قال لي : أين أنت ؟ قلت: برياض الغرقد قال لي : بلغنا مكة دع عنك أن تقصد مكة وامض بي إلى ذات اليسار إلى شعب الاثل والطلح ، فلما بلغته قال لي : لجج بي يا بني حتى بلغت غيضة السمر والضال ، قال لي : مل ذلك اليمين ومل ذات الشمال حتى أدخلني مواضع ما دخلتها قط على أني بمكة مسقط رأسي وكنت أفتك فاتك بها صعلوكاً بكل سهب وحالق [1] ، فلما لجحت في غيضة الزيتون قال لي : يا بني ابعدت وقد خلونا وثالثنا الله الشاهد العالم الواحد ، يا بني اذا أسديت إلى المرء نعمة وجب عليه الشكر وأنت أسديت إلي نعمة ووجب بها علي شكرك فعلي

---

(١) عنوان وصية الحارث بن مضاض لأياد بن نزار .

لك النصيحة أو فلي النصيحة [1] ، يا بني أنبئك بما ينجيك واعلم ان ما به أهديك أحب إلي مما به أغنيك ، يا بني هل ولد في بني مضر مولود اسمه محمد قلت له : لا . قال : ان ولد والا فسيولد ويأتي حينه ويعلو دينه ويقبل آوانه ويشرف زمانه فان أدركته فصدق وحقق وقبل الشامة التي بين كتفيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وقل له يا خير مولود دعوت إلى خير معبود أجب أو لا تجب فان أمره يباريك إلى الموت ، فعند الموت يأتيك فاما هلك والا ملك فذهب مثلاً . ثم قال لي : يا بني هل بلغت الزيتونتين ؟ قلت نعم : قال : ما اسم هذا الموضع يا بني ؟ قلت : لا أدري ، قال لي : انزلني فأنزلته ، فقال : اقصد بي الزيتونتين ، فقصدت به نحوهما وبينهما صخرة عظيمة مربعة منحوتة فطاف بها طويلاً فلمسها بيديه علواً وسفلاً ثم قال لي : يا بني هذا الموضع يسمى « موطن الموت» ، ثم بكى حتى غسل دمعه وجهه ولحيته ، وأنشأ يقول:

أموت فقيداً والعيون كثيرة ... ولكنها بخلا علي جوامد

فلم تبق لي الأيام إلا مشذباً ... أمت حين لا تأسى على العوائد

ولكن سيبكيني العلائق بالسرى [2] ... ويبكي على قبري البروق الرواعد

تمادت بي الأيام حتى تركنني ... كمثل حسام أفردته القلائد

ونادى بي الأدنى واشمت بي العدى [3] ... ويأمن كيدي الكاشحون الاباعد

ثم قال لي : يا بني أتدري لم سمي هذا الموضع موطن الموت ؟ قلت له : لا ،قال لي : أتدري لم سمي جبل مكة ابا قبيس ؟ قلت له : لا ، قال لي : أتعرف موضعاً يقال له الدار ؟ قلت له :نعم . قال : أفتدري لما سمي « الدار » قلت : لا ، قال : أتعرف موضعاً يقال له « الجار » ؟ قلت : نعم ، قال :

---

(١) لعله الفضيحة .

(٢) ل – العواتق بالضحى .

(٣) كذا في النسخ .

أتدري لم قيل له الجار ؟ قلت : لا ، قال لي : نعم يا بني ، انه لما شب مضاض ابن أخي عمرو الملك لم يكن بمكة ولا ما والاها أجمل منه وانه كان من بنات عمه من بيت الملك جارية تسمى ميا ابنة مهليل بن عامر صاحب الشعب وكانت معه في نسق واحد وكانت أجمل من رأته العيون ففتن بها وفتنت به وشب معها وشبت معه في حي واحد وصان مئزره عنها وكان ذلك خيفة الطعن في الملك ، فلما بلغ بهما الهوى مبلغه وحذرا من الفضيحة أو السقم والموت بعثا إلي فشكوا ما نزل بهما من شوق بعضهما إلى بعض فأرسلت إلى مهليل بن عامر بن عمرو [1] وأعلمته ما كان منهما ، فقال لي : أيها الملك أنت وليهما افعل بهما برأيك وزوجها منه وقد هجم علينا الشهر الأصم رجب وكنا لا نحدث فيه حدثاً غير العمرة والطواف حتى ينسلخ ، قلت له : يا مهايل ينصرف رجب وافعل . وان مضاضاً اعتمر وطاف ، وبلغ ذلك ميا فاقبلت تعتمر وتطوف متنكرة غيرة على مضاض أن يتعرض متعرض ومضاض لا يعلم بمكانها وان قبيس بن سراج الجرهمي من رهط حقير في جرهم رأى ميّا فهويها وهي لاتعلم ومضاض لا يعلم بذلك ، وكان قبيس يراعي أحوال مي . فاما بلغه أنها اعتمرت خرج إلى الطواف ليقضي لبانته من النظر إلى مي فكانت مي تطوف وتراعي أحوال مضاض ومضاض لا يعلم بذلك ويطوف قبيس في اثر مي لا تعلم بذلك وان رقية بنت البهلول الجرهمي طافت وكان يوماً قائظاً ، فطافت رقية بنت البهلول فعطشت عطشاً خافت منه على نفسها الموت واحتشمت أن تقف لاهل السقاية وسدنة البيت من جرهم . فلما أبصرت مضاضاً نادت به لشبيبته وحملها عليه حالة الشباب فقالت له : يا مضاض اسقني جرعة من ماء فاني خشيت أن أموت ظمأ ، فأمر فناولها فرأته

---

(١) في الأصل ابن عمي .

مي حين ناول رقية الماء فاشتعل قلبها غيرة فسقطت مغشياً عليها وجعلت ترعد ولا تدري ما هي فيه ، ونظر إليها الحجيج فقيل لهم : عرضت وان ميا أدركت نفسها فقامت فلم تستطع الطواف وولت إلى منزلها ، وكان منزل أبيها مهليل في سفح جبل مكة ، فأتت آباها فقال لها : ما الحجيج يا بنية افترق؟ فقالت له : لم يفترق الحجيج يا أبت ولكن الموت لا يكتم إليك شكواي واستعانتي لأنك عمادي ورجائي ، قال : فما لك يا بنية ؟ قالت له : انصدع قلبي صدعاً لن يلتئم بعدها صدعه ، قالت : يا أبت ان مضاضاً ابن عمي دعا قلبي فاجابه، فلما أجابه قذف الهوى خلف النوى قالت له : رأيته يلاحظ رقية بنت البهلول وسقاها ماء ففارق روحي جسمي أسرع من طرفة عين ، ثم تداركت أمري ورأيت أنه بدل حسباً بحسب وخطراً بخطر ولم يبلغ والله خطر البهلول مهليل بن عامر ولا رقية بنت البهاول ميا بنت مهليل بن عامر ، قال لها أبوها : صدقت لا ورب الكعبة ما يكون ذلك ، قالت له : يا ابت لن والله أقيم بموضع يكون فيه مضاض بن عمرو ابداً وإني راحلة إلى أخوالي جسر بن قين بن حمير من بلي(وبلي نسل من قضاعة بن مالك بن حمير وكانوا نزلوا بامج ذات الضال)، فقال لها : لك ذلك يابنية ، وأنشأت تقول :

مضاض غدرت الحب والحب صادق ... وللحب سلطان يعز اقتداره

غدرت ولم أغدر وللعهد موثق ... وليس فتى من لا يقر قراره

إذا جاءني ليل تململت بالذي ... دعا كبدي حتى تمسكن ضاره

أبيت أقاسي النجم والليل دامس ... وللنجم قطب لا يدور مداره

إذا غاب لم أشهد وكان محله ... محلي وداري حيثما كان داره

إذا هاج ما عندي لأول غيرة ... علاه اشتعال ما يطاق استعاره

وان قبيس بن سراج آتاها وأنشأ يبث لها أخباراً ليفرق بينها وبين مضاض

لما رأى من غيرتها حين سقطت بالطواف فعمل شعراً على لسان مضاض .
وشعراً على لسان رقية وقال لها : يا مي رأيت عجباً ! قالت : ما هو ؟ قال لها : رأيت مضاضاً واضعاً كفيه على قرون رقية بنت البهلول في الطواف وهو يدافع عنها أهل الطواف سانحاً وبارحاً ، ثم استسقته ماء فناو لها سقاء بيده فشربت وناولته ، فأنشأ مضاض يقول ، قالت له: ما الذي قال يا قبيس.
قال لها : قال :

رقية قلبي قد تباين صدعه ... وللحب مني شاهد ودليل
رأيت الهوى يهوى وللوصل واصل ... فهل لك أن يلقى الخليل خليل

قال : فأجابته رقية فقالت :

أصون الهوى والطرف مني كاتم ... ولا يعلمون الناس إذ ذاك ما دائي
سوى انني قد فزت منك بنظرة ... تجرعت عذب الحب منه مع الماء

قال : فالتمستها حمية قول قبيس وجعلت تقبل بين خيام الحي مرة وتدبر أخرى وهي لا تعلم ما هي فيه ، ثم قالت لأبيها : نذرت لله نذراً يا أبت لترحلن غداً إلى أمج ذات الضال وانزل مع جسر بن قين ، قال لها أبوها : نعم . وحملته الحمية والأنفة على ذلك لما استبدل بخطره وقدره ، وان رجلاً من أهل الحي بلغ مضاضاً فاعلمه بما قال قبيس وبما قالت مي . فركب فرسه وأخذ سيفه وخرج يريد قتل قبيس وأنذر قبيس بمكان مضاض فخرج هارباً في البيداء ، فما أدري أي الأرض انطوت عليه إلى يومنا هذا . فلما لم يجد مضاض من قبيس أثراً وأعجزه هرباً ، رجع إلى مي وأصاب أهل الحي يحتملون وأصاب مياً راكبة على نجيب في هودجها فقصدها وقال : يا مي أعيذك بالله أن تغدري من لم يغدرك وهذا موقفي

بين يديك فجودي لمن لم يجترم جرماً ، وقال :

يعشى عن الناس لحظ طرفي وعنك يا مي غير عاشي
أتهجريني بغير ذنب وتقتليني بقول واشي

قال فولت عنه وعيناه تغرورقان دموعاً وتبعها وهي تقول :

كذبت هوى وحنثت إذا يميني إذا طالبت إثراً بعد عين
سأرحل والفؤاد له وجيب واقطع للنوى بيناً ببيني
إذا شط المزار عن ابن عمرو نزلت بغربة جسر بن قين
كأني حين أطلبه وصالاً ويصرمه أطالبه بدين
تعست إذا وخان أبي وأمي وبعت بعارها زيني بشين

وتجهمته وزحفت غضبى وتمادى الحي للرحلة ومضوا وافترق الحي من سفح الجبل[1] أبا قبيس لما فرق قبيس بن سراج من جمعهم منه — وإن مضاضاً لما ظعن الحي رجع فركب ناقة وبدل زيه وخرج في طلب الحي وكان له خليلان من بني عمه عمرو وعامر فركبا في أثره حتى لحقاه فقالا له: يا مضاض خلعت تاج الملك بطلاب الهوى قال لهما: غلب الهلع التجلد والجزع الصبر والهوى حاكم والقلب محكوم عليه — وأنا إذ ذاك غاز إلى بني إسرائيل نزلت إليهم بجبل طورسينا — ثم بلغت امج فنزلت فجعل عليها عيوناً يأتونه بأخبارها ويطوف حول امج من حي إلى حي ولا يعلم من هو ومعه خليلاه عمرو وعامر — فقال :

أعلل قلبي بالمنى ولعلها تقول ابارت لابن عم مقادره
وترثي لمفتون الهوى ولعلها تصدق حباً صدقته سرائره
يظل يراعي الحادثات نهاره فإن غبن عنه فالقمير مسامره
يحارس طرفي الشبه من أم غالب أناظر من أشباهها ما تناظره

---

(١) لعله سقط من هنا فسمى الجبل — ح .

لعل فؤاداً كنت قبل فؤاده يرق لمن أرجأه بالموت ناصره
فإن كان صدق الناس صدق منيتي فإن رجائي صدقته خواطره[1]
لئن بان من مي مدى الوصل فانقضى لقد حل من محذوره ما أحـــاذره

قال: وأتاه آت فقال له: إن أهل امج يريدون الرحيل إلى خريف نجد وأن مهليل بن عامر يريد الرحيل إلى مكة فاستبشر بذلك فقال:

خليــلي مــن امج فارتعــا على الضال من ميَّ حتى تريما
لهوت ولم أدر حتى بدت لي الشمس تحتل ليلاً بهيما
غــزال يسف برير الأراك غرير يطرف طرفاً سقيمــاً
مهاب السنام وغصن البشام[2] وبدر التمام تبدي الغيوما
فظل فؤادي غريق الهــوى وظلت جفوني تراعي النجوما
أعمرو وعامــر إن تظعنــا فإني على الضال أمسي مقيما

ورحل مهليل يريد بيت مكة وان مضاضاً سار مع خليليه حتى لقيهم بالجار فغلب فرط الصبابة على مضاض فتعرض لها في طريقهـــا فقال لها يامي اتقي الله ان تغدريني:

علام قبست النار يا أم غالب بنار قبيس حين هاجتك نـاره
على كبد حرى وأنت عليمـــة بغيب رفيق لا يبين ضماره
سألتك بالرحمن لا تجمعي هوى عليـــه وهجر أنا وحبك جاره

فتهجمته وولت غضبى وهي تقول:

أبى حسبي من أن يهان وأن يكن وقد قدحت فيه العداة ذليـــلا
فأبديتني للناس حتى نصبتني وأبديت من نفسي إليك خليلا

---

(١) كذا وهوغير ظاهر – ح (٢) ل مهاة البشام كبدر التمام – بدا في الظلام بجلى الغيوما .

فلما تساوى الحب والأمر مقبل عدلت ولم تظهر إلي جميلا
رأيت مكاني حين وليت معرضاً إلى حسب البهلول كان قليلا

فرجع إلى عمرو وعامر فقالا له ما قالت : قال لهما : قالت :

تصد بلا جرم علي بوجهها وتبعدني لما أردت التقربا
كأني أنادي حية حين أقبلت سفاها فما تزداد إلا تغضبا

قال : فسمي ذلك الموضع الجار لقوله :

سألتك بالرحمن لا تجمعي هوى عليه وهجراناً وحبك جاره

قال : فمضى حتى أتى مكة فغلب عليه الهوى ورجع [1] منها عاطفاً فتعرض لها بالموضع الذي يقال له الدار ، فقال لها :

علام قبست النار يا أم غالب بنار قبيس حين هاجتك ناره
على كبد حرى وأنت عليمة بغيب رفيق لا يبين ضماره
سألتك بالرحمن لا تجمعي هوى عليه وهجراناً وحبك جاره
فان لم يكن وصل فلفظ مكانه اليه والا موطن الموت داره

قال : فولت عنه وتجهمته وقالت له : والله لا ألقاك بها أبداً ، فولى إلى صاحبيه وقال : والله لا أشرب بعدها ماءاً أبداً ، وولى وأنف أن يدخل مكة ومضى معه صاحباه يستعطفانه على شرب الماء ، فأبى لهما فجال حتى غلب عليه العطش وانصدع قلبه في صدره لما خامره اليأس حتى بلغ هذا الموضع فغشيه الموت ، فأناخ ناقته وأخذ رأسه عمرو وجعله في حجره وقال له :

---

(١) لعله ورجا منها عطفاً – ح .

قصفك الدهر يا مضاض ، ففتح عينيه وقال له: قصفني قبيس ، وقال : وكانت مي تكنى بأم غالب :

علام قبست النار يا أم غالب بنار قبيس حين هاجتك ناره
على كبد حرى وأنت عليمة يغيب رفيق لا يبين ضماره
سألتك بالرحمن لا تجمعي هوى عليه وهجراناً وحبك جاره
فان لم يكن وصل فلفظ مكانه اليه والا موطن الموت داره
خليلي هذا موطن الموت فاندبا مضاض بن عمرو حين شط مزاره
سلا صاحب الخيمات عن قبر هالك لدى دوحة الزيتون سرت صواره[1]
يحن له عود الصوار كأنهـــا إذا هبت الأرواح فيه حواره
فيا ليت شعري عنك يا مي ما الذي أردت بمأسور طويل أساره
فيا ليت شعري عن قبيس بن شارح[2] على كل غبرا أين قرّ قراره
خليلي عوجا بي إذا مت وأبكيا على دنف بطن الضريح وجاره
صريع هوى نائي المحلة نازح سجا بعد اشراق الصباح نهاره
على أنه قرن اذا هب طارق فليت عرين لا يشق غباره
عفيف عن الفحشاء في كل حالة إذا ما أبيح اللهو يوماً ازاره
فيا شجر الزيتون ويلاك فاندبـــا على هالك ثوب الضريح شعاره

قال : ثم مات وقد قفلت من غزاتي ، فلما نزلت المطابخ نعي إلي قيل لي : أوصاك أن تدفنه بموطن الموت بين الدوحتين ، الموضع الذي مات فيه ، فأصبته ميتاً ومعه صاحباه ، فحفرت له ضريحاً في هذه الصخرة وواريته وجعلت عليه هذه الصخرة العظيمة ، وهذا قبره تحتها ، ولكن يا بني قف بي أودع قبره فبتنا عليه . ثم قامت له : فما كان من أمري ؟ قال

(١) كذا – فحرره – ح .
(٢) تقدم ابن سراج – ح .

لي : نعم ، كان مهليل ينزل المطابخ ، وكان منزله الأزهر وكان بجوار البهلول ، فلقيت رقية بنت البهلول مياً ابنة مهليل فقالت لها مي : ما كان من شأنك ومضاض ؟ فاعلمتها ، فقالت لها : ظلمتيه يا مي بالله ما كان بيني وبينه قط سبب ولا كلمته غير استسقائي منه الماء وذلك أني كدت أموت عطشاً ، واحتشمت أن أقف إلى السدنة ، ولم أر من أعرفه من أهل الطواف ، ولما رأيت مضاضاً حملتني اليه دلة القرابة وحداثة سنه فكلمته فسقاني ، ثم ما رأيته بعدها إلى يومي هذا . قالت لها مي : فهل كان منك اليه شعر ومنه اليك شعر ؟ قالت لها : لا والله ما كان بيني وبينه كلمة غير استسقائي الماء إليه . وآتاها من علم أمر قبيس وما وشى بينهما ، فندمت على ما كان منها إليه ، وبعثت إليه ، فلم تجده وتعاظم شوقها لما علمت من كلفه بها وبراءته مما انطقته [1] به . فبينما هي تسأل عنه وتلتمس من لقيه إذ نعي إليها ، فتوارت عن الحي إلى تلعة أمام الحي وتبعتها جارية من الحي يقال لها سلمى من بنات عمها كانت مؤانسة لها مطلعة على أسرارها فوجدتها ساكتة تنظر يميناً وشمالاً كأنها جنت . قالت : يا مي أراك هبلاء وقد مات مضاض ؟ قالت لها : قسوة أدركتني منعتني الدمع ، وفي الدمع راحة ، لو اصبت إليه سبيلاً . فلما سمعت نساء الحي ينتحبن وعلت أصواتهن أجابها الدمع فبكت ، وأنشأت تقول شعراً :

آيا موطن الموت الذي فيه قبره   سقتك الغوادي الساريات الهوامع
ويا ساكناً بالدوحتين مغيباً   لأن طرت عن الف فالفلك تابع

ثم قالت :

أيا شجر الزيتون ضميت مهجـــة   أنت هضبة من دونها ورياض

---

(١) لعله – اتهمته – ح .

ويا دوحة الزيتون بالله فرجي عن الكبد الحراء كيف مضاض
لئن جاد لي وجداً بنفس كريمة اثبه بنفسي والثواب قراض
أأرغب في الدنيا حياة سقيمة ويأتي سواد دونه وبيـــاض

قالت : وآلت على نفسها أن لا تشرب ماء حتى يرد جمل أبيها هوز – وكان هوز لا يرد إلا عن خمس – فأقامت يومين وليلتين ، فلما كان اليوم الثالث ولا أحد يعلم بها غير سلمى – غشيها الموت مع الليل فولت إلى الربوة واتبعتها سلمى . فلما بلغت أعلى الربوة سقطت ، قالت سلمى : فوضعت يدي على فمها فوجدته كالحجر الصلد ، فرفعت رأسها إلي بلسان غليظ وصوت خفي ، فقالت بكلام ضعيف لا أكاد أبينه (قولي لأبي يدفنني بالدوحتين بجوار مضاض) وقالت :

يقولون مي أسرعت بفراقها فمات مضاض والهوى غير نادم
فيا ليت أني مت من قبل موته بطيب الهوى قبل الردى المتفاقم
لقد مت يوم الماء موتاً امرَّ من سمام الأفاعي في نقيع العلاقم
فهل هو إلا الروح بالروح أسوة وها هي نفس ارتقت في الحيازم

وقالت سلمى تبكي مياً :

لم تكن لوعة الهوى لانفراج من يقاسي الهوى فليس بناجي
ان يكن مات من هواها مضاض قد قضت دينه بأيسر حـــاج
غرس الحب في حشاها فوجا قلبها بعده بمدية واج
ان في الموت راحة المحب بات في الوصل ساعة غير راج

ثم لم تلبث إلا يسيراً حتى ماتت وبلغت سلمى آباها فاعلمته ، فدفنها في الدوحتين . وها هنا قبرها غير اني لا أقف عليه ، ولقد ضرب بموت

مضاض المثل في زمانه ، قال رجل من أهل الطائف يقال له بهنان [1] كان من أهل هزان بن سكسك بن وائل بن حمير :

أموت إذا جد الفراق بيثرب [2] كما مات من حر الفراق مضاض
فتى لم يخن لكن ردى الدهر خانه تولى وللأيام فيه عضاض
فباد ويحيي ذكره بعد موته حديث على طول الزمان مفاض
وخاض ببحر لم يكن منه مصدر بعيد على الوراد ليس يخاض
دعاه وقد قضى من الموت نحبه بنات الثرى من دونهن رياض

قال : وان الحارث بن مضاض القى بنفسه إلى قبر مضاض وأنشأ يقول :

أنا الملك المحجوب بالحجر والصفا إلى البارقات الغر بين القوانس
رضيت عن الأيام دهراً فخلخلت علي الليالي بعدها بالهواجس
فافردت من طسم وعاد وجرهم وعملاق والشهبا جديس ورائس
فلما رأيت الدهر الوى بأسرتي وأفردني بعد الهمام الممارس
تجشمت من كرمان كل تنوفة وجاوزت حد القصر من أرض فارس
ولججت في لجى سمرقند فانتهت بي الأرض بهما أقعدت كل ناحس
جبال يكل الطرف دون أنوفها وحوماته صاد قفار بسابس [3]
فسامرت رجل الجن في فلواتها وساريت جري العاصفات الروامس
نزحت عن الدنيا ولست بنازح وعديت عن رسم الديار الدوارس
تغربت في الدنيا مثيناً ثلاثة ولا بد من حتم الصروف العوابس
بعيس ايـــاد انتهيت إلى التي تطم على مجرى النجوم النواحس

---

(١) ب – بهتان – ل – نبهان .
(٢) ل – بزينب .
(٣) كذا فتأمل – ح .

أسير بطرف ما يغمض ساعة — وقاب على نهج المنية دائس
لنا نومة اما نؤول إلى رضى — واما ردى باقي النوى غير حابس

وقال الحارث أيضاً :

شكرت مسارعاً نعم الأيادي — لخير الناس كلهم أياد
إلى ابن نزار جبت القفر حتى — نزلت برحله من غير زاد
تمدح لي فجئت إليه أسعى — أجاب برأفة صوت المنـــادي
أجاب نداي اذ صموا لصوتي — فرد بدعوة منه فــؤادي

فلما أصبح قال لي : قم يا بني ، فقمت معه فمشى وهو يحس بيديه الأرض حتى أتى إلى صخرة مطبقة على صخرة أخرى وبينهما خلل يسير فقال : ادن مني يا بني ، فدنوت منه فأخذ عضدي وقلع الصخرة ، فإذا تحتها سرب تحت الأرض فأخذ بمنكبي فأدخلني السرب وهو خلفي وحيات تصفر عن يميني وشمالي وريح زهمة تنطح وجوهنا . فسرت بين يديه حتى أتيت إلى صخرة أيضاً مطبقة على صخرة ليس لنا مسير ، قال : فامسك عضدي بيده اليسرى وأدخل يده اليمنى إلى تحت الصخرة فقلبها فإذا بسرب آخر أسفل من ذلك ، فأخذ بمنكبي لئلا أهرب عنه وأدخلني بين يديه . فسرنا حتى أفضينا إلى دار تحت الأرض مضيئة ، ولا أدري من أين ضياؤها وفيها بيت قبلي إلى مكة . فقال لي : لا تخف مما ترى فانك ستخلص وتمشي على الدنيا من نسلك قبائل ، قال : فخرج من البيت تنين أسود أحمر العينين يجر عرفه ودار في وسط الدار فصار كالجبل العظيم وجعل رأسه أعلاه . ثم دخلت البيت وأصبت في البيت أربعة أسرة ثلاثة عليها [1] ثلاثة رجال وواحد ليس عليه شيء ، وفي وسط البيت كرش من در وياقوت ولجين

(١) ل — عليها ثلث نساء وثلثة رجال .

وعقيان ، فقـــال : خذ وقر جملك يا اياد ، ليس لك غيره – فان زدت غللت – وكان اياد دياناً بدين الحنيفية دين آبائه ابراهيم واسماعيل واسحاق صلى الله عليهم أجمعين ، قال إياد : فأخذت وقر جملي دراً وياقوتاً وذهباً وتركت بقيته واخترت خياره ثم خرجت . فقال : أتدري من هؤلاء الموتى ؟ قلت : لا ، قال : هذا الذي يسار سريري الخالي مضاض أبي . وهذا الذي عن يساره عبد المسيح أبوه . وهذا الذي على يسار عبد المسيح نفيلة أبوه ابن عبد المدان،قال وعلى رأس كل واحدمنهم لوح من رخام مكتوب فيه كتاب بالمسند ، فعمدت إلى السرير الذي كان عن يمين باب البيت فأصبت شيخاً كبير اللحية أسيل الخد تام العنق تام الصلب مسجى وعليه ثياب كالرماد السحق . فأخذت اللوح فقرأته فإذا فيه مكتوب : أنا نفيلة بن عبد المدان بن حشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم – عشت خمسمائة عام وقطعت غور الأرض باطنها وظاهرها في طلب الثروة والملك ، فلم يك ذلك ينجيني من الموت ، وتحته مكتوب :

قد قطعت البلاد في طلب الثر وة والمجد قالصاً أثـــوابي
وسريت البلاد قفراً لقفر بعنائي وقوتي واكتسابي
فأصاب الردى بنات فؤادي بسهام من المنايا صـــواب
فانقضت شرتي واقصر جهلي واستراحت عواذلي من عتاب
فدفعت السفاه بالحلم لما نزل الشيب في محل الشباب
صاح ابصرت أو سمعت براع رد في الضرع ما قرى في الحلاب

قال : ثم ملت إلى الثاني فإذا بفتى لم أر أجمل منه وجهاً بوجه كدرة القمر وأشفار سقطت على خده ولحية سوداء بلغت سرته وسترت صدره تام

العنق تام الصلب وعليه ثياب كالهباء . وأخذت اللوح الذي على رأسه فإذا فيه مكتوب : أنا عبد المسيح بن نفيلة بن عبد المدان ، عشت مائة سنة وركبت مائة فرس ، وافتضضت مائة بكر ، وقتلت مائة مبارز ، وأخذني الموت غصباً وأورثني أرضاً وتحته مكتوب :

حلبت الدهر أشطره حيـاتي ونلت من المنى فوق المزيد
وكافحت الأمور وكافحتني فلم أخضع لمعضلة كؤود
وكدت أنال في الشرف الثريا ولكن لا سبيل إلى الخلـود

قال : فملت عنه إلى الآخر فأصبت شيخاً آدم كث اللحية خارج الوجنتين قصير العنق واسع المنكبين وعليه ثياب كالهباء ، فأخذت اللوح عن رأسه ، فإذا فيه مكتوب : أنا مضاض بن عبد المسيح عشت ثلاثمائة عام ، وأخذت مصر وبيت المقدس ، وهزمت الروم بالدروب ، ولم يكن بد لي من الموت ، وتحته مكتوب :

قد تجرعت بعد طول زماني غصة حين فارقوني اللـذات
لا تغرن عيشك اليوم دنيا عمرا ما منها لـه ميقـات
منزل قد تحكم الدهر فيـه ليس للنازلين فيه ثبات
كل شيء تخني عليه الليـالي آخر الحزن والسرور الممات

ثم نظرت إلى لوح فوق رأسه معلق ، فأخذته فإذا فيه مكتوب : أنا الحارث بن مضاض ، عشت أربعمائة سنة ، ملكت مائة ، وجلت في الأرض ثلاثمائة سنة متغرباً بعد هلاك قومي جرهم . وتحته مكتوب :

هلّ دمعي لفرقة الأحباب واغترابي عن معشر بالحضاب [1]

---

(١) لعله بالهضاب — ح .

أوطنوا الجزع جزع بيت أبي مو سى إلى النخل بين حجر وقاب [1]
من ملوك متوجين لديه وكهول أعفة وشباب
وبهاليل كالليوث مصا ليست مغاوير في الحروب اللجاب
بحلوم رواجح وبهاء واقتدار على الأمور الصعاب
ونساء حواصل عاطلات وبدور محجوبة في القباب
نازلات بين الحجون إلى الخيف خرا عيب كالدمى اتراب
ها هم نازلون بالذكر فيه حين غابوا به مغيب الشهاب[2]
أسعدتهم أيامهم ثم ولوا ما على الدهر بينهم من عتاب
فهم المطعمون جوداً فعادوا طعمة للثرى وصم الهضاب
فلي الويح بعدهم وعليهم وإليهم من بعد ذاك مآبي
كل حي يموت حقاً فيفني سبب غالب على الأسباب

قال : ثم قال لي : يا بني اعطني تلك القارورة التي في تلك الكوة ، فأعطيته إياها فشرب نصفها وأطلى بنصفها جسده . ثم قال لي : يا بني إذا أتيت أخوتك وقومك فقالوا لك : من أين لك هذا المال ؟ فقل لهم : ان الشيخ الذي حملت الحارث بن مضاض الجرهمي . فهم يكذبونك ، فقل لهم : هذه آية لكم فمر بهم على الحجر المدفون بجوار زمزم فقل لهم : ان مقام ابراهيم في هذا الحجر الأحمر وان شعر الحارث في هذا الحجر الآخر وهو قوله : كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا . قال ثم قال لي : اعطني القارورة الأخرى فأعطيته إياها فشربها ، ثم صاح صيحة ما ظننت إلا أن أهل الدنيا سمعوها ، ثم مات مكانه . ثم تمكن على سريره وهجم علي التنين واستدار

(١) ل – وغاب .
(٢) كذا ولعل الصواب بامدرك – ح .

في وسط البيت على ما بقي من المال وخرجت أنا فبلغت مكة . فقال لي أخوتي وقومي : من أين لك هذا المال ؟ فأعلمتهم فكذبوني فمضيت بهم إلى الحجرين فرأوا مقام ابراهيم صلى الله عليه وسلم وقرأ وأشعره وهوهذا :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأزالنا ... صروف الليالي والجدود العواثر
فهل فرج آت بشيء تحبه ... وهل حزن ينجيك مما تحاذر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت ... نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
ملكنا فاعززنا وأعظم قدرنا ... فليس لحي غيرنا شَمّ فاخر
فان تنثن الدنيا علينا بريبها ... فان لها حالاً وفيه التشاجر
فاخرجنا منها المليك بقدرة ... كذلك بالانسان تجري المقادر
أقول وقد نام الخلي ولم أنم ... مدى الليل لا يبقى سهيل وعامر [1]
وبدلت منها أوجهاً لا أحبها ... وبدل منها حمير ويحابر
فصرنا أحاديثاً وكنا بغبطة ... كذلك عضتنا السنون الغوابر
وفيه حمام لا يراع أنيسه ... إذا خرجت منه فليست تغادر
فسحت دموع العين تجري لبلدة ... بها الا من آمن الله فيه المشاعر

قال ابو محمد : وان اياداً لم يعد إلى الموضع لما حرم عليه الحارث ، وكان اياد على دين الحنيفية ، وكان دين الحنيفية غالباً على العرب يدينون به حتى أنشأ عمرو بن قمعة الكناني – فهو أول من غير دين اسماعيل وابراهيم ونفى أحكامهما – ولقد حدث ابن عباس قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : رأيت عمرو بن قمعة وهو يجر قصبة في النار) –

---

(١) في السيرة اذا العرش لا يبعد سهيل وعامر – ح .

عمرو بن قمعة أول من عبد اللات ــ وهي صخرة عظيمة يلت عليه الطعام ويطعمه قومه ــ فسميت الصخرة اللات .

قال ابو محمد : حدثني ابي هشام عن أبي يحيى السجستاني عن رجل من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن في أيام الإمام علي بن أبي طالب بالكوفة قال لي الرجل : خرجنا أنا وأبي إلى صحراء عدن وكان جدي ساكنا بعدن فدفن مالاً في صحراء عدن وأوصى أبي أنه إذا احتاج أن يأتي موضع كذا من صحراء عدن ، وانه قعد بنا الدهر فسرت مع أبي فأصبنا ثلاث روابي متقابلات ، فقال لي أبي : لقد اشتبه علي الموضع ، ما أدري أي هذه الروابي هي ؟ فما رأيك ؟ فقلت له : وهل بد من الحفر ان كنت تعلم ان المال في احداهن ، ثم لاح له أمر وعلامة فقال لي : احفر هاهنا ، فحفرت فكنت إذا حفرت وأعييت حفر أبي مكاني حتّى انتهينا إلى بلاطة عظيمة فحرصنا على قلعها فعجزنا عن قلعها ، ثم حفرت الثانية فوصلت إلى بلاطة أخرى مثل الأولى فأعجزتنا ، فحفرنا الثالثة ، فوصلت إلى بلاطة مثل الاولين فأعجزتنا أيضاً فقال لي أبي : ما ترى يا بني ؟ قلت له : أنت شيخ كبير لا تستطيع شيئاً ، فهل لك أن تخلفني ها هنا وتمضي تأتي ببعير وعبد من عبيدنا ؟ فقال لي : يا بني الموضع مهول وأخشى عليك الوحشة وغلظ البلد ، قلت له دع عندي من الشراب والطعام ما يكفيني ، وخرج على وجهه . فبات عني ليلتين ، فلما كان في الليلة الثالثة وأنا قائم أصلي وكنت كثير التلاوة للقرآن ، فلم أشعر إلا ورجل جميل الوجه نقي الثياب طيب الريح يمشي وهو يقول :

لولا تلاوتك القرآن ما امتسكت بالأرض رجلاك فاعلم أيها الرجل
في بلدة لعتاة الجن مــاردة في كل أفق لها من همسها زجل

لك النصيحة عندي وهي واجبة على ذوي الدين ان لم يسبق الأجل
فاستوقر اليوم من رزق خصصت به ولا تعد راجعاً ينأى بك الأجل

قال : فحفظت الشعر . وطلع إلي أبي والعبد معه والبعير فأخبرت أبي بما كان ، وأنشدته الشعر . ثم أتينا إلى ما حفرنا أولاً فقلعنا الحجر ، فإذا بشيخ يده مغلولة إلى عنقه بغل من حديد،في هامته وتد من حديد حتى نفذ من دبره ، وأصبنا عند رأسه ورقة من ذهب مكتوب كتاباً لا نعرفه . فأخذنا الورقة ، وأعدنا البلاطة إلى موضعها وأهلنا التراب على البلاطة حتى رجعت كما كانت . ثم أتينا البلاطة الثانية ، فإذا تحتها عجوز مسودة الذوائب واضعة إحدى يديها على رأسها والأخرى على عورتها وإلى جانبها كتاب في لوح لا ندري ما هو ، فأخذنا اللوح وأعدنا البلاطة وأهلنا التراب عليها . ثم قلعنا البلاطة الثالثة ، فإذا تحتها سرب دقيق ضيق ، فدخلناه فأصبنا خابيتين مكشوفتين فيهما رجلان متقاربة أسنانهملمتشابهان عليهما حلل مرصعة بالذهب ورأينا كتاباً على الجرتين لا نعرف ما هو ، وأصبنا مالاً كثيراً ذهباً وفضة وغير ذلك من الدر والياقوت ما لم ير مثله قط . فقال لي أبي : وثقنا بالله وبالغنى وحبور الدهر ، فقلت له : يا أبت وكيف الخلود مع الفناء لا خير فيما يفنى وان مالنا من هذا قليل في حياة قصيرة ؟ فأوقرنا جملنا ثم أوقرنا نحن لنحمل فلم نقدر أن ننهض به ، فلم نزل ننقص منه ونريد النهوض فلم نستطع حتى أخذنا في أيدينا ياقوتة ودرة فلم نقدر نهوضاً بهما . فقال لي أبي : الق ما معك يا بني فقد أخذنا رزقنا ، فعلمنا أنا منعنا غير ما صار إلينا ، فقلت لهما : قد رأيتما ما كان وإياكم أن يعود أحد منا فيهلك ، وان العبد أسر على مواليه الرجعة ، فأعتق أبي العبد وكثرت نعمنا و وهب للعبد مالاً جسيماً يتجر به ، وان العبد أخذ لذلك الموضع ما يصلحه فأخذ معه عونين وسار

لأنه يعرف علامات الموضع ، فلما نال من الغار توار عن عونيه ليقضي اربه وبات عوناه أرقين قد ذعرهما ما يريان من وحشة ذلك الموضع وهوله . فحدثني العونان قالا : سمعنا في جوف الليل حساً وذعراً وحركة شديدة من ناحية العبد واضطراباً ، فجزعنا من القيام اليه لخوف داخل قلوبنا . فلما أصبحنا أصبناه ميتاً وفي حلقه آثار وفي ثيابه أخداش [1] فحفرنا له وأوريناه ولينـــا هاربين لئلا يدركنا الليل في ذلك الموضع . قال : ومكثت الورقة واللوح عندنا سنين لا نجد أحداً يعلم ما فيهما ، فبينما أنا في موضع [2] ، إذا نا برجل من أهل نجران من بني الحارث بن كعب،نبيل جميل وهو يسأل ، فقلت له : والله يا عبد الله انك لجميل وخليق بالخير فمـــا اضطرك للمسألـــة ؟ فقال لي : يا عبد الله الحمد لله الذي أحسن إليك وأغناك عن خلقه ومنعك من هذا المقام، اعلم ان الغنى والفقر حظان مقسومان كنت عظيم الدنيا فابتليت بأن سلبت وملك رقي فاعلمت الذي ملك رقي رجل من البغاة من بني الحارث بن كعب من أبناء الملوك فاشتدت قسوته علي حين أعلمته فتركته ليلة من ذلك حتى تباعد عن الحي في بعض حاجاته ، فأخذت سيفاً لبعض أهل الحي وقتلته ، فصاح لما ضربته فسمعه ولداه ، فتبعاني فرجعت عليهما ، فلقيت واحداً فطعنني فبريت قناته ثم أمضيت عليه ولقيت الآخر وبيده سيف فغلبت عليه فقتلته . فان علاني الزمان فلكل شيء دولة فالفقر يدال من الغنى والسقم يدال من الصحة والهرم يدال من الشباب والموت يدال من الحياة . وقد كان سليمان بن داود بالمكان الذي علمت فابتلي بأن سلب ملكه وجلس عدوه على كرسيه ، وابتلي بالفقر وتصدق عليه

---

(١) لعله – وفي حلقه اخداش وفي ثيابه آثار – ح .

(٢) ل – في بعض الأسواق جالس .

وسلب النعمة أربعين يوماً ، ثم رد الله عليه ملكه . وما ذلك كان من ذنب له عند الله ولكن ذلك صنعه بالنبيين والصالحين يبتليهم بذلك وينظر كيف صبرهم وليمحو ذنوبهم ويعظم في الآخرة أجرهم ، قلت له : إنك لفقيه فما دينك ؟ قال لي : الإسلام ، قلت : فهل تقرأ ؟ قال لي نعم : ثلاثة ألسن فوقع في نفسي أمر الورقة واللوح فأخرجتهما اليه فإذا هو يقرأ ذلك الكتاب وإذا هو بالمسند كتب ، وإذا في الورقة التي كانت مع الشيخ المغلولة يده إلى عنقه والمضروب في رأسه وتد خارج من دبره ، هذا الشيخ عمرو بن لحي [1] أول من غير دين اسماعيل وعبد اللات . قال : وقرأ اللوح الذي أصبنا مع العجوز فإذا فيه : هذه سعدة بنت جرهم جلبت السحر من دنياوند وتعلمته وسحرت سبعة أخوة من خيار جرهم فصيرتهم وحوشاً لا يقرون مع الأنس ولا يطمئنون إلى دعة ويرعون مع الوحش كما ترعى . فأتت أمهم إلى نابت بن قيذار بن اسماعيل في الشهر الأصم فقالت له : يا ولي الله ان سعدة الساحرة اتلفت أولادي عني أحوج ما كنت إليهم فأنا مؤمنة وهي كافرة فادعو الله عليها ، فقال لها : افعلي ، فقالت : رب انه الشهر الأصم حرمت ما حرمت فيه فانتقم ممن لم يحرم حرامك ولم يحل حلالك وقالت :

يا رب ان سعدة السحارة تحملت مآثماً كبارة
قد سحرت ظالمة أولادي وشردتهم في غبا البلاد
هاموا مع الوحش مع الغفول ويعسفون غامض المجهول
فأبلها بنفسها يا رب ولقها سوء جزاء الكسب
وانسها السحر بعدل منكا واهتك لها ستر الحياء هتكا
ولقها ما عملت في عاجل وفرجن كرب المقام الهائل

(١) ل – ابن قمعة .

قال نابت : أللهم افعل قال ، فأنساها الله السحر وهتك عنها ستّر الحياء فما لبست ثوباً حتّى ماتت . ورجع السبعة النفر إلى نابت فأعلموه بما كان يتخايل لهم في أعينهم وقلوبهم ، فدعا عليها نابت فهلكت فكفنت ، فلم تقبلها الأرض حتّى غرقت ، وذلك مقام الظالمين . فقلت له : هل لك أن تقيم عندي فاني توسمت فيك الخير وأزوجك ؟ فقال : قد فعلت ذلك وأنت أهل لما أملت من الخير . فزوجته وشاركته في معاشي فأصبته موضعاً لما أملت ورجوت وقال لي : أين أصبت هذه الألواح ؟ فقلت : في مغارة بصحراء عدن ، قال : فاطرق ملياً فقلت له : مالك ؟ قال لي : نعم لم يكن إسلامي إلا على مغارة قال لي : كنت أعبد ما يعبد قومي من الأصنام وكانت لنا أصنام على باب مغارة كنا ندفن فيها موتانا وكنت عاشقاً لابنة عمي ، فكنت دهرا لا أستطيع ذكر ذلك ، ثم ان الأمر عظم بي ففشا ذلك في أهل بيتي فمشوا إلى أبيها فسألوه أن يزوجنيها وكنت امرءً داعرا فقال لهم أبوها : كيف أزوجها وتسألوني تزويجه ولو سأل أحدكم أن يزوجه كريمته لم يفعل ولرده فارضوا لي ما ترضون لأنفسكم قال . فلما قال ذلك يئست منها قال ، وخطبها رجل من غير له حسب ومال جم فزوجه إياها ، فمكث أياماً معها ما شاء الله ثم انه قال لأبيها لا بد لي من الخروج إلى بلادي ، فأذن له وأنها ماتت بعده وأدخلت في المغارة فغلب علي الوجد بها وجعلت تمثالها نصب عيني فألقيت ثيابي وأخذت ثياباً رثة كثياب سدنة الأصنام فأقبلت إليهم وصرت منهم وقلت لهم : اني أردت أن أكون معكم من سدنة الأصنام فقربوني . فلم أزل معهم حتى عرفت المكان الذي تركت فيه الجارية ، فإذا هو بيت فيه أثريات من رخام في كل اثرة منها [1] جسد

(١) ل — ابرمة من رخام في كل ابرام منها .

مكشوف الوجه ، فأصبت غفلة من أصحابي وأتيت تلك القبور ومعي مصباح وجعلت أتصفح واحداً بعد واحد حتى انتهيت إليها ، فلما رأيتها عرفتها ، فلم أملك نفسي أن وقعت عليها . فجعلت ألثمها وأقبلها فسمعت ناحية البيت هينمة خفية فأوحشني ذلك وجعلت الثمها وأقبلها أريد منها أمراً وذلك بعد ثلاث لها وجعلت الهينمة تدنو مني ، فإذا أنا بثلاثة نفر عليهم أحسن ما رأيت من الثياب بياضاً ورائحة طيبة ووجوه جميلة . وأخذتني هيبة لهم فدنا أحدهم فتفل في وجهي وقال : بؤساً لك . ثم أتى الثاني فمسح على صدري فخفق قلبي في صدري وعشي على بصري . ثم دنا مني الثالث فمسح يده على وجهي وصدري وقال : أضلت الأصنام عبادها واغتبط من عرف الله لا اله إلا الله محمد رسول الله ، فتجلى عن بصري الغشاء وسكن قلبي في صدري . فوليت هارباً إلى نجران فأصبت دعاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فمضيت من فوري ذلك إلى المدينة فدخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فاحمر وجهه كلما أخبرته حتى ذكرت له فعل الآخر وكيف ذهب عني عشا عيني وعن قلبي الوجيف فأشرق قلبه صلى الله عليه وآله وسلم ، فقلت : بأبي وأمي أنت يا رسول الله اهدني ، فشرح صلى الله عليه وآله وسلم لي الاسلام ، فأسلمت وقرأت سوراً من كتاب الله .

قال ابو محمد : حدثني أبو عبد الايلي عن ابن لهيعة أنه قال : ان آخر مال الحارث بن مضاض أصابه عبدالله بن جدعان التيمي من قريش .

قال : حدثني مكحول عن أبي صالح عن عبيد بن شرية الجرهمي ، وكان عبيد بن شرية معمراً أدرك حرب داحس وبلغ إلى أيام معاوية في الإسلام وكان مسامراً له . قال عبيد : جمع الحجيج بمكة عبدالله بن جدعان وكان واسع المال كثير المعروف جواداً ، فاجتمع وجوه العرب في داره

على مائدة . فقلنا له : ما كان أصل مالك يا عبدالله ؟ قال : نعم كنت صعلوكاً من صعاليك قريش فتاكاً أطلب الغوائر فبينما أنا كذلك إذ آتاني عامر البراض أخو بني كنانة فقال لي : ألا أبغيك قنصاً يا عبدالله ، قلت : نعم ، قال لي : ان كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن نزل بعراعر آمناً على أسرابه فركبت فرسي وسرت أنا ومالك البراض ، فطردنا مائة ناقة حتّى القيناها بالطائف ، فارسل كلاب إلى قريش أن سفيهكم أغار علي وطرد لي مائة ناقة فليس لكم أن تشهدوا سوق عكاظ ولي لديكم وبرة . وكان عكاظ في وسط أرض قيس عيلان ، وان قريشاً ائتمرت بقتلي لا أجني عليهم الجرائر فيطلبون بسيء وهم تجار لا يستغنون عن بلد . فلما أتيت منزلي من الطائف قيل لي : ان قبائل قريش ائتمرت بقتلك فانج بنفسك ، فأخذت زاداً ومزاداً وخرجت هارباً مع الصباح إلى دوحة الزيتون اتظلل فيها وقريش تطلبني ، واني أتيت دوحة الزيتون هارباً مستسلماً للقتل ، فلم أزل أهرب واطلب موضعاً اختفي فيه والقوم في طلبي حتّى أتيت إلى حجر طبق على حجر بينهما خلل يدخل منه النحيف متجانفاً في ذلك الخلل ، فدخلت وأدخلت معي زادي ومزادي ، ثم هال علي السرب ، ثم قلت لنفسي موتي في هذا السرب أحب إلي من أن يقتلني قومي فيشمت عدو ويحزن حبيب وأترك لقومي ذحلاً في قريش . فسرت هارباً ملججاً في السرب حتّى دخلت داراً عظيمة فيها بيت وفي وسط البيت جوهر وياقوت ولجين وعقيان وفيها أربعة أسرة على كل سرير رجل قاعد وعلى رأسه لوح من رخام مكتوب بالمسند . فقرأت الألواح فأصبت فيها أن أهل الألواح الحارث بن مضاض وعبد المسيح ونفيلة ومضاض بن عبد المسيح فأقمت خمسة أيام في ذلك البيت آكل من زادي واشرب من

مزادي حتى أيست قريش مني فخرجت ليلاً وأحرزت فلم أجد أحداً في الغيضة فاخرجت ما أصبت من المال وأخذت الألواح خيفة من قريش تكون لي عندهم براءة ، ثم بلغت منزلي فأخذت جملاً وخرجت إلى ذات الحليفة ليلاً . فلما أصبح أتت سيارة يريدون مدين ، فسرت معهم لا يدرون من أنا ولا ما معي حتى بلغت مصر فبعت ما معي وأصبت مالاً جليلاً فرجعت فنزلت ينبع على مالك البراض أخي بني كنانة ، فقصصت عليه قصتي مع قريش ، فقال لي : هاك خمسين ناقة واجعل أنت مثلها وسر بنا إلى كلاب فقلت لها : لا أنا قد وسع علي في رزقي ولكن اشتر لي مائة ناقة فاشتراها وسقتها أنا وهو حتى أتينا كلاباً فارسلنا إلى ابنه حعفر بن كلاب فدفعنا اليه العكرة من النوق ، ثم تبعنا كلاب في بيته وهو شيخ كبير فقلت له : لا تموت هزلاً ، فلما آتانا قال لي : ارجعوا بالرحب والسعة ، فرجعنا من عنده ، ثم سرنا إلى سوق عكاظ وأرسلت إلى قريش فشهدت عكاظ ذلك الموسم ، ثم انصرفت معهم إلى مكة ، فلما ظهر بعض مالي وثبوا علي وقالوا: غدرت وأعلمتهم بدا كان من المغارة وأخرجت لهم الألواح فارساوا معي خويلد بن أسد بن عبد العزي وخويلد ابو خديجة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووهب بن عبد مناف الزهري وهو جد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابو آمنة أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فسارا معي وسرت بالألواح حتى دخلت ودخلا معي وعاينا الأشباح قالا لي رد الألواح فرددت كل لوح إلى مكانه وخرجنا واعتونا على حجر عظيم فسددنا به الخلل لئلا يكون القبر ملعبة للسفهاء .

(ولاية عمرو بن الحارث بن مضاض)

قال أبو محمد· أنهلما هرب الحارث بن مضاض من مكة ، ولي الملك بعده

بمرو بن الحارث بن مضاض ، وكان ملك عمرو ملكاً ضعيفاً ، فأقام بذلك مدة ، ثم مات فولي الملك بعده بمكة وأرض تهامة ابنه البشر بن عمرو ابن الحارث بن مضاض ، فأقام بمكة دهراً طويلاً وكان ملكه من تحت ملك بلقيس حتى أتى سليمان بن داود مكة والبشر يومئذ ملكها فآمن البشر بسليمان وأمره أن يدفع أمر مكة إلى بني نابت بن اسماعيل ، وكان آخر ملك تملك من جرهم البشر إلا أنه أقرهم على السقاية وتركهم على سدانة البيت فولي أمر مكة عدنان دهراً طويلاً ، ثم مات فولي مكة بعده ابنه معد بن عدنان ، فأقام دهراً طويلاً ، ثم مات ، فتنازع الأمر بمكة بين نزار بن معد وقنص ابن معد فغلب عليه نزار فخرج قنص إلى العراق فزعم بعض أهل النسب أن النعمان بن المنذر ملك الحيرة أنه من أبناء قنص بن معد .

قال ابو محمد عن البكائي عن أبي مالك عن محمد بن اسحاق : أنه لما افتتح عمر بن الخطاب العراق دخلت مغارة في الحيرة فأصابوا فيها سيف النعمان المرهف فأتوا به إلى عمر فقال جبير بن مطعم ــ وكان جبير نسابة عن أبي بكر ــ فقال له عمر : ممن كان النعمان بن المنذر ؟ قال : سمعت أبا بكر يقول : هو من أشلاء قنص بن معد بن عدنان ، فسلحه عمر بالمرهف سيف النعمان .

وأقام نزار بن عدنان بمكة مقدماً دهراً طويلاً .

قال أبو محمد : حدثني أبي عن محمد بن السائب الكلبي عن علماء العرب أن نزار بن معد بن عدنان لما حضرته الوفاة قسم ماله بين أولاده وكانوا أربعة ــ وكان أكبرهم إياد ــ وقال : لك العصا والحلة وأنت وصيي . وقال : يا مضر لك القبة الحمراء وهي قبة من أدم ، وقال لربيعة : لك

الفرس والقنا – فسمي مضر الحمراء وربيعة الفرس – ويا انمار : لك النخيلة امة سوداء والحمار . وقال عباس بن مرداد السلمي يذكر مضر الحمراء :

إلى مضر الحمراء ينمى عديدنا وأحسابنا إذ مجدنا غير قعدد

وقال الحارث بن أوس يذكر ما ورث اياد من أبيه نزار :

نحن ورثنا من نزار كلـــــه ونحن أرباب العصاء والحلة

وأما ربيعة بن نزار فانه سمي ربيعة الفرس للفرس الذي ورث من أبيه لأنه اختصه به دون أولاده ، وعمر ربيعة دهراً طويلاً فسمي ربيعة القشعم .

قال ابو محمد : أكرم الابل في العرب ابل مضر المهاري وخيل ربيعة أكرم الخيل ، ثم خيل بني تغلب خاصة ، وغنم انمار أكرم الغنم تأكل في سواد وتربض في سواد وغير ذلك انقص . وأوصى ربيعة بالخيل للأكبر من ولده فأول من ورث الخيل عنزة بن أسد بن ربيعة .

قال أبو محمد : حدثنا حماد بن اسحاق قال : حدثنا محمد ابن ابراهيم حدثنا محمد بن السائب الكلبي قال : حدثنا اسماعيل بن مخزوم عن ابن عباس قال : لما حضر نزار بن معد الوفاة جمع بنيه وهم أربعة : اياد الأكبر وابنه ربيعة وابنه نمار وابنه مضر ، وكانت أم مضر وربيعة عاتكة بنت يزيد بن زيد بن عمرو بن الهدهاد الحميري ، وأم اياد اروى بنت ليث بن عمرو الكلبي ، وكانت أم انمار وازعة بنت غالب من بني مالك بن عريب ابن زيد بن كهلان . قال لما حضرت نزار الوفاة : أوصى إياداً واستخلفه في أهله وأوصى له بامة شمطاء وبالحلة والعصا ، وأصى لمضر بالقبة قبة حمراء من ادم وخاتمه من ذهب فسمي اياد الشمطاء ومضر الحمراء ، وأوصى لربيعة بالفرس والقناةواللواء فسمي ربيعة الفرس ، وأوصى لأنمار بالحمار

فسمي انمار الحمار . وأعطى لكل واحد منهم قلة مسدودة على فمها وقال لهم : اذهبوا إلى القلمس بن عمرو - افعى نجران - فهو حكيم العرب وقاضيهم . فلما مات نزار بن معد بن عدنان رثاه ابنه ربيعة ، فقال - وهو أول من قال الشعر من بني معد بن عدنان :

نزار بن خير الناس قدما وحادثاً ... معد بن عدنان سنا ليس يقبر
فمن لمجال الروع والموت حائم ... اذا الخيل تدمي والفوارس تزأر
سيذهب روح العز عن مستقره ... ويقبر معروف الندى حين يقبر
سكنت بأعلام المحصب من منى ... وخلفت ريب الدهر في الخلق يعبر
فيا ليت شعري ما الذي قلت بعدنا ... ويا ليت شعري أم إلى أين تعبر

ثم انهم ساروا فمروا بكلبة وجرو صغير يرضعها فنبحهم الجرو والكلبة ساكتة فعجبوا منه ، ثم ساروا [1] على مزابل منورة فتعجبوا منها ، ثم أتوا على طريقهم فأصابوا ثلاث شجرات معطفة متقابلات واحدة في طريقهم وأخرى بارحة والثالثة سانحة ، وعلى السانحة طائر وعلى البارحة طائر آخر فيطير الذي على البارحة إلى السانحة فينزل عليها ويطير الذي على السانحة إلى إلى البارحة فينزل عليها ، ثم يقيمان ساعة فيعود هذا إلى مكانه ويعود الآخر إلى مكانه والوسطى من الشجرات لا ينزل عليها منهما أحد . ثم ساروا فأصابوا شيخين قد اقتتلا وتضابطا باللحى ، فأمروا انمار الصغير أن يفرق بينهما فأقبل انمار ليفرق بينهما ، فكلما ضرب أحد منهما صاحبه وقعت الضربة على انمار حتى أوجعاه فتركهما وتبرأ منهما . ثم نزل إليهما ربيعة ففعلا به مثل ما فعلا بانمار ، فلما أوجعاه تبرأ منهما ، فنزل إليهما مضر . فلما دنا منهما افترقا وفر كل واحد منهما إلى ناحية ، فلم يبعد كل واحد

---

(١) سقط من هنا شيء كما يعلم مما يأتي في إعادة القصة .

منهما عن صاحبه حتى غابا . ثم ساروا فمروا على أثر جمل فقال اياد : هذا أثر جمل أعور ، وقال مضر : بل أبتر ، وقال ربيعة : بل أزور ، وقال انمار : بل شرود . فلقيهم صاحب البعير فقال : هل أحسستم من بعيري حساً ؟ فقال له اياد : هل هو أعور ؟ قال : نعم ، وقال له مضر : هل هو ابتر ؟ قال : نعم ، وقال له ربيعة : هل هو أزور ؟ قال : نعم ، وقال له انمار : هل هو شرود ؟ قال : نعم ، ثم قال لهم : فأين البعير ؟ قالوا : ما رأينا لك بعيراً . فتعلق بهم ثم أتوا أفعى نجران وهو متعلق بهم ، فقال : أيها الحكيم ان بعيري قد ضل وهؤلاء عرضوا علي صفته وابوا أن يدفعوه إلي ! فقال لهم أفعى نجران : ادفعوا إلى الرجل بعيره ان احطتم به علماً ، قالوا له : مررنا على أثر بعير فعرفنا صفته بالأثر ، قال لهم : كيف وصفتم ؟ قال له اياد : مررت بأثر بعير أعور ، قال له مضر : مررت بأثر جمل ابتر ، قال له ربيعة : مررت بأثر جمل أزور ، قال له انمار : مررت بأثر جمل شرود . قال لاياد : ما دليلك أنه أعور ؟ قال : رأيته يركب أثر عينه الصحيحة وعليها رعيه . قال لمضر : ما دليلك أنه أبتر ؟ قال : رأيت بعيره يقع مجتمعاً ولو كان له ذنب لفرقهبه ووقع منتشراً، وقال لربيعة : من أين علمت أنه أزور ؟ قال : رأيت أثر خفي يديه يركب بعضهما بعضاً وربما خالف بينهما فعلمت أنه أزور ، ثم قال لأنمار : من أين علمت أنه شرود : قال : رأيت أثره ربما زاغ عن طريقه فعلمت أنه يروغ عن طريقه يعترض له فيروغ ، ولو كان غير شرود لأصبناه ثابتـاً في مكانه . فقال أفعى نجران للرجل : اذهب اطلب بعيرك فليس هؤلاء به . ثم انه نظر إليهم أفعى نجران طويلاً فقال : (ان العصا من العصية وأن خشيناً من أخشن وأراد الجبيل من الجبل وإذا لم يبرق لمع نور يدبـ أي حراك بنور[1])، فذهب مثلاً .

---

(١) كذا — ولعله يدب إلى حرار يثرب .

قال ابو محمد : في قوله لم يبرق لمع نور يدب : إلى حرار يثرب أراد أنه رأى عليهم نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم القائم بيثرب . قال ثم أمر لهم بطعام وشراب ، ثم أجلسهم مجلساً وقعد قريباً منهم يسمعهم ويراهم وهم لا يرونه ، ثم قال لغلام له : يا غلام رأيت قوماً خليق أن يكون لهم نبأ عظيم ، فلما أكلوا وشربوا وكان قدم إليهم عناقاً مشوية وخمراً . فقال إياد : هذه العناق أرضعتها كلبة ، وقال مضر : ان هذه الخمر من كرمة نبتت في قبر، وقال ربيعة : ان هذا الرجل صاحبنا لغير أبيه . وقال انمار : ان هذا الغلام الذي آتاكم بالطعام من أبناء الملوك حر . فقام أفعى نجران إلى الراعي ، فقال له ما قصة هذه العناق ؟ قال الراعي : ماتت أمها ولم يكن في الغنم شاة تحلب فأرضعتها هذه الكلبة . ثم أتى صاحب الكرم فقال له : هذه الخمر من أي كرم عصرتها؟ قال له : من هذه ، قال له : احفر ! فلما حفره على عروقها فأصابها في جوف طفل صغير شقت جوفه ، ثم أتى أمه فقال لها : نزل بي شياطين وقد زعموا أني لغير أبي وقد صدقوا في كل ما قالوا فاخبريني واصدقيني ، فان كشفك غدا أعظم من كشفك اليوم والحكم اليوم لك وغدا عليك ، قالت : يا بني ما علمت تحقيق أمري إلا يومي هذا وما كنت داعرة ولا كان أبوك عاهراً غير أنه تنافس أبوك وعمك ، وكان ابوك شديد الملكة قاسياً ، فضجرت الرعية منه فلجأت إلى عمك فقدموه وقاموا به على أبيك فتحاربا دهراً طويلاً ، وان آباك انتجع إلى البلقاء من أرض نجران وأنه خرج تلقاء البحرين في عسكر وبلغ عمك الخبر فأتى بعسكر ، وأخذ جميع الحي وصار بي إلى قصره وادخلني القصر وأنه سكر ليلة من ذلك وغلبه السكر فخرج يمشي في قصره فلقيني فوقع علي . فلما أصبح أخبر بما فعل فندم وخلى سبيلي ، وأتيت آباك فكنت في شك من

أبيك وعملك . وتالله ما كنت أرضى بالزنا وأنا كريمة لكرم وان عملك حرم الخمر على نفسه ، وهو أول من حرمها ، وقال :

شربت من الخرطوم صهباء مزة لها مسلك بين الحشا والجوانح
لها نشوة تدعو الحليم إلى الصبا وتذهب من أحزانه كل فادح
سوى أنها بالحي تجحف بالفتى وتفسد من أحواله كل صالح
تجور بأهل الرأي عن فصل رأيهم وتزري بأرباب الحلوم الرواجح
إذا لم أكن أنفك فيها أبت بهـــا على شرجع ما بين أيدي النوائح
فوالله ثم الله لا زلت بعدها لها قالياً ما بين غاد ورائح
أحرمها ما حرم البيت ربـــه وتحريم ابراهيم دم الذبائح

وهو هرم بن عمرو — وكان أول من حرم الخمر على نفسه بلا ديانة — قال ، ثم أتى إلى القوم وهو لا يدري من هم وقد سمع ما سمع منهم ، فجلس مجلس قضائه وأحكامه ثم قال : أئتوني بالنفر المستضيفين ، فقال لهم : هل من حاجة أقضيها لكم وتنصرفون ؟ قالوا : نعم أيها الملك آتيناك نسألك عن بعض شأننا ونتحاكم إليك في أمرنا ، وكان أفعى نجران أعلم أهل ذلك الزمان بعلم سليمان بن داود عليه السلام ، وكان داعياً من دعاته وكان قبل سليمان أعلم العرب بالنجم والزجر ، وكانت العرب أعلم أهل الدنيا بالنجم عن ابراهيم واسماعيل . فقالوا له : أيها الملك خرجنا نريد إليك في أمورنا فرأينا ثلاث شجرات سانحة وبارحة ووسطى على طريقنا ، وعلى السانحة طائر وعلى البارحة طائر فجعل الذي على السانحة يطير إلى البارحة ويعافي الوسطى ، ففعلا ذلك مراراً [1] قال لهم : سيأتي زمان يهدي الغني إلى الغني والضعيف المحتاج بينهما لا يهدون إليه شيئاً ، قالوا : ثم مضينا إلى

---

(١) كذا في الأصل وقد مرت العبارة الصحيحة .

رياض جديدة وأفضينامنها إلىمزابل منورة،قال: سيأتي زمان يرتفع فيه العبيد والسفلة ويذلفيه ويسقط الأحرار والأخيار. قالوا: ثم سرنا على كلبة وعلى يطنها جرو صغير ولا يكاد يقفءأعمى العينن فنبح وامه ساكتة قال :سيأتي زمان ينطق أهل الجهل ويصمت العلماء . قالوا : ثم مررنا على شيخين يقتتلان وقد تضابطا باللحى فأمرنا أخانا وهو أصغرنا يفرق بينهما فاختلف بينهما الضرب فكان يقع عليه ، فلما أوجعاه تنحى عنهما وأمرنا آخانا هذا الثاني ففعلا به كذلك ، فزوال عنهما ثم أمرنا آخانا الثالث ، فلما دنا منهما افترقا وهربا منه فجعل كلما دنا منهما وليا هرباً حتى غابا عنا ، قال فنظر إلى مضر وهو الذي هربا منه نظراً طويلاً فقال له : بخ بخ أنت الشجرة المثمرة . ثم قام عن مجلسه فأجلسه فيه ، ثم قال لهم : ذلك شيطانان أرادا أن يخبراكم ليعلما أيكم السبط وأنت أيها المرء مضر بن نزار في ظهرك محمد صلى الله عليه وآله وسلم أكرم مولود وأحمد محمود له الدعوة الصادقة اليوم والمقام المحمود غداً به تستنقذون من الهلكة وبه تنالون الزلفى . وأنتم بنو نزار اختلفتم في ميراثكم وجئتم إلي أحكم بينكم وأنتم كما أرى وتسألوني ؟ قالوا : إن آبانا أمرنا أن نأتيك ان اختلفنا تحكم بيننا ، قال : فان القبة والخاتم لمضر واليه حكوماتكم ، وان اياد صاحب العصا والكلمة والحلة والشمطاء وإليه أمر معاشكم ، وإلى ربيعة صاحب الفرس والقناة واللواء أمر حروبكم ، فكونوا تحت لوائه في الحروب ، وأما انمار صاحب الحمار فاحملوا عليه كل فادح وصاحب خدمة أهل الدنيا أعطاه الحمار لتكونوا له كذلك [1] فقال في ذلك بعد ذلك الزمان يحي بن أبي سلمة البجلي وبجيلة من ولد انمار .

(١) ل — ليكون به كذلك .

نزار كـــان أعلم حين أوصى　　لأي بنيه أوصى بالحمـــــــار

قال : اعطوه القلال المطبوع عليها ، ففك قلة اياد فأصاب فيها تقليم الأظفار قال : يا إياد خذ ماله من عبد وغيره، ثم فك قلة مضر فأصاب قطعة من ذهب وقطعة من فضة ، قال له : يا مضر خذ ما ترك من ذهب وفضة ، ثم فك قلة ربيعة فأصاب قطعة من حافر فقال له : خذ ما ترك من فحل وحافر وفرس وبغل وحمار ، ثم فك قلة انمار فأصاب فيها ظلفاً فقال له : يا انمار لك الخف والظلف فتراضوا بذلك فقال : الأرض بينكم فقيل من يومئذ اياد الشمطاء ومضر الحمراء وربيعة الفرس وانمار الحمار . وكان أطولهم عمراً ربيعة وكان يقال له لذلك : ربيعة القشعم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبشير بن الخصاصية السدوسي (ألست من ربيعة القشعم الذين يزعمون أنه لولا ربيعة لانكفأت الأرض بأهلها) قال : نعم يا رسول الله . وكانت تلبية ربيعة في الجاهلية : لبيك أللهم لبيك رب ربيعة القشعم ثم لبيك . قال علي بن أبي طالب : نعم الحي ربيعة اباء الفجار انجاد سادة [١] .

قال ابو محمد : حدثني أسد عن أبي ادريس عن وهب عن ابن عباس أنه قال : لما ولي الملك ناشر النعم ، وانما سمي « ناشر النعم » أي محي النعم لما أحيا ملك حمير بعد أربعين عاماً أيام سليمان بن داود عليهما السلام ، وناشر النعم هو مالك بن يعفر بن عمرو بن حمير بن السياب بن عمرو بن زيد بن يعفر بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ .

قال ابو محمد : لما ولي ناشر النعم الملك جمع حمير وقبائل قحطان وخرج

---

(١) كذا – في الأصول .

بالجيوش إلى ما حوى آباؤه والتبابعة العظماء فوطىء موطئاً من الأرض عظيماً واشتد سلطانه فخرج إلى المغرب حتى بلغ إلى البحر المحيط فأمر ابنه شمّر وهو شمر يرعش بن ناشر النعم ، وانما سمي يرعش لأنه مسه ارتعاش من شرب الخمر . وقال الايلي : كان يسمى شمر يرعش ، والشمر : البوار في لغة حمير ، أن يركب البحر المحيط فركب في عشرة آلاف مركب وسار يريد وادي الرمل ، وقال له : لا ترجع حتى تعبره وترجع إلي بما رأيت ، فركب شمر ونزل ناشر النعم على صنم ذي القرنين فأخرج عساكر إلى الافرنج والسكس وعبرت عساكره إلى أرض الصقالبة فغنموا الأموال وسبوا الذراري ورجعوا اليه بسبي من كل أمة في جزائر البحر . ثم سمع بالليل دوياً عظيماً على رأس منارة الصنم وهبت ريح عاصفة تكاد تهلك من معه فسمع عند وجه الصباح هاتفاً من رأس المنارة وهو يقول : ابي الله ، ابي الله ، سبق العلم الأول بالسبب الصادق والعلم النافذ من طلب معدوماً عدم . فقال ناشر النعم : يا أيها الناس هلك ابني شمر يرعش ومن معه . ثم أقبلت مراكب شمر يرعش يعد أيام وقد هلك منها الف سفينة ونجا تسعة آلاف فقال لشمر يرعش : ما ردك يا شمر يرعش عن أمري ؟ قال : أيها الملك حيل بيني وبين الحكم سمعت دوياً عظيماً وقعقعة علت رؤوسنا فكدت أن أهلك ، ثم سمعت هاتفاً يقول : سبق العلم من طلب معدوماً عدم . ثم هبت الريح ففرقت المراكب ، فلم تجتمع إلى عند قال : فعبر ناشر النعم البحر وسار على ساحله يريد أرض الحبشة فأخذها ، ثم قفل على طريقه خوفاً من المخالب إلى ساحل البحر من شمال الأرض حتى بلغ مدينة شداد بن عاد فأقام فيها حولاً . ثم سار إلى المشرق ، ثم أرسل عساكره إلى غزوة أرض الروم بني الأصفر وملكهم يومئذ باهان [1] بن سحور بن

---

(١) ب - ماهان .

مدين بن روم بن اسطوم بن روم بن ناطس بن سامك بن رومي بن عيص ، وهو الأصغر ابن يعقوب النبي صلى الله عليه وسلم فلقيهم فهزموه وغلبوا عليه فهرب منهم إلى جبل فاعتصم به ورجعوا إليه بالغنائم والسبايا ، وكان باهان متوجاً ، ثم مر على أرض بابليون وأخذ على الشام يريد مطلع الشمس .

قال ابو محمد : لما رجع شمر إلى أبيه من المحيط أمر بمنارة فبنيت إلى جانب منارة ذي القرنين ، ثم أمر فكتب في صدر التمثال الذي عليها من النحاس بالمسند : ليس وراء هذا المكان مذهب لا يتكلف المضي أحد فيعطب بلغ من بلغ أثره وانتهى قدره ، ثم أمر بالمنارة التي بنى فهدمها ومضى .

قال ابو محمد : لما توجه إلى المشرق نشر النعم عبر قنطرة سنجة، ثم قال :

أنا تبع الاتباع في المجد والندى ... نشرت علا الآباء في الزمن الخالي
ملكت وقومي مالكون ولم أكن ... لاملك أعلى الملك إلا بـامثالي
فرضت ملوك الأرض شرقاً ومغرباً ... جبالاً اسامي شامخيها باجبال
بجمع كأن الليل تحت متونه ... بقوم غضاب غير نكس واعزال
فدانت لنا الأيام شرقاً ومغربا ... وسقنا سبايا كل حجل وخلخال
وأذعن منها كل عاص ممنع ... واسلم فيها ما حوى ثم من مال
وأقبلت نحو الشرق للصين قاصداً ... أدافع باب الترك حالاً على حال
فهل تبلغ الأقوام في المجد مجدنا ... واني لهم في المجد في المركب العالي
ولم أصحب الدنيا على أن لي بها ... خلوداً ولكن أغمضت عنه آجالي
واني على ما نلت من ذاك موقن ... بأني سافنى ثم تهلك آمـالي
ألم تر آثار الذين تقدمـوا ... تولوا عن الدنيا وباتوا بأوجال

قال : فغلب على أرض الترك ، ثم سار على طبرستان وباب الأبواب

(١٥)

وبلجج على جبال الصغد إلى أرض الكرد والزط والخوز وفرغان فغلب عليهم . فلما فصل يريد أرض التبت إلى الصين وأرض الهند وصار بنهاوند ودينور مات فدفنه شمر ابنه وولي الملك بعده .

(ملك شمر يرعش بن ناشر النعم)

وقال شمر يرثي آباه ناشر النعم :

بمغاني الأيك والسمر	ملك اشفى على قدر
ما على الأرضين ان ونيت	عن سنا الدنيا ابي شمر
ماتت الدنيا لميتته	ونأى بالسمع والبصر
يا منار العز عدت صدى	بنهاوند ودينور

ثم قفل بالجيوش يريد أرض المغرب ، فأخذ على بابل ونزل بغمدان ، وولي الملك شمر يرعش وهو تبع الأكبر الذي ذكره الله سبحانه في القرآن لأنه لم يقم للعرب قائم قط احفظ لهم منه لم يكن عنده من العرب طرف [1] أغنى واقنى يتجاوز عن مسيئهم ويحسن إلى محسنهم فكان جميع العرب بنو قحطان وبنو عدنان شاكرين لأيامه ، وكان أعقل من رأوه من الملوك وأعلاهم همة وأبعدهم غوراً وأشدهم مكراً لمن حارب فضربت به العرب الأمثال وهو عندهم تبع الأكبر وان كان قبله تبابعة عظماء أعظم منه ولكن لمحبتهم فيه وعظمته في قلوبهم . وان الصغد والكرد والخوز والزط والقوط كلهم بنو يافث بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم بعثوا إلى اخوانهم من بني يافث من كان منهم بأرض أرمينية إلى بلجا وجاجا فقالوا لهم : ألا تغضبون

---

(١) كذا – والله أعلم .

لما نزل بنا من ناشر النعم سبي منا مائة الف بكر وقتل منا مائة الف مقاتل فأجابهم اخوانهم من بني يافث إلى النصرة والقيام وهم : الترك والديلم والغور والحوز وبلغ ذلك بني فارس بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح . فاجتمعوا اللسان الأعجمي وكرهوا أيام التبابعة لما يكلفونهم من السخرة في المغازي وغير ذلك من أصناف العمل من المتاع والسلاح . فقدم بنو فارس قباذ بن شهريار الفارسي في الملك وتوجوه وان الصغد والكرد وأهل نهاوند ودينور عمدوا إلى قبر ناشر النعم فهدموه وفرقوا رخامه وزجاجه وما كان فيه من جزع وغيره وبلغ ذلك تبعا شمر يرعش فنذر الله نذراً ليرفعن ذلك القبر بجماجم الرجال حتى يعود جبلاً منيعاً شامخاً كما كان وغضب غضباً شديداً وغضبت العرب لغضبه ، وكان بنى قبر أبيه ناشر النعم بالرخام الأبيض والأحمر والجزع الأزرق والأحمر حتى جعله جبلاً منيفاً شامخاً وأمر جميع من حوله من القبائل ألا تقرب منه ولا يقطنون حوله فيدمونه وما حوله فأمر تبع شمر يرعش بالجيوش فبرزت وخرج جميع أهل جزيرة العرب طوعاً وغضباً لغضب شمر يرعش لمحبتهم فيه فخرج في عساكر لم يجمع أحد مثلها من التبابعة من بعد ذي القرنين وبلغ ذلك بني يافث وقدمت فارس قباذ إلى قتال تبع شمر يرعش ، وأقبل بنو يافث بأجمعهم يناصرون قباذ وهم : الترك والديلم والخزر والغور والتبت والصغد والكرد والزط والحوز ، وبلغ ذلك شمر يرعش وكان انتصاب قباذ بن شهريار ومن معه من فارس وبني يافث بجبال الري ، فسار تبع شمر يرعش حتى نزل بالمشلل فخلف ابنه عمراً الأقرن بالمشلل في مائة الف فارس وخلف ابنه صيفياً بعمان في مائة الف، ثم سار فترك العراق الذي فيه جمع فارس وبني يافث وقصد الجزيرة وأخذ على الفرات يريد أرمينية وأنشأ يقول :

اثن على الله بالآية | وارغب إلى الحق عن الباطل
لعله ينسى مدى انه[1] | ويرسل العاجل للآجل
إلى مجوس الصغد والكرد أو | خزر محل الأرذل السافل
فقل لقحطان حلوم النهى | أهل المقام الباذخ الهائل
وقل لعدنان سليل الرضى | قوموا فان الرشد للفاعل
انا اذا مالت داوعي الهوى | وانصت السامع للقائل
واصطرع الناس بألبابهم | نقضي بعلم فاصل عاجل
لا نجعل الجاهل في أمره | يوماً ولا الأنوك كالعاقل
ولا ذوي الغفل كأهل الحجا | ولا رشيد الرأي كالجاهل
نقضي على ذا وعلى ذا بما | نقضي على العالم والواهل
بعلم أحلام لها منصب | يجلي عمى الجهل عن السائل
برزت في جمع كمثل الحصى | يقذف بالرامح والنابل
تسعين الفا كالدبا يلقها | والدهم مثل العارض الوابل
والكمت والشقر واسرابها | مثل القطا المستورد الناهل
والخيل تشتد بفرسانها | بكل قرم ماجد باسل
يا لك من جمع اذا ما دنا | ليس بموهون ولا خاذل
أقسم لا أنفك حتى أرى | جماجماً تسحج بالآفل
والسيف يمضي والردى حاكم | يحكم بالمقتول للقاتل
ان اغفلوا العهد وآياته | فان شمرا ليس بالغافل
سيصبحوا يوماً على ذلة | تجحف بالمأكول للآكل
كم من فتاة طفلة غادة | تصبح بالفيء إلى النافل

---

(١) لعله — مدى آ له .

نكاح نمي غير ذي رشـدة . تفرح أو تحزن للعـاقل
ان صبحوا الأمن فلا بد من ساعة شغل في مدى شاغل
حتى يذيقوهم حتوفاً كما ذاقت ثمود الحتف في العاجل
لنا وجوه الأرض مأمورة نطاع باليم وبالساحل
والذهب الأحمر يجبي لنا يحمله الرق مع الحامل
والمسك والأنجوج من صيته والدر في أصدافه الذابل
لا شين إلا الموت يحدو بنا محلول الموت في تائل [1]

وان تبعا شمر يرعش بلغ أرمينية فبلغ ذلك قباذ فأمر الترك بالمسير إلى أرمينية ،فسارت الترك تريد أرمينية فقاتلهم قتالاً شديداً ،ثم هزمهم فقتلهم قتلاً ذريعاً إلا من تحصن له في قلة جبل وسبي وخرب المدائن من أرض أرمينية وان قباذا زحف من موضعه بمن معه من فارس وفرغان والصغد والكرد والزط والخوز يريد أرض العرب لما بلغه أن تبع شمر يرعش بأرمينية فسار قباذ ين شهريار حتى بلغ حنوقراقر من أرض العراق وبلغ ذلك عمراً الأقرن ابن شمر يرعش تبع فلقيه بالمشلل فاقتتلوا أياماً وبعث الاقرن إلى أخيه صيفي فأتاه من عمان في مائة الف ونفر إليه المخلفون من أهل اليمن في مائة الف فلما وصل صيفي إلى أخيه الاقرن هزم قباذ فهرب إلى القادسية فطلبوه ، فهرب إلى القصر الأبيض من جبال خراسان وتحصن في رؤوس الجبال ، وبعث الأقرن وصيفي إلى أبيهما فأعلماه بما كان من أمر قباذ ، فرجع من بلجا وجاجا ، وقد أمعن في قتل أهل المشرق فعبر الفرات وسار يريد أرض بابل ، ثم قصد قباذ بن شهريار وقد تمنع في رأس جبل ، فلما رأى قباذ الغلبة قال لابنه بلاس بن قباذ : اقتلني يا بلاس فاني ميت على يد تبع قال له

---

(١) كذا — ولم يظهر معناه — ح .

بلاس : لا تطاوعني يدي على ذلك ، قال له : ان لم تفعل قتلت أنا وأخوتك وقومك وطلب من بقي من فارس ، ولكن اقتلني وامض برأسي فخذ أماناً لك ولأخوتك وقومك ولولدك من بعدك ، فقال له بلاس : لست أقتلك ولكن إذا رأيت ذلك هو الرأي فانظر أي ميتة أهون عليك فمت بها ، قال فعمد نفسه ففجر الأكحلين ثم تركهما يجريان حتى مات ثم عمد بلاس إلى رأسه فجزه وسار إلى تبع شمر يرعش فقال له : أيها الملك هذا رأس قباذ ، هذا سبيل من عصاك فما يكون سبيل من أطاعك ولجأ إليك ورغب في رضاك ،قال تبع : من طلب رضاي فله رضاه ، قتلت آباك في رضاي فلك رضاك ، قال له بلاس : أيها الملك ليس أبي ممن آراد هلاكي ولكن أبي ممن آراد بقائي ، قال له تبع : فما تريد يا بلاس ؟ قال له اماني وآمان أخوتي وقومي ومن بقي من فارس ويجعلني الملك من بعض خدمه ، قال له تبع : لك ما سألت . وكان شمر يرعش أكرم ملك على الأرض وأعقلهم وأكثرهم عفواً وأقربهم رأفة . فقال له بلاس : نحن فارس بنو حام حاشية الملك ، قال له : أما اني لم أرد قتلكم يا آل فارس لأنكم أخواننا الكرام من بني سام ولكن اعترضتم دون بني يافث وقد عدلت عنكم اتقاء عليكم وقد سألتني يا بلاس أن أجعلك من خدمي ، فان خدمتني في أرضي وفي قومي ، لم تطب لك معيشة ولا وفيت لك بانقطاعك إلي ولا كافيتك فيما صنعت فانه ما سبقك أحد ممن كان قبلك إلى مثل فعلك وقد كرهنا لك قتل أبيك ورضينا لك قصدنا ، فقد وليتك على قومك فارس ، فخذ جيشاً من فارس ثم تقدم بين يدي إلى الصغد والكرد قال : أيها الملك ان أنا لم أنبلهم بين يديك بالسهام الكرمانية [1] والنصال الهندية لم أف لك ، فسار بلاس إلى أرض نهاوند ودينور فقتل الصغد والكرد والزط وأكثر القتل في الصغد والخوز والزط فهم

(١) ل – بالسهام الفارسية والسيوف الكرمانية .

أقل بني يافث إلى اليوم وكانوا أكثرهم ، وأخذ من كل أمة غلب عليها أمماً يستخدمهم في الصناعات كل قوم فيما أحكموه من الصناعات ، ثم بلغ سنجار إلى قبر أبيه مالك ناشر النعم فأمر ببناء قبر أبيه تبع ناشر النعم وكان نذر لله نذر أنه ان ظفر بالزط والكرد والصغد أن يبني قبر أبيه بجماجم الصغد والكرد حتى يعود جبلاً منيعاً كما كان وأنه أمر بقبر أبيه فبني بجماجم الصغد والكرد حتى عاد كما كان فمشى اليه أشراف حمير فقالوا : أيها الملك وما في هذامن الشرف أن تبني قبر الملك ناشر النعم بجيف هؤلاء العلوج ، وقد بلغ الملك اربه وقضى نذره فأمر به فهدم وأمر الكرد والصغد والزط أن يبنوه بأنواع الرخام الأبيض والأحمر والأزرق والأخضر ورصعوه بالجزع اليماني حتى عاد جبلاً شامخاً كما كان فطاف به ومشى في داخله ، فلم يعجبه من بنائهم شيء فأمرهم بهدمهفهدموه وأمر الفرس ببنائـــهفبنوه بأنواع الرخام وأنواع الجزع والزجاج والدر والياقوت ، وأنه طاف به ومشى في داخله فلم يعجبه من بنائهم شيء . قال : ائتوني ببقايا سحرة سليمان بن داود بلقيس بنت الهدهاد فأتوه بهم فأمرهم ببنيانه فبنوه بالكلس الأزرق وأجادوا فيه الصنعة بالدهن والصقل حتى صار جبلاً منيفاً وصار كالمرآة السجنجل ثم أنه طاف بهفرأى نفسه وفرسه وجميع من معه فيه كما رأى نفسه فيه من خارجه في جميع جهاته ، فأعجبه . فرأى الطير إذا همت أن تنزل عليه رأت تمثالها فيه فنفرت فلا ينزل عليه طائر ، فأمرهم بعقد الجن حوله ان لا يدنو منه أحد من الناس ففعلوا ذلك فمن نزل حوله رجمته الجن ، فانه كذلك إلى اليوم بسنجار بين نهاوند ودينور . ثم هدم المدائن بدينور وسنجار فجميع الأرض التي خرب شمّريرعش سماها بنو فارس شمركند اي شمر خرب باللسان الفارسي فأعربته العرب بلسانها فقالوا : سمرقند وهو اسمها إلى

اليوم . ثم رجع إل قطربيل وسار يريد أرض الصين ، وكان ملك الهند بأرض الصين نفير الهندي – والهند والسند والحبشة والنوبة والقبط بنو حام بن نوح عليه السلام – فلما بلغ نفير خروج تبع من بابسير من أرض قطربيل جمع الهند من جميع أرض الصين وانتصب إلى تبع من بابسير من أرض رعش ، وخلف تبع الجرحى والزمنى والمرضى بأرض نهاوند وسنجار ودينور ، ثم ان تبعاً لقي نفير الهندي ومن معه فقاتله قتالاً شديداً أياماً ، ثم غلب عليه تبع فقتل أمماً من الهند وغلب على أرض الصين وتمنع نفير ومن معه في جبل عظيم ، فلما رأى غلبة تبع وتثاقله في أرض الصين ضاق من ذلك واشتد عليه ، فدعا أهل مملكته وجنده فقال : لي فيما تقدم من دهري عمر يرضاه المرء ولم يبق لي من آخره إلا ما آسف به على أوله وان شيئاً يكون الفناء آخره وغايته لحقيق على الحازم أن يزهد فيه وقد أردت أمراً فيه الموت والشقاء ، ثم جمع أهل المكر والسحر فقال لهم : ماذا ترون في تبع وأجناده ؟ قال له أهل المكر: أيها الملك (المحاجزه قبل المناجزة – والمكر قبل القسر – وليس بعد القسر الا الرضا للامر) ، فقال لهم : سمعتكم ، فقولوا أيها السحرة ، قال له السحرة : أيها الملك الموت أعجل والسحر أنبل وقد سبق المثل الدهر عبد الدول وانى ينفع سحرنا وقد سقط جدنا قال نفير : عرف الرأي أهله ، ثم عمد إلى أذنيه فقطعهما وجدع أنفه وأمرهم فضربوه بالسياط ، ثم أتى تبعاً فقال له : أيها الملك إن قومي الهند هم في هذا الجبل الوعر وهم أهل غدر ومكر ، وقد أمرتهم أن يسمعوا للملك ويطيعوا فأبوا ذلك وفعلوا في ما ترى ، ولكن أيها الملك أقود بك وبعسا كرك إلى موضع تطلع منه إلى هذا الجبل فلا يعلمون حتى يؤخذ عليهم الجبل فتقتل من أحببت وتدع من أحببت ؟ قال له تبع : ليس لعساكري في أرضكم ما يحملها أجمع ولكنني أرسل معك عسكراً جحفلاً أهل النجدة والبأس والفضل في

الرأي والسابقة ، قال له نفير : افعل أيها الملك . فأمر تبع بعسكر لم يدع من أهل الفضل والبأس أحداً إلا بعث معهم وتقدمهم نفير فسار بهم حتى أتى ماء فقال لهم : خذوا الماء لثلاثة أيام ، فأخذوا ، ثم مضى بهم إلى [1] مجانة لا آخر لها فلجج بهم في المجانة فقال لهم : اتقوا من الماء فاني ذاهب إلى موضع الماءفاحتبسوا معهم شيئاً من الماء ، فاسرع بهم في المجانة وهم يتعللون بذلك الماء اليسير الذي معهم فابعدهم مسيرة أيام في المجانة وفرغ الماء الذي معهم ، وقد خلفوا خلفهم من المجانة ما لا يقدرون أن يقطعوه بلا ماء مسيرة أيام ، فقالوا : ويلك يا هندي أين الماء ومتى نقطع هذه المجانة ؟ فقال لهم : إلى الأبد الأبد تقطعونها وترون الماء، ويلكم أسعدتكم أيامكم فحملتم أموركم على الغرور وصحبتموها بالجهل ، هل ابصرتم طائراً ووحشاً يدلكم على أن بين أيديكم ماء والله انها مجانة لا تخرجون منها أبد الأبد أيها العرب لكم الصبر ولا تعلمون الغدر ، أتدرون من أنا ؟ قالواله:لا قال لهم : أنا نفير ملك الهند فعلت بنفسي ما ترون لأقتلكم واشتفي منكم نقمة لقومي وشفقة عليهم فأخذوه ورجعوا في طريقهم .

قال أبو محمد : لما سار نفير عن تبع بعسكره جمع حمير فقال : معاشر حمير ان العجم قليل صبرهم عند اللقاء وسريع غدرهم عند البلاء وقد مضى هذا الهندي بجميع رجالي ولم يمض بهم إلا إلى معاطش فاني لا أرى في أرضهم شيئاً يكادبه إلا المجانة فأخرج ذاجدن بن المسكين الحميري وأمره بحمل الماء على الجمال ففعل ذوجدن ما أمره به تبع ، وتبع أثرهم فلقيهم وهم يتساقطون عطشاً فشربوا وسقوا خيولهم ورجعوا . فلما نظر

---

(١) كذا في الأصل .

إليهم نفير لم يمت منهم إلا اليسير من الأتباع قال : يا نفير دافعت القضاء بالمنى ، ولكن أنت بين أمرين ان خلصت ناصحت لتبع وان مت وفيت لقومك وكلا الحالين كرم . ثم ان عسكر تبع رجع إليه وأمر بنفير فمثل بين يديه فقال له تبع : أنت نفير ؟ قال له : نعم أيها الملك ، قال له تبع : لم غدرت ؟ قال له نفير : أيها الملك إني لم أغدر لأني لم أعهد بل وفيت لقومي ومكرت بعدوهم فاذا قتلتني قتلت مانحاً وان تركتني تركت ناصحاً والعفو أخلق بقدرة الكريم . قال له تبع : يا نفير وفيت لقومك وقد يكون لك منهم العدو الكاشح والحسود الضاغن والمماري الملحد فكيف بك ان احسن ؟ فاني يا نفير قد عفوت عنك وصفحت عن زلتك وذنبك ووليتك على قومك ، قال له نفير : أيها الملك أسأت إليك وأحسنت إلي فأوثقت به عهدي وملكت به رقي وهل أنت مطيعي أيها الملك ؟ قال تبع : قل ، قال نفير : أيها الملك أرض الهند وبيئة لطارئها فلا تقارعها بالمهج فمن تاجر بروحه لم يربح وقومي في جبل كما تراهم يموتون اجمع فيه ولا ينزلون فيطلق يدي الملك افعل برأيي . فطلع نفير إلى قومه الهند إلى الجبل فأنزلهم وأنزل جميع أولاده حتى أتى بهم تبعاً – قال له يانفير : أمنهم وانزلهم منازلهم وبلغهم مراتبهم فان كل أمة لم تبلغ مراتبها دخلت صدورها ووغرت قلوبها فاستخفت فتكها وهانت عليها أعمارها وملك أمورها أشرارها وأنت أعلم بهم – ففعل نفير ما أمره به تبع ، ثم جمع بنيه ودخل بهم على تبع فقال : أيها الملك غرست ولم تأكل ثمر غرسك هؤلاء أولادي وهم بقايا عفوك وغرس نعمتك فامنحهم بالطاعة لك فمن أوفى فقد كافى ومن غدر ففي سيفك الوزر والحكم لمن غدر ، قال تبع : أنا لا آمرك فيهم ولا أنهاك ، لأن المرء أعلم بولده . فقال له نفير : أيها الملك هذا أحزم أولادي وأضبطهم للملك وأصلبهم حجراً وأحسنهم عقلاً فقدمه تبع

على أرض الصين وكان اسمه جلهم بن نفير فهو أول من تتوج بأرض الصين تأسى في ذلك بتبع . قال تبع لنفير : أنت أقوم بهذا الأمر ؟ قال له نفير : أيها الملك أزعجني عن أرض الصين فان قومي الهند قد أدركهم ثلاث خلال : اما واحدة فإنه مات من قومي ما بغضت الي أرض الصين إلا بعدهم ، والثانية ذهب أنفي وأذناي فكرهت أن ينظر إلي بالنقص من يعرفني بالتمام ، والثالثة وهي أعظمهن عندي ان عجزت عن خدمتك ولم أكافئك باحسانك وإني لبصير بكيد الملوك وإدارة الحرب ولن يستغني عني الملك لأن رجال الملك لهم آلات كآلات الصناع رجال للمشورة ورجال للحجابة ورجال إدارة الحرب عند اللقاء ورجال يصلون الناس ورجال للخدمة ، فلا يقوم للملك ملك ما لم يجمع هذه الطبقات من الرجال ، وأنا أيها الملك سعي عامة الخصال المحموده وأنا أيها الملك من خاصتك ما عشت . فشكر له تبع قوله وفعله ، ثم جمع نفير بنيه فقال : يا بنيّ عليكم بالسمع والطاعة لجلهم ولا تنازعوا فتهدموا ملككم ولا تخالفوا.

أمره فيجيش صدره عليكم ، ثم أقبل إلى جلهم فقال له : يا جلهم لا تستأثر عنهم لملكك فيحسدوك ولا تطاول عليهم فيقتلوك ولا ترغب في أموالهم فيبغضوك ، ابسط لهم وجهك ويدك وجنبهم سخطك وبطشك وكن لهم معقلاً ومرتقى ، أحسنوا حالكم يا بنيّ فإنكم لن تروني بعدها ولن تخشوا علي من سطوة تبع ولا من غدر العرب ، ان لم أوت من قبلي لم أحذر ولكن أني للملك باحسانه وأكون بين يديه عمري . ثم رجع إلى تبع فقال له تبع : يا نفير أي وجه من الأرض آخذ عليها راجعاً عن بلدك . قال له نفير : العلم كثير والخير قليل والأرض واسعة والرأي يصيب ويخطيء وأنت أيها الملك امرؤ نبيل والطريق قطربيل والأمر يحدث والسيف

حيث أراد ، واني أيها الملك أرى ما لا تراه ، فقال له تبع : وما هو يا نفير ؟ قال : أنتم العرب لكم بأس عند اللقاء وسلامة صدور عند الرضا وأراك أكثرت في عساكرك من الأعاجم وهم قليل صبرهم عند اللقاء كبير غدرهم عند الرضا ، فاخرجهم من عساكرك لا يوغرون صدور العرب فان الفرس السوء تملي[1] ، واعلم أيها الملك ان الأعجمي يضطرب إلى الغدر كما يضطرب البازي إلى صيده. فأمر بهم تبع فشردهم من عساكره ثم قفل من أرض الصين ومعه نفير ملك الهند حتى بلغ إلى قطربيل ، فآتاه أن الزط والكرد والحوز غدروا عساكره التي كانت عندهم من المرضى والجرحى ،وكان عنده أسباب من علوم الدهر عن ذي القرنين وموسى الخضر وسليمان بن داود عليهم السلام وكان قريب العهد من سليمان فقال :

أرقت وما ذاك بي من طرب ... ولكن بدا لي وهنا سبب
قتلت جموعاً فأفنيتها ... وفي الأرض مني لقومي أرب
وخبرت بالصين لي بغية ... ثياب الحرير وكنز الذهب
فسرت إليهم بجيش لهام ... كثير اللهاء[2] شديد اللجب
لقيت من الترك آسادها ... فقتلتها حين جد الوصب
فغادرت أيامها سدفة ... وموطنها بالقنا منتهب
لها عاصفات إذا وجهت ... تكاد الجبال لها تنقلب
وبالشرق والغرب آثارها ... وبالخافقين رياح تهب
بابناء قحطان من حمير ... بهاليل أسد صميم العرب
رزان الحلوم نجوم العلوم ... خفاف المعاذير بيض النقب

(١) ل - تمثل .
(٢) الدهاء .

فلما نزلت بأرض العراق عبرت العراق بعزم حرب
فسار قباذ إلى فارس إلى البحر يسعى لأمر كتب
فبادره الأقرن المستطيل سريعاً حثيثاً شديد الأرب
واقبل صيفي من أرض عمان لمن شذ منهم ومن قد قرب
فكان ببابل يوم عبوس بقتل ذريع أليم النصب
فخام قباذ وأشياعه وولى سريعاً حثيث الهرب
رأى الموت تحت ظلال السيوف وحتى النفوس له يضطرب
تجر المنية أذيالهـــا فكان العزيز بها من غلب
فاضحوا كأن لم يكونوا بها كذاك الزمان إذا ما انقلب
فاتبعه شمر في جمعـــه إلى القصر ذي شرفات الحجب
سقينا البرية في دهرنـــا سماماً مدوفاً بضرب القضب
نقود الجياد لأقصى البـــلاد إذا ما قضينا قضاء وجب
نهضت بجمع كمثل الدبا صباح الوجوه صلاب الحسب
ربيعة منها هداة السبيل علوم المجال لنول الشَّعِب (١)
وبأس أياد رفيع القذال طويل العنان شديد الكلب
وانمار عند اللقا ســـادة تزيل النفوس وترجي السلب
ترى مضراً عند ارزامهـــا مكللة روسها بالذهب
لها لجة عند نار الوطيس ببيض مضار بها تلتهب
تصاممت عن نبأة أسمعت لقد صرحت عن حديث عجب
لقد جد غدر بني يـــافث وجد المنون بهم فاقترب
عذيري لحرب تلافيتها لقد ألهبوا بأسها والتهب

(١) كذا – فلينظر .

جموع ليافث لما بدت ... تريد النزال فتمسي حصب
لقد غدروا بعدما أكـدوا ... مهاريق عهد بقوم غيـب
سيعلوا المشيب على طفلها ... بيوم مخوف ولما يشب
وسوف إذا ما اقتضاني الردى ... يلي . الملك بعدي كآل قسب
ويستلب الملك من حمـير ... مجوس وسود عليها رهب
وينقلب الدهر عن وجهه ... ويضحي به الرأس تحت الذنب
للعشرين حولاً بها يقتلون ... ويستلب الجمع منها الحلب [1]
إلى أن يلي الملك من هاشم ... نبيٌ أمين كريم النسب
رسول من الله أتباعه ... على الحق منا رجال غلب
فلو مد عمري إلى عمره ... لفرجت عنه جميع الكرب
واني أدين بما دانـه ... ولالا أقول له قد كذب
فيبلي به الله من خلقـه ... قروناً من الناس اعطوا الغلب
وتأتي العجائب من بعـده ... إذا ما بدا نجمها ذو الذنب
وتأتي الدلائل حتى ترى ... لهم الشم عن أسرها تنقلب
ويرقى الدخان بآفاقهـا ... ويعلو بيثرب صوت صخب
اذا قتل الروح روح الرضا ... وسالت دماء بني المطلب
هنالك خسف بأرض الحجاز ... فلا تنظر العين غير الشهب
ويأتي على النيل حبشانه ... إلى البيت قصداً لها بالقضب
يهدون منه ذرى سمكـه ... ويعلون أركانه بالصلب
كأن لم يكن حرماً قبلها ... إذا أعاد نهباً محالاً خرب
يقوم بها من بني حمير ... كريم شجاع كريم النسب

(١) لعله الجنب .

حديد السلاح رفيع الصياح ربيط الجنان لها محتسب
فيأتي بقوم من أقصى العراق ومن حضرموت ومن ذي حلب
ثمانين ألفاً على نجبها فليس لهم عندنا منتصب
ويقتل بالنيل أملاكهم ويعطب في لجة من عطب
ومن بعده الملك في حمير يقوم به الماجد المغترب
ومن بعده الموت يزجى بنا إلى البعث والفصل غير الكذب

قال أبو محمد : ثم سار تبع شمر يرعش حتى بلغ دينور ونهاوند وسنجار فقتل من أصاب بها من بني يافث وهم الزط والكرد والصغد والخوز وسبى النساء فقال لهم تبع : احبسوا ما أخذتم من نساء الصغد والزط ولا تحبسوا من نساء الكرد والخوز سباء بيعوهن فانهن يفسدن النسل ويغيرن العقل ويبدلن الألسن ففعلوا ومضى تبع حتى بلغ أرض فارس ، فقدم على فارس بلاس بن قباذ وجعله بأرض فارس وأرض خراسان ، ومضى تبع فسار على الشام إلى أرض بابليون فأصاب الحبشة على النيل نازلين ، فلما علموا بتبع وقد قاتلوا مصر شهراً بعثوا إلى تبع بهدية ليداروه بها حتى يخلصوا من بين يديه من أرض بابليون ، فلما انتهت الهدية إليه أي إلى تبع جمع رجاله فقال : هذه هدية الحبشة فما رأيكم ؟

فقال المعترف بن عامر الحميري : أيها الملك لن يجوز سخر هذه الخدعة عن ذي لب رصين ، قال له نفير : أيها الملك من رام ان يخدعك حمل النقص على عقلك ، قال مقداد بن ينفر بن شرحبيل الحميري : أيها الملك لو راموا مسالمتك لم يزحفوا إلى قومك ولو أرادوا برك أهدوا إليك من أرضهم إلى أرضك ولا يخدع بهذا الخدع إلا أم عامر فتمكن من عدوها

نفسها في بيتها ونصف حمق الدنيا في رؤوس السود وقد راموا أن يسخروا من الملك فهلا قدموا هديتهم قبل الزحف إليك كما قدموها قبل الهرب .
فعبر إليهم النيل فقاتلهم بالقس والبهنسة أياماً ، ثم هزمهم وتبعهم على النيل يقتلهم ، فلما رأوه أمعن في طلبهم زالوا له عن النيل إلى الرمل فافترقوا له في الرمل فقتل من قتل وتلف من تلف في الرمل وبقي أياماً فكاد يهلك ويهلك من معه عطشاً حتى أفضوا إلى ماء معين ورمل مبسوط فنزل وأقام بها عشرين سنة يغرس النخيل ويبني القصور ويتخذ المصانع حتى بعث الرواد والأدلاء إلى أرض الحبشة وعلموا مسالكها ومناهلها ، ثم رجعوا إليه . فرجع إليهم فدخل عليهم أرضهم فانتصب له أملاك الحبشة من كل أرض فقاتلهم قتالاً ذريعاً فلم يكن لهم به طاقة غلبهم بالنبل ، ولم تكن الحبشة ترمي بالنبل إلا من زمان تبع شمر يرعش — فداس أرض الحبشة وقتلهم قتلاً ذريعاً فهربوا إلى غربي الأرض إلى البحر المحيط وتبعهم تبع فهبت عليهم ريح سوداء من نحو البحر المحيط فهلك جمع من عساكره . فقفل عنهم راجعاً فجعل طريقه على أرض بني ماريع بن كنعان فقتل أمماً وهربوا إلى قنن الجبال فبلغ البحر المحيط ، ثم رجع قافلاً إلى المشرق فمر بمدينة شداد بن عاد على البحر فأقام بها خمسة أحوال ، ثم رجع إلى قمونية وتمادى إلى أرض بابليون ثم مر على الشام وعبر الفرات والدجلة يريد زيارة قبر أبيه تبع ناشر النعم بسنجار ، فبلغ سنجار ، ثم أمر أن يكتب على باب مدينة سنجار — وهي أعظم مدينة بأرض سمرقند — جنبيه [1] عظيمة وكتب فيها بالمسند : هذا ملك عرب لا عجم لشمر يرعش الأشم نزلها في الشهر الأصم فروى السيف من مهج ودم من فعل

(١) كذا فحرره .

فعلي بعدي فهو مثلي ومن جاوزه فهو أفضل مني برئت قسمي ووفيت لذمتي .

قال ابو محمد : حدثني عامر بن جرهم الأنصاري عن مكحول عن الشعبي ، قال : حدثني رجل من خيوان همدان يقال له عبدالله قال : بينما نحن بالصغد مع قتيبة بن مسلم الباهلي حين افتتح سمرقند ونظر إلى حجر في جنبة باب مدينة سمرقند وفيه خطوط كأنها بالعربية وليست هي قال قتيبة : والله اني لأظن هذا حمقات حمير اطلبوا في الجند رجلاً حديث العهد باليمن يعرف كتاب حمير فوجد فانطلق به إلى قتيبة فقال له : اقرأ هذا الكتاب . فقرأه فقال قتيبة : ما أ. ى بتبع من حمير إلا الآثار فما في هذا أعظم شيء وهذا أنا بلغتها . قال له الحيواني : يا قتيبة لم تصغر بالأول ولكن بالآخر ان بلغت الصين وجاجا وقطربيل فقل — فاسكت قتيبة — ثم قال : يا قتيبة تقدم فرسخاً والا اشمت بضعف الإسلام . قال : فرجع من سمرقند .

قال ابو محمد : ورجع تبع إلى اليمن يريد غمدان فقال الباني بن قطن ابن مالك بن همدان بن منتاب الحميري شعراً :

تقول عرسي حين جد النجا حتى متى أنت تريد النوى [1]
أليس في عيش قد أوتيتــه مقام ذي الدهر بعيش غلا
قلت فقد قلت فما خيرنا بعد الذي فيه الطيب الثنـــا
انا نرى ان أك ذا هبـــوة جليسكن اليوم دون الوغى
وجارح اقصدني سهمه ماذا عليه في الهوى لو وفا

(١) في هذه القصيدة مع ركاكتها مواضع لم يتبين وجه صحتها — ح .

يرمي ولم يرم فما أخطـأن | ورماش بالسهمين لما رما
رمى بطرف العين الطرف غيري فما | جادت به عيني سهام الردى
ويحك يامي على ما الذي | قلت على ماذا تطيل النوى
وحمير تسمو بأفعالها | فيها أسود البأس يوم اللقا
وشمر رعش ذو النهي قادها | يريد بالشرق اغتنام النسا
فقد وطئنا أرض حمر بها | وساعفت منا ليوثاً ضرا
وكان يوم شانه معظم | وقرت العيان يوم الفنا
فسائلي يا مي عن يومنـا | في مغرب الأرض بيوم الوفا
يخبرك من يعلم أفعالنا | بصبرنا عند حلول اللقا
انا لنعتام رؤوس الوغى | فقد جميع الناس ذبح وحى
كانت لنا الأيام مأمورة | والدهر نجريها بحكم القضا
فآبت الفرسان من حمير | بكل بيضاء كعفر الظبا
وحل من سنجار قطانه | فشيد القصر بصم الصفا
وغودر الصين على بابه | يجيب للداعي متى ما دعا
فأصبحت جاجا وقطربيل | يحدوهما الدهر لغير البقا
أثر في آفاقها تبـع | أثراً يزيل الريب عن ذي العمى
تكون للعابران هو رأى | أمراً اعجاباً منه بعد الثنـا

ورجع تبع شمر يرعش بن عمرو ناشر النعم إلى قصر غمدان ، وقد ملك الأرض كلها ودانت له ملوكها . فجمع أبناء ملوك حمير ووجوه العرب فقال : معاشر العرب عندنا علم مصون مكنون نعمل بأمره ونزدجر لنهيه ونتبع الأثر ويهجم علينا الأمر وقد غيب عنا القدر فحيناً نخطىء وحيناً نصيب وكل إلى غاية ومدة ، وقد جاريت الدهر وقضيت

ولم يقض لي وحاكمت فحكم عليّ ، فإذا كان ما هو كائن فان ابني صيفيا هو تبع ثان ، فان رأيتم خيرا منه فلكم ، وان رأيتم شراً فالأمر للعام لا للخاص . قدموا أفضل منه . ثم قال :

سرت على الآفاق كالشمس — بين طلوع السعد والنحس
أجوب غور الأرض في أثره — بما رج للعلم عن أس
أوجفت بالخلق فلم أنتظر — أسير في رفق وفي همس
انقل من أرض إلى أرضها [1] — أصبح في أرض ولا أمسي
كنت على الأرض كشمس بدت — تشرق للناس بلا حس
حتى إذا عادت إلى حجبها — عاد ضياء الشمس في طمس
حفظت ما خولت حتى إذا — سلبته أمهل عن نفسي
من ذا يرجي العيش من بعد من — حاط جموع الجن والأنس
أفصح ذو القرنين يوماً على — ترجمة العالم في طرس
لا يصحب الأيام إلا إمرء — غاد وإن خلد كالأمس
والدهر يحدو أهله مسرعاً — عن زهرة الدنيا إلى رمس

ثم مات تبع شمر يرعش فكان عمره الف سنة وستين عاماً ، وكان قد منع الولد فلم يولد له إلا بعد ثمانمائه عام . فقال الباني بن قطن ابن همدان بن مالك بن منتاب الحميري يرثي تبعاً :

أيها السائل الحوادث جهلاً — هل سألت الزمان عن شمر رعش
ملك أطد الجبال فذلت — وأطاعته حيث يمشي فتمشي
قـاد بالصين من تهامة حتى — ترك الهند بين بهش ونهش
كاد نفير حين كـاد وولى — ترك الجيش بين قفر وعطش

---

(١) الظاهر – إلى غيرها – ح

لم يهب للزمان صرفاً فأعطاه مقاليده على غير غش

وردت خيله نهاوند تسقي أهلها المرهفات عن سم رقش

ساعدته الأيام حتى إذا ما وجدت هفوة أراشت بهش

قصدته من المنون سهام حملت شلوه على ظهر نعش

وقال أيضاً :

عاد رهن الهمود والاطلال نصباً للصبا وريح الشمال

شمر رعش ومن كشمر إذا ما طرقت بالعضال إحدى الليالي

بعد ملك وعزة واقتدار لم يجد للردى محيداً بحال

وقال تبع الأقرن بن تبع شمر يرعش يرثي آباه :

يا بعد تبع حين شط مزاره بل بعد حالي عزتي وفلاحي

لم ترتقي زهر النجوم لموته فالموت أفلته عن الاصباح

ناحت مقلقلة فقلت لها اذهبي دهري ودهرك هالك الأنواح

قلي العويل أو كثري فلك العزا ان المنية منهل الأرواح

هل بعد ملك الصعب ملك يرتجى يهدي بكل مسا وكل صباح

ملك السعود بكل أرض حكمه تبع الهدى مستبصراً بنجاح

سامى إلى الظلمات عن أسبابه والشمس تسجد في حما الضحضاح

ولى وخلّف ذكره من بعده وهما لنا شبحاً من الأشباح

قال ابو محمد عبد الملك بن هشام عن أبيه عن جده عن محمد بن السائب قال : حدثني أبو صالح عن ابن عباس ، أنه قال : أول ملك أمر بصنعة الدروع السوابغ المفاضة التي منها سواعدها وأكفها وهي الأبدان تبع شمر يرعش بن ناشر النعم .

قال ابو محمد : جعل على فارس الف درع يؤدونها كل عام ، وكان عامله على فارس بلاس بن قباذ . وجعل على الروم الف درع يؤدونها كل

عام ، وكان عامله على الروم ماهان بن هرقل . وكان بلاس متوج في فارس وهرقل أول متوج في الروم ، وفي استعماله لفارس الدروع يقول امرؤ القيس مهلهل بن ربيعة بعد ذلك الزمان شعراً :

سيبكي كليباً كل عالٍ وعامل وخطّية سمر وخيل عوابس
وتبكيه بيض للخلود لواطم وما ذيّة مما اقتنتهن فـارس

وكان أصعب الدروع دروع الروم وهي كذلك إلى اليوم ،وجعل على أهل بابل وعمان والبحرين الف درع ، وعلى أهل اليمن الف درع . وأحسن السيوف اليمانية والدروع الفارسية ، وكان بلاس ملك فارس يرسل بما عملت فارس من الدروع مع اتاوة إلى تبع شمر يرعش . ويرسل ماهان ملك الروم من الدروع بألف مع اتاوة إلى تبع شمر يرعش وفي ذلك يقول مسلم بن الوليد في الإسلام :

من حمير نسل العرنجج اذ جرت لهم على حقب الزمان دهور
ملكوا على الدنيا فما أحد بها إلا وهو في حكمهم مقهور
أعطاهم ذل الأتاوة قيصر وجبى اليهم خرجه سابور

وفي تبع شمّر يرعش يقول ابو ذؤيب الهذلي بعد زمانه :

وعليهما مسرودتان قضاهما داوداً وصنع السوآبغ تبع

وهذا البيت له في شعره الذي رثى به بنيه اذ قتلوا بذات الهجال .

قال ابو محمد : كان يؤتى بها إلى تبع كل عام طول مدته .

قال ابو محمد : وكان مما حقق أمر ذات الهجال أنه كان اديار [1] بين بني يعصر بن سعد بن قيس ين الياس وهو عيلان – وانما سمي إلياس

---

(١) كذا – ولعله أوتار فتأمله .

عيلان — لفرسه ، وكانت له فرس تسمى عيلان . وكان بنو يعصر باهلة ابن معن بن يعصر وغني بن يعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر يطلبون بني عمرو بن مدركة بن الياس ين مضر بذحول سلفت لهم (فكان يغير عليهم) [1] . وبنو عمرو بن مدركة هذيل بن عمرو بن مدركة بن الياس ابن مضر ولحيان بن عمرو بن مدركة والقارة بن عمرو بن مدركة ، وكان يغير عليهم ثابت بن جابر وهو تأبط شراً . — وانما قيل له تأبط شراً لأنه سارق صرة [2] فمر على حاو فسرق جرابه وفيها حيات وظن أن فيها مالاً وأنه تاجر فتأبطها . فلما خلا بها فتحها فرفعت إليه الحيات رؤوسها فألقاها وقتل الحيات — وقال : ضل عن سيده ولبده من حمل حتفه بيده وكان أحد السرعان . وكان يغير راجلاً مسيرة سبعة أيام يمشي الليل ويختفي نهاراً ، وكان أجسر أهل زمانه تطلبه الخيل فلا تناله ويفوتها بسرعة قال الأصمعي عبد الملك بن قريب الباهلي : كان يثير الظبي ، ثم يطلبه فيدركه ، وتأبط شراً هو القائل :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى ... وصوّت انسان فكدت أطير
رأى الله اني للبرية مبغض ... ويشنؤهم لي مقلة وضمير

وفيه يقول السليك بن السلكة أحد الغرابيب :

ينام باحدى مقلتيه ويتقي ... بأخرى المنايا من خلال المسالك
إذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل ... له كالئٌ من قلب شيحان فاتك
ويجعل عينيه ربيئة قلبه ... إلى سلة [3] من حد أخضر باتك

---

(١) كذا — ولعل هذه الجملة زائدة — ح .
(٢) لعله — سافر مرة .
(٣) الأصل إلى مثله .

يهب هبوب الريح عند انخراقها ويسري على نهج النجوم الشوابك
تكل متون الصافنات إذا جرت تباريه أو تدمي نسور السنابك

فكان يغير على هذيل ولحيان نهاراً ويغير على القارة ليلاً يتقي نبلها لأنها كانت أرمى العرب بالنبل لا تخطىء ما تريد ، وقال في ذلك ابن عباس :

قد أنصف القارة من راماها عن مقوس الغلوة أو ساماها

وان تأبط شراً أغار على هذيل راجلاً فقتل [1] قوماً أصابهم على ماء لهم فناموا وهم لا يعلمون أنه تأبط شراً ، فقام إليهم فقتل منهم ثلاثة نفر ونجا منهم واحد ستره الليل ونادى في نادي قومه : يا بني هذيل والله ما أعلم أذل من قوم قتلهم تأبط شراً في حريمهم وغنم أموالهم ونجا سالماً . فنفرت هذيل خيلاً وراجلاً في طلبه فاقتصوا أثره — وتأبط شراً أشغل بسوق الغنائم — فما شعر حتى أدركته الخيل مع الليل فتثاقل في وعث من الأرض حتى أدركته الرجل فأسلم الغنيمة وولى هارباً ، وتصدى له رجل من القارة كان مع هذيل فرماه بسهم فأصاب ودجه فصرعه فتعاوره القوم فقتلوه واستاقوا أموالهم التي غنم لهم ورجعوا . وبلغ خبر ثابت تأبط شراً قومه باهلة وغنياً ابني يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان فركبوا إليه ليرفعوه فأصابوا كل ما أكل من لحمه من سباع الوحش وسباع الطير وهوام الأرض موتى حوله .

قال ابو محمد : قال الأصمعي وزعمت العرب أن لحمه سم . قال : وكان غذاؤه العلهز وشحوم الحيات وهبيد الحنظل ويحنذ قومه الحيات ، فزعموا أنه إذا عض من كان غذاؤه هذا أحداً ممن كان غذاؤه البر واللحمان والغذاء الحسن ، وأثر في لحمه بأسنانه أنه يبرصه أو يجذمه أو يقتله .

---

(١) كذا — والمعنى فوجد .

قال عبد الملك : وان الهجال ابن امرىء القيس الباهلي ابن أخت تأبط شراً – وكان رئيساً شاعراً فارساً – استدعى باهلة بن معن بن يعصر وغني ابن يعصر [١] ونصرهم أخوانهم من بني سعد بن قيس بن عيلان ، وهم بنو غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ابن معد بن قيس بن عيلان ، وعبس بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وبنو عبدالله بن غطفان ، وبنو ثعلبة بن بكر بن غطفان . وأشجع ومحارب ابنا غطفان . وهؤلاء القبائل أخوة ، وبلغ ذلك أبو ذؤيب – وهو عمير بن مرثد زيد بن عامر بن قراد بن هذيل – وكان أبو ذؤيب معمراً ، فجمع أبو ذؤيب هذيل بن عمرو ، ولحيان بن عمرو والقارة بن عمرو بن مدركة ابن الياس بن مضر فقال : يا بني عمرو آتاكم جمع بني سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ، وأرى بني مدركة بن الياس وطابخة قطعوا رحمهم منا وحقروا ودنا وأضاعوا ذمامنا واني سائر إلى بني الشقيقة – وبنو الشقيقة بنو كنانة بن خزيمة بن مدركة قريش وبنو بكر وبنو أسد بن خزيمة وغفار ابن خزيمة ومدلج بن خزيمة – وأمهم شكل بنت عمرو أخت هذيل ولحيان والقارة ، وكان رئيس بني خزيمة عمرو بن بكر الأسدي – وكان يكنى بأبي الهزبر – فآتاهم أبو ذؤيب فقال : يا أبا الهزبر ان بني قيس بن عيلان تناصروا علينا بثأر تأبط شراً ثابت بن جابر الفتاك فما فعلكم يا بني الشقيقة ؟ فعزمت قريش وبكر – وهما كنانة على نصر أبي ذؤيب – فقام عمرو بن بكر الأسدي فجمع بني فقعس بن أسد ودودان بن أسد ومدلج بن خزيمة وغفار بن خزيمة فقال : يا أخواننا ، ما لأخواننا كنانة قريش وبني بكر يسرعون إلى حرب قيس يحملوننا على الضغائن ويورثوننا أحقاد قيس بن عيلان [٢] فانما حكمه على رد أبي ذؤيب وخذلان هذيل ولحيان والقارة

---

(١) بالاصل – زياده – وعمرو بن معن بن يعصر – ولم يتقدم ذكره .
(٢) العبارة الآتية غير واضحة .

مخالفة لذبيان وعبس وذبيان ابنا بغيض بن ريث بن غطفان ــ هم الأحلاف ــ فلما بلغه زحف ذبيان إلى هذيل والقارة ، لم يرد أن يزاحف بني ذبيان بالحرب فقال سهم[1] بن بكر البكري : يا بني كنانة ان أسداً أقرب إليكم من هذيل ، وانا إن طلبنا رضا هذيل بسخط بني أسد وغفار ومداج لم نربح ومن اشترى وجد قريب برضا بعيد اشترى خسراناً . فلما يئس أبو ذؤيب من نصرة بني خزيمة ، رجع إلى قومه فقالوا له: ما الذي أجابك به القوم ؟ فقال : يا قوم من نصره الله وخذله أبو الهزبر فمنصور ومن خذله الله ونصره أبو الهزبر فمخذول ، وأنشأ أبو ذؤيب يقول :

ألا لله نصرة آل عمرو　　وليس إلى الخليع أبي الهزبر
أبعد المنذرين أرى سؤالاً　　يرد بدعوة من غير عذر
تحامتنا الفوارس من معد　　بخذلان وهل شفع كوتر
أبعد فوارس النعمان أسعى　　إلى الأقيال من أسد وفهر
وثقت بعامر وبني أبيه　　ومن عدوان أدعو كل صقر
طويل الباع أبلج مشرفي　　أشد به على عزمات دهري
وطابخة الذين رأوا مقامي　　وأهل العز من أبناء مر

وقوله (طابخة الذين رأوا مقامي) أراد بذلك نصرة بني طابخة ــ وهم تميم بن مرّ بن اد بن طابخة ، ومزينة بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر ــ وقوله (وثقت بعامر وبني أبيه) يريد عامر بن الظرب العدواني ــ إمام مضر وحكمها وفارسها وخطيبها ــ وهو عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ ابن يشكر بن عدوان ، واسم عدوان الحارث بن أسلم بن قيس بن عيلان ، وانما سمي الحارث عدوان ــ لأنه عدا على أخيه فهم بن أسلم بن قيس

(١) بالاصل سهر بن سمر البكري .

فقتله فسمي عدوان – وكان بنو عدوان أعز قيس بن عيلان – وذلك أن عدوان كان كثير المال – فولد له ثلاثون ولداً كلهم أعقبوا . فلما بلغ قول أبي ذؤيب إلى عامر بن الظرب العدواني ، إمام مضر ، جمع بني عدوان وسار يريد نصرة أبي ذؤيب ، وكان أبو ذؤيب حليف عدوان ، فقال زهير ابن مرخة العدواني :

كبرت وساويت طسماً وعاداً ولا بد مما ألاقي المعادا
أقول لقومي ألا فاسمعوا واني أرى القول فيه سدادا
دعتني هذيل إلى نصرة أطيع عميراً بها حين نادى
فأقسم لا بد من موتة وتمسي عظامي رفاتاً رمادا
وعاذبكم عائذ فاعصموا ولبوا دعاه إلى ما أرادا
ومن لم يكن غرضاً للردى يجازى من الدهر حتماً سدادا

وان عامر بن الظرب لم يصل إلى هذيل ولحيان والقارة حتى نزل عليهم الهجال بن امرىء القيس الباهلي ابن أخت تأبط شراً ، وكان نزل هذيل والقارة ولحيان بذي قار ، فقاتلوهم قتالاً شديداً فانهزمت هذيل والقارة ولحيان فقتلوا قتلاً ذريعاً .

قال ابو محمد : فمن يوم ذي قار الأول صارت هذيل والقارة ولحيان أقل حي في مضر . فلما انصرف الهجال – وكان حرم على نفسه الخمر حتى ينتقم لخاله تأبط شراً – قال الهجال بن امرىء القيس يرثي خاله :

أطرفك ماموم أم الوجد مانع أم الأشوس الفتاك عن ذلك شاسع
فتى كان شهم النفس للذل دافع وان سيل عرفا فهو بالجود نافع

يشيم بروق الموت عن كل مأرق ... ويسرع اقداماً إذا لاح لامع
حديداً كنصل السيف ينهض للوغى ... تلاعبه فيه السيوف القواطع
ينام باحدى مقلتيه ويتقي ... بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع
وما شاب من أعوام دهر تطاولت ... عليه ولكن شيبته الوقائع
يغادي أناساً كل يوم بفتكة ... وينأى فلا تأويه إلا البلاقع
يسامر رجل الجن في فلواتها ... تباريه في ميدانهن الزعازع
يطيل الطوى في العارمات وتارة ... له من سرابيل السموم مدارع
يجاري مدى الآجال والأمر غائب ... وكل فتى يوماً إلى الله راجع
وما هذه الأيام إلا وديعة ... ولا بد مما ان ترد الودائع

ثم قال أيضاً :

ان بالشعب الذي جند سلع ... لقتيل دمه ما يطل
قذف العبء علي وولى ... أنا بالعبء له مستقل
ووراء الثأر مني ابن اخت ... مصع* عقدته ما تحل
مطرق يرشح سما كما اطرق أفعى ينفث السم صل
خبر ما نابنا مصئل ... جل حتى دق فيه الأجل
بزني الدهر وكان غشوماً ... بأبي جاره ما يذل
يركب الهول وحيداً ولا يصحبه إلا اليماني الافل
ينفل المال منيلاً ويمسي ... وهو في الحي كريم مقل
عل بصدق على حاذتيه ... وله المغنم شربي محل (١)
ان رأى الباس فليث هموس ... أو رأى طمعاً فسمع أزل (٢)

* هكذا في ط حيدر آباد

(١) كذا فليتأمل وليس في الحماسة .

(٢) رواية الحماسة – مسبل في الحي احوى رفل – واذا يغزو فسمع أزل .

يابس الجنبين من غير بؤس ونلى الكفين شهم مدل

شامس في القر حتى إذا ما ذكت الشعري فبرد وظل

وله طعمان أرى وشرى وكلا الطعمين قد ذاق كل

رائح بالحمر غاد عليه من ثياب الحمد ثوب همل

فهو في المهمة سمع صموت وللدى الأحياء أحوى رفل

افيح الباب مفيد مبيد جاد من جدوى يديه المقل

فلئن فلت هذيل شباه لبما كان هذيلاً يفل

وبما أبركها في مناخ جعجع ينقب فيه الأظـل

صليت مني هذيل بخرق لا يمل الشر حتى يملوا

يورد الآلة حتى أذا ما نهات كان لها منه عل

تضحك الضبع لقتلي هذيل وترى الذئب لها يستهل

وسباع الطير تهفو بطانا تتخطاهم فما نستقل

وفتوٌ هجروا ثم اسروا ليلهم حتى إذا انجاب حلوا

فاحتسوا أنفاس نوم فلما هوموا رعتهم فاشمعلوا

كل ماض قد تردى بماض كسنا البرق إذا ما يسل

فاسقنيها يا سواد بن عمرو ان جسمي بعد خالي لخل

حلت الخمر وكـانت حراماً وبلأى ما المت تحـل

فأتى عامربن الظرب العدواني بجمع عدوان إلى هذيل والقارة ولحيان وقد قتلوا فقال لهم شهاب بن أبي ذؤيب: كان الموت أقرب من نصركم يا قومنا فقال عامر بن الظرب : اقسم بالله قسماً حقا لأطلبن بوتركم كل واتر . وتركهم فسار بنو أبي ذؤيب إلى بني طابخة تميم وضبة ومزينة يستنصرونهم فمروا على أسد بن خزيمة ، فقال شهاب بن أبي ذؤيب لقوم من بني أسد:

أكل بني الشقيقة قد أطاعوا على خذلاننا عمرو بن بكر
لقد عدلوا برأي أبي ذؤيب وقد جهلوه رأي أبي المزبر
سيحملهم بذاك على هلاك بجعجاع لدى ضنك ووعر
سيبلغ عنهم قابوس أمر يعز على بني سعد بن مر
جلبت بفعلهم صبراً وحسبي بما القى به من مر صبري
بنو شكل أضاعوني ولما يروا نصراً يعزهم كنصري
أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر
ولوّ بعده أو قـــول ليت على لهف وما شفع كوتر

فلم يجبه بنو أسد بشيء . فسار شهاب بن أبي ذؤيب مع أخوته يريدون بني طابخة — وكان بنو أبي ذؤيب عشرة شهاب والحارث وزهير والأزهر والأزور وعمرو وعامر وسالم والقسور وسهيل — ركبوا خيلهم في دروعهم ومغافرهم حتى بلغوا موضعاً يقال له ذات الهجال من أرض بني أسد فغشيهم الليل فنزلوا وهم في حزن من الأرض ، وهم نازلون إلى أن أقبل قانص من بني أسد ومعه كلاب له وهو سباق [1] بن سابق بن بكر ابن أخي عمرو بن بكر ، وقد أرسل سباق الأسدي كلابه على ظبي والكلاب في طلبه . فلما مر بين أيديهم رموه بالنبل فعقروا الظبي وأصاب سهم كلباً من كلاب سباق الأسدي فقتله — فأتى الأسدي فأصاب كلبه مقتولاً فأغلظ على بني أبي ذؤيب — فقال له شهاب بن أبي ذؤيب : يا سباق أردنا الظبي والسهم يخطىء ويصيب ، فتمادى الأسدي في غضبه وبطش علي الأزور بن ذؤيب فضربه بالسيف فالقى إليه المجن وضربه الأزور بالقوس فشجه في رأسه فولى ودمه يهطل على وجهه فسار حتى

(١) في الأصل — سياف .

هجم على بني عمه عمرو بن بكر وهم على خمرلهم وميسر ، فقال لهم : أترضون بالذل وتقرون للضيم ، أما والله ما أعلم أذل من قوم أتى ناديهم بنو أبي ذؤيب فضاموهم فألهبهم حمية وأسعرهم لهباً – فركب بنو عمرو ابن بكر واستنفروا بني أسد وأجابوهم وساروا يأخذون على بني أبي ذؤيب الشعاب ليلاً وبنو أبي ذؤيب لا يدرون بذلك . فلما أصبح نهضوا إليهم فنفر من بين أيديهم ظبي أعضب فمر عليهم وهجم في غيضة اثل وضال ، ثم ظهر إليهم جمل أجرب عليه رجل أعور . فقال شهاب بن أبي ذؤيب – وكان زاجراً شاعراً – : اركبوا فان هذا ظبي أعضب عضب أمركم . وجمل أجرب جرب دهركم . ورجل منقوص نقص جمعكم ، وسلك الظبي اثلاً وضا لا يمر يومكم ويشوك جمع آتاكم . وقال شعراً :

قل لركب السرى بذات الهجال احذروا من مصارع الآجال
أيها النائمون هبوا فهـذا أعضب بارح باثل وضال
زجر الزاجر المترجم امرا روعة الظبي عيلة الاقيال (١)
ورأى اثلة من الخطب مرا وشبا ضاله صدور العوالي
انني والذي يحج لـه النا س حليف الهموم والأوجال
يا تراث الأيام لا تأمنوها واحذروا مكرهاً وصرف الليالي
وخذوا من أخي التجارب نصحا وأفيقوا من نومة الجهال
اركبوا مسرعين حتى والا* صرتم بعدها كقيل وقـال

ثم آتاهم بنو أسد بالعدد وتداعى عليهم بنو أسد وعطف عليهم شهاب

(١) ل – الا قياله .

* هكذا في ط حيدر آباد

ابن أبي ذؤيب يناشدهم الله والرحم . قالوا له : تركت العفو خلفك واناخ الموت فرسك [1] ، فكان يعطف عليهم ولا يضرب ، وتكاثرت عليهم بنو أسد فأصيب أخوه الحارث . فلما رأى أن الحارث قتل قال : يا بني أبي ذؤيب لا ينقذكم من شر اليوم إلا اليأس من غد ، ثم هجم فأدرك فارساً لبني أسد فصرعه ، ثم يكر القوم فقتلوا من بني أسد نفراً . فلم يزل بنو أسد – وقد أخذوا عليهم الشعاب – يتكاثرون عليهم بالخيل والرجل ، وبنو أبي ذؤيب يسقطون واحداً بعد واحد حتى قتلوا العشرة ، وأخذوا خيلهم وسلاحهم . وبلغ ذلك أبا ذؤيب وعامر بن الظرب فركبا في هذيل وعدوان حتى رفعوهم وأتوا بهم – وكان إذا مات الشريف لا يدفن حتى يحضره أشراف العرب ورؤساؤهم من كل أوب – فنصب أبو ذؤيب على أولاده قبة على شرف ونصب عليهم لواء . فآتاه أشراف الناس من كل قبيل من العرب وآتاه اقابوس بن النعمان الأكبر بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن عمير بن نمارة ابن لخم – وكان قابوس ملكاً بالمشلل – فجمع جيشاً عظيماً وأتى أبا ذؤيب . فلما اجتمع الناس إلى أبي ذؤيب فدم بنيه فنصبهم ووقف عليهم ، وأنشأ يقول :

امن المنون وريبـه تتوجـع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع

إلى آخرها .

قال ابو محمد عبد الملك بن هشام عن الهيثم بن عدي عن أبي عباد الهمداني ، عن محمد بن اسحاق أنه قال : لما اجتمع أشراف العرب إلى

---

(١) كذا – في الأصل ولعله قربك – ح .

عمير بن مرثد [1] أبي ذؤيب الهذلي ، قام المستوغر الأكبر وهو — سالم بن منقر بن سعد بن زيد مناة بن تميم — فقال : يا أبا ذويب لا تدفن أولادك حتى يتكلم أشراف الناس فتعلم من يخذلك ومن ينصرك . وأتى الأشراف إلى عامر بن الظرب فقالوا له : يا أبا مالك هذا مشهد عظيم وأنت إمام العرب وحكيمها فقم زودنا منك حكمة نتأسى بها بعدك ويدركنا نفعها — وكان معمراً عمراً طويلاً عمر ثلاثمائة عام — وان أبا ذؤيب نصب كرسياً لقابوس بن النعمان الأكبر — والنعمان الأكبر محرق أول من عاقب بالنار وأحرق بها — وهو النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة — وعمرو بن عدي أول من ولي من لخم العراق وأول من حيّر الحيرة — فقام نمارة بن سعد من بني عمرو بن تميم فقال : أيها الناس هذا أبو ذؤيب يطلب عمرو بن بكر بثأر بنيه ولا يطلب أسداً ويهدم شرف مضر — وكان نمارة بن سعد يعبد بيتا يقال له ذو الخلصة — فقال له أبو ذؤيب :

لو كنت يا ذا الخلصة الموتورا   مثلي وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زوراً   ولم تر النصرة فيه بورا
فخفت أمراً لم يكن محذوراً   إذ كان حتماً قتلنا مقدورا

وكرهت العرب فعل بني أسد وعظم عليهم قتل بني أبي ذؤيب ظلماً فقام المستوغر الأكبر — وكان عمره ثلاثمائة عام — فقال : أيها الاملاء* من أنصف من نفسه حمد عاقبة أمره ومن لم ينصف من نفسه ضلت حكمته ومن مارس الأمور حكمته ومن جارى الأحقاب افنته ومن قامر

(١) اسم ابي ذؤيب هذا خويلد بن خالد وقيل خالد بن خويلد هكذا في الاصابة وغيرها وهو خلاف ما هنا وما تقدم — ح .

* في طبعة حيدر آباد

الدهور قمرته رأتني الأيام من حيث لا آراها ، ذهب الطرب وبقي الحرب لا بد من دعوة الداعي وإجابة المجيب ، فقال شعراً :

ولقد سئمت من الحياة وطولها   وعمرت من عدد السنين مئينا
مائة حدتها بعدها مائتان لي   وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقى الا كما قد فاتنا   يوم يمر وليلة تحدونــا
هل ترفب الأرواح الا ساعة   تلقى سقاماً عندها ومنونــا
فانظر لما قدمت سوف تزوره   حتماً وتمسي عنده مرهونا

أيها الاملاء : ما رغبة امرىء القيس بالعيش إذ ليس بد من الموت وهو يرى موقف المظلوم من الظالم ! أبت الأحساب الزكية والمناقب السنية من الأمور الدنية ، أما أنه على كل امرىء منكم رقيب يأمره وينهاه ، فان من لا يرضى الظلم عدو للظالمين ومن والى الخالق نبذ المخلوقين ومن عرف الحق جهل الباطل ، هذا أبو ذؤيب بعد العز الرفيع والعدد الجميع والشرف المنيع تناولته الأيدي بالظلم وقد اضطر من ظلم إلى مانع عدل حكم فليس لكم قول صادق يرضي الخالق دون إيضاح العذر فقد أرسلكم إليه ووجه الأمر بالمقدرة دون المعذرة ومن حذر مائقاً فذاك مائق ، وأنشأ يقول :

وما كل ذي لب يعاش بعقله   ولكن إذا قاد الأمور حكيمها
برأي ذوي الألباب في الأمر يهتدي   وهل يبرم الآراء إلا عليمها
وقد يتقي المظلوم من ذي ظلامة   بعير همام أو يطاع ظلومها
وما سقطت يوماً من الناس أمة   إلى الذل الا أن يسود ذميمها
فعندك عن هذا أو ذاك ما هما   فهذا له حظ وذاك سقيمها

وما قادها للخير إلا مجرب   عليم باقبال الأمور كريمها
إذا ساد فيها بعد ذل لئيمهـــا   تصدى له ذل وقد أديمها

أيها الأملاء : من أبصر أمر ومن جهل اقصر الا وان لكل حيلة غيلة ، ولكل ساقطة لاقطة ، ولكل عوراء واع . افعلوا الخير وقولوه ودعوا الشر واهجروه انبذوا الخبيث وانصروا المظلوم المستغيث ، من استنصر بكم فانصروه ، ومن بغى عليكم فانذروه ، ومن اعتذر إليكم فاعذروه .

ثم قام عامر بن الظرب فقال : أيها الناس ان عامر الأيام طليق الأعوام وغر ض الاسقام قد فني وجرب على أسف وكلف كلفت بغرور الأمل وأسفت على شباب أفل منعت الدنيا واعطيت الآخرة فتركي لمنزل أنا عنه زائل ، أحسن من الغفلة من منزل أنا إليه راحل ذهب منا الجميل وتحكم منا البديل بدلت من الصحة سقماً ، ومن الشباب هرماً ، ومن القوة ضعفاً ، ومن الجمال قبحاً . اني لأرى ما يعمل الأصباح وما يؤدي الرواح يتعاقبان فلا يملان ويذهبان فلا يرجعان ، أما والله لئن مضيا أمماً فهم سفر يرتقبون ليلحق بهم الباقون ، غلقت منهم الرهائن على خوف وآمان ، أيها الناس : ان أحزم الرأي ترك ما يفوت والعمل لما يأتي به الموت ، وأنشأ يقول :

لعمري لقد ذهبت الأطيبـــان   شبابي ولهوي فعدوا الملاما
ألم تر اني إذا ما مشيـــت   أخطرف خطوي وامشي أماما
وأكره شيء إلى مهجتي   إذا ما جلست أريد القياما
واسهر ليلي على أنني   أراعي الدجى لما أذوق المناما

وارمي بطرف إذا ما نظرت كأن على الطرف مني غماما
عدو النسآء قليل العزاء كثير الأسى ما الذ الطعاما
أرى شعرات على حاجبي بيضاً رقاقاً طوالاً قياما
أظل أراعي بهن النجوم أراها هلالا علا فاستقاما
واحسب انفي إذا ما مشيت شخصاً أمامي رآني فقاما
ارجي الحياة وطول البقاء وعفو السلامة عاماً فعاما
وهيهات هيهات هذا الردى يريد صروفاً ليقضي حماما
ولا بد لي من بلوغ المــدى والحق عاداً ونوحاً وساما

ثم التفت إلى الملك قابوس بن النعمان فقال : يا بن وجه الزمان وثمرة الرأي ومعدن الملك وقاصف الجبابرة وعماد العز أنتم نعمة الله في أرضه وسخطه في خلقه بجودكم ينعم وبأسيافكم ينتقم ، بكم يقمع الظــالم وينتصف المظلوم من أشعر قلبه بغضكم طال غمه ، ومن أحبكم سعد جده ويومه استسعاك من رضي سعيك وقدمك ، من أراد ينتقم بك نصر بك من استغاثك ، و رضي بك من عهد عنك [1] ، فصدق عزمتك وعدك وتقدم وعيدك بأسك ، فأنت الوزر وعندك الخبر والناس شتى والعمل لرب واحد . فأنت أيها الملك الرفيع جده والباسق مجده والطالع سعده من معرفتنا بحقك لم نرغب فوق رأيك رأياً ولم نرد منك عوضاً ، فاجعل عفوك لنا فرضاً نمحض لك النصيحة محضاً ، واعلم أيها الملك ان الحوادث أعداء الكرام فلا تطمئن إلى الزمان فان له في كل بيان وقال :

أرى الدهر سيفاً قاطعاً كل ساعة يقدم منا ماجداً بعدما جد
وان المنايا قد تريش سهامها على كل مولود صغير ووالد
وكل بني أم سيمسون ليلــة ولم يبق من أعيانهم غير واحــد

---

(١) كذا — ولعله اعتمد عليك .

ثم أقبل على عمير بن مرثد أبو ذؤيب الهذلي يعزيه فقال : يا عمير بنيت وهدمت وقمت وقعدت ورضيت وسخطت ، الا وآن كل بان هادم وكل قائم قاعد وكل مسرور ساخط وكل قريب شاسع وكل مقيم ظاعن . يا عمير — انما الخلق للخالق والأمر للآمر والشكر للمنعم والتسليم للقادر — فلا بد مما هو كائن . يا عمير — لا أضعف من مخلوق ولا أقوى من خالق ولا أهون من مطلوب في يدي طالب — يا عمير — ان التفكر نور والغفلة ظلمة والجهل سفه والحلم اناة ، الأول سابق والآخر تابع — والسعيد من وعظ بغيره — يا عمير — كم رأيت من قريح لم يترك قريحاً — يا عمير — كم نازحاً من ريبه ومدركاً من طلبه مسلماً من دهره ممتعاً من سنه رمته أيدي الردى بطارق من عطبه والدهر لا يقلع عن حوادث من عجبه (من ير يوماً ير به والدهر لا يغتر به) — يا عمير — ذهب عنك ما تريد وآتاك مالا تريد — يا عمير : — آتاك ما لا يدفع وذهب عنك ما لا يرجع ومعك ما سيذهب عنك — يا عمير : — أنظر إلى طبقات حالاتك من لدن كنت في صلب أبيك إلى أن بلغت منزلة الشرف وحد العقل وغاية العزيمة ، هل قدرت أو قدروا أن ينقلوك إلى طبقة قبل أن تعطاها وتعجيل نعمة قبل آوان محلها ، أين أهل الملك الأول بنو وائل بن حمير ذووا الأحلام المحمودة والآلاء الموجودة أهل التيجان ملوك الأزمان ، هل وجدوا إلى ما أحبوا سبيلاً وتركوا إذا أصبحوا مقيلاً [1] وأخذوا مما جمعوا قليلاً — يا عمير : — ان أكمل العدد عند المصائب الصبر وأعظم البديل منها الأجر — يا عمير : — أين يفر الهارب وهو يتقلب في يدي الطالب ، ولا شيء أعجز ممن لم يجد مهرباً من طالبه إلا إليه — يا عمير : — لا تخلق عزم

---

(١) كذا — ولم يبن لنا معناه .

الرجال ببعض الظن وهلع الجزع فان أحمد الأمور أصدقها وأثبتها عند
كما لها وبعد الابتلاء الحمد والذم — يا عمير : — لعمري قد أسمع الداعي
واعذر الطالب وبلغ النبأ . فلا شيء أضيع من مضيع النفس وخطاه
تسويف الأمل [١] — يا عمير : — ان خير الأمور ما استكرهت عليه
وأكرهها ما استدعيته ولم يأتك من استدعى أمراً لم ينزل به آتاه بما لا ملجأ
له منه — يا عمير : — من طلب غير السلامة كان عقباه الندامة ، من لم
يشكر النعمة استعجل النقمة — يا عمير — هل للجزع عاقبة تنفع أو مانع
يدفع ، فان حاولت ذلك فاسأل القرون الماضية والأمم الخالية قبلك هل
تمنع من أسف وجزع أو خاب من صبر وقنع — يا عمير : — ليس ينزل
بك بنهي ولا يرجع عنك مأمور — يا عمير : — أنظر الأيام ثلاثة : يوم
مضى ولا ترجوه ، ويوم أنت فيه لا بد منه ، ويوم يأتيك لا تأمنه ، فامس
واعظ واليوم غنيمة وغد لا تدري ما حكمه فامس شاهد مقبول وأمين مؤد
فحكم مؤدب وعظك بنفسه وأمضيت معه زاداً خيراً أو شراً وترك لك
منه خلفاً لتحسن صحبته وهذا اليوم الذي أنت فيه صديق أدبك بغدره
وبوأك غير محله ، سريع الظعن فاحسن له الصحبة يلقنك حجة ويحبوك
شهادة ، واليوم المقبل حاكم تنتظر قدومه ، اما حبيب فلا تظلم أو فقد
فلا ترحم [٢] — يا عمير : — الحرص فضول ما عناؤك في طلب ما هو لك
وأسفك على ما ليس لك — يا عمير : — كيف ترجو أن يرجع إليك هالك
وأنت به لاحق ورجاؤك البقاء بعده طمع في درك ما لا يكون وترك ما هو
كائن والمرجع قريب ولا تمعن في الطلب فيطيح بك الأمل وتنأى بك

---

(١) هكذا فانظره .

(٢) كذا وفي الأصل حيث .

الغفلة ، ومع الأمل الاجل ومع الغفلة الردى وان أعظم من المصيبة هو كلف الخلف منها – يا عمير : – من مد يده إلى أخذ مالا يؤخذ انتشبت في يده الخيبة – يا عمير : – من معدن الجزع يستفاد الغنيمة .

ثم أقبل على عامة الناس فقال : أيها الناس البقاء بعد الفناء والغناء بعد العناء والحياة بعد الموت والعرض بعد القرض اليوم العارية وغداً الهبة وخلقنا ولم نلك شيئاً وسنعود ولا شيء ورثنا من كان قبلنا وانا وارثون موروثون فاستخلصوا ما تقدمون عليه بترك ما تطمعون فيه وتسألون ما هو وتخبرون خيره وشره .

ثم أقبل على بنيه وبني بنيه وقومه عدوان فقال : يا بني اتقوا الهكم في الليل إذا دجا وفي النهار إذا أضاء وتجنبوا كل ما يخاف ويتقى وإياكم ومعصية الله فليس لكم وزر ولا لكم عن الهكم من مفر ، جودوا بالنوال وكفوا عن السؤال يا بني ان أعطيتم قليلاً فلا تستقلوه فقد تحمل المروءة المرء إلى قدر مالا تستطيعه يده وكافئوا بالإحسان إحساناً وبالسيئة غفراناً وعليكم بالحلم وليس في كل الأمور ، فان طول الحلم شين ولرب جهل عادزينا ولا تضمروا السفه فيعقبكم الذل وكونوا عند قولي شعراً :

الجهل نار وماء الحلم مطفئها والحلم ان طال فيه نقص أحلام
والذل عار وسيف الجهل كاشفه والجهل ان طال فيه ذل أقوام

يا بني : لا تمنعوا سائلاً محقاً كان أو مبطلاً فان كان محقاً فلا تحرموه وان كان مبطلاً فقد طرح رداء الحياء عن وجهه بالسؤال إليكم فاعطوه ولا تماروا عالماً ولا جاهلاً ، فان العالم يظهر حجته عليكم فيكشف جهلكم فينزلكم عن أقداركم – والجاهل يلد ويلح عليكم ويحرج ضغنكم – وربما

كان في الغضب العطب وإياكم والفخر المسلم إلى الكبر فان معه تواكل الاعراض وإياكم والخمر — فانها متلفة للمال ، مضيعة للعمل ، مفسدة للعقل هادمة للأبدان والآداب — وإياكم والتواني والكسل فانهما يورثان الندامة وقد سبق ،في ذلك قول مجاجة [1] الكندي :

اخرش بنفسك في المكارم والعلى   لا خير في الجثامة النـوام

وإياكم والآمال الكاذبة فانها تنسيكم الاقدار وتتلف الأعمار ويكون منها على كرب وانتظار ، وخذوا الرأي إذا سمعتموه من أصغركم سناً وأقلكم قدراً ولا تأنفوا عنه ولا تسألوا أسيركم أكثر من ماله فيعجز ويموت في أيديكم وتكون مصيبة عليكم ، واكثروا العتاق في أسارى العرب يحبوكم وينصروكم ، وأوصيكم بالضيف فان كل قافل مكلم [2] غيره فلا يخرج من عندكم وهو يستطيع أن يتكلم فيكم ، وأوصيكم بجيرانكم احسنوا مواساتهم ولا تغشوا منازلهم ، وكفوا عن حريمهم الحاظكم والفاظكم ويجلوا ذوي الأسنان منكم وشرفوا علماءكم وسودوا ذوي الفضل منكم وأوصيكم بالحلفاء خيراً ولا تغرموهم ، واغرموا معهم في ناديهم فانهم لكم سيوف ما داموا فيكم وينفعوكم ان ساروا عنكم ، وارقبوا عورات نسائكم فإنها مسبة عليكم ، وإذا نكح فيكم الغريب فاختاروا له أهل العفاف من نسائكم فأنتم أستر لعيبكم وإذا نكحتم في غربة فاطلبوا النجباء واغلوا الصداق أو فدعوا وعليكم بالصلة فانها تزرع المودة وتميت الضغائن ، وإياكم والغيبة فانها تفرق الجماعة وتوغر القلوب وتورث الأحقاد واذكروا قومكم إذا غابوا عنكم بما تحبون أن

---

(١) ل — مجاهد .

(٢) في الأصل — كل قائل منكم .

يذكروه منكم إذا غبتم عنهم ، أحسنوا إلى أقاربكم يكن عز لكم عند مصائبكم . يا بنيّ : خذوا من أدبي واحفظوا وصيتي ولا تدخلوا شيئاً في قبري فاني لم أزل كارهاً لثلاث : الزناء والسرقة والغيبة ، ولا فارقني جار ولا خليل عن قلي ولاحملني هواي على عيب كنت أعصي الهوى لطلاب العلى . يا بنيّ : القالة سريعة والآذان سميعة وليس كل عذر مقبولاً ، يا بنيّ : أدركت كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر شيخاً كبيراً محجوباً والعرب تحج اليه فاخبرني أنه قد آن خروج نبي بمكة يدعى أحمد يدعو إلى الله وإلى البر والإحسان ومحاسن الأخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفاً إلى شرفكم ولا تسارعوا إلى الحروب فانها تهدم الأعمار وتخلق الأبدان ، وإياكم وعهد الملك قابوس — فانه حليم ما استحلم سفيه ما استسفه رشيد ما استرشد وكفوا أيدي سفهائكم عن الظلم وان ظلموا فانصروهم احفظوا ترشدوا .

وان الملك قابوس بن النعمان وعامر بن الظرب والمستوعز وأبا ذؤيب رجعوا إلى بني أسد بثأر بني أبي ذؤيب ، وكان بنو أسد بن خزيمة وغفار ابن خزيمة ومدلج بن خزيمة نازلين قنان ، فنزل بهم قابوس وعامر بن الظرب ومن معهم فقتلوهم وأكثروا القتل في غفار ومدلج ، ولجأ عمرو ابن بكر وأولاده ومائة رجل من بني أسد إلى قنة جبل فأحاط بهم قابوس بجيوشه ، فأخذه وبنيه ومن معه من المائة الرجل وأعطاهم لأبي ذؤيب الهذلي وقال له : هؤلاء وترك ولك الأمر فيهم ، فرجع بهم أبو ذؤيب إلى قبور بنيه فقتل عمرو بن بكر وبنيه وقال : انتم ببني* ولا عدوان . وأطلق المائة من بني أسد وقال : من يجاوز في الشقوة يجاوز اليه الدهر . ثم سار الملك قابوس وزحف عامر بن الظرب بعدوان والمستوغر بمن كان معه من بني

* هكذا في ط حيدر آباد

نميم وأبو ذؤيب بهذيل والقارة ولحيان إلى باهلة بن معن بن يعصر بن سعد ابن قيس وغني بن يعصر وفهم بن سليم بن قيس فالتقوا بذي قار وهو يوم ذي قار فاقتتلوا قتالاً شديداً فكانت الجرة [1] على باهلة وفهم وغني .

قال ابو محمد اختلف الرواة : فبعض يقول ان يوم ذي قار الأول هو المعظم في أيام العرب لقتل هذيل ولحيان والقارة بني عمرو بن مدركة بن الياس بن مضر ، وبعض يقول : اليوم الآخر يوم ذي قار لقتل باهلة وغني والقارة وفهم بني قيس عيلان بن مضر . وفي ذي قار الآخر قتل أبو المغوار الغنوي — وهو مارب بن سعد بن قيس بن الصعل بن قراد بن غني بن يعصر بن سعد بن قيس عيلان — وقتل معه أخوه المقداد . فقال كعب بن سعد الغنوي يرثي آخاه ماربا أبا المغوار وأخويه جبلاً والمقداد — وكان ابو المغوار فارس بني يعصر وجوادهم — فقال فيه أخوه كعب يرثيه بقوله :

تقول سليمى مالجسمك شاحباً   كأنك يحميك الشراب طبيب

إلى آخرها .

قال ابو محمد عبد الملك بن هشام : لما مات تبع شمر يرعش بن عمرو ناشر النعم ولي الملك بعده ابنه صيفي بن شمر يرعش .

ملك تبع صيفي بن شمر يرعش بن عمرو ناشر النعم

قال ابو محمد : كان صيفي اجمل أهل زمانه وأجود التبابعة كفاً ، فولي أهل اليمن باللطف والكرم وأقام بغمدان عشرين عاماً ، ثم جمع

---

(١) لعله الديره — ح .

الجيوش وسار إلى مكة – كما كانت التبابعة العظماء قبله يفعلون – وكانت التبابعة منهم من يلي الجيوش في مشارق الأرض ومغاربها ومنهم من ينزل مكة فيقيم بها ويبعث الجيوش : جيشاً إلى المغرب فلا يرجع إليه حتى يبلغ البحر المحيط ، وجيشاً إلى المشرق فلا يرجع حتى يبلغ البحر المحيط ، وجيشاً في يمن الأرض فلا يرجع حتى يبلغ البحر المحيط ، وجيشاً في شمالها فلا يرجع حتى يبلغ البحر المحيط . فنزل صيفي إلى مكة وبعث الجيوش في آفاق الأرض ، فأقام بمكة عشر سنين ، وان رجلاً آتاه فقال له : أيها الملك رأيت كأن الشمس سقطت في سملق من هذه الجبانة فابتعلتها ؟ قال له عراف كان بمكة : أسكت هتك الله فمك ، والله لئن صدقت رؤياك ليهلكن الملك ، وان الملك تبعاً لم يلبث إلا يسيراً حتى اعتل في وجهه بقرحة ، فلم يقم إلا ثلاثة أيام ومات فسميت قرحة الملوك ، فكان ملك تبع صيفي ثلاثين عاماً . فقال جلهمة بن العراف الكندي يرثي تبعاً :

كر الليالي لآجال الفتى سبب ... يزجي له أثر بالحتم موقوتا
يضحي على أمل يمسي على أجل ... بفجعة تترك الإنسان مبهوتا
اعلم ولا بد ان طال المقام بـه ... لمنهل ثابت يأتيه مبغوتـا
لا يدفع الملك عن صيفي منيتـه ... فملكه صار بعد الموت موروثا
قد كان شمساً على الآفاق مشرقة ... وتاجه محكماً درّاً وياقوتا
من كان لم يدر ما يقضي عليه غدا ... لم يبرم الأمر بالآيات منعوتا
من قامر الدهر لم يحمد عواقبه ... والدهر قامر طالوتـا وجالوتا
احذر وان كنت لا تمشي على حذر ... فالأمر عن غفلة من أمنه توتى

(عمرو بن عامر مزيقيا ملك متوج تبع)

قال ابو محمد : حدثني محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان عمرو بن عامر مزيقيا بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن ابن الأزد — وانما سمي مزيقياً لأنه كانت تنسج له في كل سنة ثلاث مائة وستون حلة ، ثم يأذن للناس في الدخول فإذا أرادوا الخروج استلبت عنه وتمزق قطعاً — ولذلك سمي مزيقياً ، وكانت الحاكة بمأرب تقيم له حلة في كل سنة نسجها ذهب أحمر ، وكان له عيد من الحول إلى الحول تعدله ، فإذا أراد الرجوع إلى منزله مزقت عليه . وكانت له سنة من ذي القرنين يوم هتك عرشه ومزق حلته ، وكان فراغ الحاكة منها يوم عيده ، ثم تمزق عليه . وانما كان يفعل ذلك لئلا يتخذ أحد ما يلبس منها بعده . وكان اسم أبيه عامر ماء المزن — لأنه كان إذا نزل بقومه جدب فتح بيوت أمواله وعالهم حتى يخصبوا ويقوم لهم مقام المطر إذا فقد وكانوا يقولون : كفانا عامر قحطنا هو ماء المزن لنا وكان عامر ماء المزن ابن حارثة الغطريف بن امرىء القيس الجواد بن ثعلبة الضمر [1] بن مازن ابن الأزد . وفي ذلك يقول عمرو بن حرام جد حسان بن ثابت :

ورثنا من البهلول عمرو بن عامر وحارثة الغطريف مجداً مؤثلا

كرائم من أبناء نبت بن مـــالك ونبت ابن اسمعيل ما ان تحولا

وانما كان أول نقلة عمرو بن عامر من اليمن بالأزد وتفرقهم في البلاد أنه كان باليمن سد بناه يشجب بن يعرب بن قحطان وأتمه من بعده الصعب ذو القرنين عليه السلام .

---

(١) كذا .

وهو السد الذي ذكر الله في كتابه العزيز . وكان السد بين جبل مأرب وجبل الأبلق – وكان الأبلق متصلاً بالجبال الزرق – وانما قيل الأبلق : لأنه في أرض سوداء فيها معادن اللجين وأرض غبراء فيها معادن العقيان وأرض زرقاء فيها معادن الزبرجد والجزع – وكان يقال له الابلق الباذخ – ولمأرب الشامخ ، فمأرب متصل بجبال عمان والأبلق متصل بجبال بحر لجة وما فوق السد ستة أشهر وما تحته ستة أشهر يدركه نفع الماء وكان يأتي إلى السد سبعون نهراً كباراً سوى ما كان يأتيه من السيول من أرض حضرموت وأرض برهوت إلى باب الحبشة [1] . فكان ما يلي مأرب عن شمال السد لبني كهلان ، وما يلي الابلق لبني حمير بن سبأ . فكان يحبس السد لما فيه من الماء سنة من الحول إلى الحول يسقون به جناتهم وزراعتهم وما حاولوه من أمرهم على قدر ما يريدون فكان كما قال الله تعالى : (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال) إلى قوله : (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا نفسهم) . وكان لعمرو بن عامر مزيقيا من الجنـات والزروع مثل ما كان لجميع أهل سبأ ، وكان لعمرو بن عامر من الولد أحد عشر الأكبر ثعلبة العنقاء وحارثة وأبو حارثة وعوف وعلبة ومالك – قاتل الجوع – وكف ووادعة وعمرو وقيس وعبيد وأمهم مارية ذات القرطين بنت ظالم بن معاوية بن كندة بن مريع بن مالك بن عريب بن زيد ابن كهلان . وكان لعمرو أخ أكبر منه يقال له عمران بن عامر ، وكان ملكاً متوجاً قبله ، وكان كاهناً لم يكن في الأرض أعلم منه ، وكان بيده علم من بقايا دعاة سليمان ، وكان له حظ عظيم من ذلك ، وكانت العرب لا تعدل بعلم عمران بديلاً وكان يخبر قومه أن بلادهم ستخرب آخر

---

(١) كذا .

الزمان حتى يفترق قومها في مشرق الأرض ومغربها ، وكانوا يكتمون ذلك من قوله ويقولون : شيخ قد كبر وبلغ من السنين أربعمائة عام ، وكان أخوه عمرو بن عامر قد بلغ ثلاثمائة عام . فلما حضر عمران الموت دعا بأخيه عمرو وقال له : يا عمرو اني ميت وهذه البلاد ستخرب ويفترق أهلها وان لله عليها نعمتين وسخطتين : أما النعمة الأولى فهذه النعمة التي كنتم فيها . والسخطة الأولى : ينهدم هذا السد ويفيض عليكم فيهلككم ويهلك زروعكم وجناتكم وأموالكم وتفترقون في الأرض ، والسخطة الثانية تغلب عليكم الحبشة . والنعمة الثانية : يبعث الله النبي محمد التهامي صلى الله عليه وآله وسلم بالرحمة ويغلب أهل الأوثان في آخر الزمان أهل الأديان فيخرجونهم من البيت الحرام ويخربونه ، فيرسل الله عليهم رجلاً من حمير يقال له شعيب بن صالح فيهلكهم ثم يخرجهم منه ، فلايكون بالدنيا ايمان الا بأرض اليمن . واني أخبرك بما يكون لك النجاة ولقومك وذلك أن امرأة من قومك يقال لها ظريفة بنت الحبر الحجورية — وهي وارثة علمي — فلما مات عمران وولي أخوه عمرو تزوجها وتتوج عمرو بعد أخيه . وكان عمرو أعظم ملك بمأرب وكان له تحت السد من الجنات ما لا يحاط به . كانت المرأة تمشي من بيتها وعلى رأسها مكتل فلا تصل إلى بيت جارتها إلا وهي تملؤه من كل فاكهة من غير أن تمس منها شيئاً وكانت كما قال الله تعالى (بلدة طيبة ورب غفور) وان الرجل يمشي تحت ظلال الشجر شهرين فلا تصل إليه الشمس من كثرة الجنات حتى دعوا على أنفسهم فقالوا: (ربنا باعد بين أسفارنا) فأرسل الله عليهم السيل . قال : وان ظريفة لما تزوجها عمرو بن عامر كانت ذات يوم نائمة إذ رأت كأن آتياً آتاها وقال لها : ما تحبين يا ظريفة علم تطيب به

نفسك أو مولود تقر به عينك ؟ فقالت : بل علم تطيب به نفسي فجر بيده على صدرها ومسح بظاهر كفه على بطنها فعقمت فكانت لا تلد واتسعت في العلم وأعطيت منه حظاً عظيماً . فبينما هي ذات يوم نائمة إلى جانب عمرو بن عامر إذ رأت كأن سحابة غشيت اليمن فأبرقت وأرعدت فلم تقع على شجر إلا أحرقته ، فذعرت ذعراً شديداً ، فقام إليها عمرو وقال لها : مالك يا طريفة فقالت : ازف بكم الغرق وآتاكم من الأمر ما قدر وسبق فخفضها عمرو حتى سكنت وقال لها : يا ظريفة ما تقولين ؟ فقالت: وقلبها يختفق ودمعها يندفق : يا عمرو هلك النسل بالوحل . ثم ان عمرو ابن عامر لم يلبث أياماً حتى خرج إلى بعض حدائقه ومعه قينتان له وبلغ ذلك ظريفة فخرجت تمشي تريده ومعها وصائف لها . فبينما هي تمشي إذ عرض لها ثلاث مناجد معترضات وهن منتصبات على أرجلهن واضعات أيديهن على أعينهن ، فلما رأتهن ظريفة وضعت يدها على عينيها ونزلت إلى الأرض وقالت لوصائفها : إذا ذهبن هؤلاء المناجد فاعلمنني ، فلما ذهبن أخبرنها فقامت مسرعة فعارضها خليج جنات عمرو فوثبت منه سلحفاة فوقعت على التراب واستلقت على ظهرها ورامت أن تنقلب فلم تستطع فجعلت تبحث بيديها ورجليها لتنقلب فلم تقدر وهي تحثو التراب على رأسها وعلى بطنها تزرق بولها . فلما رأت ذلك ظريفة جلست والقت بيديها على عينيها وقالت لجواريها : إذا عادت إلى الماء فاعلمنني ، فلما عادت السلحفاة إلى الماء أعلمنها فمضت مسرعة حتى دخلت الحديقة نصف النهار حين سكن الريح فإذا شجر الحديقة متناصلة يميناً وشمالاً من غير ريح ، فمضت وعمرو في قبته ، فلما رأى ذلك ظن أن غيرتها حملتها فاستحيا منها فأمر الجاريتين فخرجتا وقال لها : مرحباً بك

ياطريفةهلمي إلى فراشك وان كنت قد أتيت في ساعة لم يكن المجيء من عادتك ، فقالت : هيهات هيهات يا عمرو — تفاقم الأمر ومنع السر — قال : وما ذلك لله أبوك ؟ فقالت : والنور والظلماء والأرض والسماء ليهلكن الشجر بالماء ، ثم الماء . ففزع عمرو وذكر قول أخيه عمران قال لها : وما ذلك ؟ قالت : أخبرتني المناجد بسبع سنين شدائد يقطع فيها الولد الوالد وترمي بقومك إلى أرض المساجد وتوالون الأباعد . فارتاع عمرو وقال لها : انظري ما تقولين! فقالت : إني أقول تلهفاً لما رأيت السلحفاة علت خليجاً آنفاً تغترف التراب بيديها غرفا ولا تني ببولها ان تقذفا ، قال لها : هذا خطب عظيم ، فقالت : ان الإنسان إنسان وباللسان الحق والبيان والدهر ذو غير والوان والصمت خير من البيان وفي باطن الأرض كتمان وفي ظاهرها إيضاح وتبيان . فعلم عمرو أنها قد كرهت أن تخبره وعنده القينتان فقال لهما : اخرجا فخرجتا عنه ، ثم قال لها : ما تقولين يا طريفة ؟ فقالت : أرى أموراً جسيمة تأتي بأوابد عظيمة وأموراً أليمة أشا من الهزيمة نهاراً أو عتيمة ، قال لها : ويحك وما هو لقد أشرف مكروه ؟ قالت : أجل ثم أجل فلتكن من أمرك على وجل ينجو بنو وائل ويهلك الوسائل وما لك من نائل فكأني أسمع رنة القائل عند جولة القبائل فاحذروا ما تأتي به الدلائل فان علمي جل عن سؤال السائل قال لها عمرو : بيّني لي فإني رأيت في علمك نجاتي ؟ فقالت : انعي لك تفرق الأحباب وذهاب الخيل والركاب والماشية والاهاب والذهب والفضة والثياب من السيل الأسود المنتاب . وكان عمرو متكئاً فاستوى جالساً وقال لها : بيني لي النجاة ؟ فقالت : خطب طويل وأمر جليل والقتل خير من السيل ، قال لها : صدقت فما وجه ما تذكرين . فقالت : أيت السد ولا تبعث أحداً

فيكون ذلك آكد فان رأيت جرذاً يقلب برجليه الصخر ويكثر بيديه الحفر فاعلم أنه قد نزل الأمر فعليك بالصبر ولا تجزع للدهر ، قال لها : أما ترين هذا الأمر ؟ قالت : لا أدري غير أنه وعيد من الله نزل ونكال منه لم يكل ، يقتل به من قتل لا يصرف عن سهل ولا جبل إلى حيث ما أراد الله من أرض وصل فليكن مغيرك يا عمرو التكل أو فلك الهبل .
فانطلق عمرو إلى السد ولم يكل لغيره وكان يحرسه حتى رأى جرذاً يبحث برجليه ويقلب الصخر بيديه التي لا يقلبها أربعون رجلاً وذلك للذي أراد الله عز وجل وسبق في علمه أنه كائن فصدق ظريفة وعلم أنها صادقة فرجع إليها مغموماً فقالت له : ما وراءك ؟ فقال شعراً :

ابنة الخير والفلاح أصدقينا قد رأينا بعض الذي تعدينا
قد رأينا الذي ذكرت يقينا انما الدنيا غرور اللاعبينا
قد رأينا الجرذ في السد يقينا فأشيري بالذي تعلمينا

قالت : يا عمرو إذا ظهر الجرذ الحفار فاستبدل لنفسك داراً من دار وجاراً من جار فعندها تنزل الأقدار ، قال : ومتى يا ظريفة ؟ قالت له : ما بينك وبين سبع سنين ينزل الأمر اليقين وتحول البنين ، قال لها : فكيف النجاة ؟ فقالت : هيهات يا بن ماء المزن انقطع علم ذلك من كل ذي علم ولو علم ذلك أحد لعلمته ظريفة ، ولا يأتي علي يوم وليلة إلا وأنا أتوقع ذلك . قال لها : وما علاقة ذلك ؟ قالت : ادع بقدح من زجاج في مجلسك دون الرتاج واضرم أمامه سراج فانه يمتلىء رملاً بلا مزاج . ففعل ووضع قدحاً دون رتاج مجلسه فما لبث أن امتلأ رملاً والريح لا تصل إليه . ثم قالت له : يا عمرو إذا رأيت الحصباء في شربك فاغتنم بيع أرضك واخرج إلى النخيل فان رأيت سعفها يتناحل ويميل فارحل فقد آن

آن الرحيل وبع ما لك بمأرب من مال ، قال : يا بنة الحبر يضيق بذلك الصدر وما على هذا الأمر من صبر .

قالت : يا عمرو ــ النجاء النجاء من أقام غرراً أساء فاعزم ولا يخدعنك المنى فان العجز عاقبته البلاء وان الجلوس غرر فالحذر الحذر ولله الفعل والأمر يهلك من يشاء ويذر ، فاصدق نفسك ولن ينجو منه ذو ناب ولا ظفر . فكتم عمرو أمره وعزم على بيع ما كان له بمأرب من مساكن وجنات وقصور واجمع أن يرحل بولده وأخوته وقومه وفزع أن ينكر عليه ذلك فأمر بمائة من الابل فنحرها وذبح البقر والغنم وكان كثيراً ما يصنع ذلك فأطعم ثلاثة أيام وأرسل في جميع مأرب حتى لا يتخلف عنه أحد وكان عمرو قد أمر ولده ثعلبة العنقاء ــ وهو أكبر أولاده ، وهو جد الأنصار ــ قال : يا ثعلبة إذا أمرتك غداً بأمر فاعصني واغلظ علي في القول ، فإذا ضربتك بالعنزة التي بيدي فالطمني ، فقال له : يا أبت لا تساعدني يدي ، قال له : إن لم تفعل هلكت أنت وأخوتك وقومك ، فقال له : نعم . فلما اجتمع الناس أمره الملك عمرو فأبى عليه وأغلظ له في القول فضربه بالعنزة التي كانت في يده فلطمه ثعلبة ابنه ، فقال عمرو : في يوم مجدي يلطم خدي فيه ولدي وأذلاّه ، فوثب الناس إلى ابنه ليقتلوه إعظاماً للملك ، فقال لهم عمرو : لا تقتلوه فان الرحمة سبقت له في قلبي من السخط ، ولكني سأبلغ منه استطال ثعلبة واطغاه علي المال ولكني سأعدمه وأبيع جميع مالي بمأرب تحت السد ونذر لله نذراً ليفعلن حتى يفقر ثعلبة ويدفع الأموال إلى أخوته وينتقل من مأرب إلى غيرها ويخلف ثعلبة . فقال الناس من أهل الشرف والقوة : اغتنموا من عمرو بن عامر غضبه وابتاعوا منه جميع ما كان له بمأرب فان هو تمادى على غضبه فقد أفدتم أموالاً

عظيمة وان هو رجع رددتم عليه أمواله وكانت لكم عنده يد فاشتروا منه جميع ماله . فلما قبض ثمن أمواله دعا بمالك بن النعمان – وهو سيد الأزد بعده – فأخبره الخبر ودعا بظريفة فقال لها : ما عندك يا ظريفة أين تريدين لنا السير ؟ فقالت : يا مالك بن النعمان يا بن زيد بن كهلان – أهل الفضل والبيان – أرى أن تغدو من الغد ولا تقيم ساعة لوعد أمر يسير كالرعد فباعت عند ذلك الأزد أموالها وقالوا : لا نتخلف عن ملكنا . فسار عمرو في الأزد – وكانوا يعمرون اعماراً طوالاً – حتى انه ليكون مع الرجل من ولده وولد ولده عسكر جرار ، فكان كل سيد على من يليه ، وكان مع عمرو ثلاثة وعشرون رهطاً من أولاده وأولاد أولاده وسائر ذلك ، فلما اجتمعوا للسير دعا بظريفة فقال لها :

يا ظريفة : أين تريدين لنا السير ؟ فقالت : فيكم الأمير وعليكم التدبير . يا أهل المجد من سبأ الممزقة سيروا لنا فلا بد لكم من فرقة يتقدمها اليسار وتعفو الآثار فتنأى الديار وتطول فيها الأسفار وتنقضي منها الأوطار عجلوا ففي كل بلد لكم خبر كلما لقيتم نفراً كان لكم الظفر تتوارثون الملك بعد الملك وتلبسون التاج بغير شك وبدأ الأمر من علك . فسارت الأزد مع عمرو بن عامر وجعلوا على مقدمتهم مالك بن النعمان بن الجلهم بن عدى بن عمرو بن مازن الأزدى ، فبينما هم يسيرون إذ قالت ظريفة: يا معشر غسان أنذرتكم من هذا المكان أنتم أهل العز والسلطان وفوارس الطعان وسيوف بني قحطان ، قالوا : وما ذلك يا ظريفة ؟ قالت : والسرابيل المحترقة التي يمشي فيها سملقة بالغدرة المعبقة والسيوف المطبقة قالوا : وما ذلك يا ظريفة فأمرينا بالسرعة إذا شئت والكف متى شئت ؟ والأمر إليك ، فقالت : إني أرى منكم إيضاحاً ووجوهاً صباحاً تسبق

الرماحا وتكثر الصياحا ، قالوا : فأين ذلك يا ظريفة ؟ فقالت : سيروا إلى علك بالسيوف ، فلكم منهم صروف وضراب وحتوف . فزعموا أن ظريفة أول من سماهم غسان ، وقيل ان غسان شرب مازن من السد وقال حسان بن ثابت :

أما سألت فانـــا معشر نجـــــب   الأسد نسبتنا والمـــاء غســـان

وقد اختلف الناس في غسان فقالوا : هو ماء لبني زبيد نزل عليه بنو مازن فسموا به ، وقال قوم : هو ما بين الجحفة والمشلل نهر يسمى غسان فنزلوا عليه فغلب عليهم اسمه ، وقال أكثر العلماء : أنه شربهم من السد — وعلى هذا عامة العلماء — وغسان هم : بنو مازن بن الأزد خاصة وهذا وفق الأحاديث لأنه شرب لبني مازن من سد سبأ . فلما انتهوا إلى علك أرسل الملك عمرو بن عامر إلى سملقة بن حباب العكى يسأله في النزول في أرضهم قليلاً ثم يرتحلون عنهم إلى أرض غيرها ، وان سملقة سيد علك دعا قومه فقال لهم : ما ترون ان الملك عمراً قد أرسل إلي وقال: انا قدمنا بلادكم وأردنا المقام يسيراً مقام الزيارة فواسونا قليلاً حتى نرحل عنكم ، فما ترون في بني عمكم وقد سألوكم حسن الجوار يسيراً وقد كرهوا أن ينزلوا أرضكم بغير رضاً منكم ولا إذن ؟ فقالت علك : ذلك إليك يا سملقة غير أنه ما نزل قط قوم عـــلى قوم وعرفوا وجوه أرضهـــم فوطوءها الا كانت لهم الغلبة عليهم . وقد قال يعرب بن قحطان : ويل للمنزول عليه من النازل المنزول عليه يلين الجوار والنازل مع ذلك متطول . فقال سملقة : ليس هذا من فعل عمرو بن عامر لأنه ملك ، سيروا إليه بأسركم فإنه أقرب إليكم رحماً وأعظم عندكم منزلة من أن يفعل بكم هذا . قالوا له : امض أنت وافعل ما أحببت . فسار إليه سملقة فقال له :

أيها الملك اختر أي جانب من الوادي شئت ان شئت شرقيه وان شئت غربيه فانزله . فقال له : جذع بن سنان – وكان صعلوكاً في غسان وفاتكها في ذلك الزمان – : أيها الملك الغربي أحسن لأنه مجمع السيول ومستقر الماء . فقال له الملك : الغربي أحسن يا سملقة . فنزل عمرو في غربي الوادي بمن معه وبعث ابنه حارثة [1] رائداً مع رواد في خيل يرتادرن له منزلاً ، وبعث ابنه الحارث في جهة أخرى بخيل يرتادون له منزلاً ، ثم نحر الملك عمرو وأمر بالطعام ونادى إلى علك فأجابوه إلى طعامه فأحسن إليهم وحملهم وأعطاهم – وان عمراً بن عامر اعتل فمات قبل أن يرجع إليه ابناه – و ستخلف ابنه ثعلبة العنقاء في قومه وأقام ثعلبة ينتظر أخويه المرتادين . قال : ونزل عند بني حارثة بن عمرو بن عامر وهم رهط جذع بن سنان رجال من الجن وفيهم قاشر الجني ، فلما جلسوا حلبوا لهم اللبن وشربوا ، فقال لهم قاشر الجني : يا معشر غسان ما بال لبنكم ليس كلبن بني عمكم علك،لبنكم مالح مصرح رقيق ولبن بني عمكم غليظ دسم ؟ قالوا له : لا ندري لم ذلك ! قال لهم قاشر الجني : نحن أعلم بذلك منكم ، انما أتيتم في أموالكم ومواشيكم من قبل الأرض وذلك أن بني عمكم أنزلوكم غربي الوادي وأسفل النهر ومستقر السيول فمواشيهم تشرب صفو الماء ثم تسرح في غربي الوادي فتستقبل الريح بوجوهها وتستدبر الشمس بظهورها فتسخن متونها وتنزل ضروعها وإذا طلعت الشمس طلعت مكانها فأصابت الكلأ قد اطعم نواره وذاب جليده وشرب نداه أصله فاستد نباته وزكى طعمه . قال : ونزلتم يا معشر غسان في غربي الوادي وأسفله فانعامكم تشرب كدر الماء وتسرح شرقي الوادي وتستقبل

---

(١) تقدم أبو حارثة في الموضعين فتأمله – ح .

الشمس بأبصارها فتكل عن البذر وتضعف أبدانها وتستدبر الريح بظهورها فتبرد متونها وتنكمش ضروعها ، وإذا طلعت الشمس فلا تبلغكم إلا بعد ارتفاعها ، فكلاكم ظليل أبداً لا يبرز زهره ولا يشرب نداه أصله — فمن ثم لبنكم رقيق مالح فكلموا بني عمكم يعاقبوكم من أرضهم قبل أن تهلك أنعامكم — قال : فعند ذلك بعثت غسان إلى علك اعقبونا من المنزل ولا تستأثروا علينا هذه الاثرة كلها ، فقالت علك : يا قومنا الأرض أرضنا ، وانما أنتم ضر علينا ولولا السيد الكريم والملك الرحيم عمرو بن عامر ما أنزلناكم ولو كنتم قد أخذتم الشرقي ما منعناكم فقد واسيناكم أفضل المواساة فلا تبغوا علينا فانه لا يسعكم البغي ، فقال ثعابة العنقاء : صدق بنو عمكم فكفوا عنهم فقد أحسنوا إليكم في مواساتكم فاخترتم منزلكم الذي أنتم فيه فلا تجعلوا لهم ذنباً لم يذنبوه إليكم ولا ذنب لهم ولا تبغوا عليهم وهذا منكم بغي . فقام جذع بن سنان — وهو أعور وأصم — فقال : صدقت أيها الملك . ثم أتى إلى ابن عم له يقال له زوبعة فقال له : ان الملك أراد أن يتم لعلك عهدهم — وهو حدث غر لا يعرف الشر من الخير — ولكن يا زوبعة لا بد لك أن تقتل لي سملقة بن حباب — وكان زوبعة صاحباً لسملقة — فقال له زوبعة : ويحك يا جذع إنه أخي وصاحبي فكيف أقتله ؟ قال له جذع : قد أخبرتك ، فأتى زوبعة الغساني إلى سملقة العكي فقال له : يا بن العم عقب ابن عمك في المنزل لتعرف العرب اكرامه فانه يكره [1] الرحم وفساد ما بيننا وبينك واعلم أن مقامنا في بلادكم قليل حتى نرتاد منزلاً ؟ فقال له سملقة : إني أحب مسرتك وانك لتطلب غير النصف وانك لتعلم ما يريد أصحابك وما قال لهم قاشر

(١) لعله يكره قطع الرحم — ح .

الجني وأصحابه ، قال لهم : كذا وكذا ولم يرد بنا وبكم الخير وأنا أعلم ما يؤول إليه هذا الأمر – وكان سملقة رجلاً عائفاً زاجراً يقول الشعر – فقال لسملقة : ما لنا بشركم من حاجة وكان ذلك اليوم نزل سملقة قوماً من زبيد وكان كريم علك فباتوا عنده . فبينما سملقة يكلم زوبعة اذ قال له سملقة : يا زوبعة ان الذي أتيت فيه مخنوق أو مذبوح ، قال : وكيف ذلك يا سملقة ؟ قال له : انك لما كلمتني وامرأة من الحي قد مرت بي وفي يدها ديك فعلمت بزجري ما قلت لك . ثم إنه بات معه تلك الليلة وتركه حتى تحكمت الخمر في رأسه فقتله وأتى إلى الزبيديين فقال لهم : فروا فان سملقة قد مات ، وأخشى عليكم من علك ، ففر الزبيديون ورجع زوبعة إلى جذع فأخبره . فعند ذلك لما أصبح ووجدت علك سملقة مقتولاً ثارت بالسلاح إلى غسان ، فقال لهم جذع : ما لكم أنتم أخواننا ؟ قالوا له : يا جذع قتل زوبعة سيدنا سملقة . قال لهم : كأنه لم يبت مع سملقة في القبة إلا زوبعة ؟ قالوا له : بات معه نفر من زبيد ، قال لهم : لا تعلمون من قتله ، وان زوبعة لن تروه بعد هذا وما كان عن أمر منا وهذه أموالنا لكم تحكمون فيها وأنه لولا وجع ثعلبة بن عمرو لغدا عليكم – فنظر بعضهم إلى بعض وأتمروا بجذع – فقالوا : نقتل أعور أصم دنيا في قومه . ثم قالت علك : قد اعتذر إليكم بنو عمكم وقد علموا ما كان منكم من سوء فعل زبيد وصاحبهم ، ولكن كفوا حتى يدفعوا إليكم زوبعة تقتلوه بسملقة . قال لهم جذع : ذلك لكم . فرجع جذع ومضى إلى ثعلبة بن عمرو فلم يخبره أنه أمر زوبعة بقتل سملقة فقال له ثعلبة : ادفع إليهم زوبعة يقتلوه بسملقة – فإنه لا عذر لكم – قال له جذع : لا تعجل ان كان هو من صاحبنا زوبعة – فهو من الزبيديين – ثم ان جذع بن سنان أتى إلى غسان

تخير منهم مائة رجل ثم قال لعك : تخيروا منكم مائة رجل يحكمون الأمر بيننا وبينكم فتواعدوا للعهد على مكان بعيد . ورجع جذع واختار مائة رجل من قومه وأمر أن ينطلقوا ليلاً إلى المكان الذي تواعدوا فيه وأمرهم أن يدفنوا فيه سلاحهم . فلما أصبحوا قال لهم جذع : يا معشر غسان أصحابكم لن يغدوا حتى يروكم فاغدوا في رفيع الثياب ، ففعلوا وتعرضوا دون سلاح . فلما رأوا ذلك عك اطمأنوا وخرج منهم مائة رجل من أشرافهم بمثل ذلك الزي — وقد كان جذع قال لأصحابه احبسوهم بالأحاديث واضربوا لهم الأمثال حتى يحمى الهجير وتعلو الشمس ويدخل جميع عك فإذا لوحت لكم بثوبي فعليكم بالسلاح — ففعلوا ذلك وقتلوهم حتى أبادوا المائة رجل . ونظر رجل من عك — يقال له يزيد بن زياد — إلى قتلهم فنادى : يا آل عك غدرتم في أصحابكم . فأقبلت إليه عك على الصعب والذلول وتداعت غسان فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى انهزمت غسان ووقعت عك في الغنائم . فلما ملؤوا أيديهم وانصرفوا تبعتهم غسان فقتلوهم حتى أمعنوا هاربين في الأرض وخلوا منازلهم . فنادى جذع في أصحابه : ارفعوا السيف فلا حاجة لنا فيمن بقي من عك ولا تقربوا غنائمهم و عيالاتهم وحال بينهم وبين ذلك ثعلبة بن عمرو وقال : إياكم وبنات عمكم.

فقال المقنع العكي : حين انهزمت غسان :

غسان غسان وعك عك والأشعريون رجال ضنك
والقوس فيها وتر وعنك [1] والنبل كالنيران صفر سك
والمشرفيات لنا والد لك والخرد العين لنا والمسك
سيعلمون أينا الأرك

(١) كذا في الأصول والله أعلم .

فلما كرت غسان عليهم وهزمتهم ، أنشأ جذع بن سنان يقول :

نحن بنو مازن فينا الملك سيدفع الأبطال عنا الشك
سيعلمون من هو الأرك إذا التقينا والمكان ضنك
غسان غسان وعك عك ليس لكم من البلا مفك

قال فعظم على ثعلبة بن عمرو غدر عك ولم يجد سبيلاً . ومالت قبائل غسان مع جذع . فقال ثعلبة : لا خير لنا في المقام مع عك بعد غدرنا بهم فقال جذع : أوطنوا أرض عك يا آل غسان . فأرسلت عك إلى الملك ثعلبة وقالت له : اعطنا عهد الملك . فتشاءم ثعلبة بجذع ، وأتى إلى ثعلبة أخوته المرتادون فأخبروه عن أرض همدان وخصب أرضهم ومراعيهم . فدعا بظريفة فقال لها : ما ترين؟ فقد جاء بنوك بخير وبخصب أرض همدان وقد أسأنا جوار عك وكرهت المقام فيهم وأردت المسير إلى همدان فما ترين ؟ قالت : أما عك أهل المكر فقد أرسلتم عليهم الأمر نقمة من نقم الدهر وأما أرض همدان فقد أعلمتكم بها منذ زمان . ثم قالت : والشهاب والفلك والنظارة والوعك ليتخلفن منكم حيان في عك ويملكنهم ايما ملك وليد الن عليهم بالدك . فساروا إلى همدان وتخلف منهم حيان عنس وبولان فانتسبوا في عك إلى الآن . فقيل عنس وبولان ابنا أصحاب بن عك وانما عك وبولان أصحاب الحارث بن مازن بن الأزد ، فبينما هم في مسيرهم إذ قالت ظريفة لغلام لها — يقال له سنان — : يا سنان بشر الأزد غسان من ولد الأغر كهلان بالنصر على همدان والملك إلى زمان . فلما انتهوا إلى بلاد همدان كلمهم الملك ثعلبة العنقاء ففزعوا أن يكون منهم إليهم ما كان منهم إلى عك بن عدنان بعد المواساة والإحسان قاموا عليهم فناصبوهم إلى القتال فاقتتلوا قتالاً شديداً بموضع يقال له « البطحاء » فانهزمت همدان

ورحلوا عن بلادهم وأموالهم . فقال ثعلبة بن عمرو : لا تمسوا شيئاً من أموالهم فانظروا إلى موضع من بلادهم ترضونه فانزلوه إلى أن تروا مكاناً وترحلون عنهم فانا لا نريد الإقامة في بلادهم وهم كارهون ، واحسنوا جوار من رجع منهم. ثم بعث إلى همدان: هلموا إلى أموالكم وبلادكم فانا لا حاجة لنا فيها، فرجعوا فقالوا لهم : يا قومنا وقعت بيننا وبينكم قتلى كانت حياتهم خيراً لنا ولكم من موتهم وليس بد من المقدور فاطمأنت همدان ورجعت إلى منازلها واصطلحت مع غسان . وقال ثعلبة لهمدان : يا قومنا نريد أن نرحل عنكم ، فقالت همدان : أيها الملك سخطنا قدومك وأساءتنا رحلتك، فما أحسن الفرقة قبل المعرفة، واحسن الاجتماع بعد الفرقة . ثم ان ثعلبة وغسان رحلوا وتخلف في بلاد همدان بنو وادعة ابن عمرو فأحسنت همدان جوارهم وملكوهم على أنفسهم وأسندوا إليهم أمورهم حتى دعاهم ذلك إلى أن انتسبوا إليهم فقيل وادعة بن عمرو بن جشم بن حاشد بن همدان . فلما اجمعوا للمسير دعا ثعلبة ظريفة فقال لها : يا ابنة الخير أين ترين وجه السير؟ فقالت: والبرق والبيان والذهب والعقيان لتحار بن الفرسان ولتلقون خيلاً ذات سنان ذوي أسل وأبدان وصفائح الإيمان. فقدموا إلى أهل بنجران وعليكم بنجران فلما آتوها لقيهم مذحج سعد العشيرة فقاتلوهم حتى حال بينهم الليل . فلما هدأ الناس نادت ظريفة في جوف الليل : يا بني عمرو بن عامر يا عظام المنابر قد جرى لكم خير طائر فإذا أضاء صبح وأصبح واعتلج الليل وبرح ، فطوبى لمن أفلح ونظر في أمره واصلح . فلما أصبح غدوا إلى مذحج فقاتلوهم قتالاً شديداً فانهزمت قبائل مذحج ووقعت بينهم قتلى ، ثم تصالحت غسان مع مذحج وانتسبت في مذحج من غسان بنو زيد بن الهبور وصاروا معهم أخوة فيقال

إلى اليوم بنو زيد بن الحارث بن كعب بن عبيد [1] بن خالد بن مالك . ثم أجمع ثعلبة على المسير فقال لظريفة : أين ترين ابنيك المسير ؟ فقالت :

نحو السراة عجلوا الرحيلا لا تجعلوا من دونها بديلا
أصبح وجه الأمر مستحيلا

ثم قالت [2] : يا ثعلبة من هذا المكان أحكم بالبيان امضوا الآن مسرعين ويتخلف منكم حيان . فمن كان منكم ذا هم بعيد ومراد جديد وحمل شديد فليأت كابر وليد وقصر عمان المشيد فكانت هذه نصر الأزد . فسار من سار إلى عمان من الأزد وكان الذين تحملوا إلى عمان بنو نصر ابن الأزد هم أهل بيت عمرو بن الخليد بن البكير وسار بهم رئيسهم خيوان بن سالم بن ناهدة بن عمرو بن نصر بن الأزد فنزلوا عمان والبحرين ثم قالت : يا ثعلبة من كان منكم ذا هم امدن وخيل ادكن فليلحق أرض شنء — فكانت هذه صفات أزد شنوءة — فلحق بهم عون بن عدي بن حارثة بن عمرو وهؤلاء ازد شنوءة . ثم قالت : يا ثعلبة من كان منكم ذا حاجة وأسر واناة وصبر على أزمات الدهر فلينزل الاراك من بطن مر — فكانت هذه صفة خزاعة — فسارت خزاعة حتى نزلوا ببطن مر . ثم قالت : من كان منكم ذا رمح نجل وسيف نصل ورأي جزل وقول فصل — يريد صدق القول — والراسيات في الوحل المطعمات في المحل يعلم بعد الجهل وينصر خاتم الرسل فلينزل بيثرب ذات النخل — وهي المدينة — فنزلت بها قبيلتان : الأوس والخزرج — أهل الوجوه الوضية والأنفس الرضية والمناقب السنية فليخرجوا قبل نزول المنية وحلول القضية ولينزلوا

---

(١) في الأصل — عنه .

(٢) انظر القصة في مروج الذهب ج ١ ص ٢٦٧ طبع مصر .

بيثرب بجوار هزان بن حمير ذات التيجان أفضل الأخوان والجيران — فخرج حارثة وأخوته بنو ثعلبة العنقاء . قالت له : يا ثعلبة تفرق قومك ثم تلحق بنيك فمن كان منكم يريد بلداً عالياً وعيشاً راضياً وخيلاً صوافنا وملكاً دانياً فليلحق بالمشرق من أرض بابل بين القبائل في أطيب المنازل وأحسن المناهل وأعلى المعاقل — فهذه صفة بني همدان بن الأزد — فسار نحو العراق إلى بابل . ثم قالت : ومن كان منكم يريد خمراً وخميراً ودياجاً وحريراً وملكاً كبيراً وتأميرا فليأت بصرى وحفيراً ودمشقاً وغويراً ، ومن كان وجهه منيراً وفرسه حميرا [1] وطعمه قديراً وولده كثيراً فليمض إلى دمشق — فكانت هذه صفة علبة بن عمرو بن عامر — وعلبة هو جفنة ، فسار جفنة وبنوه وكان لعلبة ولد كثير — وهو أعز غسان وأعز ولد عمرو بن عامر — وتخلف بمأرب مالك بن النعمان بن عمرو ابن مازن بن الأزد بعد خروج عمرو بن عامر على من تخلف من وشل الأزد . ونزل السراةمن الأزد بنو هبيربن الهبور بن الأزد، والبعض من ولد الهبور بن دهمان وعامر وآهلة ابنا عبدالله بن نصر بن كعب بن الأزد — وهم أزد شنوءة — فهذه القبائل الذين سكنوا السراة بظهر الجبل الذي يقال له « الحجاز » أعلى نجد شديد البرد والحجاز ما حجز بين نجد وتهامة . ففي أعلى نجد الحر في الشتاء والصيف وفي أسفله غور في الشتاء بارد ، ونزل سهب ومنهب وراسب بنو مالك بن نصر بن الأزد — وهم برق دهمان بن دهوان بن كعب بن نصر بن الأزد — وهم أولاد عامر الجادر أول من جعل للبيت جداراً — وهو الجادر بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد — وهم أهل بيت المهلب بن ابي صفرة — وهو ظالم بن سراق

---

(١) لعله وفرشه حريراً .

ثم قالت ظريفة لحارثة ولولده : خذوا الجمل الأزور فضرجوه بالدم الأحمر وارسلوه يمشي على قدر حتى ينزل بكم البلد الأغر بلد النبي الازهر صلى الله عليه وآله وسلم . فنزلوا هؤلاء القبائل الذين نزلوا السراة الذي يقال له الحجاز — لأنه حجز بين نجد وتهامة — وهو السراة — وانما سمي السراة لاستوائه كاستواء سراة الفرس — وأقام بالسراة من غسان من ولد عمرو بن عامر وولد عمران بن عامر . ثم سار ثعلبة بن عمرو في أصحابه ووجوه قومه ، حتى إذا كان ببعض الطريق قالت لهم ظريفة : وحق ما نزل من علمي بالبيان وما نطق به اللسان ما أعلم مني الا الرب الأعظم رب جميع الأمم إني لا أرى علماً يكتم ، قالوا : وما ذاك يا ظريفة ؟ قالت : خذوا البعير الشدقم فانحروه وخضبوه بالدم حتى تأتوا أرض جرهم ولا تبغ بالغلبة فتندم وكف يسلموا وتسلم جوار بيت الله الحرم بيت بناه النبي الأكرم خليل الولي المنعم بيت النبي الأعظم يقتل من كفر واجرم . قال : فأخذوا الجمل فنحروه ثم مضوا حتى انتهوا إلى مكة فأصابوا بها جرهم وبني اسماعيل . فقال ثعلبة لجرهم : يا معشر جرهم أنتم أهل العز ولكم البأس والمجد ولكم على الناس حق بولايتكم هذا البيت ولسنا نحب أن يكون بيننا وبينكم حرب فانا ما نصب لنا أحد من الناس حرباً الا نصرنا عليه فخلوا لنا السهل والوطاء حتى تشحم وتلحم أنعامنا ونمضي عنكم ولا يكون بيننا وبينكم حرب فانكم لا تدرون لمن تكون الغلبة ألكم أم عليكم . فغضبت جرهم وقالت : ما كنا نرى أن يطمع فينا أحد بهذا أو يرجوه . ثم تهيئوا للقتال هم وبنو اسماعيل وكانت جرهم وبنو اسماعيل قليلاً — فهزموهم حتى أدخلوهم مكة واستغاثوا بالحرم . وأقام ثعلبة بمكة في بطحائها ، فذاق شدة العيش هو وأصحابه ، ثم شخصوا عنها وبقي بمكة من

غسان أبو حارثة بن عمرو بن عامر فولي أمرها فأخذه الرعاف ومات ، فكان كل من وليها منهم لا يقيم إلا سبعة أيام ثم يموت من الرعاف . ثم عم الرعاف عليهم فكانوا لا يتداركون ، فهربوا ولحقوا بثعلبة . وان ثعلبة انتهى إلى الجحفة . فلما بلغ المشلل قالت ظريفة : يا بني عمرو بن عامر أوصيكم – فقد حان موتي – ولكل أمر نبأ ولكل نبأ يولد [1] ارتضاء ، ثم قالت : انزلوا وأقيموا فاني ميتة هذه الليلة وقد رأيت أن علمي يخلفني فيه مولودان في هذه الليلة فجعلهما الله آية للأولين والآخرين فهو مولود من غسان – ويقال له مسعود [2] بن مازن بن ذؤيب بن عدي – ثم قالت : والاسم والرباءوالعلم والاباء والنور والضياء لقد ولد في تميم آخر من بني العم ليس له مفصل ولا عظم يخرج ممسوحاً ثم تموت أمه لسبع ليال ينبىء بالزيادة والنقصان إلى فراغ الخلق والزمان واقسم بالنور والفلق ما له رأس ولا عنق فكان يكبر كما يكبر كل شيء حتى صار كالرجل من أهل زمانه ، وماتت أمه لسبعة أيام من مولده فأتوا به إلى ظريفة ففتحت فمه فنفثت فيه وقالت : لا تسقوه لبن امرأة واغذوه فان هذا يكفيه إلى بلوغه ثم قالت : أنت خليفتي من بعدي ، ثم قالت : اقسم بالله يمين الحق ليأتين مثل هذا شق يعلم ما جل وما دق له يد واحدة ورجل واحدة وآية الله عليه شاهدة يعلم ما خفي وما ظهر ينبىء بالحق عند تصديق الخبر فأتواها به فتفلت في فمه وقالت له : أنت خليفتي من بعدي ، ثم قالت : يا ثعلبة إذا جاوزت الحجر والمقام فانزلوا على الاعلام من أرض الشام ، فإذا آتاك الملك الأعجم في الجحفل العرمرم فقوموا عند انصر ام الليل الأدهم فالتمسوا امرأة في جيبها إرقم فقلدوها الحرب الأصم ، ثم سر أنت في

---

(١) كذا .

(٢) في السيرة – واسم سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي .

الجيش اللهام إلى البلد الحرام ، ثم قالت :

ان ابنـــة الخير لهـــا أعجوبة ومية تقضي لها مكتوبـــة
يؤدي بها في ليلة العروبة

فماتت ليلة الجمعة في عقبة الجحفةوقبرها هناك مشهور ، وان عمرو ابن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر نزل مكة فاحتفر فيها بئراً وسماها غسان وخزاعة من بني عمران الكاهن ولما تخزعت خزاعة قال فيهم عمرو ابن انيف الغساني :

ولما هبطنا بطن مر تخزعت خزاعة منا في بطون كراكر
حمت كل واد من تهامة واحتمت بيض القنا والمرهفات البواتر

ولما نزلت أزد شنوءة السراة وجدوا بها امرأة من قوم عاد بن قحطان فقالت لهم : إني بقية من قوم عاد وأنا أعلم بالبلاد منكم فاحملوني على بعير وسيروا بي أخبركم عن الأرضين . فحملوها على بعير ، فلم يستقل بها فقالوا لها : ما نجد بعيراً يحملك ؟ فقالت : هل من ناقة هبراء فحملوها عليها فسارت بهم حتى أتت أرضاً تسمى طرب [1] فقالت : هذه طرب حجرها ضر وجبلها وعر يلقى الراعي بها شر . ثم خرجت بهم حتى أتت كراء . فقالت : هذا كراء مرملة قاتلة للنساء ، ثم سارت إلى بيشة فقالت : منزلة خربة آمنة مانعة . فنزلت الأزد بهذه المنازل كلها . فقال لها رجل يومئذ — أي القسي خير — قالت : أما السدرة فانها مذرة هذرة ولكن عليك بالنبع فانه أصلب عند تقارب النزع وإياك والشريان فانها قسي الصبيان . ثم ساروا عنها وتركوها بالوادي ، فقامت أزد شنوءة بالسراة

(١) كذا ولم نعثر عليه — ح

وسارت منهم قبائل إلى عمان – فأول من خرج بهم مالك بن فهم – وكان سبب خروجه أنه كان له جارة وكان لجارته كلبة وكان له أخ له أولاد كثيرة ، فرمى ابن أخيه كلبة جارته فقتلها ، وكان بنو أخيه أكثر من بنيه ، فلم يستطع أن يفعل في بني أخيه شيئاً فغضب وقال : والله لا أقيم ببلد يفعل هذا فيه بضيفي ، فسار حتّى نزل عمان فسمي الموضع الذي رحل إليه نجد الكلبة إلى اليوم . فلما ورد مالك بن فهم عمان تزوج بها امرأة من بني عبد القيس فولدت له غلماناً كثيرة وكان أصغرهم سليمة وأنه أناخ ابله ذات ليلة وخشي عليها الطرد فعقلها ومعه سليمة فباتا فيها . فلما كان في الليل قام يفتقد عقلها فرآه سليمة وهو يكب عليها ويرفع رأسه فظن أنه لص فنزع له سهماً فرماه فقطع نساه فقتله ثم لحق بعمان ثم انالأزد ضاقت بهم أرض السراة فخرج من كل قبيلة منهم ناس ، فخرج بنو رابعة بن عمران وبنو حارثة بن عمرو وبنو غالب بن دهران، فخرجوا ونزلوا بالشعب من أرض عمان فقال في ذلك شاعر من غسان :

كونوا كعمران اذ سبه محلته فقال حبس وضيف بات في رصد[1]
شد المطي على الانساع فانشمرت تطوي الصحاصح حتّى منتهى الرصد

وان ثعلبة العنقاء سار حتّى قدم الشام – وكان أكثر من مضى إلى الشام بنو جفنة بن عمرو بن عامر – فلما نزلوا بالشام عورض ثعلبة العنقاء وكان جميلاً فقتلته الجن فاستحلف ابنه حارثة وهو ابن الأوس والخزرج وأمره أن يشاور في أمره جذع بن سنان ولا يعصيه . فكان جذع ذا رأي مبين على ما كان من عوره وصممه – وكان شجاعاً لا يملأ قلبه شي – ومات ثعلبة

(١) هذا كما ترى والله أعلم .

العنقاء وهو ابن مائة سنة . ومضى القوم حتى بلغوا الشام ، وبالشام سليح وهو قبيل من قضاعة ، فأصابوا قيصر قد تغلب على الشام وذلك بالفترة التي كانت باليمن بعد انقضاء التبابعة ، وذلك بعد موت قيصر ماهان عامل تبع شمر يرعش ، فولي بعده ابنه دقيوس بن ماهان فقالت غسان لسليح : ارعونا بلدكم ، قالوا لهم : ليس لنا من الأمر شيء وذلك إلى الملك قيصر ، فقالت لهم غسان : أنتم شفعاؤنا إليه فكلموه في غسان وأخذوا لهم منه عهد على عهد عيسى وأذن لهم بالنزول بالشام وأقاموا مع سليح وجاوروهم بأحسن جوار ، وعند غسان كتاب من عند قيصر بالعهد ، وخرج عامل لقيصر يجبي من تحت يده من الروم وغيرهم فأتى غسان يجبيهم فعظم ذلك عليهم لأنهم كانوا لا يعرفون الجباية ولم تكن التبابعة تفعل ذلك ولا هي من سنتهم وما كانوا يدخلون بيوت أموالهم إلا ما جبوه بأسيافهم . فلما آتاهم في الجباية عظم عليهم ذلك وثقل فقالوا له ان كتاب قيصر بالعهد عندنا وانما جاورنا لوجه الراحة ! قال لهم: ما أدري ما تقولون ولكنكم أدوا ما عليكم وإلا فلكم عندنا السيف والسبي ، ثم قال لهم : لا يبقى منكم إنسان إلا أعطاني ديناراً فاصطفوا صفاً واحداً فإذا مررت برجل ناولني ديناراً . ففعلوا وجعل لا يمر برجل إلا أعطاه ديناراً حتى أتى على الصفوف والملك حارثة بن ثعلبة العنقاء قائم بمعزل عنهم فقال لهم : ما بال هذا لا يعطيني ! قالوا له: ذلك الملك ابن الملك ، قال لهم : لا أعرف ملكاً غير قيصر ، فقال له : هات ديناراً ، فقال له حارثة : أنا راعي قومي والملك أبصر لنفسه يحمل عنهم الضيم ولا يؤدي قومه إلى ما يكرهون [1] ــ وكان اسم الجابي وسيطاً ــ فمر على جذع بن سنان وهو واقف في طرف الناس

(١) كذا وهو غير ظاهر .

وفي يده سيف خلق الجفن وقد قعد به الدهر – فقال له جذع : خذ سيفي حتى أعطيك ديناراً فكاكه ، فانتهره الرومي وقال : أدخله في حرامك . فلم يسمع ما قاله ، ولكنه علم أنه لم يقل خيراً له ، فقال لمن حوله : ما قال ؟ قالوا له : لم يقل شيئاً وكرهوا أن يعلموه لشدة نفسه ، فقال له ابن أخت له قال : كذا وكذا ، فسل جذع سيفه فضرب به رأس الرومي فرماه ، ثم قال : خلفت الراحة والدعة في سد سبأ ، ثم أحمل ضيماً لطلب الراحة والدعة ، فقال رجل من سليح للجابي : خذ من جذع بن سنان ما أعطاك ؟ قال : فذهبت مثلاً ، وخرج كاتب لقيصر فأعلمه الذي كان فبعث إليهم قيصر مائة رجل ليسوقوا غسان فيقتلوا منهم من شاؤوا فلقوهم غسان بوادي الكسوة (تسمى بذلك للكسوة التي أخذت غسان من الروم فيه) – فعمدت غسان إلى المائة الرجل فقتلوهم وأخذوا كسوتهم وخيلهم وأتى الخبر إلى قيصر فبعث إلى غسان الجاثليق وقال له : انظر لي خبر القوم وما هم عليه فأتى الجاثليق إلى غسان فوجدهم على عهد قيصر وأخرجوا له كتاب قيصر فرجع اليه فأعلمه بذلك وقال الجاثليق لقيصر : أيها الملك ارفع عن القوم الجور واعلم أن لهم منعة فاكفف عنهم جندك واوف لهم شرطك فبعث إليهم أن ابعثوا إلي بمائة رجل من أشرافكم وخياركم حتى أعهد بيني وبينهم عهداً واعقد لهم عقداً – وان الأعاجم سريعة قلوبهم إلى الغدر عند الغلبة – فلما آتاهم رسول قيصر قال حارثة : ما تقول يا جذع ؟ قال له جذع : كلا يا حارثة ليس الأمر على ما قال قيصر ولكن ارسل معي تسعة وتسعين عداً وأنا تمام المائة ، فقال له حارثة : الرأي رأيك ، فسار إليه . فلما أتى جذع إلى قيصر قال : من أنت ؟ قال : جذع بن سنان ، قال قيصر : ومن هؤلاء الذين معك سمهم ؟ قال له جذع : هؤلاء تسعة

وتسعون عبداً ليس فيهم حر غيري ، وأما على أن يأتيك خيارنا ووجوهنا فتفعل بهم بأمرك فلا فافعل خيراً إن أردته وان كان شراً قتلت تسعة وتسعين عبداً وقتلتني شيخاً أعور أصم. فلما رأى قيصر ذلك وأنه لم ينل حاجته شاور أصحابه وقال لهم : ما ترون ؟ فقالوا له إذا لم تنل حاجتك فاعط هذا الكلب الأصم حاجته ، فقال له قيصر : ما حاجتك ؟ فقال له جذع : ان في نفسك منا شيئاً لا بد لك منه ومقامنا معك غرور وأنت ملك تقدر أن تقول فتفعل ، وإذا قدر الأعجمي فعل ونحن العرب نقدر ونترك لطفاً ورأفة . فقال قيصر : أسمعتم ما لقيني به هذا الكلب الأعمى ! قالوا له رجاله : أتنذر الحب العالم لمن يريد أن يذبحه قاتل [1] فقال له جذع : اكتب لي كتاباً بالصلح بيني وبينك واعطنا فيه ذمة ابراهيم واسحاق وتفي بالكتاب الأول الذي قد كنت كتبت لنا ولا تمنع منا من أراد الدخول في بلدك ولا من أراد الخروج ولا تمنعنا مرعى نرعاه ولا يأتينا عدو الا كانت عساكرك أنصارنا ولا يظلمنا ظالم إلا نصرتنا والمواساة منك بالعدل . فأعطاه ذلك وكتب له كتاباً وأرسله إلى عامله وأرسله العامل إلى حارثة وقال لهم : لكم العدل المقام متى شئتم الرحيل متى شئتم ، فقال جذع لأصحابه : أعطاكم الله عطفاً تحته حتف ، فأعطوه استقامة تعقبها ندامة واحذروا فاني لا آمنه عليكم ! انما أراد أن يسكنكم حتى تسكنوا ، ثم يفاجئكم بغدره كأن قلبه لكم كالمرجل واني والله ما التقى بصره وبصري حتى رأيت العداوة في نظره وبعد ذلك فان ظريفة قد وصفت لكم من يقيم بأرض الشام وما تلقون من حروبهم – وانهم بنو علبة بن عمرو وهم بنو جفنة – فأقيموا وقد وصفت من يلحق بيثرب فانهم يا حارثة بنوك وبنو بنيك فأطيعوني

---

(١) كذا – ولعله أبذر الحب العام لمن تريد أن تذبحه قابل – ح .

فما زلت لكم ناصحاً ، فقال له حارثة : صدقت يا جذع . فسار حارثة وبنوه الأوس والخزرج للوصف الذي قد كانت ظريفة وصفته لهم ، وأقام بنو جفنة ومن أقام معهم من أخوانهم من بني عمرو بن عامر وغيرهم من قبائل الأزد ، فدخلوا في نسب بني جفنة — وهم بنو قيس بن جفنة وعمرو ابن جفنة وعامر بن جفنة وجبلة بن جفنة وأولادهم — وتقدم حارثة بن ثعلبة العنقاء إلى يثرب وقدم عمرو بن جفنة على قومه وأخوته وبني عمه بالشام وانصرف حارثة إلى يثرب .

(عمرو بن جفنة أول من تتوج من ملوك غسان بالشام)

وان عمرو بن جفنة نزل أرض البلقاء أرضاً يقال لها « بالعة » وبلغ ذلك قيصر دقيوس أن ملكهم حارثة خرج يريد أرض العرب ، ولم يبق إلا أناس فجمع إليهم روم البلقاء وأمر سليح أن تعين الروم فقالت سليح : نغدر بأخواننا وقد لجؤوا إلينا ولم نر منهم الا خيراً فقال لهم رجل منهم : إنكم بين أمرين : إما قيصر وإما غسان فكونوا بأجسامكم مع قيصر وبقلوبكم مع غسان ، ففعلوا فالتقوا بالبلقاء فاستدعت سليح الهزيمة على الروم وغمهم تطاول الروم عليهم وغدرتهم بغسان ، فقتلت غسان من الروم بالبلقاء مقتلة عظيمة ، فقال في ذلك عمرو بن جفنة :

كأن الجماجم بيض النعام ... بقارعة الشعب من بالعه

أقمنا الظبي في رؤوس العدى ... نقد بها في الوغى قاطعـــة

على كل طرف رفيع القذال ... وقباء سلهبة رائعة

ثم انهم التقوا مرة ثانية بمرج الظباء وهو يوم حليمة فتداعت عليهم الروم وكثروا وبنو جفنة قليل ومن كان معهم قليل فصبروا للروم فاقتتلوا

قتالاً شديد . فلما رأى عمرو بن جفنة قلة قومه وازدياد الروم وتكالبهم عليهم وسليح وكنانة وجذام مع الروم على غسان ورأى ذلك زيد ين نمر الكناني نادى يا آل حلب تأنف النفوس من هذا ما ترون الروم يقتلون غسان ويهدمون بني قحطان ونحن نسر بذلك ونعين عليهم وان عمرو بن جفنة قال : يا بني جفنة أطيعوني في أمر أشير به عليكم قد افترق عنكم من هولكم وفشت فيكم الجراح وتكالبت العلوج عليكم والله لامرن السيف على ودجي قبل أن أولي ظهري أعجمياً ، قالوا له : رأيك يا عمرو ؟ فأرسل الى قيصر في المهادنة ، فأرسل إليه القيصر : لا صلح حتى ترموا سلاحكم وتسلموا أنفسكم للبلاء ، فقال في ذلك غسان بن جذع ابن سنان :

لعمري لقد فاز الذين تقدموا وصاروا إلى عز ولم يتذللوا
فما الموت عار أن يصاب به الفتى ولكن عاراً أن يزول التجمل
فلا تخضعوا للدهر عند ملمــة فكل الذي يؤتي به المرء ينزل

ثم نهض للقتال مع غسان فأرسل اليهم قيصر أن احبسوا سلاحكم واسمعوا وأطيعوا . فأرسل إليهم عمرو بن جذع بن سنان فقال له : نحن قوم لم تجر علينا طاعة لأحد غير تبع وكانت علينا وعليكم ولكن أرى ما أحببت غير هذين فقال : أعطوني ديناراً جزية عن كل واحد منكم ، فصالحوه على أن يعطوه ديناراً عن كل واحد ، وأتى رسول قيصر يجبي المال من غسان، فنزل بباب دمشق فسمي باب الجابية إلى اليوم ، ثم ان غسان أخذتهم سنة جدبة فنزلوا بواد يقال له «المحفف» وشتوا فيه في جهد شديد ، ثم ان عاملاً لقيصر من سليح يقال له وسيط بن عوف الضجعمي أرسله قيصر إلى غسان وأمره فيهم بالغلظة وقال لرجاله : القوا بهم الشر

بالشرفان كان شراً كان برؤوسهم وان كان خيراً فلنا وان وسيطاً أتى غسان ليستوفي منهم الأتاوة في أصحابه ومعه نفر من الروم ومن وجوه روم الشام فجمع وسيط الأتاوة حتى انتهى إلى دار جذع بن سنان فوجدوه وامرأته تغسل رأسه وفي رأسه شيب كثير فضحكت الروم وعلم ذلك جذع وأسره في نفسه . فلما نظرت امرأة جذع إلى وسيط وجماعة الروم القت بكمها على رأسها وكانت من أجمل النساء فجعلوا يختلسون النظر إليها وجذع ينظر ، فقال لها وسيط : اعطيني ما عليك واتركي جذعاً فقال له جذع : يا وسيط أما ترى ما نحن فيه من الهزال وما بينك وبين الخصب إلا انسلاخ هذا الشهر فاصبر إلى أن تأخذ فقال له وسيط : ما أنا بفاعل ، قال جذع : اصبر اغسل رأسي وأعطيك ، فقال له رجل من الروم : دع الكلب يغسل صوفه ، فقال له وسيط : والله ائن لم تعجلن لآخذن بيد امرأتك ، فقام جذع وترك الغسل وقال : علي ببني وبني أخي اودي عنهم فنادى بهم فآتوه ، ثم دخل بيته فأخذ سيفه ، ثم قبض على القائم وأعطى وسيطاً النعل فأخذها وسيط فضربه جذع بالسيف بعد أن أخرجه وضرب رأسه إلى الأرض وقال لبنيه وبني أخيه : عليكم بالعلوج فتواثبوا إلى العلوج فقتلوهم أجمعين وأخذوا ما معهم من المال الذي جمعوه من غسان ، ثم قال (لا يرد الشر إلا الشر) فذهبت مثلاً ، ثم نادى في غسان من أعطى شيئاً فليأخذه فأخذ كل رجل منهم ما له وأخذ جذع وبنوه مال الروم وكساءهم وكانوا مائة رجل . واجتمعت سليح لقتل وسيط واشتعلت الحرب بين الروم وغسان ونصرت سليح الروم فقاتلهم غسان وأتى حارثة بن ثعلبة العنقاء في بني عمه وبني جفنة وعدد عظيم من الأزد إلى الروم فجمع جمعاً عظيماً وأتى بهم إلى غسان فاقتتلوا بالمحفف [1] فقاتلوهم قتالاً شديداً

---

(١) كذا ولم نجده – ح

فانهزم قيصر إلى الدرب فأرسل إلى غسان وخشي أن يدخل عليه من الخلل في ملكه وخشي أن يفتق عليه ما لا يستطيع رتقه وقال لهم : ان الرعية قد ظلمتكم ولم أعمل بظلمكم إلى الآن فصالحوه على ما أرادوا وعظم ملك عمرو بن علبة وبني جفنة - وعمرو وهو أول ملك من آل جفنة متوج بالشام حتى أخرجهم جبلة بن الايهم . فقال في ذلك رجل من غسان يقال له حبة بن الأسود :

فمن مبلغ عنا يماني قومنا ... بأنا قتلنا بالمحفف ضجعما
قتلنا سليحاً والذين تضجعموا ... بأسيافنا اذ صيروا الأمر مبهما
أرادوا ليجروا عند ذلك جزية ... علينا ويضحى ما لنا ثم مغنما
وما ان قتلناهم بأكثر منهم ... ولكن بأولى بالطعان واكرما
أراد ملوك الروم أن يبلغوا العلا ... فلاقى وسيطاً نحبه يقطر الدما
فذوقوا من الوجد الذي هو دائم ... فان لكم يوماً عبوساً سرمرما

قال : ثم ان الروم صالحت غسان . على أن لغسان ملك الشام وأن لأشرافهم بالشام ما لأشراف الروم بأرض الروم وأن لملكهم طعمة على الروم وعلى الروم إن دهمت غسان شدة أربعة آلاف فارس وثمانية آلاف راجل . فلبثوا على ذلك دهراً ، ثم ان الملك حارثة بن ثعلبة ترك بني عمه بالشام وسار حارثة يريد يثرب بمن معه من ولده وولد ولده ، وسار معهم ثعلبة بن جفنة أخو عمرو بن جفنة ومعهم جذع بن سنان فوردوا يثرب فنزلوا بصؤار وأهل يثرب يومئذ اليهود وملكهم شريف بن كعب اليهودي ، فقال لحارثة بن ثعلبة : لا ندعك تقيم معنا إلا على شرط وعهد تكتبونه بيننا وبينكم ، قال له حارثة : وما هو ؟ قال : تكتبون عهداً بين بني اسرائيل وغسان : أن اليهود لغسان حاضرة وان غسان لليهود بادية ،

فقال جذع : عاهدوهم حتى تعفى أموالكم وتستريح دوابكم وأنفسكم ، فانه يحدث بعد الأمر أمر — وهم عجم والعجم لا تقيم على عهد إلا على الذل والخوف — ولا يصبرون على خطة وانكم تجدون فيهم ما تريدون ، فنزلوا وكتبوا العهد وأقاموا زماناً . وان رجلاً من غسان اشترى من يهودي كرباسة بأربعة دراهم فاشترط عليه الغساني ان يريها لأهلـه ، فان لم يرضوها ردها عليه ورد اليهودي عليه دراهمه.وأشهد رجالاً من غسان كانوا بحضرته . وان الغساني لم يرضوا أهله الكرباسة فردها على اليهودي فأبى أن يقبلها منه اليهودي ، ورجع الغساني راجعاً بها إلى أهله فسبوه وقالوا له : فزعت من اليهودي . فردها إلى اليهودي ثانيه فسبه فانتهره . فترافعا الى شريف بن كعب ، وأتى الغساني بالشهود الغسانيين فشهدوا أنه قد اشترط عليه ردها ان لم يرضوها أهله ، فقال لهم شريف : أنتم معاشر غسان لكم آنفة وأنفتكم تحملكم على شهادات الزور ، قال له شهاب بن عبدالله الغساني : كذبت بل لنا أحساب تمنعنا من شهادات الزور بلى قد كان بينهما ما كان ولكم أنتم يا شريف بكل أرض أذلاء إلا بأرض العرب ، فكيف لا تسرع بلسانك في سبهم ولو البسوك الذلة وكسوك المسكنة لعرفت لهم حقهم ، ثم سار بقومه فولي بهم وان صاحب الكرباسة أتى إلى جذع بن سنان فشكا إليه ما نزل به من اليهودي ومن أهله . فمشى جذع إليه وكلمه وقال له : خذ من الرجل كرباستك ورد عليه دراهمه ، فقال اه اليهودي : يا أعور أمرتني عينك الواحدة فامهل حتى تأمرني عينك الأخرى . فولى جذع وأخذ بيد صاحبه وخلا به وقال له : ويحك ان قومي قد تشاء موابي واني لا أحمل فيهم ضيماً وانصب روحي غرضاً دونهم واني أجني عليهم الجنايات وأسوق إليهم الحروب ، وسأبلغ مرضاتك

فاصدقني الخبر على وجهه ان كنت ظالماً أو مظلوماً فانه أطيب لنفسي ، فحلف له الغساني أنه مظلوم . فبعث جذع إلى ابن أخت له أن أجلب الي قومك . فلما آتاه بهم قال لهم مروا بناتكم يدخلن يثْرب على نساء اليهود يضربن نسائهم وكونوا أنتم على أهبة وخذو ولاماتكم فاذا سمعتم الصيحة اقتلوا من وجدتم من اليهود واسكنوا في المدينة فلم يتحرموا علينـــا إلا بهذه المدينة، وان جذعاً مضى إلى صاحب الكرباسة فجلس بازائه . فلما وقعت الصيحة كان أول قتيل قتله جذع ، ثم قامت الصيحة في السوق فانتهبته غسان وقتلوا من فيه فلم تصل الصيحة إلى منزل شريف الا وغسان في المدينة – فما وصل إلى المدينة وكان بين منزل شريف وبين المدينة عشرة أميال – وان غسان تمكنوا منها وأخذوا ما كان فيها من مال وسلاح وثياب واتقوا به غسان ، ثم حبسوا نساء اليهود عندهم واتقوها [1] . فلما رأى اليهود ما لقوا من قتل الأنفس ونهب الأموال وسبي الذرارى طلبوا الصلح ومفادة الأولاد ، ثم أرسلوا إلى من كان منهم من يهود الشام يستنصرون بهم على غسان ، وجعلوا ذلك مكراً وخديعة ، وبلغ الأمر إلى حارثة الملك وما اجتمع إلى يهود من أخوانهم من أهل خيبر وفدك والعوالي والشام . فقال لجذع : ما ترى ؟ فقال له جذع : كلما كثْروا كان أضعف لهم ، ولكن ابعث إليهم بالصلح فصالحوهم على أن يعطوهم من حوزة يثْرب ومنازلهم ما يكفيهم ويسعهم وينزلون معهم ويجاورونهم . ففعلت اليهود ذلك ورضوا به ونزلت الاوس والخزرج بيثْرب وسكنوا فيها .

قال ابو محمد : ولما كان الوقت الذي أراد الله فيه خراب السد انهدم فأرسل الله سيل العرم ففاض على الأرض فاحتملها ، فلم يبق منها إلا ما ذكر الله في كتابه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم (لقد كان لسبأ في مساكنهم آية جنتان) إلى قوله (أكل خمط) الآية . وقد قال في

(١) في الأصل والعرها وهو غير واضح .

ذلك كثير من العرب الأخبار والأشعار ـ قال الأعشى :

وفي ذاك للمؤتسى أسـوة بمأرب عفى عليها العرم
رخام بناه لها حمير إذا جاء دفاعه لم يـرم
فاروى الزروع وأعنابها على سعة ماؤهم إذ قسم
فساروا أيادي لا يقدرو ن منها على شرب طفل فطم

وقد ذكرته العرب في أخبارها وأشعارها في مواضع كثيرة .

(ربيعة بن نصر بن مالك متوج باليمن بين أضعاف التبابعة)

قال ابو محمد : حدثني زياد بن عبدالله عن محمد بن اسحاق قال : كان ربيعة بن نصر بن مالك بين أضعاف التبابعة ، فرأى رؤيا هالته فجمع كل من كان في اليمن من منجم وكاهن وساحر فقال لهم : قد رأيت رؤيا هالتني وفزعت منها فاخبروني بها وبتأويلها ، فقالوا له : أيها الملك اقصصها علينا نخبرك بتأويلها ، قال لهم : ان أنا أخبرتكم بها لا أصدقكم في تأويلها وان انتم أخبرتموني بهاصدقتكم؟ فقال له رجل منهم : فان كنت تريد هذا فابعث إلى سطيح وشق فانه ليس أحد أعلم منهما . فبعث إليهما فأقبل إليه سطيح قبل شق فقال له : اني رأيت رؤيا هالتني وفزعت منها فاخبرني بها وبتأويلها وان أنت أصبتها أصبت تأويلها فقال له : افعل أيها الملك ، رأيت أيها الملك حممة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة ، فقال الملك : ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح ـ فما عندك في تأويلها ـ فقال : احلف بما بين الحرتين من حنش ليملكن أرضكم الحبش وليملكن ما بين أبين إلى جرش . فقال له الملك: وأبيك يا سطيح

ان هذا لغائظ لنا موجع ، فمتى هو كائن أفي زمامنا هذا أم بعده ؟ فقال : بعده بحين أكثر من ستين إلى سبعين – قال : فيدوم ذلك من ملكهم أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ويخرجون منها هاربين . فقال : ومن يلي ذلك من اخراجهم ؟ قال : يليه ارم ذو يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحداً منهم باليمن . قال : فيدوم ذلك من ملكه أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع . قال : ومن يقطعه ؟ قال : بني زكي يأتيه الوحي من قبل العلي . قال : ومن هو هذا النبي ؟ قال : هو من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون ملكه إلى آخر الدهر . قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال : أحق ما تخبرني ؟ قال : أي والشفق والغسق والفلق اذا اتسق ان ما نبأتك به لحق . قال : ثم قدم شق وقال له مثل قوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح لينظر هل يتفقان أم يختلفان فقال له شق : رأيت في منامك أيها الملك حممة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذاتِ نسمة . فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً فما عندك في تأويلها ؟ قال : احلف بما بين الحرتين من انسان لينزلن أرضكم السودان وليملكن كل طفلة البنان وليغلبن على ما بين ابين إلى نجران . قال له : يا شق ان هذا لغائظ لنا موجع فمتى يكون في زماننا هذا أم بعده ؟ قال : لا بل بعده بزمان . ثم يستفزهم ملك عظيم الشأن ويدفعهم بأشد الهوان . قال : ومن هو العظيم الشأن ؟ قال : غلام ليس بدني ولا مزن يخرج من بيت ذي يزن . قال : أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل يقطع برسول مرسل يأمر بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل . قال له : وما يوم الفصل ؟

قال : يوم تجزى فيه الولاة ويدعى فيه من السماء بدعوات يسمعها الأحياء والأموات ويجمع فيه الناس للميقات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات قال : أحق ما تقول . قال : أي ورب السماء والأرض وما بينهما من رفع وخفض . قال فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالا فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم وكتب كتاباً إلى سابور بن خرزاد فاسكنهم الحيرة فمن بقية ولد ربيعة بن نصر هو النعمان بن المنذر . فلما هلك ربيعة ابن نصر رجع ملك اليمن إلى تبان أسعد أبي كرب .

(تبان أسعد أبو كرب ملك متوج باليمن)

قال ابن هشام ويقال له — الرائش بن عدي بن صيفي بن سبأ الأصغر ابن كعب كهف الظلم — وتبان أسعد أبو كرب هو الذي قدم المدينة وساق الحبرين من اليهود وكسا البيت الحرام وكان ملكه قبل [1] ربيعة ابن نصر وهو الذي يقال له :

ليت حظي مــن أبي كرب أن يسد خيره خبلــه

وكان جعل طريقه حين قفل من المشرق إلى المدينة ، وكان قد مر بها في بداية أمره ، فلم يهج أهلها وخلف بين أظهرهم ابناً له فقتل غيله — قتله عمرو بن طلة الأنصاري من بني عدي بن النجارفزاد ذلك تبعاحنقاً عليهم فقاتلهم فتزعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه نهاراً ويقرونه ليلاً ويعجبه ذلك منهم ، ويقول : ان قومنا لكرام فبينما تبع ذلك من حربهم إذ جاءه حبران من أحبــار اليهود من قريظة آتياً إليه حين سمعــا أنه يريد خراب

---

(١) كذا وفيما يأتي آخر الترجمة وظاهر ما تقدم خلافه — ح .

المدينة وهلاك أهلها فقالا له : أيها الملك لا تفعل فانك ان أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبين ما تريد ولم تأمن من العقوبة ، قال لهما : ولم ذلك فقالا له : لأنه حرم مهاجرة نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان يكون داره وقراره فأعجبه ما سمع منهما ورأى أن لهما علماً فبنى المدينة وانصرف عنها واتبعهما ، وهذا الحي من الأنصار يزعمون انما كان حنق تبع على اليهود وانما كان مراد تبع هلاك اليهود فمنعه الحبران من ذلك وكان أصحابه أصحاب أوثان يعبدونها . فتوجه إلى مكة وطريقه إلى اليمن حتى إذا كان بين عسفان وامج آتاه نفر من هذيل فقالوا له : أيها الملك ندلك على بيت مال داثر فيه اللؤلؤ والذهب والفضة ، قال لهم : بلى . قالوا له : هو بيت بمكة يعبده أهله ويصلون عنده وانما أراد الهذليون بهذا هلاكه لما عرفوا من هلاك كل من أراد مكة من الملوك بسوء فأرسل إلى الحبرين فسألهما عن ذلك ؟ فقالا : ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك ، أوما علمت ان الله تعالى بيتاً في الأرض اتخذه لنفسه ولئن أنت فعلت ما أمروك به لتهلكن وليهلكن جميع من معك . قال : فما تريان ؟ إني اصنع قالا له : اصنع عنده ما يصنع أهله وتطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق رأسك عنده وتتذلل له حتى تخرج من عنده . قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ فقالا له : أما أنه لبيت أبينا ابراهيم الخليل وأنه لكما أخبرناك به وان أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله والدماء التي يهرقون عنده فعرف صدق حديثهما وقرن النفر الهذليين وقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بمكة سبعة أيام ينحر للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل . ورأى في المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف وهو حصير من السعف . ثم رأى

أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والأردية والحرير فكان تبع أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرهم وأمر بتطهيره وأن لا يقربوه بدم ولا ميتة وجعل له باباً ومفتاحاً وانصرف إلى اليمن .

(قصة النار التي كانت تعبدها حمير وكيف تركتها ورجعت الى دين اليهودية)

وان تبعاً لما رجع إلى اليمن بمن معه من الجنود والحبرين معه . فلما وصل إلى اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن .

قال ابن هشام : وان تبعاً لما دخل اليمن حالت حمير بينه وبينها وقالوا له : لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا . قال : انه خير من دينكم ، فقالوا له : حاكمنا إلى النار ، قال : نعم . وكانت باليمن فيما يزعم اهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضر المظلوم شيئاً فخرج قومهم بأوثانهم وما يتقربون به ، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلدين بها حتى قعدوا للنار عند مخرجها — فخرجت النار إليهم — فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها ، فأمرهم من حضر بالصبر وصبروا حتى غشيتهم وأكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير . وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما ولم تضرهما ، فاتفقت عند ذلك حمير على دينه فمن هناك كان أصل دين اليهودية باليمن . وقد حدثني محدث أن الحبرين ومن خرج من حمير اتبعوا النار ليردوها وقالوا : من ردها فهو أولى بالحق فدنا منها رجال حمير

ليردوها فلم يقدروا ودنت منهم لتأكلهم ولم يستطيعوا ردها ، فدنا منها الحبران بعد ذلك وجعلا يتلوان التوراة وهي تنكص إلى مخرجها الذي خرجت منه . فرجعت عند ذلك حمير إلى دين الحبرين . والله أعلم ، أي ذلك كان .

وكان رئام بيتاً له يعظمونه وينحرون عنده ويتكلمون فيه اذ كانوا على شركهم ، فقال الحبران : لتبع انما هو شيطان يفتنهم فخل بيننا وبينه فقال : شأنكما به ، فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلباً أسود فذبحاه ثم هدما ذلك البيت . ويقال ان تبعاً هو الذي آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يره وهو القائل شعراً :

شهدت على أحمد أنـــه ... رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره ... لكنت وزيراً له وابن عم

وعمر ملك تبع ثلاثمائة وعشرين سنة ، فلما هلك ولي بعده ربيعة بن نصر — الذي تقدم ذكره — فلما هلك ربيعة بن نصر رجع الملك إلى حسان ابن تبان .

(حسان بن تبان أسعد أبو كرب ملك متوج)

والملك حسان بن تبان أبو كرب هو الذي بعث إلى جديس باليمامة فأبادها — وكانت جديس وطسم تنزل باليمامة وكان بها ملك من طسم كانوا لا يزوجون امرأة من جديس إلا بعث إليها ليلة هدائها فافترعها قبل أن تزف إلى زوجها — فوثبت جديس على طسم فقتلت مقتلة عظيمة . فبلغ ذلك إلى الملك — وكان اسمه عملوق — فمضى جمع من طسم إلى

حسان تبع مستنصراً به فوجه جيشاً إلى اليمامة - وتسمى يومئذ جوا - وكان بها امرأة يقال لها زرقاء اليمامة تبصر الراكب على مسيرة ثلاثة أيام وباسمها سميت اليمامة . فلما خافوا أن تبصرهم قطعوا الشجر وجعل كل واحد منهم بين يديه شجرة . فنظرت إليهم اليمامة فقالت : يا جديس لقد سارت إليكم الشجر وأتتكم حمير . فقالوا : وما رأيت ؟ فقالت : رأيت في الشجر رجلاً معه كتف يأكلها ونعلاً يخصفها ، فكذبوها . فصبحتهم حمير فأوقعت بهم وقعة أفنتهم إلا يسيراً . وسار حسان بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم العرب والعجم حتى إذا كان بأرض العراق كرهت حمير المسير معه وأرادوا الرجعة إلى بلادهم ، فكلموا أخاً له يقال له عمرو - وكان معه في جيشه - وقالوا : اقتل آخاك حسان وتملك أمرنا ونرجع إلى بلادنا . حتى أجابهم وأجمعوا على ذلك غير رجل يقال له ذو رعين الكلاعي فإنه نهاه عن ذلك ، فلم يقبل منه فقال في ذلك :

ألا من يشتري سهرا بنوم إلا من لا يبيت قرير عين
فأما حمير غدرت وخانت فمعذرة الآله لذي رعين

ثم كتبهما في رقعة وختم عليها وقال له : أيها الملك احبس هذه عندك فمسك الرقعة وقتل أخاه وتابعته حمير ورجع إلى اليمن ومعهم وولي .

(عمرو بن تبان ملك متوج)

وملك عمرو بن تبان فمنع النوم فشكا ذلك فقيل له : لا يأتيك النوم حتى تقتل من أمرك بقتل أخيك - فنادى في أهل مملكته - أن الملك يريد أن يحدث عهداً ، فاجتمعوا إليه وأقام لهم الرجال وقعد في مجلسه وأمرهم

أن يدخلوا عليه خمسة بعد خمسة ، فإذا دخلوا عدل بهم فقتلوا حتى أتى على عامة القوم ، ثم أدخل ذو رعين فلما رآه ذكر ما قال له في البيتين اللذين في الكتاب فأمر بتخليته وأكرامه وقربه واختص به . واضطربت عليه أموره وبرد العز فسمي موثبان لقعوده والمواثب الفراش ، وأرادوا أنه لازم الفراش . وفي مملكته تزوج عمرو بن حجر الكندي جد امرىء القيس الشاعر ابنة أخيه حسان تبع فولدت الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو – وكان سيد كندة وكان من فوارسها – وكان ملك عمرو بن تبان ثلاثاً وستين سنة .

(عبد كاليل[1] بن ينوف ملك متوج)

ثم ملك بعده عبد كاليل بن ينوف وكان مؤمناً على دين عيسى وستر ايمانه ، وكان ملكه أربعاً وستين سنة – وكان حسن السيرة جيد العشرة وكان قليل الغزو .

(تبع[2] بن حسان ملك متوج)

ثم ملك بعده تبع بن حسان بن تبع ، وهو تبع الأصغر آخر التبابعة – وكان مهيباً – فبعث ابن بنت أخيه الحارث بن عمرو بن حجر الكندي إلى معد وملكه عليها وسار إلى الشام فلقيه قوم من بني عمرو بن عامر فشكوا إليه ما نزل بهم من اليهود بيثرب وذكروا له سوء مجاورتهم لهم ونقضهم العهد الذي بينهم . فسار إلى يثرب ونزل في سفح أحد وبعث إلى اليهود فقتل منهم ثلاثمائة رجل وذللها لهم . وتبع هذا – هو الذي عقد الحلف بين اليمن وربيعة – وكان ملكه ثمانية وسبعين سنة .

---

(١) كذا – وفي صبح الأعشى – عبد كلال بن مثوب – ح .

(٢) في صبح الأعشى ومروج الذهب مرثد بن عبد كلال – محل هذا – ح

(ربيعة بن مرثد[1] ملك متوج)

ثم ملك ربيعة بن مرثد بن عبد كاليل ، وكان عاقلاً حسن التدبير ، وكان ملكه سبعاً وثلاثين سنة .

(حسان بن عمرو ملك متوج)

ثم ملك حسان بن عمرو بن تبع — وهو الذي آتاه خالد بن جعفر بن كلاب في أسارى قومه فأطلقهم — وكان ملكه خمساً وثلاثين سنة .

(أبرهة بن الصباح ملك متوج)

ثم ولي أبرهة بن الصباح — وكان عالماً جواداً — وكان يعلم أن الملك في بني نضر بن كنانة ، فكان يكرم معداً ، وكان ملكه ثلاثاً وسبعين سنة .

(لخيعة بن ينوف[2] ملك متوج)

ثم ملك بعده رجل ليس من أهل الملك ولكنه من أبناء المقاول يقال له « لخيعة بن ينوف » فقتل خيارهم وعبث ببيوت أهل الملك منهم — وكان رجلاً فاسقاً يعمل عمل قوم لوط ، وكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه في مشربة قد صنعها لذلك — ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده — وقد أخذ مسواكاً جعله في فمه ليعلمهم أنه قد فرغ — ولم يزل كذلك حتى بلغ إلى زرعة ذي نواس بن تبان أسعد أخي حسان — وكان صبياً صغيراً — حين قتل حسان ، ثم شب غلاماً جميلاً ،

---

(١) في صبح الأعشى وليمة وفي مروج الذهب وكيعة .

(٢) كذا في القاموس — وفي هذا الاسم خبط كثير

فلما آتاه رسوله عرف ما يريده فأخذ سكيناً لطيفاً وجعله بين قدمه ونعله . ثم آتاه، فلما خلا به وثب عليه ذو نواس فقتله، ثم حز رأسه وجعله في الكوة التي كان يشرف منها على الحرس ووضع مسواكه في فمه ، ثم خرج على الناس فقالوا له : ذو نواس أرطب أم يباس ؟ فقال لهم : سل تحماس اسطرباس لاباس[1] فلما نظروا إلى الكوة إذا رأسه مقطوع .وكان ملكه سبعاً وعشرين سنة.

(ذو نواس زرعة بن تبان أسعد ملك متوج)

فلما بلغ حمير ما فعله ذو نواس قالوا له : ما ينبغي أن يكون لنا ملك غيرك ، إذ قد أرحتنا من هذا الخبيث – وكان آخر ملوك حمير – فأقام في ملكه زماناً وهو صاحب الأخدود الذي ذكره الله في القرآن ، وذلك أنه بلغه عن أهل نجران أنهم آتاهم رجل من آل جفنة من غسان ، فردهم إلى دين النصرانية ، فسار إليهم ذو نواس بنفسه حتى احتفر أخاديد في الأرض وملأها ناراً ، فمن تابعه على دينه خلى عنه ومن أقام على النصرانية قذفه فيها حتى أتى بامرأة ومعها صبي صغير ابن سبعة أشهر فقال لها : ابنها امضي يا أماه على دينك فانها نار وليس بعدها نار ، فمر بالمرأة وابنها في النار رجل يقال له ذو ثعلبان واسمه دوس ، فسار في البحر إلى ملك الحبشة فأخبره بما فعل ذو نواس بأهل دينه ، فكتب ملك الحبشة إلى قيصر يعلمه بما فعل ذو نواس ويستأذنه في التوجه إلى اليمن . فكتب إليه يأمره بالمسير إليها . فأعلمه أنه سيظهر عليها وأمره أن يولي ذا ثعلبان أمر قومه ويقيم فيمن معه باليمن . فأقبل ملك الحبشة في سبعين الف رجل فجمع أهل ذو نواس وحاربهم فهزموه وقتلوا كثيراً من أصحابه ، ومضى مهزوماً – وهم

---

(١) في السيرة – استرطيان ذو نواس استرطيان لاباس – قال ابن هشام هذا كلام حمير وتحماس الراس .

في أثره إلى البحر – فاقتحم فيه فغرق بمن معه من أصحابه ، وكان ملك ذي نواس ثمانية وثلاثين سنة ، فقال رجل من حمير يرثي حمير وذهاب ملكهم :

دعيني لا أبا لك لن تطيقي ... لحاك الله قد انزفت ريقي
لدى عزف القيان اذ انتشينا ... واذ نسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس علي عاراً ... إذا لم يشكني فيه رفيقي
فان الموت لا ينهاه ناه ... ولو شرب الشفاء مع السويق
ولا مترهب في اسطوان ... يناطح جدره بيض الانوق
وغمدان الذي حدثت عنه ... بنوه مسمكاً في رأس نيق
مصابيح السليط يلحن فيه ... إذا أمسى كتوماً ماض البروق
فاسلم ذو نواس مستكيناً ... وحذر قومه ضنك المضيق

وان الحبشة هدمت سلحين وبينون ، وكان الذي هدمهما ارياط الحبشي ، ولم يكن يوجد مثلهما في الدنيا – فقال في ذلك شاعر من حمير :

أو ما رأيت وكل شيء هالك ... بينون خاوية كأن لم تعمر
أو ما رأيت وكل شيء هالك ... سلحين خاوية كظهر الادبر
أو ما رأيت بني عطاة ناهيا ... قد أصبحت تسفي عليهم صرصر[1]
أو ما سمعت بحمير وقصورها ... أمست معطلة مساكن حمير
فابكيهم أما بكيت لمعشر ... لله درك حمير من معشر

قال ابن هشام – وهو الذي عنى شق وسطيح الكاهنان – حين قال: سطيح – : ليملكن أرضكم الحبش وليملكن ما بين أبين إلى جرش –

---

(١) كذا – وفي معجم البلدان – أولا ترين ملوك ناعط أصبحوا – تسفى عليهم كل ريح صرصر .

وهو الذي عنى شق بقوله — : لينزلن أرضكم السودان وليغلبن على كل طفلة البنان ليملكن ما بين أبين إلى نجران .

(أبرهة الاشرم)

أول ملك من الحبشة افتتح اليمن وملكها — وهو الذي أراد هدم البيت — فسار إليه ومعه الفيل ، فأهلك الله جيشه بطير أبابيل ، ووقعت في جسده الاكلة ، فحمل إلى اليمن فهلك بها . وفي ذلك العصر ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وقال نفيل سائس الفيل جين رأى ما أنزل الله عز وجل من نقمته :

أين المفر والاله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب

وقال أيضاً :

ألا حييت عنايا ردينـــا نعمناكم مع الأصباح عينا
ردينة لو رأيت فلا تريــه لدى جنب المحصب ما رأينا
اذا لعذرتني وحمدت أمري ولم تأسى على ما فات بينا
حمدت الله اذ أبصرت طيراً وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيــل كأن علي للحبشان دينا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق فهلكوا على كل منهل ، فيقال : ان أول ما رؤيت الحصبة والجدري في أرض العرب من ذلك العام . فقال طالب بن أبي طالب بن عبد المطلب في ذلك :

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس وحرب أبي يكسوم اذ ملكوا الشعبا
فلولا دفاع الله لا شيء غـــيره لاصبحتموا لا تملكون لكم شربا

(يكسوم بن أبرهة الاشرم ملك متوج)

ثم ملك بعد أبرهة الأشرم ابنه يكسوم ، وسار سيرة الحبشة باليمن ، فخرج سيف بن ذي يزن الحميري – ويكنى أبا مرة – حتى قدم على قيصر فشكا إليه ما هم فيه وسأله أن يخرجهم ويليهم قيصر ويبعث إليهم من شاء من الروم فيكون لهم ، فلم يجبه إلى ما سأل . فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر – وهو عامل كسرى على الحيرة – وشكا إليه أمر الحبشة فقال له النعمان : ان لي على كسرى وفادة في كل عام فاصبر حتى يكون ذلك ففعل . ثم خرج معه فأدخله على كسرى – وكان كسرى يجلس في إيوان مجلسه تحت تاجه ، وكان تاجه مثل الهيكل فيه من الدر والياقوت والزبرجد والذهب والفضة عشرة قناطير ، وتاجه معلق بسلسلة في رأس طاقة في مجلسه وعنقه لا يحمل تاجه وانما يستر السلسلة بالثياب حتى يقعد تحت التاج فلا يراه أحد لم يره قبل ذلك إلا سجد له هيبة – فلما دخل عليه سيف بن ذي يزن برك . قال ابن هشام : ولما دخل عليه سيف بن ذي يزن طأطأ رأسه . فقال الملك : ما بال هذا الأحمق يدخل مجلسي من هذا الباب ثم يطأطىء رأسه ؟ فقيل ذلك لسيف فقال : انما فعلت هذا لهمي لأنه يضيق عنه كل شيء ، ثم قال له : أيها الملك غلبت الأغربة علينا في بلادنا ، فقال كسرى : أي الاغربة السند أم الحبشة ؟ قال له : الحبشة . وجئتك لتنصرني ويكون ملك أرضي لك . قال له كسرى : بعدت أرضك مع قلة خيرها ما كنت لأورط فارس في بلاد الحبشة لا حاجة لي بذلك . ثم أجازه بعشرة آلاف درهم وكساه بكسوة حسنة ، فلما خرج سيف نثر ذلك الورق للناس . فلما بلغ ذلك الملك قال : ان لهذا شأناً ، ثم بعث إليه

فقال : عمدت إلى حباء الملك تنثره للناس ، فقال : ما أصنع به ما جبال أرضي كلها الا ذهب وفضة يرغبه فيها . فقال : فجمع كسرى مرازبته وقال : ما ترون في أمر هذا الرجل وما حاله ؟ فقال له رجل منهم : أيها الملك ان في سجونك رجالاً حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه فان يهلكوا كان ذلك الذي أردت ، وان ظفروا كان ملكاً زاده الملك إلى ملكه فبعث كسرى بمن كان في سجونه معه — وكانوا ثمانمائة رجل — واستعمل عليهم وهرز وكان ذا سن فيهم وفضل وحسب ، وخرجوا في ثمان سفن فغرقت سفينتان ونجا منها ست إلى ساحل عدن . وجمع سيف من استطاع من قومه وقال لوهرز : رجلي ورجلك حتى نموت جميعاً أو ننصر . فقال وهرز : انصف الرجل . فخرج إليهم يكسوم بن أبرهة بجنوده ، فأرسل إليهم وهرز ابناً له فقاتلهم ، فقتل ابن وهرز ، فزاده ذلك حنقاً عليهم . فلما أخذ الناس على مصافهم قال وهرز : أروني ملككم ؟ فقالوا له : هو ذلك الذي على الفيل عاقدا تاجه على رأسه بين عينيه ياقوتة ، قال : قد رأيته اتركوه .

ووقف طويلاً وقال : أين هو ؟ قالوا له : قد ركب البغلة .

قال وهرز : بنت الحمار ذل وذل ملكه سأرميه ، فان رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتوا إلى أن أوذنكم فاني قد أخطأت الرجل وان رأيتم القوم واقد اجتمعوا فقد أصيب فاحملوا عليهم . ثم أوتر قوسه وكان لا يوترها غيره لشدتها ، ثم رمى يقصد الياقوتة التي بين عينيه فنفذت النشابة من الياقوتة وخرجت من قفاه واستدارت الحبشة عليه وحملت عليهم الفرس وقبائل اليمن فانهزموا وقتلوا وهربوا في كل وجهة . فقال سيف بن ذي يزن في ذلك :

يظن الناس بالملكين أنهما قد التأما

ومن يسمع بأمرهما فان الأمر قد فهما
قتلنا القيل يكسوما وارويناالكثيب دما

وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي في ذلك أيضاً : وقال في غير الكتاب أمية بن أبي الصلت :

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن إذ ريم البحر للأعداء أحوالا
يمم قيصر لما حان رحلتــه فلم يجد عنده بعض الذي سالا
حتى أتى ببني الأحرار يحملهم إليك عندي لقد أشرفت اقبالا[1]
لله درهم من عصبة صبروا ما ان رأيت لهم في الناس أمثالا
أرسلت أسداً على سود الكلاب فقد أضحى شريدهم في الأرض فلالا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً في رأس غمدان دارا منك محلالا
واطل بالمسك اذ شالت نعامتهم وأسبل اليوم في برديك اسبـــالا
تلك المكارم لا قعبان من لــبن شيباً بماء فعادا بعداً بوالا

(سيف بن ذي يزن أول ملك متوج)

وأقام سيف بن ذي يزن ملكاً من قبل كسرى يكاتبه ويصدر في الأمور عن رأيه إلى أن قتل وكان سبب قتله أنه أخذ من أولئك الحبشة خداماً فخلوا به في منضدة [2] فزرقوه بحرابهم فقتلوه وهربوا فطلبهم أصحابه فقتلوهم جميعاً . وانتشر الأمر باليمن ولم يملكوا أحداً على أنفسهم غير أن كل ناحية ملكوا عليهم رجلاً من حمير ، وكانوا كمثل ملوك الطوائف حتى أتى الله بالإسلام . وهذا ما كان من أخبار الملوك الدابرة والأمم

---

(١) في السيرة أنك عمري لقد أسرعت قلقاً لا .
(٢) كذا ويحتمل أنه – في قصره .

الغابرة والحمد لله على ذلك كثيراً كما هو أهله . تم الكتاب بحمد الله الوهاب.

وما ذكر من أخبار سيف بن ذي يزن الحميري في نسخة من غير هذا التأليف . قيل : لما ظفر سيف بن ذي يزن الحميري بالحبشة وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسنين[1] أتته وفود العرب واشرافها وشعراؤها لتهنئه وتمدحه وتذكر ما كان من آلائه وطلبه بثار قومه . فوفد عليه عبد المطلب بن هاشم وأمية بن أبي الصلت وأمية بن عبد شمس وخويلد بن أسد في جماعة من أهل بيته وإذا الملك جالساً في رأس غمدان – وهو الذي يقول فيه أمية بن أبي الصلت لطلب الوتر :

ان المكارم والأفضال في يزن ... لجج في البحر للأعداء أحوالا

أتى هرقل وقد شالت نعامته ... فلم يجد عنده النصر الذي سالا

ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرة ... من السنين يهين النفس والمالا

حتى أتى ببني الأحرار يقدمها ... تخالهم فوق متن الأرض أجبالا

من مثل كسرى وما دار الملوك له ... ومثل وهرز يوم الموت اذ صالا

لله درهم من عصبة خرجوا ... ما ان رأيت لهم في الناس امثالا

لا يفخرون وان جدت مفاخرهم ... فلا ترى منهم في الطعن ميالا

غر حجا حجة بيض مراحجة ... أسد تربب في الغيطان اشبالا[2]

يرمون عن شدف كأنه عطب ... في جحفل جعل الأموات اسجالا[3]

أرسلت أسداً على سود الكلاب فقد ... أضحى شريدهم في الأرض فلالا

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعا ... في رأس غمدان داراً منك محلالا

(١) في دلائل النبوة – بسنتين .

(٢) في السيرة – بيضا مرازبة غلبا أساورة – اسد اتربب في الغيضات اشبالا – ح .

(٣) كذا – وفي السيرة كأنها غبط – ح .

ثم أطل بالمسك إذ شالت نعامتهم وأسبل اليوم في برديك اسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيباً بماء فعادا بعد ابوالا

ثم استأذن وهو على سريره وتاجه على رأسه ووميض المسك في مفرقه وسيفه بين يديه وعن يمينه وشماله الملوك والمقاول وأبناء الملوك ، فسلم عبد المطلب ، ودنا واستأذنه في الكلام . فقال له سيف : ان كنت ممن يتكلم بين أيدي الملوك فقد أذنا لك . فقال عبد المطلب : أيها الملك ، إن الله جل اسمه قد أحلك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً شامخاً باذخاً وانبتك منبتاً طابت أرومته وعزت جرثومته وثبت أصله وبسق فرعه في أكرم معدن وأطيب موطن . وأنت أيها الملك رأس العرب وربيعها الذي به تخصب وأنت عمودها الذي عليه عمادها ومعقلها الذي تلجأ اليه العباد ، سلفك لنا خير سلف وأنت لنا منهم خير خلف ولن يخمد ذكر من أنت سلفه ولن يهلك من أنت خلفه ، نحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته أشخصنا الذي أبهجنا إليك لكشف الكرب فنحن وفد التهنئة لا وفد الرزية . فقال سيف : أيهم المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . قال : ابن أختنا ؟ قال : نعم أصلح الله الملك . قال : مرحباً وأهلاً وناقة ورحلا وملكاً ربحلا يعطي عطاء جزلاً قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم ، فأهل الليل والنهار ما أقمتم ولكم الحباء إذا ظعنتم ، ثم انهضوا إلى دار الضيافة وأجرى عليهم الانزال وأقاموا لا يصلون إليه ولا يأذن لهم شهراً . ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب فأحضره وأدنى مجلسه ورفع قدره . ثم قال له : يا عبد المطلب اني مفوض إليك أمراً لو كان غيرك لم أبح له به ، وجدتك معدنه فأطلعتك عليه : اني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون خيراً عظيماً وخطراً جسماً فيه شرف الحياة

وفضيلة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة . فقال عبد المطلب : أيها الملك عز جدك وطال عمرك ودام ملكك ، فهل الملك مخبري بإيضاح ، فقد وضح لي بعض الإيضاح . فقال سيف : هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه وقد وجدناه مراراً والله باعثه جهاراً وجاعل له منا انصاراً يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه ويضرب الناس عن عرض ويستبيح بهم كرام الأرض يعبد لرحمن ويكسر الأوثان ، قوله فصل ووجهه سهل ولمره عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله غضيض الطرف عفيف للفرج مبارك الطلعة ميمون الغرة ، صادق اللهجة تظله الغمام ويهتدي به الانام . قال : فخر عبد المطلب ساجداً لله . فقال سيف : ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا كعبك ، فهل أحسست من أمره شيئاً ؟ قال : نعم . أصلح الله الملك كان لي ولد وكنت به معجباً وعليه شفيقاً فزوجته بكريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهره فجاءت بغلام سميته محمداً . مات أبوه قبل أمه وكفلته أنا وعمه . فقال سيف : والبيت ذي الحجب والعلامات على النصب ، انك يا عبد المطلب لجده غير الكذب ، فاحفظ ابنك واحذر عليه من اليهود فانهم له عدى ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً وأطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الذين معك ، فلست آمن أن تداخلهم النفاسة بأن تكون لك الرياسة فيبتغون لك الغوائل وينصبون لك الحبائل وهم غافلون عن ذلك وآباؤهم [1] ولولا ان الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير بيثرب دار مملكته . فاني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون أن بيثرب استحكام أمره ودار هجرته وأهل نصرته وموضع حفرته ولولا أني أخشى عليه

---

(١) كذا - ويحتمل - فاعلون ذلك وابناؤهم - ح .

الآفات واحذر عليه العاهات لاوطأت رقاب العرب كعبه وأعليت على حداثة سنه ذكره ولكني ساصرف ذلك اليك من غير تقصير مني ، ثم امر لكل واحد منهم بثمان من الابل وعشرة من الخيل وعشرة من البقر وعشرة من الغنم وعشرة من العبيد وعشرة أرطال ذهب وعشرة أرطال من الفضة وبكرش مملوءة عنبر أو بكرش مملوءة مسكاً ، وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال : يا عبد المطلب إذا كان رأس الحول فأتني بخبر ابنك وما يكون من أمره . فمات سيف قبل رأس الحول.فكان عبد المطلب يقول : لا يغبطني أحد بجزيل عطاء الملك ولكن يغبطني بما سيبقى لي شرفه وذكره إلى يوم القيامة — والله أعلم .

تم [1] الكتاب بحمد الله تعالى ومنه وكرمه وحسن توفيقه فله الحمد على كل حال وكان الفراغ من رقمه وقت العصر من يوم الأحد الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة أحد شهور سنة أربع وثلاثين بعد الف من الهجرة وذلك بخط الفقير إلى الله سبحانه وتعالى المطهر بن عبد الرحمن بن المطهر بن الامام شرف الدين وكتبه يومئذ في الدار الحمراء ولي سبع سنين وثلاثة أشهر أسيراً . فلله الحمد على ما قسم لي واسأل الله بحق القرآن العظيم أن يضاعف الأجر ويمن بحسن الصبر والقبول لما كتبه الله وأن يفك أسري بحق محمد المصطفى ويفك أسر الجميع من المسجونين آمين آمين آمين

وصلى الله على أشرف خلقه إليه

وأقربهم منزلة لديه خاتم النبيين

وسيد المرسلين صلى الله عليه

وعلى آله وصحبه

أجمعين

---

(١) هذه عبارة الأصل .

أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن
وأشعارها وأنسابهـا على الوفاء والكمال
والحمد لله على كل حال



(بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين)

الحمد لله حمد الشاكرين وسبحانه تعداد الأيام والسنين وصلى الله على رسوله خاتم النبيين وخيرته من خلقه الأمين وعلى آله الطاهرين ورحمته وسلامه . حدثنا [1] عبيد بن شرية الجرهمي عن البرقي يرفع الحديث : أن معاوية بن أبي سفيان كان أمير الأمير المؤمنين عمر بن الخطاب عشر سنين ووليها لعثمان أيضاً عشراً ، ثم وليها بنفسه عشرين سنة ، ودانت له المشارق والمغارب ونال رفاعة الملك — وهو أول من تملك واتخذ المقصورة ووقف على رأسه إذا سجد وجمع الأموال — وكانت أفضل لذاته في آخر عمره المسامرة وأحاديث من مضى . فقال له عمرو بن العاص: لو بعثت إلى الجرهمي الذي بالرقة من بقايا من مضى فانه أدرك ملوك الجاهلية وهو أعلم من بقي اليوم في أحاديث العرب وأنسابها ، وأوصفه لما مر عليه من تصاريف الدهر . فبعث اليه معاوية ، فأتى في محمل بعد أيام كثيرة وشدة شوق من معاوية إليه ، فدخل عليه شيخ كبير السن صحيح البدن ثابت

---

(١) كذا في نسختي الأصل و (ب) والصواب (حديث) وكأنه كان في الأصل الأول (حديث عبيد بن شرية الجرهمي) عنواناً ثم ابتدأ فقال عن البرقي ... الخ . والبرقي تلميذ ابن هشام مؤلف التيجان وقد استنتج المستر كرنكو من هذا ومن ذكر بعض مشائخ ابن هشام في هذا الكتاب ان الجامع له ابن هشام وكأن القائل عن البرقي أحد تلامذته — ح .

العقل منتبه ذرب اللسان كأنه الجذع فسلم على معاوية بالخلافة ، فرحب به معاوية وقال له : اني أردت اتخاذك مؤدباً لي وسميراً ومقوماً ، وأنا باعث إلى أهلك وأنقلهم إلى جواري وكن لي سميراً في ليلي ووزيراً في أمري . قال : يا أمير المؤمنين (رأيتني ورأيت رحلي) فأرسلها مثلاً في العرب ! قال له معاوية : فذلك أخف لمؤونتك وأحلى للزومك . فأمر به معاوية فأنزله في قربه وأخدمه وأمر من يجري وضيفته ووسع عليه والطفه . فإذا كان ذلك في وقت السمر فهو سميره في خاصته من أهل بيته وكان يقصر عليه ليله ويذهب عنه همومه وأنساه على كل سمير كان قبله ولم يخطر على قلبه شيء قط الا وجد عنده فيه شيئاً وفرحاً ومرحاً . فإذا به كان يحدثه وقائع العرب وأشعارها وأخبارها أمر أهل ديوانه وكتابه أن يوقعوه ويدونوه في الكتب . فبينما هو ذات يوم في مجلس لمعاوية وفيه عمرو بن العاص وجماعة من قريش – وقد أخذوا في الحديث وعبيد بن شرية يحدثهم – قال له معاوية : كم أتى عليك من العمر يا عبيد ؟ قال : كثيراً يا أمير المؤمنين، كفاك أنه لم يبق جرهمي غيري أتى علي مائة سنة وخمسون سنة [1] . قال له معاوية : هل شهدت دخول الحبشة ورجمها البيت الحرام؟ قال :نعم يا أمير المؤمنين.انما كان ذلك بالأمس ، ولقد أدركت عامة ملوك لخم وكندة وحمير وغسان . قال له معاوية : حدثني يا عبيد كيف كانت الجاهلية باليمن ولم يكن لبني معد بن عدنان معهم ذكر ولم يظفروا منها طائل ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، ومثلك يجهل هذا انما كانت مضر بالأمس وكانت اليمن وملكت ولم يكن مضر ولا معـد ولا عدنان ولا اسماعيل ، انما اليمن من ولد هود واسمه بالسريانية عابر وبينه وبين

(١) كذا – وفي كتاب المعمرين – أن معاوية قال له لنخبرني كم اتى عليك قال مائتان وعشرون سنة – ح .

ابراهيم عليه السلام ثمانمائة سنة وعاش صلوات الله عليه مائتي سنة وقيذار عاش مائة سنة وأربعين سنة ومضر من ولد قيذار بن اسماعيل بن ابراهيم فكيف حتّى ولد عدنان ومعد ونزار ومضر وكيف حتّى شعبت الآثار وانتشروا في البلاد ؟ قال له معاوية : صدقت وبررت . أخبرني عنك مالك إذا ذكرت ابراهيم لم تملك أن تصلي عليه ، وقد ذكرت والدكم هوداً نبي الله فلم تصل عليه وهو نبي الله ! قال : يا أمير المؤمنين والله لهو أحب إلي من أبي الذي حملني في صلبه وأحب إلي من أمي التي أرضعتني ولا أعدل بخليل الرحمن أحداً ولا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ولا هودا صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء . قال له معاوية : انك لمنصف فخذ في حديثك يرحمك الله عن ملوك اليمن . وقد بلغني عن حمير وسيرها في البلاد وملكها في مشارق الأرض ومغاربها وكيف كان ذلك تسخر العرب والعجم ؟ وعن افتراق السنة الناس وعن أهل بابل ؟ ومتّى كان ذلك ؟ وكيف كان ذلك ؟ وسألتك الاتمر بشعر تحفظه فيما قاله أحد الا ذكرته ؟ قال : يا أمير المؤمنين لك في غير هذا الحديث ما يقصر ليلك وتلذ به في نهارك فان فيه ما تهوى وما لا تهوى ومغضبة وشغفاً للملوك! ونعش المودة. قال : عزمت عليك الا اتبعت هواي وحدثتني ما علمت مما أسألك عنه فأنت في جوار الله وذمته وآمان مني ومن غضبي ونعش مودتي . قال جميع جلساء معاوية : ولك منا ذلك من جميعنا . وأمر معاوية كتابه أن يدونوا ما يتحدث به عبيد بن شرية في كل مجلس سمر فيه مع معاوية . قال عبيد : سل يا أمير المؤمنين ، قال معاوية : فمن العرب العاربة ومن العرب المستعربة ؟ قال : يا معاوية أتعلم أنت وغيرك من أولي العلم انما هي عاد وثمود وطسم وجديس وأرم والعماليق وجرهم وقحطان بن هود ، فهم

كانوا أوائل الناس منهم يعرب الذي تكلم بالعربية كل أخذه من يعرب ابن قحطان بن هود واليه تنسب العربية . فقيل : عربي لأن يعرب أول من نطق بها وليس أحد غيره تكلم قبله بها ، فهذه الأجناس التي سميت لك تكلمت بكلام يعرب بن قحطان بن هود ، النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى كان اسماعيل ونقله أبوه ابراهيم صلى الله عليه وسلم من بلاده فأنزله بمكة فكنا نحن جرهم أهل البلد الحرام فنشأ اسماعيل فينا وتكلم بكلام العربية وتزوج منا . فجميع ولد اسماعيل من بنت مضاض بن عمرو الجرهمي ، وأبوه واسماعيل منا . وأنتم يا قريش منا ، والعرب بعضها من بعض . ألم تعلموا أنكم من ولد اسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليم وسلم ، وابراهيم ونحن ولدناه وأبوه آزر واسمه تارخ بن ناحور بن ارغو بن شارخ بن فالغ بن عابر — وهو هود — فهو أبونا وأبوكم فنحن ولدناكم وأنتم منا ونحن منكم — قليل في كثير — قال معاوية : كأنك تحدث عن حديث الجاهلية ! قال عبيد : يا أمير المؤمنين لك في الإسلام ما يغنيك عن ذلك ، فقد محق الإسلام ما كان قبله — كما محق الشمس ضوء القمر — قال : عزمت عليك ألا حدثتني عما أسألك عنه ؟ قال : يا أمير المؤمنين كان من خبر أهل بابل وافتراق السنة الناس ، أنه لما كثر ولد سام ويافث وحام — أولاد نوح — في بلاد الله وأراد الله أن يفرقهم في البلدان ويخالف بين ألسنتهم ، فبعث عليهم الأرواح الأربع. قال معاوية : ما هذه الأرواح الأربعة ؟ قال : الشمال والجنوب والصبا والدبور ، فضمتهم الأرواح الأربع من أربع جوانب من كل ناحية كانوا بها ساقتهم فجمعتهم ببابل وكانوا بها ، ثم مكثوا بها ثلاثة أيام يموج بعضهم في بعض وعلموا أن ذلك أمر من السماء ولا يدرون ما يراد بهم غير انهم لا يشكون ان الله

الذي فعل بهم ذلك،والله مظهر ارادته . فلما كان اليوم الرابع سمعوا من قبل السماء صوتاً ينادي : الا أن الله مفرق بين ألسنتكم ومسكنكم أطراف الأرض فأيما قوم توجهوا وجهاً فكلامهم ولسانهم واحد . قال معاوية : وما كان اللسان يومئذ ؟ قال عبيد : سرياني أوله وآخره وهو لسان أبينا آدم عليه السلام ونوح وادريس . قال معاوية : كيف اختصت أرض بابل باجتماع الناس فيها ؟ قال عبيد : هي سرة الأرض في فضلها وأراد الله ذلك بها . قال معاوية : ومن أول من أنطقه الله غير السريانية ، وأول من توجه من بابل ؟ قال : أول من توجه من بابل يعرب بن قحطان ابن عابر – وهوهود النبي عليه السلام – بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح توجه من بابل بجميع ولده ومن اتبعه ، ثم نادى اني سائر في بلاد الله فمن تبعني فله ما لي وعليه ما علي . قال معاوية : بالعربية أم بالسريانية ؟ قال عبيد : لم ينطق بغير اللسان السرياني حتى استقر به قراره في بلد سوى بابل . قال معاوية : سألتك ألا أخبرتني بما تكلم يعرب أو ما تكلم ؟

قال : يا أمير المؤمنين ذكر اسم ربه عند نزوله بالعربية وتكلم شعراً وتكلم بها بعده ولده . قال معاوية : أذكر الشعر الذي قاله يعرب . قال عبيد قال يعرب :

أنا ابن قحطان الهمام الأفيل ... لست بنكال ولا مؤمل [1]
والمبتدى باللسان المسهل ... بالمنطق الا بين غير المشكل
برزت والأمة في تبلبل ... نحو يمين الشمس في تمهل
ونقهر الأمة في تفضل ... قد جاءنا نوح بقول فيصل
ونوح جد للجدود الأول ... لا بد في عقب الزمان الأطول

(١) مضى في صفحة ٣٩ فارجع اليه إن شئت – ح .

خيركم ينطق بالمرســـل بالنحو والاعراب والتنزّل
وكل خير ما روى الرواة لي من الآله ذي الجلال المفضل

قال معاوية : فأين توجه ؟ قال عبيد : لما خرج يعرب بجميع ولده — وكان أقوى ولد سام بن نوح — وأعظمهم شأناً لم يقصر حتّى نزل بأرض اليمن الّتي هم بها اليوم . قال معاوية : فمن شخص بعد يعرب ؟ قال : عاد ابن عوص بن أرم بن سام بن نوح حتّى جاوره . قال معاوية : فما صار إليه شأنه وبما أنطقه الله ؟ قال عبيد : لما توجه إلى ما قبل يعرب تكلم بكلام يعرب . قال : فهل نطق بشيء من الشعر ؟ قال : نعم كثير . قال : فاذكر بعض ما ذكره فانا نرويه ، قال عبيد : سأذكر لك من كل شيء سبباً . قال عبيد : لما استقر بعاد قراره أنشأ يقول :

اني أنا عاد الطويل النادي ذو العز والقوة والسداد
والبطش والأموال والأولاد يا قوم أجيبوا صوت ذا المنادى
فقد سمعتموه إذ ينادي من غير ما شخص ترون بادي
ففيه عبرة لذي السداد فسرت بالطارف والتلاد
حتّى حللت بالهمام عادي قد قال نوح خيركم أولادي
عاد المعادي غالب الأعادي من ولد عوص الغر ذي الميعاد

وحل عاد بالأحقاف ، ثم شخص بعده ثمود بن عابر بن ارم بن سام ابن نوح في وادي صنعاء ليعرب حتّى حل في جهتهم وتكلم بكلامهم — وبعض ما قال حين نزل مضاهياً لقول بني أعمامه :

يا قوم سيروا واعلموا القعودا لعلنا ندرك ذا الوفودا [1]

(١) كذا — وهو كما ترى — ح .

ويعرب المتوج الصنديدا وخلفوا الأرذال والوغودا
والمعشر الأنذال والعبيدا قد مات نوح راشداً محمودا
وقال ان خيركم ثمــودا وسوف بعدي يوصفون جودا
ويبعث الله لكم وليـــدا نبي صدق راحماً ودودا

ونزل هؤلاء الحجر إلى قرح وهو نحو وادي القرى بين الشام والحجاز ، قال ثمود أيضاً يدعو آخاه جديساً ويرغبه في اتباعه اياه :

أيا جديس يا جديس ويحكا أخوك لا تؤثر عليه عمكا
ولا تصرْ منّ منه حبلكـــا ويعرب الهمام بادر مجدكـــا
وعاد ما عاد فاوطا الملكـــا لا تكثرن في المقام رأيكا

قال : فلما انتهى قوله إلى جديس رحل في طلبهم بجميع ولده ومن اتبعه معهم فنزل بقربهم ونطق بكلامهم كلام يعرب — وبعض ما قال له جديس :

أيا ثمود قد اجبت صوتك وقد عرفت أن المجد مجدك
فدتك نفسي يا ثمود أنـــك دعوتني فما عصيت أمرك
وكيف صبري يا ثمود بعدك وبعد عاد لا عدمت قربك

ثم شخص بعده عمليق بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح متوجهاً في أثرهم حتى حل بقربهم بجميع ولده ومن ينسب إليه فتكلم بلسانهم وهو كلام يعرب . قال معاوية : سألتك ألا شددت حديثك ببعض ما قالوا من الشعر ولو ثلاثة أبيات ؟ قال عبيد : في بعض ما قال عمليق :

لما رأيت الناس في تبلبـــــل وسار مناخيرنا في أول
خير الملوك يعرب المفضل بالسادة الغر ذوي التجمل
أهل الحجا والنبل والتبتل وسار عاد ذو القوام الأطول
فجد منا في لحاق المعقل بمورد الحزم بأمر فيصل
فقلت سيروا غير ما تخزل فسرت طرداً بالسوام النقل

فقلت يا طسم الي فاعجـل　　اني أنا عمليق غير مشكل
أريد أرضاً ذات ملك أطول　　لعلنا نحل دار العلمـل

ثم اتبعه طسم بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح حتّى لحق آخاه عمليقاً فتكلم بكلام يعرب وقال :

اني أنا طسم شبيه سـام　　ووالدي لاوذ بن أرم
لما رأيت من بني أعمـامي　　وإخوتي الرحيل باعتزام
قد اقتدوا بيعرب الهمام　　كرهت بعد أخوتي مقامي
وكيف صبري بعد آل سام　　عمليق ثم عاد ذي القوام
ويعرب ذي العزم والاقدام　　وخلفنا يافث وآل حام

قال معاوية : هؤلاء أجمع ولد سام بن نوح ؟ قال عبيد : نعم لم يرحل معهم سواهم . قال معاوية : فنزلوا جميعاً أم اشتاتاً ؟ قال : كل ذلك ياأمير المؤمنين لما ناداهم الصوت ببابل كل قوم توجهوا ناحية واحدة وكلاءهم واحده توجه يعرب أول من توجه بولده ولحق به ولد سام فتكلموا جميعاً بالعربية نزلوا جهة واحدة : فنزل يعرب وولده باليمن ونزل عاد بالأحقاف ، ونزل ثمود مما يليهم على الساحل وجاور بعضهم بعضاً ، وبقي ببابل ولد يافث وولد حام . قال معاوية : فلم صار أمرهم إليه ؟ قال : يأتي عليك في الحديث حتّى أخبرك خبراً يغنيك ، انه لما كثر ولد يعرب وولد عاد وثمود وطسم وعمليق وجديس ضاقت بهم أرضهم ، فأول من رحل منهم عمليق وولده حتّى أتوا الحرم فنزلوا به كافة . قال معاوية : وهم يعلمون أنه حرم الله ؟ قال عبيد : نعم قد كانوا لمعلمون أن آدم وادريس ونوحاً كانوا يعظمونه . قال معاوية : فمن قال في نزولهم

الحرم شعراً . قال : نعم قد قال أصعر بن الحارث بن يعفر بن عمليق :

أنا ابن مأمون الجوار الأصعر ... الحارث المفضال نجل يعفر
وجدي السيار غير المنكر ... عمليق إذ سار بجيش مشهر
لما رأيت الدهر ذا تغير ... فسرت سيراً بالجموع البهر
من آل عمليق الكريم المفخر ... إلى حريم الأرض أرض المحشر
من أرض سام جدنا الموثر

فلما رأى ذلك ولد جديس رحلوا بأجمعهم حتى نزلوا بأرض اليمامة فاتسعوا بها . فلما رأى ذلك جميع ولد طسم لم يهنئهم المقام بعد ولد جديس وضاق بهم المقام وقد بلغهم عن بني جديس سعة بلادهم فرحلوا حتى حلوا بهم وقال في ذلك الأعجب بن مهراق بن سلام بن جديس :

غرنا الدهر بطول للبقا ... ورمى الدهر فأودى اذ رمى
فلقد أخنى علينا كلكلا ... مهد القوة منا والقوى[1]
رحلت طسم الينا للقضا ... بعدما ضاقت بها الأرض الفضا
فقبلناها على ما كان من ... حدث الدهر وقلنا مرحبا
ليس عيش دونكم يصفو لنا ... كل عيش بعد طسم لا صفا
ابلغا يعرب عنا كلما ... دارت الشمس وأوفت بالسما
يا خليلي سلاماً دائماً ... من عشير بهم شط النوى
ليت شعري كيف أنتم بعدنا ... يا بني يعرب يا أهل الحجا
يا بني يعرب أنتم سادة ... كنتم من آل سام في الذرى
ولقد فضلكم خالقكم ... بلسان فيه نور وسنا
فجميع الناس طوعاً لكم ... كلهم فالعز فيكم والسنا

(١) كذا – ولعله معد – ح .

وبنو عاد جميعاً غلبـــوا من يناويهم بعزوبها
وبني عمليق منا فاذكروا وبني طسم وكل قربا
انما ابكي لنأيي عنهم وبحق يسأل منا من بكى
ذل من أصبح من أخيارنا نازح الدار وأمسى موهنا
لست أنساه إذا نادى بنـــا يوم نادانا بلا شخص يرى
فانصرفنا إلى أوطاننا بكلام غير سر بيننا
بعدما كان لساناً واحـــداً صار اثنين وسبعين سوا[1]

قال : فما صنع من بقي ببابل من ولد حام ويافث وقد سبقهم ولد سام إلى أفضل البلدان ؟ قال : فسار طسم بن لاوذ بن يافث بن نوح راغباً عن مسير ابن عمه حتى دخل أرض فارس ، فيقال ان جميع أجناس الفرس من ولده ، فلما رآهم جميع ولد يافث بن نوح قد رحلوا ، بأجمعهم حتى حلوا بين المشرق والمغرب من ناحية الجربياء — وهم فيما يقال الترك والصقالبة ویاجوج وماجوج وبرجان والروم والاسبان — والروم ولد ياوار بن يافث بن نوح وولد ياجوج وماجوج بن يافث بن نوح ، الترك وأجناسهم وماشج بن يافث بن نوح وبرجان من بني يافث بن نوح ، والصقالبة ولد اشميل بن يافث بن نوح ، ثم سار جميع ولد كوش بن حام ابن نوح وأجناسهم حتى حلوا أطواف المشارق والمغارب . وأما ولد كنعان ابن حام بن نوح فهم ولد كنعان بن كوش بن حام — وهم البربر — فسار حتى جاز بفلسطين وبيت المقدس وفي أطراف الأرضين وكانوا بها حتى بعث الله نبيه داود وهو الذي أسس بيت المقدس وسليمان بن داود معه ولقد بلغني أن سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم سأل الله أن لا يدخل

---

(١) هذه القصيدة غير خفي ما فيها من التحريفات — ح .

بيت المقدس مؤمن بالله ورسله وكتبه إلا أخرجه الله من ذنوبه كيوم ولدته أمه فأعطاه الله ذلك ولم تسخر الريح بعده لأحد ولا الشياطين ولا العفاريت ولا الطير ، وبلغني أنه لم يملك أحد ملكه . فدعا داود البربر إلى الله فكذبوه وقاتلوه كما سمعت في كتاب الله (وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة) وبلغني عن هذه الآية (أن فيها قوماً جبارين) أنهم أولاد بربر ابن كنعان بن كوش بن حام ، فقتلهم بعد ذلك يوشع بن نون ، فلم يزل يقاتلهم حتى نقلهم إلى أطراف الأرض ملك من ملوك حمير يقال له افريقيس .

ثم أبرهة ذو المنار بن الرائش كثير الغزو ومغير في الأرض . فلما دخل أرض أفريقية وباسمه سميت أفريقية ، فرأى أرض المغارب طيبة خالية طنجة وتنيس فنقلهم إليهما وعمر بهم المغارب وأطراف الأرض . وأما أخوتهم ولد قبط بن مصرايم بن حام فنزلوا بفلوات المغارب ففيهم أنزل الله (ان فيها قوماً جبارين) و (قتل داود جالوت) وهم يدعون إلى قيس وكانت البربر ولم تكن قيس قاطنة مصر — وهم ولد سام بن نوح والبربر من ولد حام — فأين الملتقى إلى نوح ولكنهم بالأمس نظروا أهل تنيس إذ كانوا ببيت المقدس ولو دعاهم أحد إلىنسبه أيضاً أجابوه ولكنهم ولد بربر بن كنعان بن كوش بن حام ، وذو والاحلام منهم يعلمون ان هذا باطل — وهم أقدم من ذلك — وهل يجهل ما وصفت لك أهل العلم منهم — وهم أخوة النوبة — وولد قوط الحبشة ، وفيهم ما في ولد حام من عزة النفس والشجاعة والشدة وقلة الرحمة ونساءهم أرحم من رجالهم ، وفيهم الجفاء والخلف ترى ثقل أهل الحلم منهم ، فنقول : صالحون ما لم يغضبوا فان غضبوا كفروا ،دين أحدهم على طرف لسانه أصحاب غدر

وسحر لا يعرفون المكر من جاء إليهم منعوه كان على الحق أو غيره . ولا ينقادون بعضهم لبعض – تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى – لهم بأس وصبر وقد حرموا النصر يربحون ولا يربحون ولا يدينون وان قهروا يتبعون أهواءهم ويعصون أمراءهم الا ان كانوا من غيرهم ، حالفهم الخسران ولا ينظرون في النقصان ، يكثرون الحجج من غير نية ويحلون في الحمية واومات أحدهم على غية ، أطوع الناس لمخلوق في معصية الخالق أصحاب لهو وطرب ، وأمورهم عجب من العجب لا يوقرون كبيراً ولا يرحمون صغيراً ، يسيغون الأنساب ويتبعون الأغراب من جاءهم بالافك صدقوه، وان دعاهم أجابوه ، ويهينون الأموال ويكثرون الانتقال ، يطرحون المودة ويخلفون الصديق ، والقسوة من رجالهم والرحمة من نساءهم .

وبلغني في الحديث يرفع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ان الملح والشهرة نزعت من بني اسرائيل وجعلت في نساء البربر) وبلغني أن أولاد بربر بن كنعان بن كوش بن حام الذين يزحفون لرجل من ولد فاطمة حتى يردوه إلى مكة – وهو صاحب العدل في آخر الزمان – وأصحابه يقال لهم الغرباء .

قال له معاوية : قلت الصواب ان شاء الله وان كلامك طيب وشفاء لما في الصدور ، فاخبرني من كان الملك ؟ قال عبيد : كان الملك يومئذ فارس بن أرم بن سام بن نوح ، وافترقوا في البلدان ، ثم ملك يعرب جميع ولد سام وكل جنس ملكهم منهم . قال معاوية : اخبرني عن القبط ، من أبوهم وهل ملك منهم أحد ؟ قال عبيد : أبوهم مليط بن ماش ، وكانَ ملكهم دارا بن دارا الذي قتله الاسكندر . قال معاوية : فهل ملك القبط؟

قال : نعم كان ملكهم نمرود بن كنعان بن كوش بن حام وهو الذي أرسل إليه ابراهيم الخليل صلوات الله عليه قال : قد كان ادعى الربوبية قال : نعم يا معاوية يا سبحان الله لقد رغبته نفسه إلى أمر عظيم . قال عبيد : وقد كان فرعون قال أنا ربكم الأعلى ولم يملك الا مصر وحدها وقوله : يدلك على ذلك أنه قال (أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون) قال معاوية : فما فعل نمرود ؟ قال عبيد : لم يزل ابراهيم صلى الله عليه وسلم يدعوه وأهل مملكته فعصى فأهلكه الله ومن معه من الكافرين ، فأقام ابراهيم يدعوه ما شاء الله ، ثم دعا بالختان فزعموا أنه اختتن وهو ابن عشرين سنة ومائة سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة وأمر بالمسير إلى بيت الله الحرام ووضع عند البيت ابنه اسماعيل وأم اسماعيل وكان أهل البيت يومئذ العماليق وجرهم وكانت أمور كثيرة بعد .

قال : يا معاوية كان صالح وهود قبل ابراهيم بمائتي سنة ، ولقد بلغني أن بين موت هود وصالح خمسمائة سنة . قال معاوية : كذلك بلغني . قال معاوية : فما الذي أخرج جرهماً من دار اليمن إلى الحرم؟ قال : لما تبلبلوا ولد يعرب وكثروا وضيقوا عليهم وتمادوا بأجمعهم على جرهم فرحلوا إلى الحرم . قال معاوية : فكم كانوا ولد قحطان الذين من صلبه خاصة ؟ قال عبيد : كان جميع ولد قحطان أكبرهم يعرب وهو أول من تكلم بالعربية وأول من حيي بتحية الملوك أبيت اللعن وهي تحية الملوك ملوك الجاهلية وهو أول من حيى بها ، والحارث بن قحطان وحضرموت بن قحطان ولام بن قحطان والعاص بن قحطان والشمر بن قحطان والملتمس بن قحطان وتحاسم بن قحطان وماعز بن قحطان وتبع بن قحطان والقطام بن قحطان وظالم بن قحطان وجرهم بن قحطان وأمهم

امرأة من ولد عاد وكلهم قد ملك ملكاً عظيماً غير ظالم كان يسير بالجيوش.

(حديث هلاك عاد)

قال معاوية : فحدثني يا عبيد عن هلاك عاد وكيف كان هلاكهم ؟
قال عبيد : يا معاوية . أنه كان عاد بن عوص بن سام بن نوح – وهو الذي أحدث له عشرة من الولد وهم : شداد وهو أول من ملك منهم وطال ملكه وهو الذي عمل أرم ذات العماد ، والخلود وهم رهط النبي هود صلى الله عليه وسلم ، وتيم بن عاد وبر وبهار والعنود والحقود والصور وهم رهط أبي سعيد المؤمن وصدوهم رهط لقمان بن عاد صاحب النسور ، ووفد وثمود ومتاب وهم رهط صاحب السحابات وأس وفدغار [1] ورمل – وكانت عاد عشر قبائل وكانوا عرباً ، وكانت مساكنهم الأحقاف – وهي الرمال ما بين حضرموت وبحر عدن – وذلك قول الله تعالى : (واذكر أخا عاد إذا نذر قومه بالأحقاف) ، وكانوا قد كثروا وانتشروا في البلاد من أرض اليمن كلها وما قاربها من البلاد وقسوا في البلاد ، وكان الله قد أعطاهم بسطة في الجسم وقوة في الأبدان وسعة في الأرزاق ومهلاً في الاعمار لم يعطه أحداً من الخلق من بعد قوم نوح ، وذلك قول الله عز وجل : (وزادكم في الخلق بسطة) ، وقال سبحانه : (أمدكم بانعام وبنين وجنات وعيون) . فكفروا ربهم وطغوا بما فضلوا به على غيرهم فافسدوا في الأرض وعتوا عتواً كبيراً واغتروا بجهلهم وقالوا لنبيهم هود : ان هذا الا خلق الأولين ، وقال الله عز وجل : (وأمـــا عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة) الآية . فلما كثر

---

(١) بالأصل – فدعا .

عتوهم وكفرهم وظهرت فيهم المعاصي بعث الله نبيه هوداً صلى الله عليه حجة عليهم لينذرهم وابعثه إليهم ، وكان من أوسطهم بيتاً وأكرمهم حسباً وأعزهم رهطاً ليمنع من سفاهتهم حتى يبلغ رسالات الله ، وقد سمعت ابن عمك عبدالله بن عباس يقول : ان الله لم يبعث نبياً قط إلى قومه الا من أوسطهم بيتاً وأعزهم ليمتنع من سفاهتهم حتى يبلغ رسالات الله . قال : صدقت يا أخا جرهم ، فهل تعرف أحداً من شعر العرب ذكر هوداً في شعره ؟ وان في كتاب الله لشفاء من العمى وبياناً من الجهلة ونحب أن نزداد ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (ان من الشعر لحكمة) ؟ قال عبيد : يا معاوية قال فيه حسان بن ثابت الأنصاري حيث يقول :

وان أخا الأحقاف إذ يعذلونـــــه يجاهد في ديـــن النبي ويعذل

قال معاوية : صدقت يا ابن شرية ، فحدثني حديثك عن عاد ؟ قال : يا معاوية ، وكان لعاد أصنام يعبدونها دون الله تسمى صداء وبغاء وصمود. قال معاوية : فهل قيل فيها شعر ؟ قال عبيد : نعم . قال أبو سعيد المؤمن — وهو من بيت سعيد — حيث قال :

لنـــا صنم يقـــال له صمود يقـــابله صـــداء والبغاء

قال معاوية : صدقت ، فخذ في حديثك عن عاد . قال : فبعث الله إليهم نبيه هوداً صلى الله عليه برسالاته وداعياً إلى عباداته فبلغهم الرسالة ونصح لهم ما استطاع ، فردوا نصيحته وطرحوا قوله وكرهوا ما جاءهم به وكان من قولهم ما ذكر الله في كتابه في غير آية ولا آيتين : (وقالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين

أن نقول الا اعترّاك بعض آلهتنا بسوء) . قد سمعت ابن عملك يقول : أصابك بعض آلهتنا بجنون، قال هود: (اني أشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه) الآية . وسمعت ابن عملك يقول : اني بريء من آلهتكم الذين تزعمون أنها أصابتني بسوء فأصيبوني بأعظم من ذلك أن أحببتم ، وقوله تعالى : (اتبنون بكل ريع آية تعبثون) – يعني بكل نجد – والربع هو النجد مما ينصبون من الحجارة في النجاد وهي للناس[1] . سمعت ذلك من ابن عملك أيضاً .

قال : صدقت يا عبيد وجئت بالبرهان الواضح ، فحدثني عن هود . قال : نصح لهم هود بجهده وآتاهم بالحق من ربه ، فلم يزدادوا إلا طغياناً وكفراً وتمادياً في معصيته . وأسلم مع هود منهم نفر يسير لا يبلغون أربعين رجلاً وأسلم رجل من أشرافهم وساداتهم وذوي أحسابهم يقال له : أبو سعيد بن سعد بن عفير ، وكان يكتم ايمانه – وهو رأس الوفود وصاحب البر والتقوى وودها – وقد بلغني يا معاوية أنه كان سائراً ذات يوم اذ مر بجماعة منهم في نادي قومهم فدعاهم إلى الله ووعظهم فحمل عليه رجل من سفهائهم بحجر فأدمى كعبه ، فدعا عليهم هود عليه السلام أن يبتليهم الله بالقحط ويحبس القطر عنهم ثلاث سنين ، فاستجاب الله له فحبس عنهم المطر وابتلاهم بالقحط ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك . قال معاوية : لله أنت يا عبيد فهل قيل في ذلك شعراً ؟ قال عبيد : نعم . قال : فاسمعني ذلك . قال : لما دخلت السنة الأولى عليهم علموا أنها سنة قحط وأزمة فسموها ججرة . فقال في ذلك رجل من المسلمين – يقال له حماد هذا الشعر

(١) في الأصل – الباس .

قد نزلت بأرض عاد جحره لها لهيب وعليها غبره
فأرضهم جادبة مغبره جاحمة وحرثها مصفره
ايس لهــا في يومها مسره ولا لعين بالنهار قره
حلاوة الاتراف فيها مــره لطاعة الله وفيها عبره
وفي معاصيه الردى والحسره فقد رأوا منك عظيم القدره
إذ أرضهم يابسة كالصخره موحشة دون البلاد قفره
مستبدلين خيره مضره إذ لم تزل تربتهــا مغبره
وصادفت من ربها المعره

فأجابه رجل من المشركين قال : وما اسمه ؟ قال : اسمه الخلجان ابن الوهم فأنشأ يقول :

ان السنين حلوة ومره زاخرة ولدنة مخضرة
فمرة جدب وخصب مره ليست بنكر سنة مغبره
معينهم ليست تدوم العره وعاد اولو همة وخبره [1]
محتالة للكسب ذات قدره وكلهم ذو وسعة بســره
لهم بعز شوكة مسره كأنهم عند اللقاء جمره
وهم معافي الخافقين عبره

قال : فلما دخلت الثانية سموها كحلاً . فقال رجل من المسلمين يقال له مبتدع شعراً يقول فيه :

قد نزلت كحل بآل عاد من السنين الازم الشداد
حين بغت عن سنن الســداد تذل ذا الاتراف والفســاد
من في القرى منهم وفي البوادي كلوحها على العزيز بادي

(١) كذا – في الأصل والله أعلم – ح .

تمنع عاداً سنن الايراد عقوبه من ملك العباد
إذ جانبت عاد هدى الرشاد ثم طغت في البغي في البلاد
مغترة بأوهن الأجناد بعد اصامتنا مع المراد [1]
فأصبحوا في سمة الحساد وسلكوا في طرق الفساد

فأجابه رجل من المشركين يقال له جيحون :

ان السنين لم تزل تجاد لم تزل السنين في ترداد
لها بروق جمة الارعاد بروقها رائحة غــواد
من غير ما وعث ولا فساد أمر قضاه ملك العبــاد
ولا تضر دعوة الانداد وكل أنداد إلى المعــاد
إلى العلي الخالق الجواد يرجون امرأ حاضر السداد
شفاعة ترجى لآل عاد قد علمت جماعة الأوغاد
وكل ذي رأي وذي فؤاد من ساكن القرى أو البوادي
بأن عاداً صعبة القيــاد قاطنة الأوطان والمهاد
قاهرة الاقران في العناد شديدة الأركان والاعضاد
قوية في البطش والعماد غالبة جماعة الحساد
تصيب بالمخالب الحداد ذا المنعة المغالب المعادي

قال : فلما دخلت السنة الثالثة سموها كلح . فقال رجل من المسلمين هذا الشعر :

كيف لعاد بعد كحل بكلح بذات قحط وغبار وبلح
تمنع ذات (٢) لذات الفرح لأن عاداً حاربت نهج الفلح

---

(١) كذا – فلينظر – ح .
(٢) كذا – ولعله – ذا اللذات – ح .

ولم تطع نبيهـــا حين نصح ورام أن تصلح فيمن قد صلح
فانكرت دين الهدى لما وضح وغرها التمهيل من رب صفح
فاتبعت من المحارب جمع من الصمود ذبحة لما ذبح
فذكره منقطع اذا افتتح فخف في ميزانه وما رجح

فأجابه رجل من المشركين يقال له الخلجان أيضاً :

ان لعاد قوة لن تفتلح [1] وعزها راس لها أن يقترح
والأمر فيما بينها أمر صلح والعز فيها خالد لا يطرح
وأمر شاويها إذا شاء سرح تم لها فيها مناخ منفســح
عارفة غبوقها والمصطبح نحو الذي يكسب كساب النقح
تذل بالعزة منها من جمح ومن .ى عمداً عليها أو طمح
وكلهم ذو منعة وذو فــرح وان يشأ من خرد بيض نكح

قال معاوية : لقد جئت بالبرهان في حديثك يا عبيد فماذا فعلوا ؟ قال : يا معاوية ، لما توالت عليهم سنون بأزمتها وحطمتها ، فاشتد فيها قحطهم وهم في ذلك غير تائبين ولا مطيعين لنبيهم هود صلى الله عليه . ثم قام رجل من أشرافهم وذوي أنسابهم – يقال له زميل بن عنز أخو القيل ابن عنز – وكان القيل رأس عاد وسيدها في زمانه وصاحب السحابات والريح التي أهلكت عاداً بإذن الله عز وجل – فقام زميل فنادى قومه ، فقال : يا قوم إني فكرت لما نزل بكم من هذا القحط ورأيت رأياً وقلت فيه قولاً وأنا عارض ذلك عليكم – ان رأيتم ذلك – فقالت له الجماعة : إن رأيك لأصيل وان فعلك لجميل فقل نسمع ما تقول . فقام زميل فيهم

(١) كذا بالأصل – ح .

منشداً هذا الشعر حيث يقول :

ألا نزلت بنا حجج ثلاث على عاد فما تحتال عاد
فدمعهم يبل الترب منها وما يدرون ما بهم يراد
وقد علمت بنو عاد بن عوص بأن مشورتي لهم سداد
واني عارض رأيي عليهم وما مني به فيه انفراد
بأن يتخيروا وفدا يسيروا إلى البيت العتيق لهم سداد
من القول السداد إذا آتوه وهينمة لهم فيها اقتصاد
فيستسقوا المليك البرغيثا به تحي البرية والعباد
وقد جربتم ذاكم فعرفي لديه في بدايته السداد
لأن الله مقتدر حكيم غفور رازق بر جواد
فان يسمع مقالتنا سقانا فقد نزلت بنا ازم شداد
وان نهلك فأمر الله ماض له منا المقادة والقياد

قال : فلما سمعوا مقالته أجمعوا على المسير إلى بيت الله الحرام يستسقون الغيث. قال معاوية : لله أنت يا عبيد وكيف كانوا يطمعون ان الله يستجيب لهم وهم مقيمون على الشرك بالله وعبادة الأصنام ؟ قال عبيد : يا معاوية . كان الناس في ذلك الزمان العرب وغيرهم من المشركين ، إذا نزل بهم فادحة أو نابهم نائبة أو جهدهم قحط أو غيره فزعوا إلى الله ، فيأتوا إلى البلد الحرام يطلبون من الله الفرج ، فيعطون مسائلهم ويعرفون من الله الاستجابة عند بيته الحرام فيجتمع بمكة بشر كثير مختلفة أديانهم يطلبون من الله حوائجهم كلهم عارف بمكة وحرمها فلا يبرحون حتى يعطى السائل سؤاله مما سأل .

قال معاوية : فهل كان في ذلك الوقت يعرف موضعه ؟ قال عبيد : نعم يا معاوية . قد كان موضعاً منذ وضعه الله لآدم إلى أن بناه ابراهيم عليه السلام معروفاً مكانه ، ولم يكن مبنياً يومئذ . فلما أجمعت على المسير إلى مكة ليستسقوا جهزوا من عظمائهم وأشرافهم وذوي أحسابهم سبعين رجلاً . ثم وضعوا على السبعين أربعة منهم قيل بن عنز وهو رأسهم وصاحب أمرهم ولقمان بن عاد — هو صاحب النسور — وأبو سعيد مرثد ابن سعد — وهو خير النفر — وجلهمة بن الخيبري . فساروا حتى أتوا مكة — وسكانها يومئذ العماليق — وهم يومئذ ملوك الحجاز وأرضها ، فنزلوا على رجل منهم يقال له بكر بن معاوية قد تزوج امرأة من عاد وهي أخت جلهمة بن الخيبري فولدت ابنه معاوية بن بكر وجميع ولده وكانت أخت لبكر بن معاوية وهي هزيلة ابنة هزال بن معاوية متزوجة في عاد وزوجها أبو سعيد المؤمن مرثد بن سعد [1] ، فولدت عمراً وعامراً وعميراً أبناء مرثد بن سعد وهي وولدها التي نجت من العذاب يوم الريح — وبنو أبي سعيد هؤلاء هم عاد الآخرة — فلما قدم وفد عاد إلى الحرم نزلوا على صهرهم بكر بن معاوية وابنه معاوية ، وكان منزلهما بظهر مكة خارجاً من الحرم ففرحا بالوفد وأكرماهم وأحسنا منزلتهم عند ابن أختهم معاوية ابن بكر . وكان معاوية قد كبر وضعف وكانت الرئاسة لابنه بعده ، فأنزل أخواله وحبسهم عنده شهراً يأكلون الخبز واللحم ويشربون الخمر وتغنيهم قينتان يقال لهما الجرادتان — ويقال أنه أول من اتخذ القينات في الأرض للغناء — وكان أكثر العرب مالاً في زمانه . فأقبل وفد عاد في اللهو والشراب وتركوا ما جاءوا له . فلما رأى ذلك معاوية بن بكر غمه ذلك

(١) كذا — في الأصل — وعبارة الكامل — (أن لقيم بن هزال تزوج هزيلة بنت بكر أخت معاوية وذكر الأولاد كما هنا وزاد عبيدا — ح .

وقال : لئن تركت أخوالي وأصهاري انها لهلكتهم وهلك من خلفوا من أهلهم وقومهم في بلادهم — وهم أيضاً ضيفي ووجوه قومي — وأنا استحي أن آمرهم بالشخوص لما قدموا له . فلما طال مقامهم ولم ينظروا في ما قدموا له قال شعراً ، ثم حفظه لجاريتيه وأمرهما إذا انتشى القوم وأخذ فيهم الشراب أن تقوما على رأس كبيرهم وشريفهم قيل بن عنز وتغنياه . فأضاف لهم الطعام والشراب . فلما انتشوا قامت الجاريتان على رأس قيل بن عنز ، وأنشأتا تقولان :

ألا يا قيل ويحك قم فهينم	لعل الله يصبحنا غماً ما
فيسقي آل عاد ان عادا	قد أضحوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فما تراهم	ولا الشيخ الكبير ولا الغلاما [1]
وان الوحش تأتيهم نهاراً	فما تخشى لعادي سهاما
وقد كانت نساؤهم بخير	فقد أمست نساؤهم أيامي
وأنتم ها هنا فيما اشتهيتم	نهاركم وليلكم نياما
فقبح وفدكم من كل وفد	ولالقوا التحية والسلامـا

قال : فلما قالتا الشعر ووعته أسماعهم فزعوا لذلك وتركوا ما هم فيه من اللهو وحلو الحياة وقال بعضهم : يا قوم انما بعثكم قومكم لهذا البلاء الذي قد نزل بهم وقد أبطأتم فسرتم شهراً من بلدكم وأهلكم إلى ها هنا ولكم منذ شهر ها هنا فانطلقوا إلى بنية ربكم واطلبوا الغوث من ربكم لقومكم .

فقال أبو سعيد المؤمن : يا قوم هلمكم لأمر أدعوكم إليه تذكرون به

---

(١) مضى هذا البيت في ص (٥١) من التيجان مخالفاً لما هنا — ح .

حاجتكم وتغيثون به قومكم . قالوا : وما ذاك ؟ قال : تؤمنون بنبيكم هود عليه السلام وتؤمنون بربكم فذلكم خير لكم. قال : فكرهوا قوله وردوا النصيحة . قال معاوية : فهل قيل في ذلك شعر ؟ قال عبيد : نعم . قال في ذلك أبو جلهمة :

أبا سعيد كأنك من قبيل — سوى عاد وأملك من ثمود
أتأمرنا لنترك دين وفد — ورمل وآل صد والعنود
أنترك دين أقوام كرام — ذوي حسب ونتبع دين هود
وانا لا نطيعك ما حيينا — ولسنا فاعلمن على عهود

قال : فغضب من ذلك رجل من الوفد من قوم أبي سعيد فأجابه :

فمرثد مخ عاد في ذراها — وأنت لساقط وغد كنود
نماه يا زنيم إلى المعالي — من أخوال وأعمام صمود
وأفضل قوم عاد بعد هود — وخيرهم الكريم أبو سعيد

قال معاوية : فما فعل الوفد يا عبيد ؟ قال : ان الوفد لما أرادوا المسير إلى الكعبة سألوا بكراً وابنه أن يحبسا أبا سعيد ففعلا وكلماه في ذلك . فقال : نعم . ووقف عنهم هو ولقمان بن عاد ، ومضى سائر الوفد إلى البيت يتقدمهم قيل بن عنز وصف الوفد حوله ولاذ بالكعبة ودعا وتضرع فسمع منادياً ينادي من السماء يقول : يا قيل بن عنز ما جئت تطلب فاسأل تعط ، فقال : جئت أطلب القطر الذي ينبت الشجر ويكثّر التمر ويحيي به البشر ويصلح به قومي وبلادي . قال : فأنشأ الله ثلاث سحابات بيضاء وحمراء وسوداء ، ثم قيل له : اختر أيها شئت ، قال : أما البيضاء فجهام ليس فيها مطر ولا لغيثها روي ، وأما الحمراء فجهام غير أتى الذي [1] ينفي

(١) كذا — ولم يظهر وجهه — ح .

السراء ويأتي بالضراء ولا حاجة لنا فيها ، وأما السوداء فكثيرة الماء والروي معقبة لرخاء مبلغة المنى غائظة الأعداء وقد اخترتها لقومي وبلادي . فناداه المنادي رماداً أرمد لا يبقي من عاد بن عوص أحداً لا والداً ولا ولداً إلا القبيل الأبعدا .

قال معاوية : لله أنت من يعني بقوله إلا القبيل الابعدا . قال : من ولد عملوق بن لاوذ — وهي أخت بكر بن معاوية — يعني هزيلة بنت هزيل العملقية — وهي أخت بكر بن معاوية ، وهي زوجة أبي سعيد المؤمن ؟ وقد بلغني يا معاوية أن هزيلة كانت امرأة فاضلة في عقلها وأدبها وكانت محبة لهود عليه السلام وأصحابه وتلطف بهم وتوسع عليهم في مالها وكانت كثيرة المال . وقد كان الإسلام وقع في قلبها وهي تكتم ذلك من قومها فنجاها الله من العذاب وولدها وانصرف وفد عاد إلى منزلهم عند بكر بن معاوية فرحين مسرورين أنهم قد أصابوا الغيث . ولما رجعوا انطلق أبو سعيد المؤمن ولقمان إلى البيت العتيق ، فتقدم أبو سعيد المؤمن إلى البيت فلاذ بالكعبة ودعا وتضرع وقال : رب إني جئتك في حاجتي فاعطني سؤالي ، فسمع مناد من السماء يقول : يا أبا سعيد بن مرثد ما جئت تطلب سل تعط ؟ قال: جئت أطلب البر والتقوى ، فنودي : ألا قد أوتيتهما ولك بهما الفضل الكبير .

قال معاوية : أقيل في ذلك شعراً ؟ قال عبيد : نعم يا معاوية . قد قالت العرب في ذلك أشعاراً فإن أحببت انشدتكها وان شئت في آخر الحديث فإنه أصلح لحديثك . قال معاوية : سمعنيها في آخر الحديث فهو أحسن . قال : ثم تقدم لقمان بن عاد فلاذ بالكعبة ودعا وتضرع وقال : أللهم إني لم آتك وافداً إلا لنفسي فاعطني سؤالي ، فسمع منادياً من السماء يقول : يا

لقمان بن عاد ما جئت تطلب وما تريد فاسأل تعط ؟ قال : جئت أطلب العمر ، قال فنودي : اختر عمر سبعة أنسر حين تنفلق عن الفرخ البيضة أحب إليك إلى أن تبقى كثيراً ، فإذا هلك نسر أعقب نسر آخر أو تبقى سبع بقرات سمر من سنوات عفر في جبل وعر لا يمسها قطر [1] ؟ فقال لقمان : بل عمر سبعة أنسر . فنودي : ان قد أوتيت سؤالك ولا سبيل إلى الخلود . فانصرف لقمان وأبو سعيد إلى الوفد في منزل بكر وابنه ، وأقاموا معاً حتى آتاهم هلاك عاد . قال عبيد : وكان هلاك عاد يا معاوية ، أن السحابة السوداء التي اختارها قيل بن عنز لقومه جعلها الله سبحانه ريحاً عقيماً عقوبة من الله ونقمة منه عليهم ، ومضت السحابة بأمر الله وقدرته تزجيها جنود الله وذلك قول الله عز وجل : (وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) . قال : سمعت ابن عباس يقول : انما عقمت من الرحمة ولقحت بالعذاب . قال الله سبحانه : (بريح صرصر عاتية) . سمعت ابن عباس يقول : عتت يومئذٍ على خزنتها خزنه الريح خرج منها مثل منخر الثور فبه أهلك الله عاداً . قال : وسارت الريح يزجيها أمر الله وقدرته معها جنود الله وملائكته، ملائكة العذاب يقودونها بازمه حتى انتهت إلى بلاد عاد فأتتهم من قبل واد يقال له «مغيث» كان يأتيهم من قبله الغيث . فلما رأوه فرحوا واستبشروا وطمعوا أنها غيث من قبل الله ، ولم يعلموا أنها نكال عليهم وعقوبة . قال الله تعالى : (فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا، بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها) وقولهم لنبيهم هود عليه السلام : (فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين) . سمعت ابن عباس يفسر ذلك . قال معاوية : صدقت . فماذا قال ؟ قال : كان أول ما تبين به أنها ريح

---

(١) تقدمت بالفاظ في التيجان ص ٧٠ — ح .

عقوبة من الله لهم جارية يقال لها مهد [1] فانها لما رأتها صاحت ، ثم صرخت ، ثم غشي عليها فاجتمع إليها قومها . فلما استفاقت قامت تنوح وهي تقول :

البلية البلية ما جنى الوفد عليه
ان وفد الريح كانوا شر وفد في البريه
ارسلوا يبغون غيثاً فأتوهم بالبليه
سخرت ريح عليهم تركت عادا خليه
سخرت سبعاً عليهم لم تدع منهم بقيه

ويقال : يا معاوية . انها أول نائحة ناحت في الأرض ، فقال لها قومها : ويحك ماذا ترين وماذا دهاك ؟ قالت : الويل لعاد التي طغت في البلاد فاكثروا فيها الفساد . أرى رياحاً كأمثال الجبال لها لجم بأيدي رجال كأن في وجوههم شهب النار ، والرجال الذين ذكرت ملائكة الله عز وجل مع الريح . قال معاوية : هل قيل فيه شعر ؟ قال عبيد : نعم يا معاوية . قد قال أمية بن أبي الصلت أو النابغة الذبياني في ذلك شعراً حيث يقول :

رأت مـا رأت مهد فقيل لهـا ماذا ترين فقالت انظر العجبا
أرى رياحاً كأمثال الجبال لها لجم بأيدي رجال تشبه اللهبا

قال معاوية : خذ في حديثك . قال : فلما تبين لهم أنها ريح عقوبة من الله عليهم ، قاموا إلى صعيد واحد ووضعوا العيال والذرارى . قال : ثم بنوا عليهم بالأبنية والمتاع كالردم العظيم فوقهم ليقيهم بزعمهم من الريح فاجتمع جميع أولي القوة والجلد والبأس وصفوا بينهم وبين الريح على فم

---

(١) في الكامل – فهدد – ح .

وادي وانتدب منهم رجال كالاطواد العظام – وهم عمرو بن خلي والحارث بن أسد والمقدم بن سفر والخلجان بن الوهم وصيد بن سعيد وزميل بن عمرو وزمر بن أسود – فبرزوا دون قومهم وقالوا : نرد هذه الريح عنكم [1] .

قال معاوية : فما كان من أمر هود عليه السلام ؟ قال عبيد : ان هوداً كان فيهم وكان يدعوهم إلى طاعة الله . فلما رأى أن العذاب قد نزل بهم وعلم أن الله مهلكهم اعتزل عنهم في ثلاثين رجلاً ممن أسلم معه وانطلقوا حتى وقفوا على حظيرة على تل قريب من الوادي يسمعون كلامهم وينتظرون ما الله فاعل بهم . فلما انتهت الريح إلى عاد . قام عمرو بن خلي أحد الجبابرة السبعة وهو رأسهم فبرز دون أصحابه يلقى الريح ، وأنشأ يقول :

من ذا الذي تحذر عاد أوهنه هي الجبال في البلاد الممكنه
الصعبة الشامخة المحصنة هي الأسود الضاريات المكبنه
وكلنا فيها ربية عسونه قاسية عند اللقاء محجنه
من جرب الدهر آراه الونه وطنه أكلبه واقفنه

فسمع هود صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه المسلمون قوله ، فأجابه رجل منهم وأنشأ يقول :

هل عاد الا أنفس مضمنه إلى مدى آجالها مرهنه
وكبل ليس يحمي مدنه من ريب دهر كاد يدفنه
يبعث أيدي أنفس موهنه إلى مدى أنفسها مضمنه
وقد أتتكم آية مبينه في أنفس لموتها موطنه

(١) قد تقلبت اسماؤهم في التيجان ص ٥١–٥٢ مخالفة لما هنا – ح .

وقد أتتكم صولة مغلنة بعاصف عليكم موطنه
بها أفانين الردى مكونه يهلك فيها الأسرة الملونه
يلقى عماها يجيدها في محنه من بعدما كانت عليها ممكنه [1]

قال : ثم عصف الريح بعمرو بن خلي فقام مقامه الحارث بن أسد وأنشأ يقول :

يا عاد إن العز فيكم قد رسخ وقد نشأ فيكم وقد شمخ
كسقرة عتقتها بعد الفتخ

فصرعته الريح . قال : ثم قام مقامه المقدم بن السفر وأنشأ يقول :

يا عاد قومي انما الأمر نزل بكم بكم يا عاد والكيد بطل
اني أرى الدهر بحتف قد أطل قد شرب الدهر عليه وأكل
أولى لمن أوردنا هذا المحل أفاً له دهر أو تعساً ونكل

فصرعته الريح . قال : ثم قام مقامه صيد بن سعيد وأنشأ يقول :

يا ويل قيلا ثم يا ويل أمه ماذا جنى لنفسه وقومه
والدهر غير معتب من لومه من لامه طارت ببيت حومه [2]
وليلة هلاكه في يومه

فصرعته الريح . فقام مقامه زمر بن أسود وأنشأ يقول :

يا ويح عاد كيف أدهاها الزمن واغتالها الدهر بذحل واحن
أف له دهراً وتعساً وغبن قد احتوى الأهل جميعاً والبدن

فصرعته الريح . ثم قام بعده الخلجان بن الوهم وأنشأ يقول :

يا لك يوماً غاب عنا شمسه يوم شديد لا يؤدب أمسه
لم يبق إلا الخلجان نفسه لم يبق إلا سيفه وترسه

---

(١) هاتان القطعتان فيهما الفاظ لم تظهر لنا — ح .
(٢) كذا — ح .

يا خير فرع قد أصيب أسه طوبى لمن وارى قرار رمسه
يا من كجذع النخل ثاو حسه أمكن مني السد فان قوسه
من بعد ما كان منيعاً مسه

ثم صرعته الريح مع أصحابه ، فهلكت الجبابرة السبعة باذن الجبار .

ولقد بلغني يا معاوية أن أحدهم يلقى الجاري بيديه فلا يجري . ثم عصفت الريح على جماعة آل عاد فأهلكتهم بقدرة الله تعالى ، لم تدع منهم عيناً تطرف لا صغيراً ولا كبيراً . ثم طفقت الريح تقلب أجسامهم بين السماء والأرض في الجو مصعدين ومنحدرين سبع ليال وثمانية أيام حسوماً حتى تركتهم كأنهم اعجاز نخل خاوية . وذلك قول الله عز وجل : (كأنهم اعجاز نخل خاوية) . وهدمت البيوت وتركتهم كأنهم جذوع النخل اليابسة وخربت القصور والحيطان والبساتين اقتلعتها من أصولها ، حتى كأنها لم تكن على وجه الأرض ولم تترك منهم أحد إلا هزيلة بنت هزال العملقية وبنيها – وهي امرأة أبي سعيد المؤمن – فان الله نجاهم من العذاب بإيمان أصحابهم وأمر الله سبحانه وتعالى الريح فحملتهم برفق وشفقة هي وولدها لم تؤذهم ولم تضرهم حتى أتت بهم مكة فألقتهم في منزل بكر بن معاوية الذي فيه وفد عاد وأصحابه .

قال : فبينما القوم في لهوهم ولذتهم إذ أقبلت هزيلة ببنيها حتى هجمت على عمها الشيخ بكر بن معاوية في منزله . فلما رآها فزع منها فزعاً شديداً وقال : ويحك ما دهاك وما وراءك ومن قدم معك من أصحابك ، فاستعبرت هزيلة باكية وقالت : الخبر أفظع وأوجع وأجزع من أن أصفه لك . قال : ويحك خبريني ما ذاك فقد أكثرت وجدي ! قالت : وأين

وفد عاد ؟ قال : هم أولاء في منزل ابني معاوية . قالت : ما فعلوا ؟ قال : فزعوا إلى بيت ربهم فأعطى السائل منهم سؤاله . قالت : كلا ورب الكعبة قد اعطوا الخزي الطويل والذل الذليل . قال : ثكلتك أمك يا هزيلة اخبريني ما ذاك ؟ قالت : ما أنا مخبرتك بشيء حتى تحضر إلي جميع الوفد . فأرسل إليهم بكر فأخبرهم بمكان هزيلة ، فأقبلوا يبتدرون فزعين مرعوبين . فلما توافوا عندها قالوا لها : ويحك أخبرينا من الذي جاء بك ومن جاء بصحبتك وما وراءك وكيف تركت قومك ؟ قالت : بل أخبروني عن مسيركم وأمركم . فأخبروها . قالوا : سرنا شهراً وأقمنا شهراً عند عمك وابنه ، ثم فزعنا إلى البيت العتيق ، فأعطى السائل منا سؤاله ، وقد توجهت السحابة نحوكم بالغيث فما عندك من الخبر ؟ فقالت هزيلة : ان الخبر أفظع وأشد وأوجع من أن اسمعكموه قيلا ولكني سأقول شعراً وأرويه الجرادة تسمعكموه ، فقالت هزيلة هذا الشعر :

إن عاداً آثرت حقاً ... على الرشد الصدودا
لم تقل في غيهاحين ... عتت قولاً سديدا
بل طغت بغياً وقالت ... لن نطيع الدهر هودا
كذبوا عبداً تقيا ... مسلماً براً رشيدا
وعصوا ربا عظيما ... قاهر البطش مجيدا
قادراً امسى له الخلـ ... ـق معاطراً عبيدا
فدعا هود مليكا ... مبدياً لهم معيدا
ان ينلهم بايد ... يقمع العاصي الكنودا
فاستجاب له آله ... عز مقتدراً حميدا
جل رباً ذا اقتدار ... منعماً عدلاً أبيدا

كي يتوبوا فآراهم ... ما يرد الصد قودا

من سنين ما استطاعوا ... للنكال لها ردودا

ازما جاءت ثلاثا ... ما يبل القطر عودا

جحرة تبعث بكحل ... واحتوت كلح السعودا

لم يتوبوا بل تعصوا ... عن ذو الفضل البرودا[1]

عابدين من ضلال ... صنماً يدعى الصمودا

يطلبون الغيث منه ... بعدما خروا سجودا

الذي يحوي سفاها ... سألوا منه رفودا

أفقوا من حيث طاعوا ... فيه شيطاناً مريدا

ثم قال لهم زميل ... بعدما ذاقوا الجهودا

اسمعوا قولي ورأيي ... وابعثوا وفداً جنودا

نحو بيت الله كيمـا ... يسألوا الرب ودودا

أن يغيث الخلق منا ... متهماً ثم النجودا

بعثوا سبعين كهلاً ... تبعوا قيلا جليدا

ثم أربعة أرادوا ... هم على الوفد شهودا

بعثوا لقمان رأساً ... وأبا سعد مزيـــدا

وأبا جلهمة القـــر ... م فتى الحي الحقودا

ثم قيل نجل عـــنز ... قائد ليس مقودا

ثم ساروا بِسَـــوادٍ ... نحو حَسْدَاءٍ آسودا[2]

---

(١) كذا – ولم يظهر – ح .

(٢) كذا – فتأمله – ح .

فاتوا مكة سحـــا بين خزا وبــرودا
أحسن الناس اعتدالا ووجوهاً وخلودا
كلهم أكرم عاد أمهات وجلودا
نزلوا بالمرء بكر وابنه شهراً جديدا
يشربون الخمر صرفا لا يملون الركودا
ثم هبوا بعدما هيـــا لهم بكر نشيدا
ثم غنتهم بصوت قينة تسمى الجرودا
نهضوا إذ سمعوها كأنهم كانوا رقودا
فأتوا بيت مليك لم يزل للخلق عيدا
فدعوا فاختار لقما ن فتى الحي الخلودا
ببقا عمر نسور سـ ـبعة دهراً أبيدا
اسرا تبقى صحاها وخلوداً لن تبيدا
وحبا الله أبا سعـ ـد تقاه والسعودا
فنجا بالبر زادا ثم تقوى الله زيـــدا
وأرى قيلا ثلاثاً من سحابات فرودا
قطعة بيضاء كانت ما بها في الغيث جودا
ثم حمرا لم يردها ظنها غيثاً ثميدا
فارتضى السودا التي صا ورت بها الأقطار سودا
ثم سارت نحو عاد كي تذيقهم كؤودا
خيلوها إذ رأوها غيمها السود عبيدا
فاكتسوا فرحاً وبشرى بارزين لها الصعيدا
ابصرت مهد على الر يح مطيعين ركودا

في اكفهم لهــــــا لجم يخيلـن الـــوقـــودا

قالت الويل لعاد ويلها ويلاً جديدا

ليلة حلت به الد هر على عاد الصنودا[1]

ان ترى السبعة منهم كلهم كانوا حسودا

كل قرم مثل طـــود لابس فيها الحديدا

كي يردوها ومن ذا يستطيع لها ردودا

خلفت أجسامهم في الجو والقفز بديدا

عذبت سبع ليال أمة كانت يهودا

ثم أياماً ثمانا ما هبوطاً ما صعودا

تحسب الأصوات إذ يهوون في الجو رعودا

ثم خروا في قصور صيـ ـت فلقاً بديدا

استباح الدهر صدا ومنافاً والخلود

وجهاراً لم تذره وهباء والعنودا[2]

وبنو سرد ورفد صادفت دهراً كنودا

فهم كالنخل صرعى ليس للضر الخلودا

قيل فانظر أين عاد ثم دع عنك السمودا

لن تراهم آخر الدهر كما كانوا قعودا

ثم نجاني الهــــي وبني جدي الابيدا

قد تفانوا ثم بادوا في ديارهم حصيدا

حملتني وبني نحوكم ريح برودا

ونجا هود وأصحا ب له خروا سجودا

---

(١) انظره — ح .

(٢) انظر اسماء القبائل أول حديث هلاك عاد — ح .

للذي نجاهم مـــــ	ـا به افنى العـــديدا
معه ثم ثلاثو	ن يقيمون الحدودا
نزلوا الاحقاف أما	رين بالعرف الوفودا
سكنوا الأرض على ما	شكروا الرب الحميدا
ثم ناهين عن المنكر	من خاف الوعيدا
أعيني جودى بدمع	ليس يبدو أو جمودا
وابكيا عاداً بسجل	من دموع ثم زيدا
أسعداني بدموع	من درور ثم جودا

وقال أسد بن ناعض يذكر أمر الوفد والسحابات والتخيير على حديث مرثد بن سعد يقول فيه شعراً :

بعثت عاد إلى الله	لتسقي الغيث وفدا
ورسول الله فيهم	رغبة عنه وزهدا
ثم أعطى بعضهم بعـــــ	ـــضاً على الغية عهـــدا
انهم لن يتبعوا هو	د طوال الدهر بدا
أو يتوبوا فيكونوا	شرعاً في الموت حصدا
فاجر هدّ القوم للغي	وعافوا الرشد رشدا
فتوافوا ليردوا الـــ	ريح كل جد جدا
غضباً حتى إذا ما	جعلوه للحديدا
ثم عادوا فتلقو	ها عناقاً يتصدى
فدعا هود وصلى	ثم عادوا ثم بدا [1]
ودعا القوم آله النـــ	ـــاس . . [2] جهدا

---

(١) كذا والله أعلم – ح .

(٢) بياض بالنسختين .

فأجيبوا ان سلوا ما شئتم تعطوه قصدا
فدعا لقمان بالعمـ ـر ليعطي العمر مدا
فحباه بمناه غير ان لم يعط خلدا
ودعا ثم مزيد يرتجى براً وحمداً
فحبا بالبر والحمـ ـد أبا سعد وسعدا
ودعا قيل فقال الغيـ ـث يسقي العيش رغدا
دعوة فارق فيها قصده وازداد بعدا
فرأى نشء سحاب فاصطفى السوداء فردا
انشأوا منه منـو يرديهم وتردى [1]
يترك الأقوام صرعى و ن الصخر خدا
أفعمت حي مغيث من حيا حير جهدا
سمعوا فيها دويا شبهوا ذلك رعدا
ولقد قاموا إليها كي يردوها مردا
ولقد قالت مهد فعصوا في القول مهدا
ان في الريح لامرا عجباً يا قوم اذا
من أحابيش تمد الـ ـجم بالأفواه مدا
ورجال كحريق النـ ـار شدوا اللجم شدا
لا يراخون لها اللجـ ـم تهد الأرض هدا
صدقوا هوداً تكونوا تصمدوا الخيرات صمدا
وتزجيهم فرد تـ ـهم عباديد وكندا
جاءت الريح ترقى بثبوت الحي ضدا

(١) كذا بالأصل – وما ظهر لنا – ح .

أسبلت سعد نساها | لم تجد من ذاك بدا
أينما كانت عناكم | ثم سلماكم وهندا
أهلكت زمر أو رفدا | وأبا سود وصدا
ولقد كانوا عتوا | وعلى ذا الناس أسدا
كل جبار كنود | مرة للحق جندا

وقال المهيل بن ناعض المسلم رحمه الله تعالى رحمة واسعة :

لو ان عاد أسمعت من هود | وقبلت من رأيه الرشيد
وقد دعا بالوعد والوعيد | ما أصبحت عاثرة الجدود
صرعى على الآنف والخدود | ما فضلة الأجساد بالوطيد
من عصف ريح عوهج سجود | آتية من الاهاب السود
ما جابه الوفد من الوفـــود | على ابن صيد ثم آل سود
ذاهبة كالعمرس الصيخود | يبلى صداها جدة الجديد
أتتهم بالطائر الفقيـــد | فغادرتهم كالهشيم المودي
أحدوثة لأبد الابيد

وقالت هزيلة بعد مصيرها إلى عمها حين نظرها تبكي على عاد وهي تقول :

ما جنيتم أيها الوفـــــ | ــد على القوم الحضور
شرة عمت على عا | د أحاطت بالشرور
أهلكت عاداً جميعا | من صغير وكبير
فعلى وفدهم من | بعدهم ريح الابور
سيقت البلوى إليهم | بالعذاب القمطرير

منوه بعد فهالا مؤذبي وهرير [1]
خافت الموت فولت أمرها قوم الزئير
والاهيين حال لغبير أو حمير
يتعارين جميعاً سرة السر الشرور
لو رأيتم ما رأوا من غصة الموت السعير
يوم جرتهم شعوب بالفناء المستطير
وشآبيب شآبيـ ـب كاهدام الكسير
انما أهلك عاداً عهدها يوم الصدور
كرهوا العذر فأمسوا حطب النار السعير
كل يوم لهم منهـ ـا عذاب ذو كـرور
سبعة ثم آتاهم ثامن بالعنقفير
فتوافوا شرك المو ت وصاروا للمصير

قال : فلما سمعوا قولها يا معاوية وعلموا ما أنزل الله بقومهم من العذاب والعقوبة ورأى أبو سعيد مرثد بن سعد ما صنع الله له إذ نجى أهله وإذا هم إليه سالمين ازداد إيماناً ويقيناً بالله وأظهر إسلامه عند ذلك . وأنشأ يقول :

عصت عاد نبيهم فامسوا عطاشا ما تبلهم السماء
لقد كفروا بربهم جهاراً فارقهم مع الجوع الظماء
وساروا وفدهم شهراً ليسقوا فحل بهم مع القحط البلاء
فقد امسوا كمثل النخل صرعى على آثار عاد كم العفاء
الا قبح الاله حلوم عاد فان حلومهم صفر هواء
من الخير الشفاء إذا رأوه وما يغني التخبط والبكاء

(١) لا يخفى على الناظر ما فيها من التحريف — ح .

فنفسي والبنون وأم ولدي لنفس نبينا هــود فداء
آتانا والقلوب مصممات على ظلم وقد أزف الضياء
على صنم يقال له صمود يقـابله صداء والبغاء
فابصره الذين له أنابوا وأدك من يكذبه الشقـاء
فاني سوف ألحق نحو هود وأخوته إذا دخل المساء

وكان لأبي سعيد أخ يقال له جنحوي بن سعد – وكان كافراً غاشاً متبعاً لعاد ولم يكن رأيه رأي أخيه وكانت له امرأة من قومه – يقال لها جفينة لها منه ابن يقال له عفير وابنة يقال لها عنجهور – فسأل أبو سعيد امرأته عن أخيه وأهله فأخبرته بهلاكهم وكيف رأت الريح تفعل بهم فرق لهم عند ذلك ، وأنشأ يرثيهم وهو يقول :

كأني الآن أنظر جنحويا عليه الريح عاصفة تدور
عليك وأنت في كربات موت أتاك بها مليك لا يجور
تنادي يا جفينة أين يهوى عفير والبنية عنجهور
فبينا ذاك إذ هبت شمــال كما يتقاذف البحر الزخور
فأودى بالرياح وكل حي على الدنيا إلى الموتى يصير
بهذي الريح لم تضرر غريبا سوى عاد أصابهم النكير
تفرقهم بأفهار صلاب وتدمغهم وليس لهم نصير
وقد أمست بلادهم خلاء وهم فيها وما قدم المشير
كشبه النخل خاوية جناها كذلك فاعلموا هذا الكفور
وقد قال النبي لهم أقيمــوا على الحق المبين ولا تجوروا
فان الجور يعطب سالكوه وفي الحق السلامة والسرور
وانا لا نطيعك ما بقينا وأنت مكذب فينا حقير

فنادى فاستجاب له مليك عظيم لا يجار وقد يجير
فأهلكهم بما كسبوا جهاراً هو القهار والملك الكبير

قال معاوية : لله درك فقد جئت بالبرهان ، فما فعل أبو سعيد ، وما كان من هود وأصحابه ؟ قال عبيد : يا معاوية ، تحمل أبو سعيد بأهله وولده حتى أتى هوداً وأصحابه مؤمناً مسلماً ووجدهم على ساحل البحر مما يلي أرض عاد فأقاموا جميعاً يعبدون الله على أحسن حال . ووهب الله لأبي سعيد المال والولد حتى كان أكثر العرب مالاً وولداً في زمانه ذلك . وبلغنا يا معاوية ان عاداً الآخرة من نسله .

قال معاوية : وهل عاد غير هذه ؟ قال : نعم يا معاوية . فان أحببت أخذت في الحديث حتى آتي بحديثهم . قال : بل خذ في حديثك . قال عبيد : كان هود وأصحابه يعبدون الله حتى ماتوا وانقرضوا .

وذكر [1] بعض أصحاب السير عن عبيد بن شرية بأمر هود . قال : أخبرني البختري عن محمد بن اسحاق عن محمد بن عبدالله بن أبي سعيد الخزاعي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الكناني عن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، أن رجلاً من حضرموت جاء يسأله العلم فقال له علي عليه السلام : يا حضرمي أرأيت كثيباً أحمر تخلطه مدرة حمراء فيه آراك وسدر في موضع كذا وكذا من بلدك ، هل رأيته قط أو تعرفه ؟ قال الحضرمي : نعم والله يا أمير المؤمنين . قال علي : فان فيه قبر النبي هود صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ولعل هذه العبارة كانت حاشية فادمجها بعض النساخ في الأصل ومع ذلك فهذا عبيد ابن شربة ليس له دخل في هذه القصة — ح .

رجع الحديث إلى عبيد بن شرية ومعاوية . قال معاوية : يا عبيد أخبرني عن وفد عاد ما فعلوا بعد هلاك قومهم ؟ قال عبيد : يا معاوية . ان الوفد لما سمعوا قول هزيلة فيما أصاب قومهم أقبلوا على قيل بن عنز يعذلونه ويلومونه وقالوا : أنت شأمتنا وجررت علينا الهلاك . فقام رجل من آشرافهم – يقال له موت بن يعفر بن عرعر – وهو يقول :

لو أن عاداً أرسلت زميلاً أو تبعت هوداً لنالت نيلا
لجاءها الوادي يسيل سيلا بالماء يحيي آيلة وأيلا
فضلاً من الله له وطولا لكن عاداً أرسلت قيلا
ويلاً لعاد ثم ويلاً ويلا دعوت يا قيل لعاد عيلا
فصادفت دعوتك الضليلا فجاءت الريح تجر ذيلا
تقصد أحياناً وحيناً سيلا تخترم النساء والرجيـــلا
ولم تدع زرعاً ولا بقولا كلا ولا تيناً ولا نخيلا
ألا رماداً أرمدا ضئيلا

وقال موت : يذكر الريح والوادي الذي جاءت منه ، ومنه اهلكوا وأنشأ وهو يقول :

أفعمت حي مغيث من حيا صير جهدا
سمعوا في الريح صوتاً شبهوا ذلك رعدا
ولقد قاموا إليهـا كي يردوها مردا
أهلكت عاداً وزمرا وزميلاً ثم صـــدا
ثم مقداماً وحـــاراً ثم من بعد الاعـــدا
خلجاناً تركته مثل جذع النخل جردا
عين فابكيهم بدمع يخضب الخدين وردا

قال عبيد : ثم انهم أقاموا بالحرم عند بكر بن معاوية وابنه ما شاءوا ومكثوا على ذلك ما شاء الله . وقد بلغني أنهم أقاموا سبع سنين ، ثم انهم تذكروا الأوطان وحنت نفوسهم إلى البلاد ، فأرادوا المسير إلى بلادهم ، فأقبل عليهم بكر بن معاوية وابنه وقالا : يا قوم انا نكره لكم أن تأتوا أرضاً قد هلك فيها قومكم فترون ما تكرهون وأنتم هاهنا في حرم الله وأمنه والسعة والرحب ، ولكم الأثرة في المال ما بقينا ، فامكثوا . فقالوا لهما : ان النفوس قد حنت إلى الأوطان والآثار ولا بد لنا من اتيانها والنظر إليها . فأجمعوا في ذلك . فأرسلوا إلى ركابهم – وكانت في بادية لبكر من بوادي مكة – فأتوا بها سماناً حساناً فقال في ذلك حسان أبو كلهدة هذه الأبيات وأنشأ يقول .

رعينا السرب والريان حتى إذا ما هاج وامتنع المذاقا
وصار كأنه أصفار نمل إلى تيهاء تدفنه دقاقا
أتينا ننقل الأوتار منها لنفض الريح غيثاً أو دفاقا [1]

قال : ثم ارتحل وفد عاد جميعاً سوى أبي سعيد المؤمن ولقمان بن عاد حتى أتوا أرضهم ومنازلهم يالأحقاف فنظروا إليها مقلوبة مهدومة موحشة من الأهل والمال ورأوا ما نزل بقومهم من العقوبة والنكال فدعوا إلى الله عز وجل فقالوا : أللهم ألحقنا بقومنا وانزل بنا ما أنزلت بهم . فأماتهم الله بصاعقة من السماء فدمرتهم ، فماتوا إلى النار . فسحقاً لأصحاب السعير .

قال معاوية : وأبيك ! لقد أتيت وذكرت عجباً من حديثك عن عاد

---

(١) هذه الأبيات كما تراها – ح .

وقد علمت أن الشعر ديوان العرب والدليل على أحاديثها وأفعالها والحاكم بينهم في الجاهلية ، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (ان من الشعر لحكمة) . قال : لقد صدقت يا معاوية ، ولقد سمعت ابن عمك يذكر عن رسول الله ذلك وأخبرك يا معاوية أنه لما كان من وفد عاد ما كان ، وما قد حدثتك عنه وصارت عاد ووفدها أمثالاً وأحاديث وقالت العرب فيها أشعاراً منها ما حفظنا ومنها ما لم نحفظ . قال معاوية : فهات اسمعني ما حفظت من ذلك . قال : عبيد ان أبا سعيد المؤمن من مرثد بن سعد عند هلاك القوم ، قال شعراً :

عجبت لعاد وأمثالها ... تحاول بالعز والمكرمات
وحالوا العيال وشدوا اللقاح ... بأجساد مر انديات [1]
فقالوا ونحن أولو قوة ... ومن ذا يخاف تبار السنات
فاضحوا وقد همدوا في الديار ... بريح غشتهم من العاصفات
وأهلك عاد وأصحابه ... بوقع عواصفها المهلكات
بأيد المليك وسلطانه ... وقدرته ذل باغ وعات

وقال في ذلك العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي وهو يعظ رجلاً من قومه — كان ظالماً لعشيرته — ويزجره عن الظلم فيها ، وأنشأ يقول :

أراك امرءاً في ظلم قومك جاهداً ... وما لك في ظلم العشيرة من رشد
فالا تدع ظلم العشيرة طائعاً ... تلاق امرأ من بعض قومك ذا حقد
من الرجلة الساعين أو تلق فارساً ... على فرس في الخيل أدهم ذي ورد
جواد كنصل السيف أين لقيته ... فيضربك أو يطعنك طعناً على عمد
ألم تر عاداً كيف فرق جمعها ... قبيل وقد ما جار عن منهج القصد

---

(١) كذا — والأبيات كما ترى — ح .

وقالت بنو عاد هلكنا فجهزوا ... خيارهم أهل الرفاعة والمجد
وكان ابو سعد وقيل فعوقبوا ... بلقمان أذرد الحبيب إلى الجعد[1]
فلما أتوا عزف الجرادة اخلدوا ... ثلاثين يوماً ثم هبوا على وجد
فقيل لهم أعطيتم فتخيروا ... مناكم ولكن لا سبيل إلى الخلد
دعاكم قيل بالمنية ربه ... ولله قيل ذلك من وفد
وقال أضربوا رأسي ولا تتهيبوا ... تجوزا من الأطواد ذي أجد صلد
فعاجله وقع الصواعق كالذي ... أراد سفاهاً والسفاهة قد تردي
وملك لقمان الحياة نردها ... إلى ناهض حرقوا ائمة نهد
وكان يحب الخلد لو حصلت له ... أفاحيص صار ليلة القطر والرعد
وقال أبو سعد الهي فاعطني ... مناي على ما كان أذهب من وجدي
فزوده براً وتقوى كلاهما ... وما كان عن وفد الوفادة من صد

وقال عباس بن مرداس أيضاً :

ويل لقوم لقد حاولت بينهم ... في القول لو أن لهم في المجد أحلاما
إلا ثلاثة أحلام فتزجرهم ... فان في عدم الأحلام اعداما
اني أرى الحلم محموداً عواقبه ... والجهل أفنى من الأقوام اقواما
أمست سراة بني سعد لقومهم ... حرباً وكانوا لهم من قبل أعماما
إذ لا يردون للمظلوم مظلمة ... بل يجمعون له لوماً واسلاما[2]
في كل يوم لنا وفد نجرهم ... من حر باحتنا طراً واجساما
كانوا كوفد بني عاد أضلهم ... قيل واتبع من هاماتهم هاما
عند الجرادة تسقيهم وتسمعهم ... حتى اذا فقدوا مالاً وانعاما
قاموا فلم يجدوا من دار قومهم ... إلا مغانيها وحشا وآراما

---

(١) كذا – والقصيدة كثيرة التحريف – ح .

(٢) كذا – فانظرها – ح .

وقال في ذلك عبيد بن الأبرص الأسدي للنعمان بن المنذر وأنشأ يقول :

يخبرني نعمان في يوم بؤسه خصالاً اتا في كلها الموت قد برق
كما خيرت عاد من الجو مزنة سحاباً وما فيها لمختارها انق

وفي ذلك يقول الأعشى بن نصير أعشى بني وائل وأنشأ يقول :

ولو كان حي خالداً و معمــراً لكان سليمان البرىء من الدهر
براه الهي واصطفاه لخــيره وملكه ما بين درتا إلى مصر
وسخر من جن الملائك تسعة قياماً عليه يعملون على أجر
فأنت الذي ألهيت قيلا بكأسه ولقمان اذ خيرت لقمان في العمر[1]
فقيل اما والصار تختار في الصفا يكر له الابعار في ظلل القطر
فيبقى بقا أبعارها في كهوفها محصنة من قطر سار اذا يسري
لنفسك أن تختار سبعة أنسر إذا ما خلا نسر خلوت إلى نسر
فقال نسور حين ظن بأنها تدوم وهل تبقى النسور على الدهر

وفي ذلك يقول أسد بن ربيعة الكلابي وهم القرون الأولى فأنشأ يقول :

ألم تر إلى حي عاد أفناهم الليل والنهار
بادوا فلما مضــوا باد على أثرهم قدار
وبعدهم غالت المنايا عاداً فلم ينجهم حذار
وأهل جو أتت عليهم فانتدبت عليهم وباروا
وحل بالحي من جديس يوم من الشر مستطار
وأهل غمدان قد ابيدوا بالدهر ما يجمع الخيار
فصبحتهم من الدواهي جائحة عقابها الدمار
ومر دهر على وبار فاضت لها وحشة ونـــار

---

(١) كذا – وقد مضت في التيجان ص ٨٦ – ح .

يا ليت شعري فأين ليت / وهل تدوم لي المغار
وهل يعودن بعد عسر / على أخي شدة يسار

في ذلك يقول كريم بن معشر التغلبي لبعض قومه في جرهم :

لا تكونوا قومي أحدوثة / كبني طسم أو الحي أرم
بعثوا قيلا ووفداً كلهـــم / طائش الحلم وبئس المدعم
ولقيماً ومر ثدأ ذا التقى / وسفار اوان عوف والصنم
خرجوا وفداً إلى خالتهم / حين أبطأ عنهم غيث الديم
بعدما ردوا نبياً مرســـلاً / وتعاطوه بتفخيم الحرم
عجلوا حرباً من الله لهم / لم تدع خفاً ولا ذات قدم

قال معاوية : لله درك يا عبيد حدثتنا عجباً من أمر عاد فالحمد لله القادر على ما يشاء من أمره فهات يا ابن شرية فحدثني عن لقمان بن عاد صاحب النسور ، وكيف كانت نسوره وكيف يناديه المنادي ، وكيف كان يجيبه وما كان عمر نسوره وعمره وما قيل في ذلك من الشعر ؟

قال عبيد: يا معاوية . أنه لما وقع من وفد عاد وقتل أصحابه من التشاجر فارقهم مرثد بن سعد المؤمن واعتزلهم لقمان . قال لقمان بن عوص: قال لا يا معاوية ، ولكنه لقمان بن عاد بن هزيل بن همل بن صدر بن عاد بن عوص . قال : صدقت فحدثني حديثك عنه . قال : عبيد : وأنه لما توجه لقمان مع الوفد حدثتك بحديثه وأنه اختار طول عمره فكان من دعائه حين سأل طول العمر وترك ما وفد له أن قال فيما دعا :

اللهم يا رب البحـــار الخضــر / والأرض ذات النبت بعد القطر
أسألك عمراً فوق كل عمر

فنودي أن قد أعطيت ما سألت ولا سبيل إلى الخلود فاختر إن شئت سبع بقرات من ظبيات عفر في جبل وعر لا يمسها قطر وان شئت بقاء سبعة أنسر سحر ، كلما هلك نسر أعقب نسر . فكان اختياره بقاء النسور

(النسر الاول)

فبينما لقمان يدور ذات يوم في جبل أبي قبيس بمكة سمع منادياً لا يرى شخصه وهو يقول : يا لقمان بن عاد المغرور ببقاء النسور اطلع رأس ثبير ليس يعد وقدرك المقدور ، فطلع رأس ثبير فإذا بوكر نسر فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخيهما فاختار لقمان أحد الفرخين ، ثم عقد في رجله سيراً ليعرفه وسماه المصون ، ثم قال : المصون الخالص المكنون من بيت المصون ومحذور السنون وغبط العيون والباقي بعد الحصون إلى آخر الدهر الخؤون .

قال معاوية : لله أنت يا عبيد كيف كان اختياره وفرقه بينهما ، وهما فرخان لنسر واحد ؟ قال عبيد : بلغني أنه كان ينظر إلى أعظمهما رأساً وأجلهما عظماً فلا يشك أنه الذكر منهما فيختاره ، لأن الذكر أبدى وأقوى وأصلب وأحذر لأن مضغة الطير تشك . قال معاوية : فخذ في حديثك يا ابن شرية . قال عبيد : وكان لا يغفل عن اطعامه حتى تم طائراً مسخراً له يدعوه باسمه للمأكل فيجيبه حتى أدركه الكبر ، فضعف فلم يطق أن يطير فبينما لقمان يطعمه لحماً قد بضعه له إذ غص ببضعة منه فخر ميتاً ، فجزع لذلك جزعاً شديداً وقال هذا بلاء — وأنشأ يبكي نفسه ويقول شعراً :

موت المصون دل على انـــــا نذوق الحمام حقاً يقينا

أفنى الدين للناس حتى غدا لا يلبس المنا والمصونـــا [1]
فكلانا نبكيه يوماً فلم يـــ ـلق رشداً اختاره بل شجونا
انسرا تبقى كما ليس يبقى بعرفي الطياح تلقى كنينا
في ذرى ما أن يراه بصير حين مد إليه طرفاً حصينا
ان كل النفوس من خلـــق ربي للمنايا أمسى وأضحى رهينا
ضل رأيي عند اختياري واني خفت من حسرتي عليه جنونا
حين القيت تاركاً من خطامي كيد رشد يراه غير مبينا
فعلى رأيي ابكي وابدي بالغنى الردى وبالفضل دونا

(النسر الثاني)

وكان لقمان يومئذ بالطائف ، فبينما هو يبكي نفسه ، إذ سمع المنادي ينادي : يا لقمان دونك البدل رأس الجبل فوق مرعى الوعل رأس السرماج المعتزل مأمور بطاعتك كالأول . فطلع لقمان حيث وصف له المنادي فإذا بوكر فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخيهما فاختار أحد الفرخين وعقد في رجله سير ليعرفه ، فسماه عوض ، ثم قال : أنت العوض المبرأ من تلف العرض وآفات المرض وتعواج الجرض وحقك علي أفضل مفترض أوديه كلما عرق نبض . وكان لقمان لا يغفل عن اطعامه حتى نهض طائراً له يدعوه باسمه فيجيبه حتى أدركه الكبر فضعف ، فدعاه لقمان ذات يوم تحت شجرة ومعه اللحم قد بضعه له ليطعمه إياه ، فأقبل النسر كاسراً بجوزه غصون الشجرة فخر ميتاً . فهال لقمان موته هولاً عظيماً ، فأنشد يبكي نفسه ويقول :

---

(١) تأمل هذه القصيدة فانها كثيرة التصحيف – ح .

أيقنت أن مابتي تلف أصبر للموت والردى عرضا [1]
أرمي بسهيمهما على كسر أعبطني عبطة المنا مرضا
ما كان لي نعشاً مرعياً عمري حسبته مبرم العرى نقضا
اسلو وأرجو اليأس في طمع ومن رجا ساطع المنا قبضا
هل عمر الباقيات الا كمن عمر منها الأمر صحبتي فمضى
ما لي صبر عن المصون وقد عوضت من بعده عوضا
فارقهما الموت من حمامهما واخلفا ما رجوت فانقرضا
كذاك أفنى حقاً كما فنيـا أجرع كأساً ممزوجة عرضا
كذاك الحمام لن يصد إلى تكركر الحفظ بل تمخضا
تخرج نفسي من كل مدخلها كم هال من محنة لديه قضى
متى يكون شيء منزله منفضاً أو مجرعاً معضـا
وكل من ظن ان مهجته تدوم في عيشة فقد دحضا

(النسر الثالث)

قال : وكـان لقمان يومئذ بالسراة — فبينما لقمان يبكي نفسه تحت شجرة — إذ سمع منادياً ينادي : يا لقمان بن عاد اطلع الصفا تجد عند العرتون شرفاً تصادف فيه خلفاً وشبحاً مأموراً يطيعك منصفاً لمن تجد عنده خلفاً واسمه خلف واقبل بالحياة نصفا .

قال : فطلع لقمان رأس الجبل ، فوجد وكر نسر فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخيهما ، فاختار أحد الفرخين ، وعقد في رجله سيراً ليعرفه

---

(١) كذا — والقصيدة مختلة — ح .

به ، وسماه خلفاً ، ثم قال : أنت الخلف كما وصفك من وصف احترازاً من التلف وأبقى مما قد سلف ولك عندي أفضل النصف . وكان لا يغفل عن اطعامه حتى نهض طائراً مسخراً له ، يدعوه للطعام فيجيبه ، حتى إذا أدركه الكبر وضعف ولم يقدر أن يطير ، أخذ له لقمان قفصاً يحمله فيه حيثما توجه ويطعمه فيه — ويقال أنه يا معاوية أول من حمل طائراً في قفص — فبينما لقمان في مجمع عكاظ ومعه نسره ذلك في قفصه، إذ اجتمع إليه من حضر من العرب بعكاظ وطلبوا إليه أن يريهم نسره . فبينما هم يقلبونه وينظرون إليه إذ مات النسر في أيديهم وبينهم ، فاغتم لقمان لموته وجزع عليه جزعاً شديداً وانحل جسمه وقال في ذلك شعراً :

يا نفسي أبكي عليه أن تجدي	عن اختياري أن عندي لك النصفا
اخترت من هفوتي بلا حدث	ولا احترام متى لك التلفا
عليك ابكي إذ صرت نصب الردى	ولست ابكي بعبرتي خلفا
أيقنت أن النفوس لاحقة	لا شك في ذا كم بمن سلفا
والموت لا شك فيه يطلبني	وهو مدركي وملحقي قرفا
عيناي لا تبخلا بد معكما	علي بل فاهطلا به وكفا
واسعداني بمسيل سرب	محدراً دانياً ولا تقفا
فمن عليه يجود دمعكما	بعدي بادراره وان نزفا
واستعبرا بالدما بقاء كما	ولا تضنا به فقد أزفا
موتي فجودا لمهيع درر	من نهر جرت بالشيخ معترفا
ثلاثة كلهم قد كن لي حزنا	وصيرت نفسي للردى لها هدفا
فما نجاتي من مدركي هربا	ومن غلوب علي قد عكفا
فالقلب مني لخوف سطوته	واحدة في الوقت قد رجفا
والخوف منه أن سوف يلحقني	في غفلتي سادراً قد التحفا

وكان عمرو بن نمارة بن لخم ملكاً من ملوك العرب في ذلك الزمان ـ وكان قد شهد عكاظ بجنوده يوم هلك نسر لقمان بن عاد الذي سماه خلفا ـ وكان عمرو بن نمارة قد عرف أمر لقمان فقال في شعر له، وهو يعظ قومه يذكر لقمان بن عاد :

انعم الرأي ليس ذو أرب ... يدعى اريبا إلا بما قد رأى [1]
كونوا لدى الحزم والتوكل ما ... لاقاه أتى وان فلا صبرا
أنتم كلقمان في بنيكـــم ... أمسوا كما يمسي لم يكن صغرا
فمن رأى منكم الملوم ومن ... لاقى سروراً يقول قد ظفـــرا
في أمر لقمان عبرة لـــكم ... إذ قال نسراً يختار أو بعرا
في كهف طود ولا ترى أبداً ... وطأة وأط ولا ترى مطراً
أو أنسر سبعة لها أمـــــد ... يفني فقال الشقي بل أنسرا
ففاته الخلد إذ تخيره ... يفني كفاكم بذاكم عـــبرا
خير فاختار جاهداً تلفـــا ... فصار للموت والردي جزرا
من ذا اليه حوى مناه ومن ... عنه بما احتال يصرف القدرا
والخير والشر ملك مقتدر ... كلا بعز وقدرة قهرا

(النسر الرابع)

قال : ثم توجه لقمان يا أمير المؤمنين إلى جبل قريب منهم . فلما دنا من الجبل سمع منادياً ينادي به : يا لقمان بن عاد اطلع إلى الجبل تلق عند السهور [2] ذي الرتب في تلة العرتون المنتصب مغيباً لم يغب من حلول موت

---

(١) هذه القصيدة والتي قبلها في الخبط سواء ـ ح .
(٢) كذا فحرره ـ ح .

قد كتب على أهل المشرق والمغرب ، فطلع لقمان ذلك الجبل حيث وصف الذي ناداه ، فإذا هو بوكر نسر فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخيهما ، فاختار أحد الفرخين وعقد في رجله سيراً ليعرفه به وسماه مغيباً ، ثم قال : أنت المغيب – كما سماك من لا يكذب – عيشك معي العيش المخصب ويزاح عنك المكد المخرب وأنا عليك حدب في بقائك مرتقب ، فكن ابقى ممن قد ذهب . فكان لقمان لا يغفل عن إطعامه حتى نهض طائراً له يدعوه باسمه للمأكل فيجيبه حتى إذا كبر وضعف ودعاه لقمان ذات يوم من رأس الجبل فلم يجبه ، فطلع اليه فوجده ميتاً . فهاله ذلك من موته هولاً شديداً ونزل به كرب عظيم فأنشأ لقمان يبكي نفسه وهو يقول :

أملت ما لا أناله أبداً إذ ازم الرأي نال ما طلبا
مرثد نلت العلى ونلت بـلا أرعى نسوراً بقاؤها عزبا [1]
أرعى نسوراً لم يرعها أحـد قبلي كأني بذاكم نصبا
أن تقبلي وادياً فالسدر يقلعها كي لا يصد القرى به جدبا
أو دين عنا فصرت في عمر رث القوى واهياً وما انتصبا
لا مغيب كاسمه فيـا عتب بل زاد قلبي اقراحه ندبا
أورثتها بالذي كسبت وذا اللحوم له غبطة بما كسبا
على شقائي إذ صرت أسفاً بما خيرت جهلاً لا ينقضي عجبا
قد نال منه السرور والفضل في أسرابه والشقي قد كتبـا

(النسر الخامس)

فبينما لقمان في تلك الحال يبكي نفسه ، إذ سمع منادياً يقول : يا

---

(١) كذا – والقصيدة كما تراها – ح .

لقمان بن عاد لك في الجبل الأيسر بين منبت الشت والعرعر فوق الشاهق الأغر ، فأخرجه منه واستبشر فبطاعتك قد أمر وإلى الموت يصير البشر فطلع لقمان الجبل ، فإذا هو بوكر فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخين فاختار أحد الفرخين وعقد في رجله سيراً ليعرفه — وسماه ميسرة — ثم قال : أنت الميسر الباقي المحبب إليك اليسر انك النسر الباقي بقاء الدهر وكان لقمان لا يغفل عن اطعامه حتى نهض طائرا مسخراً له يدعوه باسمه فيجيبه للمأكل حتى أدرك ذاك النسر الكبر وضعف ، فدعاه لقمان ذات يوم ليطعمه فأقبل نحوه كاسراً فوقع على منكبه يصيح ومعه لحمه قد بضعه له ، ثم حركه لينهض فلم يطق أن يطير ، فذهب لقمان فجمع له عيداناً لينحت له قفصاً يجعله فيه فوجده ميتاً . فهاله لقمان موته وجزع لذلك جزعاً شديداً كادت أن تذهب نفسه فأنشأ يقول :

دنا الموت إذ نشاب موتي شوارع ... إلي بنيران المنايا تسعر

رجوت بأن أبقى وعمر ميسر ... ففات وأودى مفرد إلى ميسر

فصرت أرجي واحداً بعد واحد ... نسور وهل تبقى على الدهر أنسر

فلا تعجبوا بالرأي بعدي فانني ... جهدت اختياراً حين نادى المخير

فقلت ستبلى بعرة الضأن ذلة ... ولم أك فيما كان مني أفكر

وتبقى نسور سبعة كل واحد ... طويل المدى يوقى الردى ويعمر

ولو عشت أضعاف الذي عشت لم يكن ... من الموت بد ذاك حتم مقدر

وما هو آت قبل ورد حلوله ... على غفلة مني به لست أشعر

كأني على ما ينقضي من سنيننا ... وطول زمان قد مضى لست أذكر

فما قد مضى ينسى وما هو آتي ... قريب وصافي العيش قد يتكدر

(النسر السادس)

فبينما لقمان يبكي على نفسه ذات يوم ، إذ سمع منادياً يقول : يا لقمان بن عاد اطلع فوق الصفا الأملس مستقبلاً مطلع الشمس تجد وقرة كالترس فيها راسخ محترس عن طاعتك لا يحتبس وستموت كل نفس . فطلع لقمان حيث وصف له المنادي ، فوجد وكر نسر فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخيهما ، فاختار أحد الفرخين ، ثم علق في رجله سيراً ليعرفه وسماه انسا ، ثم قال له : أنت الأنس من روعات اللحس والدهر غير التعس وحياتك ببقاء النفس . وكان لقمان لا يعدل عن إطعامه حتى نهض طائراً مسخراً له يدعوه باسمه إلى المأكل فيجيبه حتى كبر وضعف . فبينما لقمان سائراً من الطائف إلى مكة ومعه لحم قد بضعه له والنسر يحوم فوقه إذ دعاه لقمان باسمه فأنقض كاسراً نحوه فوقع ميتاً . فاغتم لذلك لقمان غماً شديداً واستنغل صدره وذهب عقله وبكى عند ذلك وأنشأ لقمان يبكي نفسه وهو يقول :

أمرضني سادس النسور وقد جدد حزناً وكان قد درسا
سميته لي لوحشتي أنسا أودى لعمري ولم يدم أنسا
شبهت ما قد مضى ومنزلتي كنبهة من مسافر نعسا
أخلف ظني وذو طمع بالخلد قبلي أخطاه ما حلسا
هل يبتني المبتني بلا أسس الله الباني إذ بنى أسسا
ما عمر الحي غير ما نفس تنام إذ لا ترى له نفسا
فان أمت قد حييت مجتنباً للعيب لم أجر سادراً دنسا

(النسر السابع)

فبينما لقمان يبكي نفسه إذ سمع منادياً يقول : يا لقمان بن عاد لك

فوق الصفا الأسود حيث الشجر المتلبد خلصة بيت الرشد فرخ به وفاء الموعد مأمور بطاعتك فاصعد . فصعد لقمان رأس ذلك الجبل ، فإذا هو بوكر نسر فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخيهما فاختار أحد الفرخين وعقد في رجله سيراً ليعرفه به وسماه لبداً وقال : أنت لبد الباقي المخلد إلى آخر الأبد عيشكمعي رغد ويزاح عنك النكد ويوفق لك الرشد وعمرك لا ينفد — وكان لقمان لا يغفل عن اطعامه — حتى نهض طائراً مسخراً له يدعوه باسمه للمأكل فيجيبه حتى أدركه الكبر وضعف .

وبلغني يا أمير المؤمنين أن رجلاً من عاد الآخرة جاء إلى لقمان فقال له : يا عم ما بقي من عمرك غير هذا النسر ، فقال : يا ابن أخي هذا لبد . قال معاوية : لله أنت ما اللبد ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين قد علمت أن اللبد في لغة العرب الدهر . سمعت ابن عمك عبدالله بن عباس يقول : ويذكر في كتاب الله عز وجل يقول (أهلكت مالا لبداً) يقول كثيراً . قال معاوية : صدقت فخذ في حديثك . قال عبيد : فلما دنا أجل لقمان وبلغ الميقات ، أقبل ذلك النسر لبد حتى وقع على شجرة النتظب فدعاه ليطعمه من لحم قد بضعه . فأراد لبد أن ينهض فلم يطق أن يطير ، فأقبل لقمان فزعاً مرعوباً حتى قام تحته وقال (انهض لبد أنت الأبد لا يقطع بي الأمد نهضاً شدد نهض الملك المجرد الحارث بن ذي شدد) . قال معاوية : لله أبوك من الملك المجرد الحارث بن ذي شدد الذي يعني ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين هو الرائش ملك من ملوك حمير باليمن — فان شئت حدثتك حديثه — قال معاوية : بل أتم حديثك حتى أسألك عما أريد — ان شاء الله تعالى — قال عبيد : فلم يطق لبد أن ينهض وتفسخ ريشه ، فهال ذلك لقمان هولاً عظيماً ووقع موته منه موقعاً جسيماً ، فأنشأ لقمان يبكي نفسه ويقول:

موتي اني أموت اليوم يا لبد وحسرتي ان قد تصرم الأبد
فطر كما كنت سالماً لبـداً نحيا ونحيا معاً ونحتفـد
إني وإياك في تفرقنـا سيان شقا كالروح والجسد
ان مت لم أبق انما أجلي ما عشت فابق ما ان لك الرشد
ما لي سوى ما بقيت من عمري فليس لي من سبيلك السـدد
قد هالني ما أرى وأرعبني اني واجد فترة كما تجـد
أنكرت ظهري وركبتي ويدي فالبطن والصدر فيهمـا ويد
قد غالني كلما أرى نفسي والموت آت إذا انقضى لبد
وان يكن آتياً سأكرهه لأنه متعب للمراد يرد
يسل نفساً من المفاصل لا يخلف ان جل موعد لقد [1]

ثم سقط لبد ميتاً ، فجاء لقمان لينهض فاضطربت عروق ظهره وخرَّ ميتاً – وكان أمرهما هذا بمرأى من رجل من العمالقة ، يقال له المثنى بن عمرو العمليق – والعمالقة يومئذ سكان السراة والحجاز كلها ، وكان المثنى شاعراً حافظاً ، حفظ قول لقمان وشعره وعاين كيف كان هلاك نسره فقال وهو يبكي على لقمان ويرثيه :

فنيت وافنى الله نسلك من نسر هلكت وأهلكت من عاد وماتدري [2]
فمن ذا ينجي بعد لقمان فكره يخلصه يا قوم من تلف الدهر
فاسنوا منكم أنفساً ببقائهـا فما لكم في الرأي في ذاك من عذر
وخيرها فاختار لم يلك عالماً محيطاً بها الاعلى الشك أو نسر

قال : ثم انطلق المثنى إلى ناس من قومه العماليق فأخبرهم بأمر لقمان

---

(١) كذا – فلينظر – ح .
(٢) في التيجان ص (٨٦ وقد أهلكت عادا وما تدري)– ح.

ونسره فانطلقوا حتّى دفنوهما ، والمثنى صهر لقمان بن عاد . وبلغني أن موت لقمان كان في زمان ملك فارس .

قال معاوية : لله أنت يا عبيد! أخبرني كم كان عمره ؟ قال : بلغني أن عمره كان الف سنة وسبعمائة سنة وأربعاً وستين سنة . قال معاوية : فعمر النسور من ذلك كم ؟ قال عبيد : اني سمعت ابن عمك يقول : كان عمر كل نسر مائة سنة وزيد لبد عليها نيفاً . وذكر غيره أن أعمارها كانت مختلفة ، والله بالصواب أعلم . كان عمر النسور التي متع بها الف سنة وأربعمائة ونيفاً ، وكان عمر لقمان قبل النسور ثلاثمائة ونيفاً وستين سنة . قال معاوية : لا يفضض الله فاك يا عبيد ، لقد حدثت بالعجائب ! أخبرني هل قيل فيه شعر ؟ قال : نعم يا معاوية ، كان لقمان ونسوره مثلاً في العرب ، فقال لبيد بن ربيعة الكلابي شعراً يقول فيه :

لما رأى لبد النسور تطايرت رفع القوادم كالعقير الأعزل [1]
من تحته لقمان يرجو نهضه ولقد رأى لقمان أنه لا يأتلي
ولقد جرى لبد فأدرك شأوه ريب المنون وكان غير مغفل
غلب الليالي خلف آل محرق وكما فعلن بتبع وبهرقل
وغلبن أبرهة الذي الفينه قد كان يخلد فوق غرفة موكل
والحارث الحراب كانت داره داراً أقام بها ولم يتحمل
تجري مواهبه على من نابه جري الفرات على قرار الجدول

وفيه يقول النابغة الذبياني حيث يقول :

أمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد

---

(١) مضت في ص ٨٦ من التيجان – ح.

قال معاوية : من أين علمت أنه آخر النسور ! وكيف علم ذلك النابغة حيث قال فيه ؟ قال : الخبر فيه يا أمير المؤمنين مع الأعشى قد فسر ذلك في شعره . قال معاوية : وكيف قال الأعشى ؟ : قال يا أمير المؤمنين في شعره الذي يقول فيه :

فلو كان حياً خالداً أو معمراً   لكان سليمان البريء من الدهر

حتى أتى إلى آخر الأبيات ، وقد ذكرناها في كتابنا هذا . وهذا ما كان من خبر لقمان بن عاد وخبر نسوره وطول عمره من جهة أخباره بعد نسوره ، والله أعلم بالغيب .

(يتلوه حديث عاد الآخرة)

قال معاوية : لله أنت يا أخا جرهم ، لقد ذكرت من حديثك عجباً فلله الحمد على ما قضى في خلقه ، فقد سمعتك ذكرت عاد الآخرة في حديثك فهات حدثني حديثهم ؟ قال عبيد : نعم يا أمير المؤمنين ، أنه لما هلك عاد الأولى وتوفي هود النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه وبقي ولد أبي سعيد المؤمن ، فكثروا وانتشروا في البلاد وحدثت منهم القرون حتى كثروا وعتوا وبغوا في الأرض بغير الحق ، فالقى الله شرهم بينهم وأهلك بعضهم ببعض وأفناهم الله بذلك . قال معاوية : لله أنت يا عبيد ! وكيف كان ذلك ؟ قال عبيد : كان منهم رجل – يقال له سالم بن هزيمة – أحد بني عفير بن لقيم سادة عاد الآخرة ، فكان رأساً في قومه وفيهم العدد والقوة والثروة – وكان سالم بن هزيمة رئيسهم وصاحب أمرهم – ثم ان رجلاً من قومه الا من غير أهل بيته هو من بني لقيم – يقال له لقمان بن

عاد بن عمرو بن لقيم – تزوج أخت سالم ، فمكثا على ذلك دهراً طويلاً فلما أراد الله بهم ما أراد من الهلاك القى بين أخت سالم وبين زوجها التشاجر وكان بينهما شر كثير حتّى تناولها فضربها وأساء إليها فخرجت المرأة إلى أخيها بأسوأ حال ، فغضب سالم مما صنع لقمان بأخته وصرخ في قومه فاجتمعت اليه جماعة منهم ، فانطلق بهم حتّى أتى صهره لقمان فكلمه فيما صنع بامرأته ؟ فرد عليه قولاً سيئاً ، وكانت بينهما منازعة شديدة حتّى ساء الحال فيما بينهما والتحمت الحرب بينهم . فاجتمعت قبائل عاد إلى بني عفير بن لقيم ، ثم إلى سالم بن هزيمة ،واجتمعت بنو عمرو بن لقيم إلى لقمان ابن عاد والتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فظفر لقمان بن عاد وقومه بسالم بن هزيمة وقومه من بني عفير وبجميع ما كان مع بني عفير من سائر فرق عاد فقتلوهم جميعاً حتّى أفنوهم ، ولم يتركوا منهم أحداً إلا امرأة – يقال لها صنيعة من بني عمرو بن لقيم، كانت متزوجة في ثمود رجلاً من أشرافهم فولدت له رجلين ، يقال لهما الوضيع وغانم – ثم ان زوجها مات فرجعت إلى من بقي من قومها عاد الآخرة – أهل بيت لقمان بن عاد – الذين قتلوا أهل بيتها ومعها ابناها ، فأقامت معهم ما شاء الله وشب ابناها فأدركا .
قال : فلما كان ذات ليلة إذ نزل بها ضيف من أصهارها من ثمود بينه وبين أبيها قرابة– يقال له حبيب بن جارية – فوثب عليه رجل من عاد – يقال له معاوية بن مرثد بن لقمان بن عاد – فقتله . فلما رأت ذلك منيعة – وكانت امرأة أنفة عارمة ، غضبت لقتل ضيفها وجارها فدعت إلى ابنيها – فقالت : اذهبا إلى هذا الفاسق فقد عدا على ضيفكما وابن عمكما فقتله ، وقبل ذلك فان جده وأهل بيته قتلوا جدودي وأهل بيتي فاذهبا اليه فاقتلاه . قال : فانطلق الغلامان حتّى أتيا معاوية فقتلاه ، ثم انطلقت منيعة

هاربة في ليلتها بأبنيها ونفسها ، حتّى صارت إلى اختا لها من ثمود – وهم يومئذ أمنع العرب وأعزهم – فاستجارت برجل من ثمود – يقال له غنم ابن عمرو بن مبلغ – فأخبرته خبرها ، وأنشأت تقول :

أتيتك يا غنم بن عمرو بن مبلغ ... بنفسي وابني الوضيع وعاديا
فررت اليكم من سفاهة معشر ... ومن قدرة تعلي على الافاعيا
وقالوا أأهلكت ابن زيد[1] سفاهة ... فلا صلح فينا بعد قتل معاويا
بنو حرب ولقمان بن عاد عدونا ... وقد كان لقمان زماناً رجائيا
فاخلف لقمان رجائي وذمّتي ... بقتلهم جاري حبيب بن جاريا
فلا تسلمني يا بن غنم إليهم ... فتبلغ مني ان فعلت الدواهيا

فأجارها غنم بن عمرو وقام دونها ، وطلبها بنو لقمان بن عاد وابنيها ليقتلوها وابنيها ، فمنعهم غنم عن ذلك هو ورهطه ، وكادت أن تهيج بينهم حرب حتّى أصلح بينهم ردم الطسمي – وكان يومئذ حكم العرب – فاصطلحوا ومكثوا على السلم ما شاء الله ، ثم ان رجلاً من بني لقمان بن عاد قتل رجلاً من غنم بن ثمود ، فنهضت عليهم ثمود وغضبوا في قتل صاحبهم غضباً شديداً فحاربوهم وأعطوا عليهم الظفر فقتلوهم جميعهم حتّى أفنوهم عن وجه الأرض فلا أعلم لهم اليوم بعقب، والله أعلم . فهذا ما كان من حديث عاد الآخرة يا امير المؤمنين وأخبارهم .

(يتلوه حديث ثمود بن عابر بن أرم بن سام)

ابن نوح بن ملك بن متوشلخ بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث ابن آدم – أبي البرية صلى الله عليه وسلم وعلى الطيبين من ذريته الطاهرين

---

(١) تقدم في صدر الصفحة – مرثد – ح .

والأنبياء المنتخبين والأئمة التابعين والأولياء والأصفياء الصالحين.

قال معاوية : تبارك رب العالمين ، ثم قال : حدثني عجباً منهم يا عبيد ! فحدثني بحديث ثمود قوم صالح صلى الله عليه وسلم وعن أخبارهم وكيف كان سبب هلاكهم وقصص أمورهم ؟ قال عبيد : يا معاوية ، لما أهلك الله عاد الأولى والآخرة وانقضى أمرهم خلفت ثمود بعدهم ، وانتشروا في البلاد وملأوا الأرض وآثاروها وتكبروا وعتوا وطغوا وساروا في الأرض بغير الحق وأكثروا فيها الفساد وعبدوا الأصنام ، وكانت منازلهم بالحجر – وهو وادي القرى إلى رملة فلسطين -- وهو ثمانية عشر ميلاً بين الشام والحجاز . ذلك قول الله عز وجل (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) . وكانوا قوماً عرباً ، وكان الله جل جلاله قد أعطاهم فضلاً من القوة والأبدان وسعة في الأرزاق وطولاً في الأعمار ، فلم يزدهم إلا طغياناً ، فلما كثر عتوهم على الله عز وجل ، بعث إليهم صالحاً – عليه السلام – وكان من أوسطهم بيتا وأكبرهم حسباً وهو صالح [1] بن عمرو ابن وهبة بن كاشح بن أحقب بن الوذ بن عابر بن أرم بن سام بن نوح – فأرسله حجة عليهم ، وكان بعد هود وصالح ابراهيم خليل الله – عليه السلام – فأتاهم صالح برسالة ربه على ما شاء بأمره ، فمكث يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل وترك عبادة الأصنام ويخوفهم عذاب الله ونقمته حتى صار شيخاً كبيراً أشمط ، وكان من دعائه إياهم وردهم عليه ما ذكر الله تعالى لنبيه في كتابه في آيات كثيرة . فلما ألح صالح على قومه بالدعاء لعبادة الله وترك عبادة الأصنام وحذرهم عذاب الله ونقمته لاعدائه ،

---

(١) في العبر – صالح بن عبيل بن اسف بن شالخ بن عبيل بن كاثر بن ثمود بن كاثر ابن ارم – الخ – ح٥ .

فأخبرهم بما عنده لمن عبد الله من الفضل الكبير الدائم وبما عنده عز وجل لأوليائه ، فلم يتبعه إلا القليل المستضعفون في الأرض ، فلما طال عليهم دعاؤه إياهم ، اجتمع اليه ذات يوم أشرافهم وذو القوة منهم وذو الرأي منهم . فقالوا : يا صالح قد أكثرت علينا الدعاء وخوفتنا العذاب وأنت بشر مثلنا وذكرت لنا ان الله أرسلك الينا ، ونحن نحب أن تأتينا بآية وترينا آية نعتبر بها ويكون ذلك مصدقاً لقولك لعلنا أن نتبعك ، وذلك قول الله عز وجل (ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين) . فقال لهم صالح : أين تريدون ؟ قالوا : تخرج معنا في عيدنا فما سألناك من شيء أو طلبناك فعلته لنا . قال صالح : فإذا فعلت ذلك لكم وفعله لي ربي ما الذي تفعلون أنتم لربكم ولي ؟ قالوا : نعبد الهك ونؤمن به ونتبعك ، فأخذ عليهم صالح العهود والمواثيق في ذلك وتأكد عليهم أشد تأكيد. وكان لثمود عيد في كل سنة يخرجون فيه إلى بعض نزهاتهم بأوديتهم فيخرجون بالخمر والطعام والاجزار ويخرجون معهم أصنامهم التي يعبدونها من دون الله تعالى فيذبحون لها الذبائح ويقربون لها القرابين ويقيمون هنـــاك أياماً يأكلون ويشربون ويلعبون وتضرب لهم القيان بالدفوف والمعازف ويجتمعون لذلك العيد من قراهم كلها في ذلك الموضع لذلك اليوم — وكان رأس ثمود من أشرافهم وسادتهم ، يقال له جندع بن عمرو بن خراش بن الدميل بن عاد بن ثمود ، وهو صاحب أمرهم والمطاع فيهم وكان معه أشراف منهم ريان بن صمغة بن خليفة بن خراش وهو كاهنهم وذوؤاب بن عمرو بن ابيـــد بن خراش — وهو صاحب أوثانهم والجناب وشهاب ابنا خليفة ابن عمرو ولبيد بن خراش وهو صاحب حربهم وبأسهم ، وهؤلاء أهل بيت واحد ومعهم أشراف من بني غنم وعبيد بن ثمود ليسوا بلونهم في الشرف والعز ، فخرجوا في عيدهم بزينتهم ولهوهم وما احتاجوا اليه من

صلاحهم ، وخرج معهم صالح – صلى الله عليه وسلم – وهو يرجو إسلامهم فأتوا مكان مجمعهم فقضوا ما كانوا يحتاجون اليه يومهم ذلك فاعتزلهم صالح في ناحية قريباً من شجرة كانت هناك يصلي ويعبد الله فلما كان في الغد اجتمعوا إليه بأجمعهم ، فأتوا صالحاً فتحدثوا عنده ما شاء الله ، ثم نظروا إلى صخرة عظيمة منفردة في قاع أفيح فأعجبتهم فقالوا : يا صالح ان طلبنا منك أن تخرج لنا من هذه الهضبة – يعنون الصخرة – ناقة حمراء شعراء وبراء مهبرجة ، والمهبرج من الابل : يماشي كل النجب لها ضجيج وعجيج ورغاء شديد تفور لبناً سائغاً . فان فعلت ذلك فعلنا لك ما عاهدناك عليه وإلا علمنا أنك كاذب.وانما سألوا صالحاًذلك استهزاء به فظنوا أنه لا يفعل ولا يكون منه ذلك ولا يقدر عليه . ولم يكن الله ليحقر نبيه – وهو القادر على ما يشاء – فقال لهم صالح : زيدوا فاعطوني عهودكم ومواثيقكم على ذلك . فأعطوه ما وثق به ، ثم قام صالح فصلى ما شاء الله ، ثم رفع رغبة إلى الله ودعاه وتضرع إليه . فسمعت ابن عمك عبد الله بن عباس يقول : فبينما هم على ذلك – وهم يدعون أصنامهم أن تحول بين صالح وبين ذلك – وهم ينظرون ما يفعل لصالح اله وما تفعل لهم أصنامهم إذ نظروا إلى الصخرة تتحرك وترتعد من خشية الله تعالى ، ثم اضطربت فنظروها تتمخض كما تمخض المرأة للولد ، ثم انصدعت وتغلقت عن ناقة عظيمة على ما سألوا ووصفوا إلا أن الله عز وجل عظم خلقها على خلق كل دابة في الأرض فكانت كأنها طود عظيم رأسها كأعظم بعير ، ثم أقبلت إلى جماعة القوم حتى ظنوا أنها مهلكتهم ونظروا إلى أمر عظيم هالهم من أمر الله وعزته وقدرته.فلما رأى ذلك رئيسهم جندع بن عمرو خر لله ساجداً وسجد معه بشر كثير من عظمائهم وسفلتهم وأقر الله عين نبيه – عليه السلام – وصدق ظنه

وكانت العامة من ثمود عند ذلك قد خشوا أن يموتوا تلك الساعة . فقام فيهم نفر من مشائخهم — مشائخ الكفر والضلالة — منهم : ريان بن صر [1] — صاحب كهانتهم — والجناب بن خليفة وذؤاب — صاحب أوثانهم — فكلموا ثمود ونهوهم وزجروهم عن الإسلام . وقول الله عز وجل (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) . يقول : هداهم أراهم آية عظيمة فاهتدوا وابصروا ثم استحوذ عليهم الشيطان وأطاعوا سادتهم وكبراءهم فارتدوا إلى الكفر وهو العمى .

قال عبيد : سمعت ابن عمك يقول ذلك . قال : صدقت فخذ في حديثك . قال عبيد : وثبت جندع بن عمر رئيسهم وسيدهم على الإسلام وناس معه حتى ماتوا — رحمهم الله وغفر لهم — وكان شهاب بن خليفة بن عمرو قد أسلم مع جندع بن عمرو ، ثم رجع عن ذلك مع من رجع وارتد من ثمود ، فدعاه جندع بن عمرو إلى الإسلام فعصاه فكان ممن استحب العمى على الهدى ، فخاب . وفي ذلك يقول رجل من المسلمين اسمه مهوش ابن علقمة شعراً فأنشأ يقول :

دعونا عصبة من آل عمرو   إلى دين الاله دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعاً   فيأبى أن يجيب ولو أجابا
لا صبح آمناً فينا عزيـــزاً   وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر   تولوا بعد رشدهم ارتيابا

قال : ومكثت الناقة في أرض ثمود بين أظهرهم ترعى الشجر وتشرب الماء ، ثم ان صالحاً عليه السلام خشي عليها سفهاء ثمود فزجرهم عنها . وأوحى الله إليه بذلك .

قال : يا معشر ثمود (هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض

---

(1) تقدم — بن دسمقه

الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم) . قال :ثم قسم الله الماء بينها وبينهم . وأوحى إلى صالح نبيه ونبيهم صلى الله عليه وسلم ، فقال تعالى (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر) فقال (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) قال : فكان شربها يوماً معلوماً يقام يوم الاربعاء ، فكانت ترد يوم شربها ، فإذا وردت وضعت رأسها في الوادي فتستقيه حتى لا تدع قطرة . قال : فترفع رأسها فتقوم فتفجج لهم ، ثم تدر فيحلبون ما شاؤا من لبن فيشربون منه ما اشتهوا حليباً ويدخرون منه ما أحبوا يتزودونه في أسقيتهم كما يتزودون الماء ، فيكون لبنها لهم خلفاً من المـــاء ، ثم تصدر من غير الموضع الذي منه وردت لا تقدر أن ترجع من حيث وردت لضيق ذلك عليها من عظمها ــ وسموها المجول ــ وإذا كان يوم وردهم وشربوا من الماء ما شاؤا وأدخروا ما شاءوا ليوم وردها ، فكانوا من ذلك في سعة وفضل وحالة حسنة . وكانت الناقة إذا كان الصيف طلعت ظهر الوادي فهربت منها المواشي والدواب من البقر والغنم وغيرها من الوحوش ، فهبطت منها المواشي إلى بطن الوادي في برد شديد وحر شديد وجدب ذلك . ان الدواب كانت تنفر منها وتخاف أن تتخطفها ، وإذ كان الشتاء والبرد شتت في بطن الوادي ونفرت منها وارتفعت إلى ظهر الوادي في برد شديد وجدب،فاضر ذلك بمواشيهم وذلك للبلاء الذي أراده الله بهم وقدره عليهم وجعلها سبباً لهلاكهم وكانت مراعيهم ما بين حسمى إلى وادي القري . فلما كان ذات يوم أصبحت الناقة في بطن الوادي ومعها سقب لها على مثل خلقها وهيئتها ، آلا أنه لم تبلغ . فلما رآها كفار ثمود قالوا : سحر صالح الناقة حتى نتجت سقباً وكذب أعداء الله . فمكثوا على هذه الحالة حتى دنا الوقت الذي أحب الله فيه هلاكهم ، فنبغت منهم

عجوز فاسقة ملعونة يقال لها أم غنم وهي عنيزة أم غنم [1] بن المختار — وهي من بني عبيد بن المهل وهي العجوز الملعونة التي ابتليت بها ثمود — فكانت تحت ابن عمرو زوجة له ، وكانت ذات ماشية كثيرة من ابل وغنم وبقر فألقى الله بغض الناقة في قلبها لحال ماشيتها ، وكانت لها بنات حسان منهن الرباب التي كانت أجمل نساء العرب في زمانها ، وكانت لها أخت من نساء أشراف ثمود — يقال لها الصدوف ابنة المحيا بن زهير بن المحيا سيد بني زهير وصاحب كهانتهم وأوثانهم في زمانهم الأول — وكان واديهم يقال له « وادي المحيا » وكانت صدوف ذات جمال وكمال ومال كثير واسع من ابل وبقر وغنم ، وكانت هي وعنيزة متواخيتين ملعونتين ، وهما كانتا من الأسباب التي قدر الله عز وجل نقمة لثمود وكانتا من أشد نساء ثمود بغضاً لصالح والناقة ، وكانتا تحبان عقر الناقة لمكان ماشيتهما ، وكانت صدوف تحت رجل — يقال له ضيم — قد أسلم مع صالح وحسن اسلامه ، وكانت الصدوف قد فوضته في مالها كما تفوض المرأة زوجها ، فكان ضيم ينفقه على من أسلم مع صالح ومن اتبعه يريد بذلك وجه الله . فلم يزل على ذلك حتى رق المال في يده واطلعت صدوف على اسلامه وما يفعل بالمال فشق ذلك عليها ولامته وعاتبته على فعله . فلما أكثرت عليه أظهر لها إسلامه ودعاها إلى الإسلام ورغبها فيه ، فأبت عليه وأظهرت له الشناءة وانتقلت إلى أهلها وأهل بيتها بني عبيد الذي هي منهم وأخذت بنيه وبناته فبعثتهم إلى بني عمها ، فقال لها زوجها ضيم : ردي علي ولدي ، قالت : لا أردهم حتى أناظرك إلى ضبعان أو مبدع ابني عبيد . فقال لها : بل أناظرك إلى بني مرداس ، وذلك أن بني مرداس كانوا قد سارعوا إلى

---

(١) في مروج الذهب والمرآتان — عنيزة بنت زعيم وصدوف بنت المحيا فتدبر — ح•.

الإسلام وأبطأ عنه الآخرون . قالت له الفاسقة : لا أناظرك إلا إلى من دعوتك إليه . فاستعان عليها ببني مرداس فقالوا لها : والله لئن لم تدفعي إليه ولده طائعة لتدفعنهم إليه كارهة ولنقومن من دونه . فلما رأت الفاسقة ذلك علمت أنه لا طاقة لها ولا ارهطها ببني مرداس ، فدفعت إلى ضبيم ولده ، فذكر ضبيم أمر صدوف ومعاتبتها إياه على الإسلام وعلى المال فقال في ذلك شعراً يقول فيه :

تقول كان ضبيم لا منبت له ... فقلت ذو رحم مني ومن زال [1]
ان ابن أمي أغواه وأفسده ... فأهلك المال في أسباب أخوالي
فقلت ويحك ان الله بصرني ... دين الهدى فاشتريت الدين بالمال
وقلت حسبي بدين الله أبلغه ... في آل صالح ادباري واقبالي

قال معاوية : لله أنت يا لبيد ، وما يعني بقوله هذا : قال : يا معاوية . قوله ذو رحم مني ومن زال فكان زال آخاها لأبيها وأمها وهو زال بن المحيا قد أسلم مع صالح ، ثم استقام على الهدى . وقوله أغواه وأفسده تقول إن آخاها أفسده زوجها وأغواه حتى أسلم وأفسد المال وهي الغوية لعنها الله ليس هما ، وأما أخوالي فهو خال صدوف وخال أخيها ذلك وكان مسلما ، وكان ممن أنفق عليه ضبيم فهلك في صيحة صالح عليه السلام وذلك قوله: أفسد المال أسباب أخوالي ، ثم ان الفاسقين لعنهما الله عنيزة وصدوف أجمع رأيهما على عقر ناقة صالح فأخذ تا في المكر والحيل لأسباب الشقاء الذي حل بثمود فأتت الصدوف رجلاً من قومها — يقال له الجناب ابن خليفة من أشراف ثمود ومترفيها — فدعته إلى عقر الناقة وعرضت عليه نكاحها ومالها فأبى عليها ذلك ونزه نفسه عن طاعتها ، فبعثت إلى

(١) كذا — ولم يتضح لنا — ح ه .

رجال ثمود وأشرافها تدعوهم إلى ذلك ، فأبوا عليها حتى أتت ابن عم لها – فاسقاً فاجراً ملعوناً مقدماً على المكاره والشراب يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا – فدعته إلى عقر الناقة،ونكاحها ان فعل فأجابها إلى ذلك لما رغب فيه من جمالها وكمالها وسعة مالها ، ولما كتب الله سبحانه وتعالى عليهم وانطلقت عنيزة الفاسقة إلى أشراف ثمود ومترفيها تدعوهم إلى عقر الناقة وتبذل مالها وابنتها الرباب لمن يفعل لها ذلك ، فلم تجد أحداً يتابعها على ما طلبت حتى أتت المدينة قرح [1] – وهي المدينة التي ذكرها الله تعالى في كتابه ، فقال (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) – قال : فكلمت رجالهم حتى أتت إلى رجل منهم يقال له – قدار بن سالف بن مليف بن جندع ، وكان فاسقاً فاجراً ملعوناً جرياً على الله سبحانه وعلى المحارم والفواحش ، وكان من صفته أنه كان أحمر أزرق أكسف ولد زنا – ويقال أن أمه باغية ملعونة ، وكانت تفجر برجل من قومها – يقال له ضبعان بن عبيد – وكان قدار شبيهاً به ، فكان قومه يقولون أنه ابنه ، ولكنه ولد على فراش سالف فادعاه فالولد لضبعان والاسم لسالف وقدار هو الشقي الذي عقر الناقة وبه شقيت ثمود ، وكان قدار – مع حاله هذه – مقدماً عزيزاً منيعاً في قومه .

وذكر محمد بن اسحاق في غير حديث عبيد بن شرية ، قال محمد ابن اسحاق ، حدثني هشام بن عروة بن الزبير في حديث زمعة بن الأسود ابن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم يخطب الناس على المنبر فذكر الله وذكر ناقة الله التي عقرت ثمود ، والذي عقرها فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : قام

---

(١) كذا – وفي تفسير الألوسي وهي الحجر – ح ه .

إليها أحمر أصعر أزرق منيع عزيز في قومه مثل زمعة بن الأسود في قومه .

رجع الحديث إلى عبيد بن شرية . قال عبيد : فكلمته عنيزة الفاسقة بعقرها وبذلت ابنتها الرباب وأي بناتها شاء ، فأجابها عدو الله إلى ذلك – وكان قدار عدو الله محباً للرباب وامقاً بها ، وكان قد طلبها فلم يجد ليها سبيلاً ، وكانت الرباب أجمل امرأة في زمانها وأتمها – فلما ذكرتها معا لعدو الله تاقت نفسه إليها فطاوعها ، فاجتمع هو ومصدع فتكلما في لك ، ثم ناديا في ثمود فاستغويا ناساً غواة سفهاء من سفهائهم ومترفيهم ن أهل المدينة مدينة قرح فاتبعهما تسعة نفر من أشباههما فكانوا تسعة نفر ، وهم الذين ذكر الله تعالى في كتابه (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) . وهم : قدار بن سالف – وهو رئيسهم في الشر – ومصدع بن مهرج ، ومبلغ بن غنم – وهو خال قدار ، وكان عزيزاً في قومه – ودعيم بن حلاوة بن المهل ، وذؤاب بن مهرج – أخو مصدع – وأربعة لم تحفظ أسماؤهم ، وكلهم من أشراف ثمود وأعزائهم وأهل النعمة منهم – وهم الأذلة عند الله – فتتابعوا وتحالفوا على عقر الناقة . وفي حديث وهب بن منبه : أن اسم الرهط الذين تحالفوا على عقرها – قدار بن سالف ومصدع بن مهرج وذؤاب بن مهرج والهزيل ابن متروك وغنم بن غنم وعفير بن كردم وعاصم بن مخرمة وسليط بن حدقة وبسيط بن نعيق [1] .

رجع الحديث إلى عبيد ، قال : فاجتمعوا في بيت الفاسقة عجوز النار

---

(١) كذا – وفي تفسير الآلوسي عن وهب – الهذيل بن عبد رب – وغنم بن غنم – وذباب بن مهرج – وعمير بن كردية – وعاصم بن مخرمة – وسبيط بن صدقة – وصمعان بن صفي – وقدار بن سالف – ح ه .

أم غنم وأختها الصدوف فمالتا عليهم بما شاءوا من الخمر واللحم وعمدت إلى ابنتها الرباب فزينتها وحلتها وألبستها قرفيراً [1] وازاراً وخماراً ، وأبرزتها إليهم وأمرتها أن تبدي محاسنها . فلما رآها الفاسق قدار ذهب عقله وتاه حلمه ، وتبرجت الصدوف لمصدع ، فذهبت بعقله — وكان ذلك يوم الأربعاء يوم ورد الناقة — وكانت الفاسقتان اعتمدتا ذلك ولم يدخرا شيئاً من الماء ليوم ورد الناقة اعتماداً منهما على ذلك . فبينا هم في اربهم ذلك إذ قل عليهم الماء لمزج الخمر ؛ فطلبوا ماء ، فلم يجدوا شيئاً ، فقالتا لهم الفاسقتان : إذ لم يجدوا ماء لمزج الخمر ان عندنا خمراً كثيراً فلا بد له من فراج فاطلبوا لنا الماء، فذهبت التسعة الرهاط بأسيافهم يطلبون الماء فوجدوا الناقة قد شربته جميعاً ، فلم يقدروا منه على شيء ، فرجعوا إلى مجلسهم ، وقد جسرهم على عقر الناقة فأكد بعضهم على بعض في عقرها ، وطلب قدار ومصدع من المرأتين أنفسهما ، فقالتا : ما إلى ذلك سبيل حتى تريحانا من هذه الناقة التي قد أهلكت مواشينا وقطعتنا من الماء . وشاع خبر قدار وأصحابه في قومهم وما هموا به من عقر الناقة ، فشق ذلك على عظماء ثمود ومشائخها ورأوا ذلك هولاً عظيماً ، وعلموا أنهم لا طاقة لهم برهط قدار وأصحابه لعزهم ومنعتهم في قومهم . وبلغ ذلك صالحاً صلى الله عليه فأتى الرهط ، فقال لهم (هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم) ، فلم يزدهم ذلك الكلام — كلام صالح الا عتواً ونفوراً وجرأة على عقرها — وهموا بصالح ، فخرج هارباً إلى قومه . ثم ان عدو الله قدار وأصحابه جدوا في عقر الناقة فصقلوا أسيافهم وأخذ قدار معولاً فسنه ، ثم تقلدوا أسلحتهم ، فأخذ قدار معوله

---

(١) كذا ولم يظهر — ح• .

وساروا يريدون الناقة في يومهم ذلك في يوم وردها ، فانطلقت معهم عنيزة الفاسقة معها ابنتها قد زينتا وألبستها ثوباً معصفراً وقلدتها بدر وياقوت ، وسارت معها صدوف على مثل ذلك حتّى أتوا على طريق الناقة التي تصدر منها ، وكمن لها قدار في أصل شجرة على طريقها ، وكمن لها مصدع في أصل شجرة . فلما صدرت الناقة من الماء وقف الرجلان عنها وجبنا عن عقرها واستعظما أمرها . فلما رأت ذلك عنيزة وعرفت حالهما أخذت دفها وجاءت بابنتها الرباب حتّى وقفت على رأس قدار ، وأنشأت تقول :

فدت نفسي لقدار أعز قومي ومفزعهم إذا المكروه نابا
به عزت ثمود فان دعته ليكشف كربة عنها أجابا
وكان لها لدى الحدثان حصناً يذل من الأولى عز الرقابا
أطاعته ثمود فعز طـرا رأحصنها كما أوتوا كتابا
فقدم للذي أكدت عهداً لعلك في المكاره أن تهابا
ولا تجبن فان الجبن عـار وكان أبوك يكره أن يعابا
فقد أشبهته جوداً وبأساً ولم تشبه صميماً [1] ولا ذؤابا
فانقذ من يحول الشر قومي فلست بمتبع فيها عقابا

وطفقت تضرب بدفها وأقبلت صدوف الفاسقة في زينتها حتّى وقفت على رأس مصدع وهي تضرب بدفها وتنشد هذا الشعر :

الان الشعر احلو لي وطابا وودعنا المكاره والتبابا
ونؤتى بالذي نهوى جميعا ونهدي نحو مصدعنا الشرابا

---

(١) كذا — وقد تقدم ضيم — ح٠ .

فنفسي قد وهبت وكل مالي لمصدع بالذي أهوى ثوابا
فعندي ما اشتهيت فثق بقولي ولا تخش لما قلنا انقلابـــا
فمثلك قد أراح النفس ممـــا رأوا منها ينبهم عتابا
فما في ناقة عقرت عقـــاب لآل ثمود قد كانت عذابا

قال : فلما سمعا عدوا الله قول الفاسقتين ابتدرا فحمل عليها مصدع فمرت به فرماها بسهم فانتظم بالسهم عصبة ساقها وحمل عليها قدار فضرب عرقوبيها بمعوله حتى أبانهما فخرت صريعة لها رغاء شديد ، ثم طعن بالسيف في لبتها فنحرها وهرب سقبها فتعلق بجبل يقال له صنو ، ولاذ بصخرة — يقال لها الكتانة — ولحقه مصدع وأخوه فامتنع منهمـــا بالصخرة ولم يقدرا عليه وسمع الناس بعقر الناقة وبنحرها فتبادروا إليها فما كان كشيء حتى اقتسموا لحمها .

وذكر محمد بن اسحاق من غير رواية عبيد بن شرية ، أنهم قـــد أصابوا السقب مع أمه ، قال : وتبعه مصدع وأربعة نفر من الذين عقروا الناقة فرماه مصدع في لبته بسهم — وكان أرمى أهل زمانه شلت يده — فانتظم قلبه فجر برجله حتى أنزله فالقوا لحمه مع لحم أمه .

قال ابن اسحاق : فلم يسمع بأن السقب قتل إلا في حديث واحد عن رجل لم يتابعه على هذا الحديث غيره ولم يقل في ذلك أحد من ثمود ولا من غيرها من العرب شعراً الا رجل واحد من أصحاب صالح عليه السلام ولا يمكن هذا ان يكون وانما كانت الصيحة التي أصابتهم من صيحة السّقب .

رجع الحديث إلى عبيد بن شرية . قال عبيد : واكب قدار وأصحابه

على الناقة فذبحوها وجزوا لحمها أعضاء وأتتهم عنيزة والصلوف بالخمر والقدور فنصبوها وشووا وشربوا وأكلوا وظلوا في ذلك المكان ينعمون ويماون ويقولون الأشعار فكان ما روي لنا مما قالوا هذا الشعر :

قد أصبح صالح فرداً حقيراً … وما يرجو بناقته نصيرا
عقرناها بأيد ثم عـــز … ولم نخش لذي ثار نكيرا
وما نلقى لنا فيما فعلنــا … بها إلا الكرامة والسرورا
وأصبح لحمها فينا غريضا … بلهوجه وطائفة وغـــيرا
سنطلب صالحاً ومصدقيه … لنلحقه بناقته عقـــيرا
سنطلبه لنقتله فمن ذا … يكون له وان هرب المجيرا

فأجابه رجل آخر من المسلمين وهو يقول:

عصت بغياً ثمود رسول ربي … أخاهم صالحاً وعصوا قديرا
على الأشياء أخرج كي يتوبوا … لهم من صخرة الوادي بعيرا
كما سألوا نبيهم فكانوا … لما قد عاينوا من ذاك بورا
سقاهم مثلها ماء معينـــاً … وأرواهم لها دراً غزيرا
فما اعتبروا بها أبداً ولكـــن … طغوا وبغوا وغالوها كفوراً
وقالوا فاعقروها ثم ملئوا … لنا من لحمها الوادي قدورا
أطاعوا مصدعاً وقدار غيــا … ورهطاً سبعة كسبوا الشرورا
فسوف ترى ثمود ومن أطاعت … عواقب ما أتت حوباً كثيرا
وتعلم حين يأتيها عذاب … من الجبار من ورا [١] نكيرا
ويعلم مصدع وقدار ماذا … يجازى إذا عصى الله الكبيرا

---

(١) كذا – والله أعلم – ح.

قال : وكان صالح ، صلوات الله عليه - نازحاً عنهم في دار قومه لا علم له بما فعلوا بالناقة، حتى بلغه الخبر وقيل : هل علمت أن ناقة الله قد عقرت ويقسم لحمها ؟ وغلت بلحمها وشحمها المراجل ؟ فخرج نحوهم مسرعاً في عصبة من قومه حتى وقف عليهم ، فإذا لحم الناقة عندهم وهم يأكلون ويشربون ، فقال لهم صالح أعقر تموها ؟ رماكم الله بما لا طاقة لكم به من العذاب وأنتم تنظرون وشتم قومه من ثمود وأوعدهم العذاب الأليم فشتموه . فقام صالح فصلى ودعا إلى الله - وهم يسخرون منه - فأوحى الله تبارك وتعالى إلى صالح عليه السلام أني قد قبلت دعاءك واني مرسل عليهم صيحة تزهق أنفسهم وتهلكهم أجمعين وذلك نازل بهم إلى ثلاثة أيام . فقال صالح : يا رب اعجل من ذلك ، فقال الله تبارك وتعالى : اني إذا قضيت أمراً فلا مرد له وان وعدي غير مكذوب ، ثم أقبل صالح على القوم فقال : اجترأتم على الله وانتهكتم حرمته فانتظروا نقمته واعلموا أن العذاب نازل بكم بما فعلتم ، فقالوا : - وهم يستهزؤون به - ومتى يكون ذلك يا صالح ؟ فقال : تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ، فقالوا : - وهم يسخرون منه - وما علامة ذلك يا صالح ؟ فأوحى الله تبارك وتعالى : أن علامة ذلك أن تصبح وجوههم غداة يوم الخميس مصفرة، ثم تصبح يوم الجمعة محمرة ، ثم تصبح يوم السبت وجوههم مسودة ، ثم يأتيهم العذاب غداة يوم الأحد مشرقين .

يقال ، قال لهم صالح : ان علامة ذلك أن تصبح وجوهكم غداة مؤنس مصفرة ، ثم تصبح في عروبة محمرة ، ثم تصبح يوم شيار مسودة ، ثم يأتيكم العذاب يوم أول . قال : وكانت العرب تسمي الأيام في الجاهلية الأحد يوم أول والاثنين أهون والثلاثاء جباراً والأربعاء دباراً والخميس

مؤنساً والجمعة عروبة والسبت شياراً ، فذلك الذي عنى بهم صالح ، صلوات الله عليه . فلما سمعوا قوله كذبوه واستهزؤا به وتآمروا بقتله وقالوا : هلموا فلنقتل صالحاً وأصحابه في ليلتنا هذه ونلحقه بناقته ونستريح منه فان يك صادقاً ، فقد عجلناه ، وان يك كاذباً فقد اشتفينا منه . فتعاقدوا على ذلك وتعاهدوا على ذلك عليه واجمعوا على قتله . فانطلق الرهط التسعة قدار وأصحابه حين أمسوا حتى أتوا منزل صالح وهم يريدون أن يغتالوه فوجدوه وأصحابه المؤمنين قعوداً يذكرون الله . فلما طال عليهم ذلك تآمروا فقالوا : هلموا بنا فلنقتله وأصحابه المؤمنين ولا يعلم أحد من قتلهم ، فان طلبنا أحد من أوليائهم أقسمنا لهم ما شهدنا مهلك أهله ولذلك قول الله عز وجل في كتابه (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون وذلك رض ولا يصلحون ، قالوا : تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون) .

سمعت ابن عمك يقول ذلك يا أمير المؤمنين . ثم وثبوا ليقتحموا البيت على صالح ، فبعث الله جل جلاله نفراً من الملائكة معهم حجارة من نار فدمغتهم الملائكة بتلك الحجارة فقتلتهم جميعاً ، فهلك قدار وأصحابه من آخر ليلتهم وآذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا وأنزل بهم نقمته وقدرته قبل قومهم وما أعد لهم من العذاب في الآخرة أشد وأخزى فسحقاً لأصحاب السعير . وكان العامة من ثمود وجلهم قد رحلوا مع قدار وأصحابه بعد عقر الناقة وأكلوا لحمها ورضوا بعقرها جميعاً والتي منهم يومئذ ما لا يحصى عدده فلما أبطأ قدار وأصحابه عن قومهم انطلقوا إلى منزل صالح وأصحابه في طلبهم ، فوجدوهم على بابه موتى قد رموا بحجارة ، ولم يكن صالح وأصحابه علموا بشيء من قتل قدار وأصحابه ولا بمجيئهم إليهم ، فأخذوا صالحاً فقالوا له : أنت فعلت هذا وقتلت أصحابنا هؤلاء قتلوا على بابك . فوثب رهط صالح دونه وقالوا : والله لا وصلتم إليه أو

نموت دونه عن آخرنا ، وقد أخبركم أن العذاب نازل بكم إلى ثلاثة ايام فان يك صادقاً فذاك أعز له وان يك كاذباً أسلمناه إليكم بما جنى على نفسه من الكذب – وكان رهط صالح أعز بيت وأشرفهم في ثمود وأمنعهم وأكثر عدة وعدداً – فرضيت عنهم ثمود بذلك وتركوا صالحاً . وأوحى الله إلى صالح بأمر قدار وأصحابه الرهط ، قال الله عز وجل (انا دمرناهم وقومهم أجمعين) – أي بالصيحة التي تأخذهم – قال : فلما رأوا ذلك أيقنوا بالعذاب وعلموا أن صالحاً قد صدقهم وازدادوا كفراً وطغياناً وجرأة على الله وتعصباً لنبيه صالح واجمعوا على قتله وقتل أصحابه ، وقالوا : لسنا ندعه يعيش بعدنا هو وأصحابه ، وشغل عنه رهطه بما جاءهم من الأمر وبلغ صالحاً عليه السلام ذلك عنهم ، فهرب بنفسه حتى أتى بطناً من ثمود – يقال لهم بنو غنم بن مبلغ ، وكانوا أعز بطن في ثمود وأمنعهم منزلاً ، رئيسهم وسيدهم نفيل ، وكان مشركاً وكان يكنى بأبي هدب ، وهو نفيل بن عمرو بن غنم بن مبلغ وكان هو وقومه مشركين فلجأ إليهم صالح وتحرم بأبي هدب فآواه وآجاره ومنعه وخفي على المشركين أمر صالح ، فلم يقدروا عليه ، ولم يعلم به أحد ، فأخذوا أناساً من أصحابه فعذبوهم أشد العذاب وعرضوهم على القتل ليدلوهم عليه ، فقتلوا منهم نفراً – رحمهم الله تعالى – فلما رأى ذلك رجل من المؤمنن – يقال له مبدع ابن هرم الشاعر – انطلق حتى أتى صالحاً ، فأخبره الخبر وقال له : قد قتلوا منا نفراً وقد خشيت أن يقتل أضعافنا وأحداثنا حتى يدلوهم عليك ، فما ترى يا نبي الله ؟ قال صالح : دلوهم علي ولا حرج . قال : نحن بحل من ذلك . قال : نعم لا جناح عليكم – غفر الله لكم – فرجع مبدع فأخذه المشركون وقالوا : دلنا على صالح وإلا قتلناك وأصحابك ، فأنشأ مبدع

يقول :

فان يلك صالح أمسى مقيماً ببلدتكم فلن يعدو نفيلا
وان يلك صالح في آل غنم فلم تجدوا إلى غنم سبيـــلا
بنو غنم سراة ثمود طرا وان كانت بنو غنم قليلا
وظني أن سيمنعه رجال بضرب يترك الأعناق ميلا
أبو هدب وأخوان لهدب إذا فزعوا رأيت لهم خيولا
مجردة لدى الهيجاء بلقا تجاوب بعضها بعضاً صهيلا
أخافوا صالحاً لما دعاهم فظلوا حول حجرته حلولا
وأشياع هنالك من شباب وأشياخ تخيلهم فلولا
وقالوا لن تخاف وأنت فينا كفاك برغمنا فينا كفيلا
فلا تخش التجبر يا آل قومي كفى لكم بذلكم دليلاً

فلما سمعوا قوله هذا وعلموا مكان صالح حيث هو كفوا عن المسلمين وانطلقوا بأجمعهم حتى أتوا أبا هدب وقومه فكلموه في صالح . فقال لهم أبو هدب : هو عندي وقد أجرته وآويته فلا سبيل لكم إليه . فقالوا : أتتبع دينه وتترك ديننا ؟ قال : لا ، ولكن قد أجرته ولن تخفروني في جواري ، فتركوه وانصرفوا عنه ، وشغلهم ما نزل بهم من العذاب وجعل بعضهم يخبر بعضاً بما يرون في وجوههم من التغير ، ثم أصبحوا ووجوههم يوم الخميس مصفرة ، ثم أصبحوا يوم الجمعة ووجوههم محمرة ، ثم أصبحوا يوم السبت ووجوههم مسودة . فلما كان ليلة الأحد ، خرج صالح من بين أظهرهم ومن معه من المسلمين إلى الشام فنزل إلى رملة فلسطين ، وتخلف رجل من أصحاب صالح ، صلوات الله عليه يقال له

مبدع بن هرم ، فنزل قرحاً – وهو وادي القرى – وبينه وبين الحجر ثمانية عشر ميلا ، فنزل على رجل يقال له عمرو بن غنم – وكان سيدهم وكان قد أكل من لحم الناقة ولم يشرك في عقرها – فقال له مبدع : يا عمرو اخرج من هذا البلد ، فان صالحاً قد قال : من خرج من هذه البلد نجا ومن أقام بها هلك . فقال عمرو : والله ما شاركت في عقرها ولا رضيت بما صنع بها . وأمسك عنه مبدع ، فلما أصبح الأحد ورأوا ما نزل بهم من العذاب اجتمعوا كل قوم في مجلسهم فحفروا لأنفسهم قبوراً في بيوتهم وتحنطوا ولبسوا أكفانهم – وكانت أكفانهم الانطاع وحنوطهم المر – وجلسوا في حفرهم . فلما ارتفع الضحى أخذتهم الصيحة . فلم يبق منهم أحد لا صغير ولا كبير إلا جارية من ثمود يقال لها العلوى ابنة ينبع وكانت جارية مقعدة وكانت كثيرة العداوة لصالح ، فأطلق الله رجليها بعدما أخذ قومها العذاب ، فخرجت حتى أتت إلى قرح فأخبرتهم بما رأته من العذاب وبما أصيب به قومها ثمود . ثم هلكت الجارية حين أخبرتهم . فقال : وقد سمعت ابن عمك عبدالله بن عباس يقول : ان الله تبارك وتعالى بعث جبريل حتى وقف على الفج الذي عقرت فيه الناقة ، فصاح فيهم فخرجت أرواحهم من أبدانهم فهلكوا جميعاً إلا هذه الجارية المقعدة قد حدثتك حديثها . إلا أنه ذكر أن اسمها الذريعة – وهي كلبة بنت سلق – قال : ونفرت الوحوش والبهائم ، فكانت لا تطوف إلا حولها .

قال عبيد : وسمعت ابن عمك يقول : إن الله تبارك وتعالى لما أهلك ثموداً عجل لأهل الحجر العذاب فأخذتهم الصيحة يوم ثالث عقر الناقة وأهلك أهل قرح من ثمود بعد ذلك لاحدى وعشرين ليلة لايوائهم صالحاً – صلى الله عليه وسلم – يوم أراد قومه قتله ، فذلك قول الله عزوجل (فتلك

بيوتهم خاوية بما ظلموا) – يعني ساقطة خربة – قال معاوية : لله درك ياعبيد قد حدثت بعجب ، فهل قيل في ذلك شعر وذكرهم أحد من العرب في شعره ؟ قال عبيد : نعم يا أمير المؤمنين قد قالوا في ذلك أشعاراً . قال بعض شعراء العرب فيهم أيضاً . قال معاوية : فهات فانشدني ما تروى من ذلك ؟ قال عبيد : قد قال مبدع بن هرم في شأن الناقة وأمر عنيزة بنت غنم [1] والصدوف هذا الشعر الذي يقول فيه :

أبى الله إلا أن يحل بأرضنا ... من أجل صدوف والعجوز وخرابها
دعت أم غنم شر حلف علمته ... بأرض ثمود كلها فأجابها
ازيرق من فرخ دعته وربما ... دعت أم غنم للقبيح شبابها
فنادت نداء لم تجد لشقائــه ... سوى ابن جديع [2] إذ رأته ربابها
وقالت اطع تعط لرباب وأختها ... فدونك أم السقب فاهتك حجابها
فصمم غاو عند ذاك لعقرها ... ونادت صدوف عند ذاك جنابها
فقال جناب انني غير مائل ... إليك فنادت مصدعاً فأجابها

وقال مبدع بن هرم يذكر قداراً وأم غنم في شعره فقال :

دعته عجوز من عبيد غوية ... لتنكحه بنتاً لها إذ ترفعــا
وقالت له أنت ابن سالف أن تنل ... عقيلة غنم تدرك المجد أجمعا
إذا ما عقرت الناقة اليوم وابنها ... فبنتي لك الوسطى وان شئت مروعا
أختيها الصغرى أحسن من مشى ... وأكرمها ان نلتها الدهر موضعا
من آل ثمود لم تر الدهر مثلهــا ... ولو طفت حتى تقطع البر اكتعا
أجاب قد أرام غنم وبنتهــا ... ونادت صدوف عند ذلك مصدعا

---

(١) كذا – وقد مضى نسبها في ص ٣٨٢ بخلاف ما هنا – ح .
(٢) تقدم جندع – ح .

فقام إلى سيف حديث صقاله فبت به العرقوب ما ان تورعا
لقد لبثت فينا ومعها فصيلها بوادي الجنان [1] يرتعان به معا
قريرة عين ما تخاف فراقه وما أن أشاروا نحوها قط اصبعا
وكان قدار أخبث الناس كلهم إذا ما دعوا يوماً إلى الشر أسرعا
إذا ما دعوه يوم ضر أجابهم فلما دعوه للعجوز تسرعا
فقيل له لا تتبعن ابن سالف فانا نراه بابن غنم قد ازمعا
لعقر التي نادى بها المرء صالح غداة رأيت الناس بالواد ركعا
ينادون عبراً لا يجيب دعاءهم وإذ صالح يدعو الاله تضرعا
إلى الله رغبا أخرج اليوم ناقة تكون لنا عذر فاعطه ما دعا
فأخرجها من صخرة لابن مبلغ تؤم وجوه الناس عجلاً منبعا
جعلنا له عهداً بأن لا نضرها بشيء أشهدنا على ذاك جندعا
قد كان يدعو جندع ثم ربه بصوت حزين ينزع الدعى من دعا
ينادي إلهي أنزل اليوم رحمة علينا لا تشمت بنا الحي متلعا
فانا نخاف اليوم من ظلم قومنا من جهلهم بالله أن نتمزعا

وقال رجل من أصحاب صالح وكان مسلماً يذكر أم غنم وقولها لرجال بني عدي [2] وهم رهطها الذي هي منهم، حين رأت ما بوجوههم وعرفت صدق ما وعدهم صالح وأيقنت بالعذاب ، فقال هذا الرجل من أصحاب صالح يصف ذلك وأنشأ يقول :

فقالت يوم مؤنس أم غنم لضبع والعبيد وآل عرس

---

(١) كذا – ولعله وادي المحيا – وقد تقدم ما يشير إلى ذلك – ح .

(٢) كذا – وقد تقدم في ص ٣٨٦ بني عبيد – ح .

آراكم يا رجال بني عبيد[1] كأن وجوهكم خضبت بورس
لما قالت رجال بني هــلال وما قال النبي لهم بالأمس
بأنكم لناقته حسدتم تغيرت الوجوه أبي ونفسي
فداء للمعاشر من عبيد وابناء الدميل بني العمرس
ويوم عروبة احمرّت وجوه مصفرة ونادوا يآل مرس
ويوم شيار اسودت وجــوه من الحيين قبل طلوع الشمس
فلما كان أول في ضحــاء أتتهم صيحة عقبت بنحس

وقال مبدع بن هرم كان مسلماً يذكر الفرحى[2] عمرو وقد جعل يهزأ به ، فقال مبدع في ذلك شعراً ، حيث يقول :

يقول ابن غنم لي وقد رمت نصحه يعود إلى دين النبيين مبهجا
برئت من الدين الذي تزعمونه تكون له يوم القيامة محرجا
تضاحك بي عمرو بن غنم وقال لي يسرك أن آتيك بالذئب مسرجا
فتركبه عدواً فتأتي نبيكـــم فتخبره أني تركتك محرجا
بأرض بني كنعان ما بك قوة فترجو نجاة أو تجد لك مولجا
وقد أكلوا لحم الفصيل وأمه طبخاً ومنه ما أضاعوا ملهوجا
فلما رأيت القوم لا خير فيهم ركبت قلوصي ثم يممت مدلجا
الى صالح حتى أنخت بصالح على واضح من دينه ليس أعوجا

وقال مبدع أيضاً يذكر بلادهم وما أصابها من العقوبة :

أقمنا بدار الكوش[3] عشراً كواملا وخمس سنين بعد عشر واربعا

---

(١) كذا – وفي المروج – عتيد – ح• .
(٢) كذا – ح• .
(٣) كذا ولم تقف عليه – ح• .

فنادى مناد الحقوا ببلادكم فقدما أبان الخصب منها وامرعا

وان بلاد الحجر أضحت وما ترى بها جالساً إلا أهاجيل وقعا

على كل قصر قد تخرب جوفه يجاوبن بالأسحار يوماً واصوعا

فلما هبطنا أرض حجر وقرحها وجدنا بها ماء كثيراً وَسرتعا

وقال مبدع أيضاً يذكر ثمود ما أصابها :

لعل عدوكم نزل البطاحـــا غدوا كان ذلك أم رواحا

فكانت غارة منهم إليكم قبيل الصبح فاعتسفوا اللقاحا

فان تكن اللقاح ذهبن منكم وصار الشيخ يغتبق القداحا

فكانت غارة قدرت عليهم أتتهم في ديارهم صباحا

فقلت بلى غدواً حلّ صبحا* مع الاشراق خلناه رياحا

فكانت صيحة لم تبق شيئاً بوادي الحجر وانشقت رماحا

فخر لصوتها أجبال حجر وخرمت الأسافر والصفاحا

وأدركت الوحوش فقبعتها ولم تترك لطائرها جناحا

ونجى صالحاً في مؤمنيــه وطحطح كل جبار فطاحا

وقال مبدع أيضاً وهو يذكر الذريعة وكانت مقعدة ، وهي كلبه ابنة سلق حين خرجت من الحجر لما عاينت حتى أتت أهل قـــرح فأخبرتهم بهلاك ثمود ، ثم أصابها ما أصابهم فقال :

نشدتك يا ذريع لتخبريني بأي الأرض أدركك المقيل

أبا لوادي فكيف نجوت منه وقد هلك الأرامل والكهول

فقالت إن قومي خلفوني بحيث أضر بالعلم السبيل

وقالوا ان حسست ذريع شيئاً فحرزك ذلك الجبل الطويل

فان غداً يكون هلاك حجر ولا يبقى بواديهم رجيــل

* هكذا وردت في طبعة « حيدر اباد »

فلما ان حسست الصبح أني نهضت كأنني هيق جفيـل
فقمت خلال أبيات المحيا إلى جبل تطوف به الوعول
ألا يا ليت نفسي في أناس غداة آتاهم الأمر الجليـل
نصبت لهم كمثلي في حياتي ولم أفعل كما فعل الجهول
ألا فابكي الأكارم من هلال فهم عوني الذين بهم أصول

وهلال ، الذي ذكر أخو النريعة — وبنو هلال بطنها الذين كانت منهم — ومما قال قدار عدو الله بعد عقر الناقة هذا الشعر :

هل لبطاح الأرض من نازح أم هل لفلق الطود من ناطح
أم هل لسقب عقرت أمـه من آخذ يأخذ من جارح
لا فارقت ساعدها راحة لم ترتعش من صيحة الصائح
ما هـاله ما هال من قبله من باكر منها ومن رائح
لم يخش أن ينظرها صـالح فاخلف المظنون من صالح
قدار لا تسأل ولا تنتزع ولا تزل في العمل الرابح

فأجابه رجل من المسلمين من أصحاب صالح صلى الله عليه فأنشأ وهو يقول :

يا فعلة أردت قداراً وكـم راح لهـا من هاتف صائح
جاء قدار وأبوه معاً على ثمود بالردى الجائح
لا ناقة الله رعوا حقها فيهم ولا موعظة الناصح
سما رجال حاولوا عقرها من باكر منهم ومن رائح
جاءوا بعوجاء لها عائد صارت عليهم شفرة الذابح
يومهم يوم المحيا بما لاقوا من اليابس والناصـح
قـد كان فيهم لكم عبرة لو قصدوا المنهج الواضح
فابصروا اليوم بما قبله قد يعرف القابل بالبـارح

من يتق الله يكن زابحاً لا يبرح الدهر مع الرابح
أضحوا بما قد فعلوا ضحضحا فيه العساقيل بلا فادح
حتى يسير الراكب المغتدي فيه على البازل والقارح
ويترك الا جبال مأمونة جمامه الماء بلا ناصح
ما الله عن ناقته غافل يوماً ولا عن عبده صالح
ويل قدار بالذي قدمت اه عجوز الحجر من جارح

وقال حسان بن ثابت يذكر ثموداً وعبدالله [1] :

يكوى إذا رام الهجاء لقومه ولاح شهاب من سنا البرق واقد
كأشقى ثمود إذ تناول سيفه يريد هلاك الصقب والصقب وارد
فقيل لهم فاستمتعوا في دياركم فقد جاءكم ذكر أكم ومواعد
ثلاثة أيام من الدهر لم يكن لهم صاريف الذي تمال زائد

ذكر محمد بن اسحاق عن غير عبيد بن شرية عن الرواة : أن صالحاً – صلى الله عليه وسلم – لما آتاه خبر الناقة اجتمع إليه المؤمنون فقال لهم : توقعوا عذاب الله لقومكم ، قالوا : يا صالح ادع ربك ألا ينزل بهم العذاب لعلهم يؤمنون ، فقال صالح : ادركوا الصقب ، فلعل ان أدركتموه ألا يعذبوا . فانطلقوا ومعهم صالح في طلب الصقب ، فإذا الصقب قد طلع جبلاً منيعاً اتى صخرة في رأس الجبل ، فطلعها فرغا عليها رغاء شديداً وإسم الجبل فيما يزعمون ظلم فأتاهم صالح فلما رأى الناقة قد عقرت بكى ، ثم قال : انتهكتم حرمة الله تحل بكم نقمته ، فلما رأى الصقب – وهو على رأس الجبل – قال صالح : يا أمتاه ، فدعا صالح ربه بهلاكهم ، فاستجيب له . قال صالح : تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ويأتيكم العذاب يوم رابع ، فانطلقوا يطلبون الصقب ، فلما علا الجبل لم يقدروا

---

(١) كذا ويحتمل أن يكون – وعذاب الله لهم – ح* .

عليه ، فلما رأوا ذلك أيقنوا بالعذاب . فقال لهم صالح : تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ويأتيكم العذاب ذلك وعد غير مكذوب .

ثم رجع الحديث إلى عبيد بن شرية . قال عبيد : يا أمير المؤمنين ومن أشعارهم قول رجل من المسلمين من أصحاب صالح – صلى الله عليه وسلم – يذكر فيه عنيزة والصدوف وقداراً ومصدعاً والرهط وعقر الناقة وأنشأ وهو يقول :

خسرت ثمود فعجلت بعذابها ... من شؤمها وعتوها وتبابها
كانت ثمود عزيزة في أرضها ... من سادة شبت وجل شبابها
غوت الغواة وأمعنوا في غيهم ... كفرت ثمود بربها غلابها
فأباح ساحتها وعجل خزيها ... رب عظيم فلها بعقابها
عقرت ثمود ناقة محبوبة ... عند الاله فصبها بعذابها
فغوت عنيزة والصدوف ومصدع ... وقدارها الغاوي لب لبابها
هلكوا جميعاً فالسباع عليهم ... عصب وآمن من نباح كلابها
كان المبارك صالح يدعوهم ... بطرائق يهديهم لصوابها
فعصوا وقالوا عصبة كذابة ... كذبت ثمود وذاك من كذابها
لو أنهم كانوا أطاعوا صالحاً ... فازوا بطاعة صالح وثوابها
بل كذبوا بالحق لما جاءهم ... وصغت رؤوسهم إلى أذنابها
قد كان هود قبلهم في قومه ... يدعو إلى سبل الهدى وطلابها
فعصته عاد بعد كل بصيرة ... سنن الهدى تستن في أثوابها
فأصبن عاداً اذ عصته عواصف ... من شمأل قطعت قوى أربابها
فعلا ثمود حين لم يتفكروا ... بعذاب عاد قبلها وعذابها

عصت الاله إلا وقد أودى بها غضب الاله وهدها بخرابها

ومن شواهد أخبارهم يا أمير المؤمنين قول أمية بن أبي الصلت يذكر ثموداً والناقة وما أصابهم وأنه لم ينج إلا الذريعة كلبة بنت سلق حين ذهبت إلى قرح وموتها حين سقيت عند فراغها من الخبر لما رأت من العذاب الذي نزل بهم ، فقال في ذلك أمية بن أبي الصلت :

وثمود الفتاك في الديـــن وفي ناقة ربي إذ غادروها عقيرا
ناقة للاله ترتع في الأرض وببنيان ثم حوض مديرا
فأتاها أحيمر كأخ السمع بعضب فقال كوني عقيرا
فأصاب العرقوب والساق منها ومشت في دمائها مكسورا
فرأى الصقب أمه فارقته بعد الف خلية وظؤ را
فأتى صخرة فقام عليها صعبة في السماء تعلو الصخورا
فرغا رغوة وكانت عليهم دعوة الصقب صيحها تدميرا
فأصيبوا غير الذريعة فاتت من جوار لهم وكانت جزورا
سبعة أرسلت لتخبر عنهم أهل قرح أتتهم تغويـــرا
فسقوها بعد الحديث فماتت فانتهى ريها فوافت حـــفيرا

ثم قال عبيد : يا أمير المؤمنين ، هذا ما انتهى إلينا من حديث ثمود وأخبارهم وأشعارهم وما قيل فيهم ، والله أعلم بالصواب .

وكذلك حدثنا الأول فالأول. قال معاوية : خليق يا عبيد أن يكون هكذا ، فزادك الله علماً وفهماً ، وزادنا بك رغبة وعليك حرصاً فانا لا نحصي أياديك ، فزادك الله فضلاً إلى فضل وهدي إلى هدي ، فقد أضاءت نارنا ونار قومك ، ثم أطفؤ ها ، فزادك الله خيراً . ثم خبر ثمود والناقة

وصالح – صلى الله عليه وسلم – وبالله التوفيق .

(حديث جرهم وخروجهم من اليمن الى الحرم)

قال معاوية : يا عبيد أخبرني عن شخوص جرهم من اليمن إلى الحر
وكيف كان ولم فارقوا قومهم ؟ قال عبيد : كان من أمر جرهم يا أمير
المؤمنين أن الله تبارك وتعالى لما أهلك عاداً وثموداً وانتشربنو قحطان
في البلاد وكثر ولده.قال معاوية : وما كان لقحطان من الولد ؟ قال عبيد :
كان له يعرب – وهو أول من حيى بتحية الملوك أبيت اللعن (١) – وجبار
ابن قحطان وانمار بن قحطان والمعمر بن قحطان والعاص بن قحطان
ولاوي بن قحطان وماعز بن قحطان وغاصب بن قحطان ومسعر بن قحطان
وجرهم بن قحطان والمتلمس بن قحطان والقطامي بن قحطان وظالم بن
قحطان والغشيم بن قحطان والمعفر بن قحطان ونافر بن قحطان . وأمهم
امرأة من عاد ، وكلهم قد ملك غير ظالم فلم يملك ، وقد كان يسير
بالجيوش (٢) . فولد يعرب بن قحطان يشجب ، فولد يشجب سبأ وهو عبد
شمس وأدد بن يشجب – وانما سمي سبأ لأنه أول من سبى السبايا من ولد
قحطان – فولد سبأ بن يشجب حمير بن سبأ بن يشجب بن قحطان – وكان
يقال له العرنجج – وهم أهل المدن وفيهم كانت الملوك ، وكهلان بن سبأ
فملك بعد أخيه حمير حتى ألح به الهرم فرجع الملك إلى ولد حمير ، غير
ان المشورة كانت في ولد كهلان . فولد حمير بن سبأ الهميسع ومالكاً

---

(١) قد تقدم ذكر أولاد قحطان في ص سابقة مع اختلاف كثير في الأسماء فراجعه – ح*.

(٢) تقدم هذا البحث في ص سابقة وهناك كان في الأصل بياض فلعله كان محلا لذكر أولاد قحطان كما هنا – ح* .

وزيداً وعريباً ووائلاً ومعدي كرب [1] . فولد الهميسع أيمن وغوثاً وزهيراً وتوفين. فولد الغوث بن الهميسع جرهم بن الغوث وثعلبان وحوس فولد خليجاً والهائف وسادماً والغوث وجرهمة والديال وحبال ورسال ، أمهم قتادة بنت طارف بن جهبذ بن زريق بن مرارة بن منقذ العادية . وولد كهلان زيداً ، فولد زيد مالكاً، وولد مالك نبتاً وعريباً والخيار . فولد نبت بن مالك كهلان بن الغوث . وولد الغوث الأزد والقدر . وولد عريب بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ . فولد عريب يشجب . وولد يشجب زيداً . فولد زيد ادداً ، فولد أدد مالكاً – وهو مذحج ومرة والأشعر . فولد مرة الحارث . وولد الحارث عدياً ولخماً وجذاماً وعاملة وعميراً – وهو أبو كندة – فهؤلاء ولد عدي بن الحارث بن مرة بن ادد .

وولد الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان رئيساً ومالكاً ابني الجبار . فولد رئيس ربيعة . فولد ربيعة أوشلة . وولد أوشلة همدان والهان – فهؤلاء ولد الخيار – ومن ولد الخيار الحارث بن مرة بن ادد بن مالك . فولد مالك المعافر وعمرو بن مالك لكل وهم خولان بن عمرو بن مالك بن مرة ابن ادد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ثم ان جرهم بن قحطان ولد هزان وذيالاً والعاد ومصياراً ، وكثروا فوقعت بينهم وبين بعض بني حمير حرب ، ولم يبق من ولد حمير فرقة إلا أعانتهم على جرهم حسداً لفضلهم وعقولهم إلا حياً واحداً من بني حمير – يقال لهم بنو قبطون [2] بن كركر بن حيدان بن

---

(١) زاد في العقد – مشروحاً واوسا ومرة ودرى وكهلان – ح• .

(٢) كذا – وفي المروج – ابن قنطوز بن كركر – وفي الروض الأنف – قطورا ابن كركر .

قطن بن زهير بن عريب بن أيمن بن الهميسع بن حمير ـ وكانت حمير أكثر عدداً وعدة ، فنفوا جرهماً وبني قيطون من البلاد . فلما رأت ذلك جرهم ومن كان معها وما دخل عليهم وأنه لا طاقة لهم بحمير ساروا عن البلد وملكت بنو جرهم عليهم مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هي بن نبت بن جرهم بن قحطان . وملكوا بنو قبطون عليهم السيمدع بن هوثر بن مازن بن لاوي بن قبطون بن كركر بن حيدان . فساروا حتى حلوا أرض الحرم وأهلها يومئذ العماليق، وهم نزول حوله ـ وكان موضع الحرم كثير الشجر ممتنعاً أن ينزل فيه لكثرة شجره . فأمروا بالشجر فقطع ، ونزلت جرهم أعلى مكة ، ونزلت بنو قبطون أسفلها في موضع قعيقعان واجياد . قال معاوية : وهل كانوا يعلمون أنه حرم ؟ قال عبيد : نعم يا أمير المؤمنين قال : يا عبيد فكيف قطعوا شجره ؟ قال عبيد : لم يرو بذلك بأساً لما أرادوا من سكناه وعمارته ، وقد قال في ذلك مضاض هذا الشعر الذي يقول فيه :

هذا سبيل كسبيل يعرب	البادي بالقول المبين المعرب[1]
وعاد عوص ذو القوام الأعجب	وعمي الخير ثموداً لا سكب
اني اليهم صاح في التقرب	وهم إلي الدهر في التنسب
مضوا على مهل لأمر معجب	جرهم جدي وابن عمرو الأهدب
أجلب المأمون ذو التنقب	يعرب ذو مجد وعز أغلب
بمكر مات وسنا مرتب	يا قوم سيروا غير فعل الأجنب
قد قال في ذلك خير منجب	ونوح قد قال بقول أصوب

(١) هذه القصيدة كما ترى ـ ح ه .

أنتم بنو يعرب أهل معرب وأهل عز باذخ مهذب
وجرهم في الدهر ذي التشعب قوام بيت مكرم مطنب
وزانه الله العلي الأغلب

وقال السميدع بن هوثر القطري :

سيروا بني كركر في البلاد اني أرى الدهر إلى فساد [1]
قد سار من قحطان ذو الرشاد جرهم لما هدها الأعـادي
من حمير الحساد للعباد فلم يضرني دون أهل الوادي
لكم بني عمرو على المبادي بالمقضبات الصقل الحداد
سيروا بنا الأرض بلا ارتباد سيروا وعزنا بلاد الهـادي
خليل رب بادي السداد دعوا بني كركر كل عادي
إذ صرحوا المنكر باتئيادي وآثروا العبيد بـالوداد
على أولي الأرحام والأيادي فان في الأرض لكل عـاد
قوام عيش زائد من زاد

قال معاوية : من أول من ملك من ولد قحطان ؟ قال عبيد : كان أول من ملك منهم سبأ بن يشجب بن يعرب واسمه عبد شمس — فهو أول من سبي السبايا — ثم ملك من بعده حمير ، وذلك قبل عاد بزمان. قال معاوية : وأنى ذلك وحمير أحدث بدهر طويل ؟ قال عبيد : كلا يا أمير المؤمنين . ان عاداً قد ذكرت حمير في أشعارها . قال معاوية : وكيف قالوا ؟ قال عبيد : إن عاداً لما بعثت وفدها إلى الحرم وأبطأ الوفد عليها كالذي حدثتك يا أمير المؤمنين ، فرأى جنادة بن الأصم رؤيا — وكان مسلماً مع هود النبي

(١) تقدمت في صفحة سابقة من التيجان — ح٠ .

صلى الله عليه وسلم – أن الوفد قد هلكوا . فقال رجل من المشركين يقال له الخلجان بن الوهم في قوله هذا الشعر الذي يقول فيه :

أفي كل عام بدعة تحدثونها ورأي على غير الطريقة تعبروا
فان لعاد سنة في حفاظها سنحيي عليها ما حيينا ونقبر[1]
وللموت خير من طريق تسبنا به جرهم والعاد منها وحمير

قال معاوية : صدقت يا عبيد وأتيت بالبرهان ، فخذ في حديثك الأول : قال : فلم تزل حمير كذلك لا يعدون اليمن حتى صار الملك إلى الحارث بن ذي شدد ابن عمرو بن الملطاط بن عمرو بن قطن بن زهير بن عريب بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ – فكان الحارث أول من غزا وأصاب الأموال وأدخل اليمن الغنائم ، ثم خيرها فسمي بعد ذلك الرائش – قال عبيد : يا أمير المؤمنين هو الذي قال فيه لقمان الأكبر – لقمان صاحب النسور – ما قال – وقد حدثتك حديثه في قوله (انهض لبد أنت الأبد نهض الملك المجرد الحارث بن ذي شدد) .

قال معاوية : صدقت يا عبيد وجئت بالبرهان ، فخذ في حديثك عن ملوك حمير . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أنه لما كان يوتى للحارث وهو الرائش في بلاده من قبل السند والهند في السفينة من المسك والعنبر وغير ذلك من الأعاجيب من ياقوتها وغيره فتطلعت نفسه إلى غزوها فعبى الجنود وأظهر أنه يريد أرض المغرب بحراً ، وأعد السفن حتى إذا رأى أنه قد استمكن قدم رجلاً من أهل بيته – يقال له يعفر بن عمرو بن شرحبيل بن عمرو ابن شرحبيل بن عمرو باثني عشر الفاً ، وسار على أثره حتى دخلوا أرض

---

(١) تقدم فراجعه – ح ٭ .

الهند ، فقتل المقاتلة وسبى الذرية وغنم الأموال ، ثم رحل قافلاً إلى اليمن وخلف يعفر في اثني عشر الفاً وأمره ببناء مدينة هناك ، ففعل وأقام سنة .
قال معاوية : وأي مدينة هي ؟ قال عبيد : لا أدري ما اسمها إلا أن ملوكهم بها اليوم واسمها على اسم الرائش . قال معاوية : كيف ذلك ؟ قال عبيد : قال في ذلك رجل من حمير يقال له يونس [1] بن سعد بن عمرو بن زيد ابن علاف بن ذي أنس بن يقدم بن الصوار شعراً يقول في ذلك :

من ذا من الناس له ما لنا من عرب الناس ومن أعجم
سار بنا الرائش في جحفل مثل مفيض السيل كالأنجم
يؤم أرض الهند غازلها يحوي بها الانجوج كالضيغم
ونستبي كل فتاة بهـــا ريانة الحدين والمعصم
ان ولي الملك من بعده سليل ذا الملك إذا ينتمي
أعني به يعفر إذ جاءها يا حبذا ذلك من مقـــدم
في بحرها المسجود يطوى له يوم يسير الملك المعلم
فصبح الهند بها وقعة هدت ملوك الهند بالصيلم
وأقبل الرائش في ملكه وآب بالخيرات والأنعم

قال معاوية : فما صنع بعد ذلك ؟ قال : أقام يا أمير المؤمنين دهراً أعلى ذلك حتى أتته هدية من قبل أرض بابل .

قال معاوية : وممن كانت الهدية لله درك يا عبيد ؟ قال : من ملكها .
قال : ولم ذلك وهم في عز ومنعة بأرض بابل ؟ قال عبيد : إن الملوك يهادي بعضها بعضاً . قال : مخافة أن يغزوه ؟ قال : أظن ذلك ، والذي كان

---

(١) تقدم في ص ٨٩ نوفل – وهناك ترى القصيدة مع اختلاف كثير في الألفاظ – ح*.

منه في أرض الهند . قال معاوية : ومن أهل بابل يومئذ ؟ قال : بقية من ولد حمير بن يعرب . قال معاوية : خذ في حديثك وأعلمني ما كانت الهدية ؟ قال : بزات بيضاء وسروجاً كرمانية وديباجاً فاخراً وآنية من متاع الملوك من عمل أهل تلك البلاد . فلما رآها الرائش قال للرسول : أكل ما أرى في بلادكم ؟ قال : بعضه أيها الملك وبعضه من بلاد الترك ، وهم من أمرائنا من حالهم كيت . فحلف ليغزون تلك البلاد التي خرج منها ما رأى فاستخلف يعفر بن عمرو ، وسار هو بنفسه في مائة الف وبعث الرجال في ابتغاء الطريق ، فلم يجد طريقاً خيراً له فيما يذكر من طريق واحدة على جبل طيء حتى خرج ما بين العراق والجزيرة ، وقد سألت يا أمير المؤمنين عن ذلك فبلغني أنه خرج على الانبار من أرض العراق . قال معاوية : أو قد كانت أحدثت مدينتها يومئذ ؟ فقال عبيد : بل قبل ذلك بدهر طويل ، ثم سار حتى نزل الجبل من أرض الموصل ، وبعث شمر بن القطاف بن المنتاب بن عمرو بن زيد بن عملاق بن عمرو بن ذي أنس في مائة الف حتى دخل عليهم آذربيجان فقتل المقاتلة وسبي الذرية ، ثم أقبل فكتب في حجرين أمر مسيره ، فهما اليوم على جدار آذربيجان . قال معاوية : وما بال آذربيجان لله أنت ؟ قال : له انها كانت من أرض الترك واجتمعوا له . قال : فأين كان ملك بابل عنه ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين انها كانت لأهل اليمن عدة ولحمير بسطة وقوة والله اني لاستحيي من ذكرها وكانت تنزع الأولاد إلى اليمن والأوطان ، وكانوا يلجون في السير في البلاد وان أهدى لبعضهم ملك من الملوك قبل وطاف إلى غيره.قال معاوية: صدقت فهل بلغك ما في الحجرين بأرض آذربيجان ؟ قال : ذكر مسيره في شعره . قال معاوية : فما قال ؟ قال : قوله :

بني قحطان فانتجعوا وسيروا وخطوا البيت في البلد الحرام

قال عبيد: يا أمير المؤمنين ذلك من قول الحارث الرائش. قال معاوية: وكيف قال؟ قال: انه لما سار إلى الترك — وهو الحارث بن ذي شدد — قال هذا الشعر الذي يقول فيه:

أنا الملك المقدم حين أمضي جلبت الخيل من يمن الحمام[1]

لا غزوا عبداً جهلوا مكاني بأرض الشرق من ديم الغمام

فاحكم في بلادهم بحكم سواء لا يجاور في غلام

بنو قحطان فانتجعوا وسيروا وخطوا البيت في البلد الحرام

باذن الله خط وهو كثيب توارثه الهمام عن الهمام

دعوا أحرامه لبني أبيكم وكونوا مثل يقطان وسام

وكونوا مثل ملطاط بن عمرو وذي الأنس الأضافد ذي السنام

فتلك ملوك أخيار تواوا ويخف بعدهم شبل الكرام

فشرف منزلي وعلا مكاني وملكي فوق أملاك الانام

فان أهلك ولم أرجع إليكم فقد هلك الملوك من آل لام

ويملك بعدنا منا ملوك أولوا عز كعالية الغمام

ويخلف بعدهم منا ملوك يرومون العناد لكل رام

فينتشر الاساود ثم عشرا عقاب الله في القوم الاثام

ويملك بعدهم رجل عظيم بني لا يرخص في الحرام

يسمى أحمداً يا ليت اني أؤخر بعد مبعثه بعام

ويملك بعدهم منا ملوك ضعيف أمرهم نكل المرام

---

(١) كذا – فتأملها جميعاً – ح. .

ويملك بعده خنف نزور ويملك بعدهم أولاد حام
وتظهر راية المنصور فيهم على رأي ورأي بعـــد لام
فينشر منطوى ملك طوته ثلاث بعد واحدة تمـــام
فتنبعث الحقوق كما أميتت كما يجلي القتام عن الغمام
ويملك بعده رجل ضعيف على آبائه أزكى السلام

وهو الذي يقول يا أمير المؤمنين :

ان المكارم والعلياء خص بها خير البرية ملطاط بن حيدان
أعني به واثلاً والغوث والده وعبد شمس آتانا خير انسان
واذكر به سيد الاملاك ذا أنس وابن القماقم عمرو الاصيدالثاني
واذكر عريار تاج الأرض ان نسخت معاقل الناس من أولاد قحطان
وخص مني زهيراً وابنه قطنا عند الحروب إذا كر الفريقـــان
وايمن النازح المشهور رأيته بنى لنا المجد من ذا مثله باني
ابن الهميسع في عز ومـــأثرة اني لذكراه ذو بث وأحزان
ذاكم باني سألت الناس كلهم من مثلنا في دهور الأنس والجان
لو كان ذا الدهر يبقى آل مكرمة لخص منا به ذاك الكريمان
وحمير وسبأ فاذكر فعالهما لكن ذا الدهر يفنى والجديدان
وجرهم هو جدي في أرومته وعم خالي نبت وابن هزان
تلك المكارم ان عدت مكارمنا هذا لعمرك مجد ليس بالفاني
فسائلوا الناس هل مثل يشاكلهم أو كان مثلي بهذا أمر لقمان

قال معاوية : يا عبيد هل أحد من العرب ذكر الرائش في شعره ؟
قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال فيه امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي :

تقول بنية الكندي لمـــا عرفت بها الهوى واللهو نالا
أرى الملك الذي قد كان فينا يفيد رغائباً ويفيد مالا
ويعطي القينة الحسنا ويروى نداماه ويصطنع الثقـــالا
ويصبح في البطالة مستطيرا تخال به إذا وافى هـــلالا
يبدل بعد جدته شحوبــا وأصبح شاؤه خلقاً مدالا
فقلت لها وقول الحق ممـــا يميل لو عدلت به الجبالا
ألا اعتري فان الدهر غـــول خؤون العهد يلتهم الرجالا
أزال من المصانع ذا رياش وقد ملك السهولة والقلالا
وذو القرنين قد ملك المعالي وللرياش قد نصب الحبالا[١]
وانشب في المخالب ذا مقار فارداه وسقاه الخبالا
وافرد ذا مقار وكان قدما يبالي في سرادقه الشمـــالا
وفجع كندة الأخيار طرا بعمرو واصطفى حجراً فزالا
فبينا المرء في الاحياء حـــي رماه الدهر عن جنب فمالا
وازد شنوءة الأبطال أرخوا لنا في العيش أهون اختيالا
فانيلك دار أهل الازد زالت فكل الناس ينتظر الـــزوالا
فان تهلك شنوءة في مسيري فان هناك في غسان خـــالا
بعزهم عززت وان يذلوا فذلهم أبا لك قد انـــالا
جزى الله السموأل يوم تيما ومن شهد الوثيقة والمقـــالا
وأصحاب العهود بني غنى وعمرو الخير من يجري النوالا

قال معاوية : يا عبيد، ماكنا نظن هذا الشعر الا لذي نواس! قال: يا أمير المؤمنين قرب هذا وبعد الآخر ، وكان اسم هذا أهون على الرواة . فأما القول : فوالذي بعث محمداً ، لقد رويت هذا الشعر وان ذا نواس لغلام

---

(١) كذا – فتدبر القصيدة اجمع – ح.

وان الملك على حمير باليمن لخنيعة ذو شناتر قبل ذي نواس بدهر طويل فقتله ذو نواس . قال معاوية : صدقت ، فكم ملك الرائش ؟ قال : ملك مائتي سنة وخمساً وعشرين سنة . فقال: فمن ملك بعده ؟قال : ابنه أبرهة بن الرائش – وكان يدعى ذا المنار – وكان من أجمل أهل زمانه – فيما يذكر – فعشقته امرأة من الجن– يقال لها العيوف – ويروى أنها الهيوف بنت الرابع فتزوجها ، فولدت له العبد بن أبرهة ، فسار أبرهة غازياً نحو المغرب ومعه ابنه العبد فسيره على مقدمته واستخلف على اليمن ابنه أفريقيس ابن أبرهة . فسار أبرهة حتّى أوغل في أرض السودان براً وبحراً وأمعن فيها . ثم بدا له المقام فأقام وسرح ابنه العبد بن أبرهة في غربي الأرض في عسكر ، انتهى إلى بلاد قوم وجوههم في صدورهم . إذا كان النهار وحرت الشمس استخفوا في الماء ، فوضع فيهم السيف حتّى أفناهم ورجع إلى أبيه بسبي كثير وأصاب من الأموال شيئاً عجيباً وأخذ منهم قوماً فلما قدم بهم إلى أبيه ذعر الناس منهم فسمي ذا الاذعار قال: وانما سمي العبد بن أبرهة ذا الاذعار لذلك .

قال : نعم . قال معاوية : فاخبرني لم سمي أبرهة ذا المنار ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين ، أنه لما رجع أبرهة من غزوته تلك أمر بمنارة فبنيت وشبت فيها النيران ليهتدى بها جيوشه ، وكان ذلك المنار يا أمير المؤمنين أول منار وضعته الملوك – فسمي لذلك ذا المنار – قال : ثم رجع إلى اليمن فلم يغز حتّى مات . قال معاوية : فهل قيل في ذلك وفي ذي المنار شعر ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين قد قال فيه رجل من حمير من أهل بيته ومن خاصته – يقال له المحموم [1] بن مالك بن يزيد بن غالب بن المنتاب بن

---

(١) ما تقدم في ص ١٣٨ – ١٣٩ من نسبه يخالف بعض ما هنا – ح*.

بن عمرو بن يزيد بن عملاق بن عمرو بن ذي نواس بن يقدم بن الصوأر هذا الشعر الذي يقول فيه :

ولقد بلغت من البلاد مبالغا ... يا ذا المنار فما يرام لحاقكــا
قدت الجنود فأمعنت في برها ... وحملت منها في السفين كذالكا
حتّى وطى الجمعان حيث تبوأت ... أولاد حام ثُمّ جئت بلادكا
أوغلت عبداً فاستقر به النوى ... حيث العجيب بغير خلق جالكا
فأتاك بالنسناس خلق وجوههم ... في الصدر منهم قابض لقناتكا
أنت القهور فما ترام إلى البلا ... نعم الخليفة في مدى أفعالكا
من ذا سيأتي من فعالك خطة ... هيهات ذلك جانح لسنائكــا
خضع الملوك لما رأوا من كيده ... كرماً لحمير أن علت بعلائكا

قال معاوية : كم ملك ذو المنار ؟ قال : ملك مائة سنة وثمانين سنة .

قال مغاوية : استقر الأول، فالأول حتى سألك عما اريد ؟ قال عبيد :

نعم يا أمير المؤمنين. قال معاوية : فمن ملك بعد ذي المنار ؟ قال:

ملك بعده أفريقيس بن أبرهة فغزا نحو المغرب عن يمين مسير ابيه في أرض البربر حتّى انتهى إلى طليحة الملك فرأى بلاداً كثيرة الخير قليلة الأهل، فنقل البربر من بلادهم فلسطين إلى مصر، إلى الساحل . قال معاوية: فإنه يقال أنهم قوم من قيس بن عيلان فهل علمت ذلك ؟ قال عبيد : أما هذا فلا علم لي به ولكني أخبرك ان البربر قوم من ولد كنعان بن حام بن نوح وهم بقية من قتل يوشع بن نون قال معاوية:ولم قتلهم يوشع بن نون لله انت ؟ قال: ان يوشع بن نون كان عبداً صالحاً مؤمناً مأموراً، فسار إليهم داعياً إلى الله ، فتركوا الحق وكرهوا الإسلام واحبوا المقام على الكفر فقاتلهم فظفر بهم فقتلهم إلا بقايا منهم كانوا على السواحل ومن هرب

منهم فرجعوا بعد ذلك فقتلهم افريقيس في غزوه الى ارض البربر فهم بها إلى اليوم . قال معاوية : فكيف تقول قيس انهم من ولد بربر الا من قبل شعر قاله افريقيس، وما ذلك ؟ قال : قال افريقيس يا امير المؤمنين هذا الشعر حيث يقول :

بربرت كنعان لما سقتها ... من بلاد الملك للعيش العجب
قد رات كنعان فيها وهنة ... من بني يعقوب يوسف ذي النهب
ورأت قيس لعمري دارها ... ترتقي عيشاً لنا لا يترب (١)
ثم امسوا غير ممسى من مضى ... بين ميت وطريد ذي تعب
فاشكري ضبعان شكراً صادقاً ... واحذري مني انتقاماً ذا حرب

قال معاوية : خذ في حديثك الأول . قال : فلما بلغ افريقيس حيث بلغ ، امر ببناء مدينة بتلك الأرض من افريقية ، فبنيت مدينتها — وانما سميت باسم افريقيس — وكذلك تسميها بربر اليوم ، فأما العرب فتقول افريقية ان هذا لشبيه .

قال معاوية : فهل قيل في ذلك شعر ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين قال السميدع بن عمرو بن عملاق بن مالك بن عمرو بن عملاق بن هزان بن المنتاب بن عمرو بن غالب بن المنتاب شعراً . قال معاوية : وما هو ياعبيد ؟ قال : يا امير المؤمنين هذا الشعر وهو :

سرنا إلى المغرب في جحفل ... فيه لعمري كل شاب همام
بأمر افريقيس لا ينثني ... بكل صهال وعضب حسام
حتى اتينا ارض بطحائها ... من دون بحر غير سهل المرام
نخوض بالفرسان في ماقط ... يكثر فيه ضرب ايد وهام

(١) كذا — ح .

بأمر ماضى الهم ذي حنكة نقهر من شئنا بجيش لهام
نقتل منهم شيخ املاكهم اروع قرم غير وغد كهام
يسكن البربر في قصفص[1] كتائب سارت كمثل الغمام
ثم ابتنى البنيان في جوفهـا بغير ما كره لدهر الدوام

قال معاوية : فكم ملك لله ابوك يا عبيد ؟ قال : ملك افريقيس مائة سنة واربعاً وستين سنة . قال معاوية : فمن ملك بعده يا عبيد ؟ قال : ملك اخوه العبد بن ابرهة ذو الاذعار ، فسقط شقه من الفالج ، فلم يغز بنفسه وكان يوجه في الغزو سنة ويمكث ثلاث سنين — وكان مهيباً قال : لله درك يا عبيد ، ما سمعت برجل من اهل اليمن هم له اكثر ذكراً وبمسيره واثخانه في الأرض اكثر تعجباً منهم له؟ قال عبيد : ذلك من لا علم له امير المؤمنين وما كان ذكرهم لذي الاذعار ، الا لما كان اصاب من السبايا مع ابيه وهدية بلغ بها الى ابيه فيما بلغنا والله اعلم . قال : فهل قيل في ذي الاذعار شعر سمي فيه ذي الاذعار ؟ قال عبيد : نعم ، انه لما مات رثاه رجل من اهل بيته — يقال له المعترف[1] بن وائل بن يعفر بن عمرو — قال عبيد : قال المعترف بن وائل يرثي ذا الاذعار حيث قال :

عجبت للدهر وبلوائه وصرف ايام لـه فانيـه
بينا يردينا اباس الهـوى إذ مال لا يبقي على باقيه
لو كان هذا الدهرَ اذهرنا له ود من الأرباب والحاشية[2]
عمرو ذو الاذعار في ملكه لكنما الدنيا هي الفـانية

(١) كذا — ولم نعثر عليه — ح• .

(٢) تقدم — المضرب — صفحة سابقة

(٣) كذا وقد تقدمت الأبيات - صفحة سابقة - وفيها تصحيف كثير فراجعها — ح•.

وملك جبارهم اصله لم يكن الباقي لدى الداهيه
فاكثري التعويل يا حمير على مليك كان بالعاليه
من مجد آباء له ما لهم قد قهروا ملك ذوي العاتيه

قال معاوية : يا عبيد كم ملك ومن ملك بعده ؟ قال : ملك خمساً وعشرين سنة . ثم ملك بعده عامر ذو براش . قال معاوية : ما سمعت بذي براش ؟ قال : بلى يا امير المؤمنين كان ملكاً من ملوك حمير ، وقد قال فيه الأفطس بن عفيف – وهو رجل من اليمن – شعراً . قال معاوية : وكيف ؟ قال عبيد : قال هذا الشعر يا امير المؤمنين حيث يقول :

قد علا الناس بالفضائل والمجد اخو الملك عامر ذو براش
قاد خيلاً يريد ارض قباذ غار فيها بمصلتين كماش
ازهر يقهر الملوك بملك عالي الذكر قاهر غير خاشي
للمنايا اذا تضرمت الحرب بنيرانها الفضاع الغواشي
فهو ليث لها يقود ليوثاً ليس يثنون عن لقاء الكباش
وهو ليث الحروب في كل حرب ذو براش فنعم ليث الهراش
ملك يبرم الأمور بحزم غير زميلة ولأمر عاش
فل ساسان عنوة وزبرجا[1] إذ غزاهم بجحفل الجياش
بجيوش كأن لمع سناها شهب الليل في الدواجي الغطاش
من سيوف مهندات صقال مرهفات يردن في الامشاش
جاء بالفيء من سر نديب والابلة حتى اتى بأرض حفاش
من لبيض الخدود في الغرف الشم وفي حسن لذة ومعاش
ذاك قيل مملك حميري ثار في الملك في اكتهال وناش
غير رعديدة إذا حمى الحرب ولا بيهمومة ولا طياش

(١) كذا ولم تجده – ح .

قال معاوية : لله ابوك يا عبيد ما كنت اظن هذا هكذا وما كنت اظنه إلا ذا نواس ! قال : بلى يا امير المؤمنين . قال معاوية : فكم ملك ومن ملك بعده ؟ قال عبيد : ملك تسعاً وستين سنة ، ثم ملك من بعده الهدهاد بن شرحبيل — وهو ذو يشرح — فكان قد تزوج امراة من الجن — يقال لها رواحة (١) بنت السكن — فولدت له بلقيس — وكانت اعقل امرأة سمع بها في ذلك الزمان وافضل رايا وعقلا وتدبيرا وعلما ، وكانت ذات مشورة على ابيها ، حتى عرف ذلك جميع حمير وغيرها منها — فلما حضرته الوفاة بعث إلى رؤساء قومه واهل الرأي والنبل منهم وامراء خيارهم ، فذكر لهم انه استخلف عليهم بلقيس . فقال رجل منهم : ابيت اللعن ايها الملك تدع أهل بيتك وأفاضل قومك وتستخلف علينا امرأة — وان كانت في المكان الذي هي منك ومنا — قال : يا معاشر حمير قد رأيت الرجال وعرفت أهل الفضل وخبرت ذوي الرأي من المعاشر وشهدت ملوكها الماضين ومن أدركت منها فلا والذي أحلف به ما رأيت مثل بلقيس قط علماً ورأياً وحكماً ، مع أن أمها من الجن وأنا أرجو أن تظهر لكم من أمور الجن ما تنتفعون به باعانتكم ما كانت الدنيا — لأن أمها من الجن — فاقبلوا نصيحتي فيها فاني مع اختياري إياها مؤدية إلى غيرها من أهل بيتها ، واني قد كنت سميت الملك لابن خالي هذا الغلام — وهو غلام له عقل ورأي وهو أولى بالأمر ، فإذا بلغ ولى الأمر إما في حياتها واما بعد موتها — قال : ومن هو ؟ قال (٢) : ناشر بن عمرو بن يعفر بن عمرو . قالوا : سمعنا وأطعنا وأنت أيها الملك أنظر لنا وأبصر بنا . فوليت بلقيس أمورهم بعد أبيها الهدهاد بن شرحبيل ملك حمير .

---

(١) مضى صفحة سابقة عن تفسير الآلوسي — ريحانة — ح• .

(٢) تقدم صفحة سابقة مالك بن عمر بن يعفر بن حمير — فتأمله — ح• .

قال معاوية : فاخبرني كم ملك الهدهاد بن شرحبيل ؟ قال : ملك مائة سنة . قال معاوية : يا عبيد هل كانت بلقيس تريد الرجال ؟ قال عبيد : ما تزوجت قط ، ولا نكحها سليمان عليه السلام ، الا وهي بكر . قال : فمن كان خدمها ؟ قال عبيد : الرجال . قال : فمن كان يخدمها ؟ قال: النساء. قال معاوية : اماء هن أم حرائر ؟ قال: بل بنات اشراف حمير . قال : وكان معها فيما بلغني ثلاثمائة وستون جارية ، وكانت تحبس الجارية ، حتى إذا بلغت حدثتها حديث الرجال ، فإن تغير لونها ونكست رأسها وبدا لها أنها قد أبصرت أمر الرجال ، سرحتها إلى أهلها فزوجوها بعض أشراف قومها ، وإذا رأتها مستمعة لقولها معظمة لأمرها غير متغيرة اللون ولا مستحية من الحديث عرفت أنها لا تريد فراقها وان الرجال ليسوا ببالها .

قال معاوية : ان النساء في ذلك أطوار تكون على الوصف الاول وانها لبعيدة عن الرجال وتكون على الصفة وهي تحتال على ذلك بالخداع والمكر قال عبيد : يا أمير المؤمنين أنه كان عندها بالأمور علم وكان هذا منها رأياً . قال معاوية : يا عبيد انك لتحدثني عن امرأة أظنها نواراً من النساء ! قال عبيد : يا أمير المؤمنين ، ومن أين يكون ذلك ؟ وقد قالت لنبي الله سليمان بن داود ما قالت رغبة فيه وحرصاً على أن تكون زوجة له — ولو كانت نواراً لم تقل ذلك — ولكنها كانت من النساء مكرمة لنفسها ضابطة لرأيها وأمرها غير نزوع إلى المساوىء ولا غافلة عن المكارم . قال معاوية : فما كان قولها لسليمان بن داود ؟ قال عبيد : يأتي عليك الحديث يا أمير المؤمنين . قال : افعل ، فوالله انك لتحدث لعجباً ؟ فكم ملكت حتى جاءها سليمان بن داود .

قال بلغني يا أمير المؤمنين أنها ملكت تسعين [1] سنة ، فلما أراد الله اكرامها بسليمان ، خرج مخرجاً لا يدري إليها قصد أم إلى غيرها أم مر على بلادها وهو يريد غيرها ، وكان إذا ركب من منزله مرعاً أتته [2] فقال : نصف النهار بأصطخر من أرض فارس ، ثم يتروح فيبيت بكابل فغدوه ورواحه مثل ذلك المسير إلى كل وجه يأخذ إليه . وقول الله أصدق القائلين (غدوها شهر ورواحها شهر) . قال معاوية : صدقت ، فهل قرأت القرآن ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما حفظته إلا في شهر واحد . قال معاوية : لله أنت يا أخا جرهم ، فحدثني عن سليمان وبلقيس . قال : لما أراد الخروج على الريح ، فوضع سريره عليها وكرسيه وكراسي جلسائه ، ثم جلس عليه وأجلس الأنس عن يمينه وشماله ومجالسهم من كرامتهم وأجلس الجن من ورائهم على مثل ذلك منهم قائم ومنهم جالس ، ثم قال للريح : أقلينا ، وللطير أظلينا ، فأقلتهم الريح وأظلتهم الطير من الشمس والخيل موقوفة والطباخون في توابيتهم جلوس في أعمالهم ، فلما استقروا عليها أمرها سليمان بالمسير ، فسارت لا تزيل أحداً منهم عن مجلسه ولا تفسد عليه عملاً في يده ولا صانعاً بصناعته ولا طابخاً ولا خبازاً ولا دابة من مربطها ولا أحداً ممن حملته عليها حتى يأذن لها في وضعهم على الأرض فإذا أذن لها بذلك فعلت ذلك في الحال من سكونهم بقدرة الله عز وجل . ثم ان سليمان سار في أرض العرب ، فمر بموضع المدينة ، فأمر الرياح فوقفت ثم أعلم أصحابه ان هذا المكان مهاجر نبي يخرج في آخر الزمان من العرب اسمه أحمد وهو خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم ثم سار إلى

---

(١) وقد تقدم في صفحة سابقة ان ملكها قبل سليمان سبع سنين – ح.

(٢) كذا – ولعله من تدمر – كما مضى في التيجان – ح .

مكة فأمر الرياح فوقفت ثم قال : هذا بيت الله الذي ابتناه أبي ابراهيم صلوات الله عليـــه وهو أول بيت وضع في الأرض،أمر لله به أبي آدم عليـــه السلام فبناه ، ثم نزل سليمان فصلى فيه،ثم سار .

قال معاوية : لله أبوك يا عبيد فمن كان أهل الحرم يومئذ ؟ قال عبيد : نحن يا أمير المؤمنين وسلفنا على الحق يومئذ . قال معاوية : فمن كان يلي البيت يوم مر به سليمان بن داود ؟ قال [1] : البشر بن عامر بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو .

قال معاوية : خذ في حديثك . قال عبيد : ثم سار سليمان إلى أرض اليمن ، حتى إذا كان على مسيرة ثلاثة أيام من مدينة ملك اليمن أراد سليمان النـــزول — وكان لاينزل إلاعلى ماء — وكان الهدهد الذي يدله على الماء فافتقد سليمان الهدهد حين دخلت عليه الشمس من موضعه — وكان مثل البطة — وذلك قول الله تبارك وتعالى (وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) إلى آخر الآية . قال : وما يعني بالعذاب يا عبيد ؟ وانما هو طائر . قال عبيد : يا أمير المؤمنين سمعت ابن عمك عبدالله بن عباس يقول : انه النتف حتى لا يطير مع الطير . قال معاوية : فهل تعرف يا عبيد قوله (أو ليأتني بسلطان مبين) ما هو ؟ قال : العذر المبين . قال : فمن أين علمت ذلك ؟ قال : من قبل ابن عباس . قال معاوية : فما صنع الهدهد ؟ قال عبيد : كان الهدهد قد تقدم فلقي هدهد أرض سبأ ، فقال لهدهد سليمان : اخبرني ما هذا الذي أرى ما رأيت ملكاً أعجب من هذا راكباً على الريح ومعه الجنود ما لم أره ولم أسمع بمثله ! قال له هدهد

---

(١) كذا ، وقد تقدم في صفحة سابقة خلاف ذلك في النسب — ح• .

سليمان : هذا سليمان – نبي الله – فمن أين أنت ؟ قال : من أرض سبأ . قال : فمن ملككم ؟ قال : ملكتنا امرأة لم ير الناس مثلها في فضلها وملكها وحسن رأيها وتدبيرها وكثرة جنودها مع الخير الذي قد أعطيت في بلادها وأمها من الجن مع هذا وهي امرأة من ولد حمير . قال هدهد سليمان : انطلق بي حتّى أنظر إليها ، فانطلق به حتّى رآها وجنودها وما أعطيت في بلادها . ثم رجع إلى سليمان صلى الله عليه وسلم بعد أن مكث غير بعيد كما قال الله عز وجل ، قال الهدهد : يا نبي الله (اني أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين ، أني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتّها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون . قال سليمان : سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ، إذهب بكتابي هذا فالقه إليهم ، ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون . قال معاوية : لم تقرأ القرآن لهذا الحديث ، ألا تأتي بالحديث الذي بلغك ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين القرآن أصدق من الحديث ، ولو لم يكن هذا في كتاب الله لكان الحديث عندي ثقة . قال معاوية : صدقت . قال عبيد : فكتب سليمان كتاباً ودفعه إلى الهدهد فأخذه بمنقاره – فيما بلغنا – فانطلق به حتّى آتاها وصار بحذاء رأسها وهي على سرير مملكتها تنظر إلى طائر من فوقها فألقى الكتاب في حجرها ، فنظرت إليه ونظر الناس إلى طائر رمى إليها بكتاب ، فخاضوا الناس في ذلك وقالوا : رمى إليها الكتاب من السماء تعظيماً لقدرها ، فبلغها ذلك فبعثت إلى مقاول حمير – وكانت أول من وضع المقاول تستشيرهم وتأخذ من رأيهم – فقالت لهم : ما ذكر الله في كتابه (يا أيها الملأ إني ألقي إليّ كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وآتوني مسلمين) ؟ قال معاوية : يا عبيد فاخبرني عن الكتاب الذي أمر به ما كان

فيه فيما بلغك ؟ قال عبيد : قد قلت لك يا أمير المؤمنين أني لا أنطق بشيء ليس بيانه في القرآن ، وقول الله أصدق فكان من جوابهم لها أن قالوا : (نحن أولو قوة وأولو بأس شديد ، والأمر إليك ، فانظري ماذا تأمرين ؟ قالت : إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) . ثم قالت : (واني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) قال عبيد : فبعثت يا أمير المؤمنين وفداً أربعين رجلاً من رجالها وبعثت معهم بمائة وصيف ومائة وصيفة ولدوا في شهر واحد لهم ذوائب وقصاص والزي واحد وختمت على سراويلهم وبعثت بمائة فرس نتجت في يوم واحد الوانها واحدة ، وبعثت بحق رصاص فيهمن الجواهر والزمرد والياقوت الأحمر والأصفر والأبيض والأسود ، ملحم لا يوصل إليه إلا أن ينكسر وبعثت بخرزة غير مثقوبة ، وكتبت إليه أن اثقب هذه الخرزة بغير حديد ولا علاج أنس ولا جان ، وبعثت إليه بخرزة مثقوبةثقبا ملويا وسألته أنيدخل فيه خيطاً وقالت للوفد : ان قبل الهدية فهو ملك من الملوك فهو أهون علينا محاربته ، وإن ردها ولم يقبلها فالرجل نبي . وقد كتبت إليه كتاباً ، فادفعوه إليه واسألوه عما في الحق ، وأن يفصل بين الذكر والأنثى من الوصائف والوصفاء وأن يميز الخيل وأيها نتج قبل صاحبه وعن الولاء وعن قرابة ما بين ذلك . فلما قدم الوفد إلى سليمان قرأ كتابها وما سألت عنه من علم وخبر . فدعا الجن والأنس ، ودعا بالوفد فقرأ الكتاب وقال لعلمائه : من يميز الغلمان من الجواري ولا ينزع ثيابهم ؟ فاعلموه أنه لا علم لهم به واشتد إعجابه بما جاءه من قبلها وشق عليه بعض ما سألته عنه ، فمكث أياماً يقلب الأمر ظهراً لبطن حتى علمه الله إياه وأطلعه عليه من حكمته. فدعا بالغلمان والجواري فأمر بطشت فملىء ماء ودعاهم واحداً بعد واحد وقال: اغسلوا أيديكم ! فكان الغلمان إذا غسلوا أيدهم حذروا الماء حذراً ،

والجواري يصببن الماء صباً فميزهم على ذلك. ودعا بالخيل ، فقال : نتجن في يوم واحد ، وقال : هذا خال هذا وهذا عم هذا ، وهذا ابن عم هذا وهذا ابن أخ هذا ، حتّى فرغ منهن والوفد ينظرون إليه في كتابهم والنقش بعلامتهن . ثم دعا بالخرزة التي لم تثقب فوضعها بين يديه ثم قال لمن حضر : من يثقبها ؟ فتكلمت دودة بين يديه فقالت : يا نبي الله أنا أثقبها على أن تجعل رزقي في الخشب . قال : نعم . فلزمت الخرزة الدودة تثقبها حتّى خرجت من الجانب الآخر في ثلاثة أيام . ثم انطلقت لرزقها . ثم دعا بالحق فحركه ، ثم قال : فيه جوهر عدة الجوهر كذا وكذا والزمرد كذا وكذا والياقوت الأحمر كذا وكذا والياقوت الأصفر كذا وكذا والأبيض كذا وكذا ، حتّى فرغ من جميع ذلك والوفد ينظرون . ثم دعا بالخرزة الملوي ثقبها ، وقال لمن بحضرته : أيكم يأخذ هذه الخرزة الملوي ثقبها فيدخل فيها خيطاً ؟ فأجابته دودة تكون في القصقصة [1] وقالت : أنا أدخله فيها على أن تجعل رزقي في الخشب . قال سليمان : ذلك لك . فأخذت خيطاً فاتقنته في رأسها ودخلت في الخرزة من ثقبها حتّى خرجت من الجانب الآخر ، ثم انطلقت إلى رزقها وهو في الخشب . ثم ان سليمان رد جميع ما أمرت به إليه وقال — وقد ذكر الله ذلك في كتابه (أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون، ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) — ثم قال سليمان حين ولى الوفد إليهـــا : (أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) يقول : قبل أن تحرم عليّ أموالهم (قال عفريت من الجن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك هذا واني عليه لقوي أمين) . قال : وكان سليمان إذا أصبح جلس بجلسائه مجلساً يقضي فيه بين الناس ويأمرهم بأمره ، فلا يزال فيه

---

(١) كذا – ولعله الصفصاف – ح .

حتى يؤذيه حر الشمس فعنى ذلك المقام . قال سليمان : أريد أعجل من هذا ؛ قال رجل من الأنس — يقال له آصف بن برخيا فيما يذكر قد تعلم اسم الله الأكبر — قال معاوية : هبلتك الهبول يا عبيد أوكان آصف يعلم ما تقول والسحر يوم نسبته إلى علمه — وهو الذي كان وضعه ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين كان آصف فيما بلغنا كاتب سليمان بن داود وكان من أعلم الناس وأكابرهم عنده وأشدهم ايماناً به ، وكان سليمان لا يحجبه عنه إذا كان عند نسائه . فلما فتن سليمان أنكر آصف أعمال ذلك الشيطان الذي فتن سليمان — وهو الذي دخل على نسائه يسألهن عن سليمان ، فأخبرنه أن سليمان كان لم يأتهن ولم يقربهن عند المحيض [1] فإذا قلن له : انا لا نصلي رجع عنهن بعد حرص منه عليهن ، فإذا طهرن لم يأتهن ولم يقربهن ولم يرينه — وقال آصف — وقد انكرت من قضائه لما أبصرت من عدله وأظهره من جوره — فيذكر يا أمير المؤمنين أن ذلك الشيطان أمر بسحر فكتب ، ثم دفن تحت كرسي سليمان بن داود وأسنده ذلك الشيطان إلى آصف بن برخيا ، ثم أخرجه للناس . فلما رجع سليمان إلى ملكه ورد الله نعمته وكرامته ، لم يلبث إلا قليلاً حتى قبضه الله إليه ولج المجرمون باستعمال ذلك الكتاب وتصديقه . قال معاوية : فكيف لم يعلم آصف بن برخيا أن ذلك الشيطان صنع السحر ودفنه تحت الكرسي والجاه إليه ؟ قال عبيد : دخلت الفتنة يا أمير المؤمنين من ذهاب علمه كما ابتلي به سليمان وهو فتنته لما رأى من سيرته .

قال معاوية : صدقت فخذ في حديثك الأول . قال : فانطلق آصف وتوضأ ثم صلى ركعتين ، ثم دعا بالاسم الأعظم ، فذكر يا أمير المؤمنين أن السرير بما عليه مثل بين يدي سليمان بن داؤد وكان في جوف بيت في جوف سبعة أبيات ، على كل بيت باب ، ولكل باب قفل حديد ، والمفاتيح عندها — فلما رأى سليمان السرير من ذهب ولؤلؤ وجوهر (قال

---

(١) كذا — وفي ص ١٦٦ انه يأتينا في المحيض — ح* .

نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون) . قال معاوية : وما تلك النكرة يا عبيد ؟ قال : زيدوا فيه وانقصوا منه ننظر أتهتدي يقول : تعرف العرش إذا جاءت أم لا تعرفه ؟ قال معاوية : وما يدريك ان هذا كذلك ؟ قال : سمعت ابن عباس يا أمير المؤمنين يذكر ذلك . قال : وسألته عن القرآن أيضاً فما يفسر من الظاهر شيئاً إلا وانا أعرفه وأعلمه . قال معاوية : أوله باطن . قال : كذلك سمعت ابن عباس يذكر . قال معاوية : ما تركت شيئاً يا أخا جرهم إلا وقد دخلت فيه وطلبت علمه ! قال عبيد : نعم يا أمير المؤمنين القرآن أحق ما دخلت فيه وطلبت علمه. قال معاوية : صدقت ، فخذ في حديثك . قال : فلما دخل الوفد عليها أمرت بالجهاز وسارت في اثني عشر الف قيل من رؤوس قومها وخيارهم، وأخذ كل واحد من وجوه أصحابه وجنده وأفاضل أهل بيته وقادة خيوله مائة رجل . فقدمت على سليمان بن داود في اثني عشر الف قيل ومائة وعشرين الف فارس غير الرجل . فلما دخلت على سليمان بن داود تركها ثلاثة أيام ، فقال لها قومها : ما تقولين في أمر هذا الرجل ؟ أتدخلين في طاعته أم تحاربينه ؟ أم هل تيقنت أنه نبي ؟ قالت : سأعلمكم منه ما تعرفون — أهو نبي أم ملك من هذه الملوك — أنظروا إليه ، إذا أنا دخلت عليه ، فان أمرني بالجلوس فهو ملك فان الملوك لا تجلس عندهم إلا باذنهم — فما أقل من يجلس عند الملك إلا خاصته — وانه إن لم ينهني ولم يأمرني فإنه نبي مع اني سأسأله عن ثلاثة أشياء لا أشك فيها . فان أخبرني بها فإنه نبي وأنا داخلة في أمره ولا طاقة لكم به ، وإن لم يخبرني فليس بنبي . فلما أراد سليمان دخولها إليه ووصولها إلى ما بين يديه أمر الجن فجعلوا عن يمينه وعن شماله حائطين مموهين بالذهب الأحمر ، وبنوا من وراء ذلك مجلساً له وداراً ، وجعلوا أرض الدار لبناً مموهاً بالذهب غير موضع لبنة ،

ثم أذن لها بالدخول ، فدخلت الدار فلما مرت بالحائطين نظرت إليهما ، ثم دخلت فرأت أرضاً وحيطانها من ذهب فتصغر عندها ملكها ورأت شيئاً لا يشبه ملكها الذي كانت فيه وسليمان قاعد في مجلسه في أقصى الدار ومعها لبنة من ذهب تريد ان أمرت بالجلوس أن تجلس عليها فضربت ببصرها فاذا على باب مجلس سليمان موضع لبنة من فرش الدار ليس فيه لبنة فكرهت حين رأت ذلك أن تمضي بما في يديها فيتهمونها باللبنة ، فرمت بلبنتها في ذلك الموضع وسليمان ينظر إليها . فلما دخلت عليه سلمت عليه وحيته بتحية الملوك ، ثم قامت بين يديه ساعة لا يأمرها بالجلوس ولا ينهاها عن القيام ، حتى إذا طال ذلك عليها رفع سليمان رأسه إليها فقال : ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، فمن شاء فليجلس ومن شاء فليقم ؟ قالت : الآن علمت أنك نبي . قال لها : ومن أين تعلمين ذلك ؟ قالت : علمت أنه لا يجلس عند الملوك إلا بإذنهم ، وأما القيام فعندهم يقام وما أقل من يجلس عندهم الا من كان من خاصتهم ، ولكنك قلت قول أهل العلم بالله ، وقد أتيتك وسألتك عن ثلاثة أشياء فإن أخبرتني بهن دخلت في طاعتك ، وإن لم تفعل رأيت رأيي فيما بيني وبينك قال سليمان : فاسألى ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قالت : أخبرني عن ماء روى ليس من أرض ولا سماء ، وشبه الولد إذا أشبه آباه وأمه من أين آتاه ذلك ؟ وعن لون الرب تبارك وتعالى . فسألته عن ذلك وهي مقابلة له على الكرسي ، والأنس والجن عن يمينه وشماله . قال سليمان للأنس : هل عندكم في هذا شيء ؟ قالوا : نعم يا نبي الله مر لنا بخيل نركبها ونجريها حتى تعرق ، ثم نحللها [1] فانه ينصب عرقها فنحن نأتيها من ذلك بماء روي ليس من أرض ولا سماء . قال سليمان : فأيتوني بذلك فجاءوا به قالت :

---

(١) كذا – وقد تقدمت القصة – وفيها أن الأنس والجن أجابوه بعدم العلم – ح* .

هذا قد جئت به فالخصلتين اللتين سألتك عنهما قال : أما شبه الولد فان النطفة إذا سبقت من الرجل كان الشبه له وان سبقت من المرأة كان الشبه لها . قالت : صدقت . فالخصلة الثالثة : قال : ليس لي علم بالغيب ولكني أرغب إلى الله ربي ، فرغب سليمان في مجلسه ذلك الى به فأوحى الله إليه اني قد أنسيتها ما سألتك ، فاسألها عنه . فسألها فقالت : ما أدري ما سألتك عنه يا نبي الله . فعرض عليها الإسلام فقالت : انظر في ذلك يومي هذا . قال : فقالت الجن فيما بينها قد كنا في نصب من هذا الرجل القليل الغفلة فلا نقدر أن نفعل ما يريد ، فكيف إذا اجتمعت هذه في رأيها وعلمها وعون الجن ونبوة سليمان الآن حجب عنا كل خير ونزل بنا كل شر فتعالوا نزهده فيها فإنه قد طمع فيها ان أسلمت أن يتزوجها ؟ فقال لهم عفريت من الجن — يقال له زوبعة — : أنا أكفيكم سليمان . فأتاه فقال له : يا نبي الله بلغني أنك تريد تزوج هذه المرأة وأمها من الجن ولم تلد جنية من الأنس قط ابناً الا كانت رجلاه مثل حافر الحمار . قال سليمان : وكيف لي أن أنظر إلى ذلك من غير أن تعلم ما نريد بها ؟ قال : أنا أكفيك ذلك . قال : فصنع زوبعة لسليمان مجلساً وجعل أرض المجلس لجة فيها ماء وسمك يعني حيتاناً . ثم جعل من فوق ذلك صرحاً ممرداً من قوارير رقيق ، ثم قال له : ارسل إليها تدخل ، فإنك ترى الذي تريد منها . فبعث إليها وهو على كرسيه ليس في البيت مجلس غيره . فلما رأت ذلك الماء والسمك تجول فيه ضربت ببصرها إلى مكان تجلس فيه ، فلم تجده فحسبته لجة ، وكشفت عن ساقيها لتخوض في الماء إلى سليمان. فلما رآها ونظر إلى ساقيها — إذ عليهما شعر أسود في بياض الساقين — فقال لها سليمان : لا تكشفي عن شيء من ساقيك ، فإنه صرح ممرد من قوارير . فنظرت فإذا ملكها ليس بشيء مع

ملك سليمان وإذا بها قد أيقنت أنه نبي . فعند ذلك قالت (رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) . فلما أسلمت وحسن اسلامها تزوجها سليمان ، ودخل بها ثم أظهر لها الكراهة لما رأى من كثرة شعر ساقيها فقالت : يا نبي الله ان الرمانة لا يدري ما طعمها حتى تذاق . قال سليمان : انه لا يحلو في الفم ما لا يحلو في العين ثم انصرف . فقال بعض الجن — وكان يحب ما وافق سليمان : يا نبي الله فهل كرهت منها غير الشعر ؟ قال : لا . قال : فاني أعمل شيئاً فتطليه فيتركها لك مثل الفضة البيضاء من غير عيب . فقال : افعل فصنع الجني النورة والزرنيخ ، ثم بعث بها إليها وأحدث سليمان لها الحمام ، فكانت أول نورة عملها مخلوق وأول حمام عمل لأحد ، واتخذ ذلك الشيطان لها مطاحن الماء وضروب الصناعات وأعجب بها سليمان عجباً شديداً ، وولدت له داود بن سليمان وملك سليمان أربعين عاماً وسرحها سليمان إلى مملكتها ، وكان سليمان يأتيها في كل وقت [1] فيقيم عندها سبعة أيام ، ثم يسير في الأرض ، وأعانها بالشياطين يعملون لها — فعامة صناعات اليمن من قبل الشياطين — ثم هلك سليمان — صلوات الله عليه — وولي بعده رحبعم بن سليمان ، فأقام سنة بعد سليمان ، ثم مات واختلفت بعده بنو اسرائيل وماتت بلقيس بعد سليمان بشهر — رحمهما الله تعالى — وبلغنا في حديث آخر أن بلقيس ملكت سبعين سنة . والله اعلم أي ذلك كان .

قال معاوية : فهل قيل في ذلك شعر : قال عبيد : نعم يا أمير المؤمنين قال معاوية : كيف الشعر لله أبوك ؟ قال : قال رجل من حمير يقال له

---

(١) قد تقدم في كل شهر — ح .

ـ الأعصم [1] بن عمرو بن سلمة بن زيد بن زيد بن خيار بن المتناب بن زيد بن عملاق ـ هذا الشعر الذي يقول فيه :

ان يكن الدهر أتى عامداً ... لخير أملاك الدهور الخوالي
معتمداً قهراً نبي الهدى ... وخير خلق الله في كل حال
أعني ابن داود سليمان اذ ... علا على الناس بحسن الفعال
ومد في الملك شياعاً لنا [2] ... بيوم يمن ليس يوم الشمال
فان فينا من بني حمير ... فوارس الهيجاء يوم النزال
كنا شر الخير واعراقه ... ومرغم الملك جزيل النوال

قال معاوية : يا عبيد الله أبوك أخبرني عن بلقيس كيف آتاها الهدهد بالكتاب ؟ قال عبيد : قول الله أصدق وقد أعلمتك لست بمحدث بشيء ليس في القرآن ولست بواصف خبراً بلغني بعدما قال الله تبارك وتعالى، ولكن قد قال في ذلك رجل من أهل اليمن من أهل بيت الملك شعراً ـ يقال له النعمان بن الأسود بن المعروف بن عمرو بن يعفر ـ قال معاوية : وما قال عبيد : اسمعني ذلك حتى أعلم،قال عبيد هـذا الشعر الذي يقول فيه :

زال دهري وقد آراني سروراً ... دهر من كان بالحمام نذيرا
حمير الخير قد رأيتك قدماً ... قبل دهر به سكنتم قبورا
حمير الخير قد نزلت عصارا ... من زمان الدهور ملكاً هريرا [3]

(١) مضى في صفحة سابقة ، الأعصم بن سام بن نوح ـ ولعل ما هنا أقرب للصواب ـ ح.

(٢) كذا وفي صفحة سابقة ـ فهد بالملك ذرى ملكنا ـ ح .

(٣) كذا ـ وفي القصيدة ما فيها من التصحيف ـ ح .

نعماً يا لها أناخت بشرق الأرض وغرب البـــلاد بـــالخير زورا
وغزوت البلاد عوداً وبدأً وعلى ملكنا السحاب المطيرا
صاح ان كان ملك حمـــير أودى بعد ان كان قبل صنعاً حرورا
فهم اليوم جبأة وزمام وأرى من بقي إليهم مجيرا
قرة العين من ذوي أهل عز وديار الزمان كفوا هصورا
وسما الملك للنبي سليمـــان مع البر واصطفاه قديرا
جاءنا بالكتاب منه رسول بعجيب لم يأت فيه غرورا
نظرت نعمة من الله حقـــا ببيان الهدى آتاه بشيرا
نظرت في الكتاب بلقيس عجباً فرأت منظراً مهيباً نضيرا
أرسلت في مقاول الملك اني ناظر في الغداة أمراً منيرا
فاشيروا بمشورة بصواب ان منكم لنا صحا ومشيرا
أن يزوروا بلادكم يفسدوها وأتوا في البلاد أمراً نكيرا
قال أهل النهاء والقول أنا أول الناس نستذل الفجورا
فإليك الأمر منا فامضي ما أردت الغداة منا سرورا
قالت اهدي وذلك عندي من الرأي وفينا بنو الكرام ظهـــورا
وبنا في القلوب من كل سوء يسيروا من عديد ذاك نظيرا
أرسلت بين عاتق وغلام كي يميز من النساء الذكورا
وعتاقاً من الخيول جياداً ملبسات من الملاء حريرا
وزمرد في قعر حق عجيب ملحم ما يرونه فيه فطورا
مع وفد أعزة ذي بهـــــاء قصد خير الانام حتماً وخيرا[1]

قال معاوية: يا عبيد دع عنك هذا واخبرني عن الملك كيف عاد إلى حمير

---

(١) هذه الأبيات فيها مواضع غير واضحة فتأملها — ح.

بعد نبي الله سليمان بن داود وبعد ابنه بعد أن خرج من أيديهم وفارقهم ومن أول من قام منهم ؟ قال عبيد : أول من قام منهم يا أمير المؤمنين .

(ناشر النعم بن عمرو بن يعفر بن عمرو)

ابن شرحبيل بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث ابن حيدان بن قطن اجتمعت عليه اليمن وبعث الجيوش إلى كل من ناوأه ووطىء البلاد التي كان آباؤه يطؤونها قبله واشتد سلطانه فسماه قومه ناشر النعم . قال معاوية : ولم سماه قومه بهذا الاسم؟ قال عبيد : يا معاوية أنعم عليهم فيما ارتجع من ملكهم وجمع الأمر لهم . قال : ثم سار بنفسه غازياً نحو المغرب فدوخها ووطئها حتى بلغ وادي الرمل لم يبلغ ذلك الوادي ولا تلك الأرض من أهل بيته غيره . فلما أتى إلى الوادي الذي يسيل رملاً لم يجد مخرجاً ولا مجازاً حتى جاء يوم السبت فلا يجرى فلم يجده يسير ، وأمر رجلاً من أهل بيته يعبر الوادي وكان يقال له عمروبن زيد [1] بأصحابه ، فلم يرجع منهم أحد . فلما رأى ذلك ناشر النعم كف عن العبور ، وأمر عند ذلك بصنم من نحاس فنصب على صخرة ، ثم كتب على صدر ذلك الصنم بكتاب المسند — وهو كتاب الحميري — أبياتاً من شعر كتاباً ابتدعته حمير ، لأن لا يكتبه غيرهم ، يذكر فيه صفته وما بلغوا . قال معاوية : وما الكتاب الذي كتبوا والشعر ؟ قال عبيد : كتب فيه (صنع هذا الصنم الملك الحميري ناشر النعم اليعفري ليس وراء هذا مذهب فلا يتكلف أحد المضي فيعطب) فاما الشعر فأبيات كتبها في الصنم يقول فيها:

---

(١) كذا — وقد تقدم في غير ما من موضع من التيجان ابن يعفر — ح * .

أنا الصنم الذي هيئا مكاني تبوءة المقاول والمهبول
نصبت فلم أزل صنماً مقيماً لحمير للشباب وللكهول
فما أحد يجاوزني فيحيا إلى الجبل المطل على السهول
ليعلم من آتاني من أمامي فليس له ورائي من سبيل

قال معاوية : إنك لتخبرنا عجباً ! قال : يا أمير المؤمنين ان أمر حمير كان أعجب من ذلك في مسيرها البلاد واستخدامها العباد . قال معاوية : وما ذلك يا عبيد لله أبوك ؟

قال عبيد : يا أمير المؤمنين كانوا في رفاهية من العيش ونعم من ملك دنيا زينوها فكانوا ينزعون إلى دار ملكهم ويدعون ما قد احتووا عليه . فقال معاوية : فهل قيل في ناشر النعم شعر وفي الصنم والوادي الذي انتهى إليه ؟ قال عبيد : نعم يا أمير المؤمنين . قال علقمة بن زيد بن يعفر بن عمرو شعراً . قال معاوية : ما قال ؟ يا عبيد : قال — قال هذا الشعر :

أيا ناشر الأملاك قد نلت خطة علت فوق أملاك الملوك القماقم
سلكت غروب الأرض غاز بجحفل بلاد الأعادي غير أرض الأشائم
تفض جموعاً كالجبال لتنتهي إلى مبلغ في البعد غير التهائم
أتيت بنا واد حثيث مسيره برمل تراه كالجبال الرواسم
يسير أنهاراً والليالي دائباً بأمر اله ليس أمر الأوادم
وأوردته منا أولى الفضل والنهي لنعلم من أسبابه كل قادم
فهد جناحي المسقر فجعة فذاك ابن عمي وابن غر خضارم
فودعني عمرو عليه تحيتي وافردني عمرو لهم مراغم
فلا مبلغ في البعد يأتيه معشر فيمضي إليه بعد شخص مرائم
بتسطير خط من كتاب ابن حمير بأن ايس بعدي من مضي لحازم

ولا مذهب من خلف ما قد أتيته   بني حمير خير الانام الأكارم[1]

قال عبيد : وقد قال يا أمير المؤمنين ابن عمه النعمان بن الأسود بن المعترف فيما كان من مسيره وما ذكر من رد الملك إلى حمير وأنعامه عليهم في ذلك شعراً — يقول فيه :

فأنت أبيت اللعن في كل شارق   وفزت بملك ذي بقاء إلى الحشر[2]
لعمري لقد جلت حمير نعمة   وأفضيت من أكنافها الحي من بكر
فارجعتها الملك الذي كان قد وهى   فأنت أبيت اللعن ذو النعم الزهر
ولولا سليمان الذي كان أمره   من الله تنزيلاً ووحي على قدر
لما كان أنس يبتغي أن يرومها   ولا الجن إذ نحن الا قاصم للظهر
ولكن قضاء كان تحويل ملكنا   إلى ابن نبي الله داود ذي النصر
فذاك سليمان الذي كان أمره   من الله تنزيلاً عليه وعن أمر
فنحن ملوك الناس قبل نبيه   وقبل أبيه الحبر عصراً من الدهر
ونحن ملوك الناس والمقتدى بنا   إلى أن يصير الملك حيناً إلى قهر
يكون نبي أمره غير واهـــن   رحيم بذي القربى لطيف بذي الوتر
يكون له منا وأحمد اسمـــه   غطاريف صدق في التعاون والنصر
وسوف يطا السودان أرض ابن حمير   فتعمر عشراً أو قريباً من العشر
فيبتزها الملك الذي كان قد وهى   شديد مقام الشخص منشرح الصدر
فيسلبها الملك الذي كان قد وهى   نبي كريم النفس منشرح الصدر
أحمير سيري في البلاد لعزكم   فان المعالي لا تنال بلا قهر

قال عبيد : ثم انصرف من غزوته يا أمير المؤمنين ، فلم يلبث حتى

---

(١) نسبها — في التيجان ، صفحة سابقة لذي القرنين وفيها اختلاف كثير — ح .
(٢) تقدم في صفحة سابقة حييت بروح الملك في كل شارق .

هلك . قال معاوية : لله أبوك ، فكم ملك ، ومن ملك بعده ؟ قال عبيد : ملك ناشر النعم مائة سنة واحدى وثمانين سنة ــ ثم ملك من بعده .

(شمر يرعش بن افريقيس بن أبرهة بن الرائش)

قال معاوية : ولم سمي يرعش ؟ قال : لأنه كان به ارتعاش ، وأنه سار بعدما ملك سنين نحو المشرق وسواحل البحر حتى دخل أرض العراق في جمع لا يسمع برجل منهم سار في مثله من الخيل والرجال وكثرة العدد والعدة والقوة ، ثم توجه إلى أرض الصين يريدها فكانت طريقه على أرض فارس وسجستان حتى دخل خراسان . فكان يأمر أهل مملكته أن لا يتنحوا عنه ويبعثوا إليه بالهدايا خوفاً ويطلبون منه الامان فيؤمنهم ويبعثون بالأدلاء معه حتى انتهى إلى نهر بلخ فبينما هو يسير كذلك ، إذ أقبل إليه ما لا يعلمه إلا الله من تلك الأمم من الأعاجم ، وكان قد بلغه مسيره فاجتمعت تلك القبائل من أحياء الأعاجم ليصطلموا ذلك الجند من العرب . فقاتلهم اياماً ثم ظفر بهم فمزقهم كل ممزق وتبعهم مسيرة أيام ــ وكان للقوم مكان فيه سفنهم التي عليها يعبرون ــ فانتهوا إليها ، والعرب في أثرهم حتى قاتلوهم على سفنهم التي عليها يعبرون فأخذوها وعبر من سلم منهم إلى بلادهم . وركب شمر وأصحابه السفن التي أخذوها منهم فعبروا على أثرهم وهم على مهل فاتبعوا القوم إلى بلادهم ، فرأوا بلاداً كثيرة الخير واسعة المنشر ، فحصروا المدائن وافتتحوا الحصون وحووا الأموال حتى أتوا على جمع لهم عظيم بالسغد فقاتلوهم أياماً ، ثم أن شمر وأصحابه ظفروا بهم فدخلوا مدينة السغد فقتلوا وسبوا وهدموا المدينة ــ واسمها يومئذ اسم أعجمي ، ثم

سماها الأعاجم بشمر فيقال لها شمر كند — قال معاوية: وما يعنون بشمركند؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين لأن شمر هدمها فسميت به . قال معاوية : فما بالها اليوم تسمى سمرقند ؟ قال عبيد : ان لغة العجم غير لغة العرب .

قال معاوية : صدقت : فماذا صنع شمر ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين بلغنا أنه سار إلى مدينة السغد فنزل بها وأمر بصخرة فكتب فيها بكتاب حميري وهذا الذي يقال له المسند وهو هذا القول : هذا ملك عرب وعجم شمر يرعش الملك الأشم من بلغ هذا المكان فهو مثلي ومن جاوزه فهو أفضل مني لا أعلم إلا ذلك ، فأما الحديث فقد أصبته وهو على ذلك وأنا أرجو أن يظهر الله أمير المؤمنين بذلك الموضع من الأرض فيعلم إني قد أديت إليه من حديثي علماً . قال معاوية : أللهم أرنا تصديق قول بن شرية ، فإنه يذكر عجباً وان شاء ربي فعل ذلك ! فبلغني عن الشعبي أنه ذكر عن رجل من خيوان همدان — يقال له عبد الله — قال : بينما نحن بالسغد مع قتيبة بن مسلم الباهلي وافتتح سمرقند إذ نظر إلى حجر ملصق على الباب فيه خطوط كأنها بالعربية وليست بها، قال : والله اني لأظن هذا الكتاب لبعض ملوك حمير اطلبوا الي منهم رجلاً حديث العهد باليمن يعرف كتابة حمير فقيل له : هذا عثمان بن أبي سعيد الحيواني قال : فجاء الرسول وأنا وإياه في خيمة فانطلق به إليه فقرأه على مثل ما ذكره عبيد لمعاوية ورواه عنه من رواه على مثل ذلك . قال معاوية : فما قال قتيبة ؟ قال : قال شراً ، ثم قال : لو تقدمت [1] سرادقي شيئاً ؟ قال له الحيواني : ليس القليل بالذي عنى ولكن من ملك أرضاً غيرها يتقدم إليها . فاسكت قتيبة وقدم سرادقه وراء ذلك ،

(١) كذا — وقد تقدمت القصة في صفحة سابقة من التيجان ببعض اختلاف — ح

فلم يزل هنالك مقيماً حتى انصرف من وجهه ذلك . ثم قال معاوية : هل سمعت في ذلك شعراً يا عبيد ؟ قال : نعم ، قال الباني بن المنتاب شعراً . قال معاوية : فكيف قال يا عبيد ؟ قال : يا أمير المؤمنين قال هذا الشعر :

تقول عرسي حين جد النوى [1] حتى متى أنت تريد الثوى
أليس في عيشي قد أوتيتم مقام ذي الدهر قصى أو دنا
فقلت إذ قالت فما ضرنا إذ نحن لم نسمو لسفك الدما
تأمرني أن أكون جليساً لها وأترك الإقدام يوم الوغا
وحمير تسمو بأفعالها فيها رئيس القوم يوم اللقا
وشمر الراعش قد قادها يريد بالشرق اغتنام النسا
فقد وطئنا الأرض عليانها شرقاً وغرباً كالليوث الضرا
فشمر الراعش إذ قادنا بجحفل أرعن يغشى السها
فكان يوماً معظماً شأنه أورد بالعليا وذاك الشفا
فسائلي عنا لكي تخبري في مشرق الأرض إذا الدهر فا
يخبرك العالم عن حمير وجمعها بالسغد يوم الردى
أنا أبحنا أرضها كلها بقوم حرب كعديد الدبا
حتى أبدناهم بها عنوة ثم علوناهم بذبح وحى
وجاءت الفرسان من سيبها بكل بيضاء كعفر الضبا
وغودر الحصن بها عنوة ومثل الخط بصخر الصفا
يكون للعابر إن رامه أمرا عجيبا من ملوك الثرى

ويقال : إن سبب خروج شمر من اليمن إلى المشرق أن ملكاً من ملوك بابل — يقال له كيقاوش بن كتيكة نجبر وبنى صرحاً للرقي فيه إلى السماء

---

(١) تقلم — جد النجا — تريد النوى — ح .

كما فعل فرعون وهامان ــ فمضى إليه شمر بجنوده فحاربه فظفر به شمر وقفل راجعاً به إلى اليمن أسيراً فحبسه في بئر بمأرب . ثم ان سعدى بنت شمر سمعت كيقاوش يجـــأر في تلك البئر فرحمته ، فلم تزل تشفع إلى أبيها حتى أطلعتـــه من السجن ، وولاه على بلاده ورده إليهـــــا على خراج يؤديه في كل سنة . وقيل في رواية أخرى أن شمر لما افتتح سمرقند هدمها، ثم أمر ببنائها ، ثم توجه إلى الصين فخافه ملك الصين خوفاً عظيماً ،وعلم أنه لاطاقة له به . فجمع ملك الصين وزراءه فاستشارهم وقال : قد أقبل هذا العربي ولا طاقة لنا به فماذا ترون فأتى كل واحد منهم برأي وبقي منهم واحد لم يتكلم . فقال له: ما تقول ؟ فقال : أرى أن تظهر الغضب علي وتجدع أنفي وتأخذ دوري وضياعي وأموالي ودوابي وعبيدي حتى يعلم الناس بذلك ، فكره ذلك ملك الصين لعظم ذلك الوزير عنده ، فلم يعذره ذلك الوزير حتى ساعده وفعل به ما أشار عليه به . فخرج ذلك الوزير من الصين حتى انتهى إلى شمر فأراه جدع أنفه وشكا عليه ما فعل به ملك الصين وأظهر لشمر يرعش النصيحة فجعله شمر يرعش من خاصته ، ثم احتاج شمر إلى دليل يدله على الطريق إلى الصين في المفازة العظيمة التي دونه . فقال وزير ملك الصين لشمر : أنا الدليل ولا تجد أيها الملك من يعرف هذه المفازة ويعرف الطريق فيها مثلي . فنهض شمر يرعش بجنوده ــ وقيل أنه ترك التفقل الذي له ولجنوده في سمرقند ــ وسلك خلف الوزير ، فسار بهم على غير طريق حتى بعدوا بعداً عظيماً وأشرفوا على الهلاك وأيقنوا به ونفذ ما معهم من الماء . فقال شمر : أين الماء ؟ فقال : لا ماء هاهنا إلا الموت ، أردت أن تهلكنا وتهلك ملكنا وتقتل رجالنا وتسبي ذرارينا ، فوهبت نفسي لأهل بلادي فوقيتهم من الهلاك بنفسي وأنت ومن معك أحق بالهلاك من ملكنا

وأهل بلاده . فأمر به شمر فضربت عنقه ، وأيقن شمر بالهلاك وقال لجنده : توجهوا أينما أحببتم ، وفرش له درع من حديد فظلل عليه بدرقة من حديد فذكر عند ذلك قول قوم من المنجمين حكموا في ميلاده أنه يموت في بيت سقفه من حديد وفراشه من حديد . وذهب جنده كل منهم لوجهه فهلك أكثرهم في تلك المفازة ، وتناشر من جنده ثلاثون الفاً فوقعوا في أرض فيها الشجر والماء والنخيل — وهي بلاد التبت — فملكوها وتوطنوها ، وبعدت عنهم أرض اليمن فسكنوا بها إلى اليوم ، فزيهم زي العرب وأخلاقهم أخلاق العرب ، ولهم ملك منهم قائم بنفسه ، وهم معترفون بأنهم من عرب اليمن ، وهم يحبون العرب حباً شديداً — وسمعت يا معاوية في رواية أخرى أن شمر قفل إلى اليمن غانماً سالماً حتى دخل اليمن وقرب من رئام ، ثم هلك بينما الحديد من فوقه الحديد ومن تحته الحديد من حر النهار على ما ذكروا لما أصابه من المرض ثم هلك . والله أعلم أي ذلك كان ! قال معاوية : فكم ملك شمر يرعش ؟ قال عبيد : ملك مائة سنة وستين سنه . ثم ملك بعده ابنه .

(تبع الاقرن وهو ذو القرنين)

المذكور في القرآن الكريم وسمي الأقرن وذا القرنين لشيب كان فيه وهو على قرنيه — وكان ملكاً عظيماً عالماً حكيماً قد اطلع على علم الكتاب وسمع حكومات من ينظر في القرآنات — ويقال أنه القائل :

أنا الملك المتوج ذو العطـــايـا جلبت الخيل من أوطان سام

ويقال : ان أباه شمر الذي قالها . ويقال : بل الحارث الرائش قائلها ، والله أعلم . وغزا تبع الاقرن جميع أطراف الأرض ، فعاد إلى بلاد الروم

وأوغل فيها حتّى قطعها ، ووصف له أن بتلك الناحية وادياً فيه الياقوت وأن بالقرب منه عيناً يسمى ماؤها ماء الحياة الذي ظفر به الخضر دون ذي القرنين فلما بلغ إلى هذه الناحية أدرك الشتاء هناك ، فمات فدفن هنالك، وكر أصحابه راجعين خوف الهلاك في ذلك الموضع — وهو موضع الظلمات — ولا يكون مظلماً إلا إذا بعدت الشمس عنه في الشتاء إذا انتهت في الجهة اليمانية ، وهو عند دخول الشمس رأس الجدي تصير تلك الأيام ليلاً لا نهار فيها ، فهلك من قبل أن يدخل في ذلك الوادي . فأرادت حمير ان تحمله إلى اليمن، ثم بدا لهم فقبروه هناك . قال معاوية : فكم كان ملكه يا عبيد ؟ وهل قيل في ذلك شعر ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين ملك مائة سنة وثلاثاً وخمسين سنة . فقال فيه التامر بن عمرو بن الغوث بن ذي الاذعار — وهو بن عمه — هذا الشعر . قال معاوية : فهات ، فأنشأ عبيد يقول :

أن تمس باللحد أبا مـــالك يسفى عليك المور بالحاصب
بدار بعد من وطا مغرب بذي ظلام حندس حارب
بين تراب الأرض في مهمة قرب مجازو إلى الكارب
فقد رزئنا وسطنا خيرنا الاقرن الميمون كالغاصب
يعطي جزيل المال لا ينثني فلا لعمري لهف من غائب
ويحمل الفرسان يوم الوغى إلى نجاح الموت كالثاقب [1]
عليه أبكي ما اضا كوكب في مطلع الآفاق والغـــارب
ومطلع الشمس إذا أشرقت تصح في خلق لها ســـارب
فحمير الأخيار لا تسأمي بفارس الأملاك والغالب

---

(١) كذا ولعله فجاج — ح*.

قال معاوية : لله أبوك يا عبيد لتأتي بالعجب من حمير ! ولقد جئت من ذلك بشفاء واضح ودليل ناصح من أشعارهم! فان الشعر ديوان العرب والحكم بينها ! قال معاوية : فمن ملك بعد الأقرن ؟ قال : ملك ابنه تبع– وقد قال ابنه تبع بعد انصرافه شعراً يتندم فيه على أن لا يكون حمل آباه حين مات إلى اليمن . قال معاوية : وما ذلك الشعر يا عبيد ؟ قال : قال تبع في ذلك هذا الشعر الذي يقول فيه :

قد كان من رأيي وعزم أرومتي حمل الهمام إلى محـــل يماني
أعني ابن شمر حين ودع حميرا وابن الملوك وقاتل الفرسان
ذاك الغريب بدار بعد ليتني كنت المواسي حيث كان دهاني
ذهب الزمان به وخلف بعده أحياء حمير في ردى وهوان
لو كان عدم يوم حمل عاديا يلقى عايه الكتب غير هواني [1]
يا لهف نفسي حين ولت حمير يوم الرحيل بترك خير زماني
هلا أقمت لديه يوم أحشـــه تحت التراب فكان ذاك مكاني

قال معاوية : يا عبيد هذا التندم منه ؟ قال عبيد : سمعت قبل الإسلام رجلاً من حمير يقول : انهم حملوه حتى دفنوه في اليمن ، ولو كان ذلك كذلك لم يقل فيه ابنه ما قال . قال : لله أبوك يا عبيد ، هذا التبع الذي كان – يقال له أبو كرب – قال : لا يا أمير المؤمنين هذا جد ذلك . قال معاوية: وهل كان فيهم تبع غير تبع واحد ؟ قال : نعم . كانوا سبعة . ولكن تبع أسعد ملك ، فاشتد سلطانه وطال ملكه ، فذهب باسم من كان قبله ، ونسب إليه من كان منهم بعدهم . وسيأتيك علم ذلك يا أمير المؤمنين في الحديث – إن شاء الله تعالى .

---

(١) كذا بالأصل – ح* .

قال معاوية : فخذ في حديثك يا عبيد . قال : فمكث تبع الرائد بن تبع الأقرن بن شمر يرعش — وهو تبع الأكبر — غزوه — وكان يقال له الرائد ثم أقام عشرين سنة لا يغزو فانقضت عليه الترك والخزر . فلما بلغه ذلك أرسل إليهم فامتنعوا منه وحبسوا الهدايا وقتلوا الرسل . فسار إليهم في الوجه الذي كان الرائش يسلك إليهم فيه على جبل طيء حتى خرج على الأنبار ، ثم مضى إليهم قدماً فلقيهم على الحد من آذربيجان والموصل وقد اجتمعوا ونظروا إلى راياته . فاصطفوا للقتال ، فاقتتلوا أياماً ، ثم أنه هزم الترك فقتل المقاتلة وسبى الذرية ، وأقام يخرب بلادهم ، ثم رجع إلى بلاده بعد أن وطئهم وأذلهم .

قال معاوية : وما الترك وآذربيجان ؟ قال عبيد : هما بلادهم يا أمير المؤمنين . فنحوا مما يليهم ومما يتوجه عدوهم إليهم — وهي وجه المحاربة لهم — قال معاوية : من أين علمت ذلك يا عبيد ؟ وانهم اقتتلوا هنالك ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين أهمني ذلك فسألت عنه من وقع إلينا من هذه الأعاجم وغزوت أيضاً إلى ذلك الثغر ، فسألت وفي السؤال شفاء من العي وبيان من العمي ، وإذا تقادم الشيء فلم يحي ذكره ذهب أصله وبطلت حقيقة أمره وماتت شواهده .

قال معاوية : فهل قيل في ذلك شعر ؟ قال عبيد : نعم يا أمير المؤمنين . وقد قال في ذلك تبع الاقرن في مسيره :

منع البقاء تقلب الشمس ... وطلوعها من حيث لا تمسي
وطلوعها بيضاء صافية ... وغروبها صفراء كالورس
تجري على كبد السماء كما ... يجري حمام الموت بالنفس
لم أدر ما يقضيه حكم غد ... ومضى بفصل قضائه أمس
وعلمت أني ان ظفرت بهمتي ... الا لا غزو مطلع الشمس

حرب تواعدني حلفت لأن | عمرت أو بقيت لها نفسي
لاوجهن عمراً لمهلكهم | ذا الحزم لا بالخامل النكس
حتى يبقر من بطون نسائهم | ويذيقهم ما ذاق ذو الرمس
إني إذا هاج الملوك لحربنا | هيجت أبطالاً لذي دعس

قال: فلما رجع إلى اليمن أقام بها دهراً طويلاً، وهابته الملوك من الأعاجم وغيرها لما كان من وقعته بالترك، وأتته هدايا من قبل الهند من كتان وحرير ومتاع الصين ومسك وما يكون في بلاد الصين. فقال للرسول الذي بلغ من بلاد الهند: ويحك أكل ما أرى في بلادكم؟ فقال: أبيت اللعن أيها الملك نعم. قال: فصف لي ما يكون في بلادكم وما يحول في بلاد الصين؟ ففعل الرسول. ورغب الملك في غزو الصين. حتى آلى على غزو الصين قال: فتجهز لغزوها وسار بجيوشه وقومه من أهل اليمن. فسار ساحلاً حتى خرج على طريق جده الرائش — الذي كان أخذه نحو المشرق — فلما انتهى إلى خراسان سار عن يمين مسير جده حتى أتى الركائك وأصحاب القلانس السود ودخل الصين فغنمها وأكثر القتل والسبي والخراب فيها، فكان مسيره ومقامه ورجوعه من غزوته تلك سبع سنين وعشرة أشهر، ثم رجع وخلف بأرض الصين رجلاً من خيار أصحابه — يقال له بارض بن النبت — في اثني عشر الف فارس من خيار أصحابه وفرسانه رابطة مقيمين معه في البلد، ثم آلى تبع أن لا يدع أرضاً مما كانت آباؤه قد حوته من أرض الأعاجم وغيرهم إلا ودع فيها رابطة وعسكراً من رجاله، وذلك حين رجع من أرض الصين.

قال معاوية: لله أبوك يا عبيد فهل يعرف من خلف بأرض الصين؟

قال عبيد : يا أمير المؤمنين هم البينون ترك وأرم ، إذا سئلوا أخبروا أنهم من العرب أصلهم ، وأن لهم بيتاً يعبدون فيه ربهم ويطوفون حوله سبع مرات ويذبحون — وذلك في شهر من السنة — قال : فلما كثرت الأعداء بين بنيان ذلك البيت — فكنا إذا فعلنا ذلك خرجنا إليه تعظيماً له اعتزلنا دونه — فلما رأى ذلك أولونا جعلوا في بلادهم وموضعهم الذي يسكنونه بيتاً مثل ذلك البيت ، فنحن اليوم نعظمه ونطوف حوله سبع مرات ونذبح له في شهر من السنة ويعظمه ثلاثة أيام من جاء من الناس .

قال معاوية : يا عبيد وما علمك بذلك ؟ قال : غزوت يا أمير المؤمنين أرض الترك من هذه الناحية . قال : من أي ؟ قال : من نحو الخزر — فإذا ناس منهم علماء يدينون — فسألتهم عن أنفسهم ومن يليهم ، فكان هذا ما ذكروا لي . قال معاوية: لقد أخبرت بهذا الخبرعن ترك تبع ولا أدري أي التبابعة هو ترك في الصين قوماً من اليمن ؟ قال : هذا من تفسير ذلك الحديث .

قال معاوية : فهل قيل في ذلك شعر ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين قال في ذلك تبع الأكبر :

أنا تبع الأملاك من نسل حمير ملكنا عباد الله في الزمن الخالي
ملكنا هم قهر او سارت خيولنا إلى الهند والأسباب تردي بأبطال
وكل بلاد الله قد وطئت لنا خيول لعمري غير نكس واعزال
فجالت لدى شرق البلاد وغربها لهتك ستور نكثة ذات هوال
وعطل منها كل حصن ممنـــع ونقل عنها ما حوت ثم من مال
وتلك شروق الأرض فيها وطئتها إلى الصين والاتراك حالا على حال
فابنا جميعاً بالسبايا وكلنا على كل محبوك من الخيل صهال
بكل فتاة لم تر الشمس وجهها اسيلة مجرى الدمع بيضاء مكسال

صموت البرى غرثى الوشاح كأنها	من الحسن بد زل عن غيم هطال
أتينا بها فوق الجمال حواسرا	بلاد ملج باق عليها وخلخال
تركناهم عزلاً تطيح نفوسهم	بلا ساكن فيهم مقيم ولا وال
فما الناس الا نحن لا ناس غيرنا	وما الناس ان عد القوي بأمثـال

قال معاوية : فكم ملك يا عبيد ؟ قال : مائة سنة وثلاث وستين سنة .
قال معاوية : فمن ملك بعده ؟ قال : ملك بعده .

(ملكي كرب بن أسعد بن تبع الاكبر)

بعد أبيه — وكان رجلاً ضعيفاً لم يكن يغزو أحداً حتى مات ولم يبعث جيشاً — فأما أهل اليمن فيزعمون أنه كان يتحرج من الدماء . وأما أهل الرأي والمعرفة والبصر بالأمور فإنهم يقولون : لم يكن ذلك منه إلا عن قلة التجربة وقلة الانفة وصغر الهمة لأنه لم يحدث دعوة في ملكه ، ولم يعبر عن دين ولا طريقة أحد ممن قبله . قال معاوية : وما تغير حال الملك ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين لم يكن يغير من شيء يفعله آباؤه ولا ازال شيئاً من جبروت الملك ولا أحدث تواضعاً ولا قرباً من الناس ولا زال عن تجبره وعتوه وأشد أمره باليمن لا يجاوز أرض اليمن إلى غيرها بلد عرب أو عجم .

قال معاوية : فكيف ملكهم يا عبيد وكيف استقام لهم أمرهم على تلك الحال ؟ قال عبيد : لأنهم أحبوا الدعة والسكون وكانوا قد ملوا الغزو والحروب وكثرة المسير في البلدان . قال معاوية : فكم ملكهم على هذه الحال يا عبيد ؟ قال : ملكهم خمساً وثمانين سنة . قال معاوية: فمن ملك بعده ؟ قال عبيد : ملك ابنه تبع أسعد بن ملكيكرب وهو .

(أسعد أبو كرب الاوسط)

ويزعمون يا أمير المؤمنين أنه لما ملك أكثر الغزو في كل ناحية — وكان رجلاً مجرباً منجماً يعرف السعود من النحوس ، ولا يخرج بقومه مخرجاً

حتى ينظر طوالعها ، فيخرج بسعودها – وكان يغزو سنة ويقيم سنة . إذا قرب المسير عليهم غزا وبعث ، وإذا طال المسير في الغزو غزا بهم ثلاث سنين وقام سنتين ، وكان يكثر التوجيه لقواده : فإذا سار بنفسه لم يسر إلا في كل عشر سنين . وإذا خرج لم يترك طريقاً إلا سلكه ولا منهلاً إلا ورده ولا بلداً إلى وطنه ما وطىء أحد من آبائه وأجداده من البلدان إلا دخله وقصده ووطئه بنفسه أو بعث اليه عسكره . قال معاوية : فهل قال تبع شعراً فيما ظهر منه يا عبيد ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين – قال تبع هذا الشعر الذي يقول فيه :

سيذكر قومي بعد موتي وقائعي ... وما فعلت قومي بقيس افاعلا
وما دوخت أرض اليمامة بالقنا ... وما صبحت فيها تميماً ووائلا
فكم من ملوك قد قتلنا رجالهم ... وكم من نساء قد تركنا ثواكلا
وكم من أسير ظل في القيد ساقه ... يبيت يراعي غله والسلاسلا
سيذكر قومي نجدتي ومكارمي ... ويدخل باب العز من كان جاهلا
بنيت لهم مجداً مع النجم سمكه ... وصيرته للعالمين معـــاقلا
فحمير سادات الملوك وخيرها ... وهم من قديم الدهر سادوا القبائلا
فاسكنت أرض الشام منهم قبائلا ... وابتعت غسان الملوك الأفاضلا
وغسان حازوا بلدة الروم كلها ... وفي الصين صيرنا الملوك الاقاولا
ويوم لقينا العجم في أرض فارس ... لقت ضيغماً من نسل قحطان باسلا
فدوخت أرض الفرس حتى تركتها ... يباباً مجوباً علوها والأسافـــلا
ودوخت أملاك العراق ولم أزل ... أحل بهم في كل عام زلازلا
يصبحهم في أول العام جيشنا ... فيمكث فيهم قابلاً ثم قابلا
حشوت ضخام الملك خيلي ورجلها ... وأجريت من بعد البحار المناهلا
ونلت بلاد السند والهند كلها ... وفي الصين صيرنا نقيباً وعاملا
ونلت بلاد المشرقين كليهما ... ونلت بلاد المغربين وبابـــلا

ونحن أثرنا في سمرقند ضحوة جحيماً لظاها يلفح الدور شاعلا
وجادت لنا في أصبهان سحابة بودق يزيغ المذهلات الحواملا
بكل قضيب حادث العهد صقله ومبهم منير يفتق الدرع داخلا
وتسعين الفاً تحمل البيض والقنا دخلنا بهم قصراً درنخا [1] وكابلا
سيوف حداد يضجع الناس وقعها ونحكم في عدنان حقاً وباطلا
ومروا كتبنا المسندين ببابهـــا ليعرف عنا القيل من كان غافلا
ومثلي يلدن المحصنات مسودا مغيراً إلى الهيجاء للقوم قاتلا
وممسك عرف الخيل في حومة الوغى ترى البيض فيه والرماح الذوابلا
وبحراً عريضاً للحراب ومعقلا وغيثاً غزيراً ينبت الزرع عاجلا
ثلاثين بحراً قد غشينا . بجيشنا فما رام سيفي ساعدي والأناملا
فلما قضيت الغل من كل بلدة توجهت أرضي أعمد الدار قافلا
فأمسيت في غمدان في خير محتد منيعاً وصنعا من حذاها المآجلا
وريدان قصري في ظفار ومولدي بها أس جدي دورنا والمناهلا
على الجنة الخضراء من سهل يحصب ثمانون نهراً تدفق الماء سائلا
مآثرنا في الأرض تصديق قولنا إذا ما طلبنا شاهداً ودلائـــلا
وعلمي بملكي سوف يبلي جديده ويرجع ملكاً كاسف للون ماحلا
وملك جميع الناس يبلى وملكنا على الناس باق ذكره ليس زائلا

قال عبيد : فلما فرغ تبع يا أمير المؤمنين عن أرض فارس وما يليها توجه إلى الشام وذكر ما صنع بأرض معد وغيرها من البلاد ، فقال في ذلك وأنشأ يقول :

---

[1] كذا – بالأصل بلا نقط –ح. .

رب هم مؤرّق بعد نـــوم غير ما باطل ولـــكن بجد
يا بني مازن فوارس معد سرني ما فعلتم في معـــد
إذ أثرتم مع العجاج عجاجاً وانتضيتم لهم صفائح هند
أسروا ثلثهم وثلثا أبادوا ومضى ثلثهم بأتعس جد
منهم راعي المخاض ومنهم مالىء للحياض في كل ورد
وبعثنا إلى اليمامة خيلاً فأتيناهم بحزم وجـــد
وصرفنا إلى كنانة جنداً فتوافت إلى كنانة جندي
وتركنا ثقيف تنضح للجنـــــــد بقهر على هوان وكد
وجعلنا الخرج منزل قيس قد أقروا بالخرج من غير عهد
وجعلنا بني نزار هـــداة يرشدون الطريق في كل قصد
وجعلنا نصراً وأحلاف نصر خولا بين خادم ومؤدى
وطحنا قرى اليمامة بالخيـــــل زماناً نعيد فيهم ونبدي
وقسمنا بني خزيمة بالجنـــد كل عبد لنا وابن عبد
ثم أحدثت بالمشقر أرضاً وجناناً تحلها الناس بعدي
ثم أنزلت في عمـــان رجالاً يستعدون من فوارس أزد
ثم سرنا إلى العراق بجمـــع ملأ الأرض بين غور ونجد
فترى الناس وسطها وعليها أسد غابات من كهول ومرد
يتردون باليمانيـــة البيـــض تراهـــا تجر في كل غمد
وبأيديهم مخاصر مـــوف وعليهم مسرودة أي ســـرد
فثووا بالعراق حيناً من الدهر يدوسونها على غير عهد
ثم دوخت أرض فارس طرا وقباذاً وأرض هنـــد وسنـــد
ثم أنزلت حميراً جبل الصين فذاق الذليل عز الأشد

وركضنا الجياد في عرض الرو م كفعل الكاشح المتعدي

فاذا الحرب أوقدت اسعروها بمساعير بما سناه أشد [1]

ثم أنزلت حيث أنزلت لخماً وجذاماً وهم جناحي ورفدي

ثم أقبلت أقرب الشام قصداً برجال على ضوامر جرد

ثم وجهت نحو يثرب خيلاً لنبيط بها يحلون بعدي

فصدمنا آطام يثرب بالخيل العناجيج بالمقاول تردي

وتركنا بها من الأوس والخز رج حسباً من آل بأس ومجد

ثم أقفلت من بها من خيول نحو أرضي ونحو قومي وولدي

وإذا سرت رافقتني جبال ورجال هم جناحي وجدي

فجبالي إذا أحقت حديد ورجالي إذا تأخرت عندي

تنقهر الناس والشعاع بخيل تحصد الناس في الوغى أي حصد

من سعى مثل سعي حمير سعياً من قبيل فقد آتانا بادى

قال معاوية : لله درك يا عبيد زد انشدني شعراً غير هذا فقد أعطى من العز والقوة والملك ما لم يعط أحد غيره . قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال تبع هذا الشعر الذي يقول فيه :

ان قحطان قد بنى لي بيتاً لا بطين بنى ولا بعمود

ليس مثل الذي بنى الناس بالطين وكلس وآجر مسرود

أريناه عند السماك نجاداً رأسه مصعداً برأس السعود

ورسى أسه فلم يستطعه أحد رام نقبه بحديد

وكساه الجمال والعز والبهجة منه وحفه بالجنود

حفه الخيل والرجال عليها كل درع مسرد مسرود

---

(١) كذا - وهو كما ترى - ح .

جعلتها سراة قحطان حصناً ورثوا صنعهن من داؤد

جعلوه فوائدا لبناهـــم يعذبون الهياج للمستفيد

ان قومي هم الملوك بحـق شهد الله وهـو خيرُ شهيد

انني قد ملكت شرقاً وغرباً من قراهــا وحرب آل عمود

وأخذت العراق من آل مرو بسمرقند ثُم قرى الاكــرود

وجلبت الخيول للصين حتى غادرتها كمثل آل ثمــود

وأقمنا بها ثلاثين عاماً وهم بين مقعص وطريد

وأمير مصفد في وثــاق قد برى ساقه بعض الحديد

وقعت خيلنا بأرض قباذ وقعة تستبين في الجلمود

وتركنا ما دون ذاك الينا لم يعد والد على مــولود

ومضى حكمنا على كل حي ليس حكمي في الناس بالمردود

من أسرنا منهم فخير أسير أو قتلنا منهم فخير فقيد

لو رأى جمعنا فذاك من الخو ف شديد كالنقنق المطرود

مرت بالخيل أقبل الناس جرا من أسير يسير سير البريد

وطوت خيلنا الأعادي طيا ببلاد أعيت بها بعد بيــد

قد براها طول الاناخة والركض وحر الظهيرة الصيخود

تبع أفضل الملوك حسان ليس يوم الهياج بالرعيد

ملك يبرم الأمور معيد لم يل الناس رائس كمعيد

أخذ الحرب حين شب لظاها يوم هاجت نيرانها للوقود

لم يزل نورها على الزند حتى أمكنت من ذراتها المحســود

ايمن الناس طائر أو لقاء حين تلقى بالجحفل المشهود

ليس بالطائش الخفيف ولا الا واهن عند اللقا ولا المحدود

حمير قومنا أقاموا بعزم حيث حلوا في المجد غير الزهيد
لو جرى الناس للمكارم يوماً فضلوا كل سائد ومسود
يترعون الجفان شحماً ولحماً وهم مفزع كمثل الأسود
لو يعد الأحياء الأيام قومي لم يطيقوا الأيام بالتعديد
هل أقرت لنا البلاد بخرج خبرونا فليس حين جحود
أم تقولون لا فزيدوا نردكم فلنعم المزيد للمستزيد
ولدينا من الملوك ملـــوك كل ملك مملك صنديد
ولدتني مملكات كبلقيس وشمس ومن لميس جدودي
ملكتهم بلقيس سبعين عاماً آل عز وآل بأس شديد
وبها جنتان أنشاهما اللــــــه ورزق من سدها المسدود
ما يبالي ألا يرى سيل غيث جاءها الماء من مكان بعيد
عرشها شرجع ثمانون باعاً كللته بلؤلؤ وفريــد
وبلدر قد قيدوه مع اليــا قوت والجزع ايما تقييد
فلو أن الخلود كــان الينــا باحتيال وقوة وعديــد
أو بملك لما ملكنــا لكنــا من جميع الآنــام أهل الخلود

وقال تبع أيضاً حين نزل غمدان يذكر آباءه اللذين ملكوا قبله وحصونهم التي كانوا ينزلون فيها باليمن . قال معاوية : انشدني قوله . قال أنشأ يقول :

إلا أن قومي هم حمــير هم الأصــل والعز والمفخر
هم شرفوا المجد حتى انتهى فما نال بنيانهم معشر
هم ان هم فخروا برزوا لهم شامخ الفخر لا ينكر
أبي ملكي كرب الحميري وحمير قومي فما حمير

لقد كنت فيما مضى لاهياً وديني من لهوي المنظر
أزور الغواني ويزرنني واجتلب الكاعب المعصر
أدير بكفي رحى العالمين ويوم الهياج أنا المسعر
نماني ذو ماور ذو الندى وخيل [1] فهو جانبي الأيسر
وناشر جدي الذي قد بنى مكارمه وابنه شمر
ويعسب خالي الذي قد بنى وعلهان نهفان قد أذكر
فكان بها مر من بعدهم له الحسب الضخم والمعشر
وشمر ما زال خير الملوك إذا هو كوبر لا يكبر
وكان اذا السرح اليحصبي إذا استحضروه فقد يحضر
وكان معافر عند اللقاء يطول لعمري ولا يقصر
وكان صدوقاً ولا ينثني إذا جنه الدرع والمغفر
وكان به بعد ذو نائل لمن طلب العرف لا يدبر
وقد كان يلهب نار الوقود للضيف والحرب قد يسعر
وشمر يرعش رأس الملوك اليه انتهى مجد من يفخر
وبار أن يهبر لما يكن جبان لدى الحرب بل يهبر
وذو المر علي فلا تنسه وآباؤه فهم المنشر
وفرعان من بيت ذي أصبح وبلقيس كان لها منبر
بنو الأنس والجن دانوا لها ودان لها البر والابحر
يذل الانام لدى ملكنا وللجن والأنس قد يقهر
ومن ذي الملاحي لنا مفخر وشرف ذاك لنا يعفر

---

(١) كذا – ح

ومن ذي سحيم وذي فائش ... لنا العدد الأول الأكبر
ومن ذي كلاع ومن ذي رعين ... لي الصلب والرأس والأبهر
ومن ذي رداع فقد كان لي ... لعمرك أصل به أظهر
ومن ذي معاهر بيت العلا ... بآباء صدق إذا عمروا
وقد كان كالسيف في النائبات ... إذا هو ضل فلا يقهر
وقد كان ذا الأمر لا يستقيم ... دعاء به الورد والمصدر
ظفرنا بمنزلنا من ظفار ... وما زال ساكنها يظفر
فكر إلى النقع يدعى له ... فهو بأبوابه أبصر
وما هكر من ديار الملوك ... بدار هوان ولا الاهجر
وبينون مبهمة بالحديد ... وأبوابها الساج والعرعر
وشهران قصر بناه الذي ... بناه ببينون قد يشهر
ومأرب قد نطقت بالرخام ... وفي يدها الذهب الأحمر [1]
وغمدان حصن لنا مشرف ... مآجله حوله تنهر
وكان معسكرنا في أزال ... لنا عسكر دونه عسكر
وغيمان محفوفة بالكروم ... لها بهجة ولها منظر
بها كان يقبر آباؤنا ... وأجدادنا وبها نقبر
إذا ما مقابرنا كشفت ... فحشو مقابرنا العنبر
فان يفن قومي مناياهم ... وماتوا جميعاً فلا أخسر
فكل يموت كذاك العباد ... ولا بد من قدر يقدر
فلا الناس لو عمروا يخلدون ... ولا الموت من ربنا ينكر

قال معاوية : لله أبوك ، لقد حدثتني عجبا ! فاخبرني ما صنع تبع

---

(١) روى الهمداني في كتاب الاكليل – وفي سقفها الذهب الأحمر – كه .

لما رجع من طول غزوته هذه ورجعته من ظلم الأرض ودوسه البلاد ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين . ان تبعاً لما رجع من غزوته تلك مر بالمدينة فخلف فيها ابنه خالداً وترك في كل أرض رابطة من الأجناد ، ثم ان أهل المدينة قتلوا ابنه خالداً. فلما بلغ ذلك تبعاً قال في ذلك شعراً . قال معاوية : وما قال يا عبيد ؟ قال : قال هذا الشعر الذي يقول فيه :

يا ذا المعاهر ما آراك ترود   أقذى بعينك عارضاً أم عود
منع الرقاد فما أغمض ساعة   نبط بيثرب آمنون قعود
نبط أشاب الرأس مني فعلهم   لا بد أن طريقهم مقصود
لا تسقني بيديك ان لم نلقها   جرحاً كان أساسها مجرود
بسيوف حمير . والأقاول وسطها   والخيل تبدو تارة وتعود
يا ذا الكلاع كأنني مـــورود   من أمر حمير والدوي عتيد
ما بال يثرب غلقت أبوابها   عني ومثلي للعداة صيود
ما بال يثرب لا يجبني ربها   وسراة حمير بالسيوف ركود
فلا وقعن بآل يثرب وقعـــة   حتى تلاقي حمير ويهود
النازلين حريم خزرج عنوة   فلهم لدي سلاسل وقيود
أعددتها لهم فكلهم بها   لو نزلت فحماهم مقصود
ولا هلكنهم كما قد أهلكت   عاد بريح صرصر وثمود
قهراً كما دانت لنا آباؤهـــم   ما صاح في طبق الصباح غريد
ولا تركن بلادهم وحماهم   ولهم بذلك في البروز شهود
ولقد وليت على هوازن أشهراً   أيضاً فيسبي الوالد المولود
ولقد حطمت حصون فارس حطمة   يوماً أشاب لحربها الصنديد
أبناء فارس قد تركت عليهم   حيم السباع صوادر وورود

وتركت سابور الجنود كأنه غبر الفلاة مشرد مطرود
ولقد ثغرت لقندهار ثغـــرة فهوى لذلك حصنها المعمود
وتركت أرض السغد ليس لجمعها ملك يهاب ولا قنا معــدود
وتركت بلخاً والحصون وكابلاً تنعي عليهم طيرهم وترود
ولاخضبن سبالهم بدمائهم وليصلين معاطس وخدود
والهند والسند اصطليت بنارها وبحرها من بعد ذاك جمود
والصين لما ان انخت بركبهـــا تجبي لشمر ذي الندى وتعود
والروم قد شربت بكأس مرة مني وفرق جمعها المعدود
ولقد حويت الأرض من أطرافها حتّى انتهيت وربنـــا محمود
نحن الملوك بنو الكرام وعندنا تسعون الفاً للطراد شهود
وأسير في عرض البلاد معمماً بالملك والشرف القديم أقود
حشو الحرير لباسنا في أهلنا ولباسنا يوم الهياج حديد
من نسج داؤد النبي ونسجنا نسج يشد قتيرها المسرود
نصلي الحروب بكل أبيض صارم ما فيهم عند اللقاء خمـــود
والضاربون الكبش في يوم الوغى ورماحنا يوم للقاء بنود
وسيوفنا يقطعن كل خصية من صنع يرعش صنعهن حديد
نهب القيان مع الجياد سجية كرماً وليس لفعلنا موعود
محفوفة أعنابنا بنخيلنا للضيف أما يأمنا موجـــود
لو كان يرعش خالداً في ملكه خلدوا وأسعد ذو الندى وسعيد
أو كان حيا خالد في ملكه وجذيمة الوضاح والمسعود
من ذا الذي ورث البلاد ولم يمت أم هل لحي في الحياة خلود
اني لاعلم في المواطن أنني يوماً سأهلك والحياة تبيد

ولقد علمت لئن هلكت وأوحشت   مني البلاد لأهلكن فقيد
ولتبكين علي كل قرينـــة   كانت تضن بدمعها فتجود
يا عمرو لا تعجل علي منيّتي   للملك تأخذه وأنت جؤود
فإذا ملكنا الملك فاعلم أنه   حرب فكيف إذا اصطليت تذود
اني وعمرا يوم أطلب نفسه   غزوا لا حد ملكة تحميد [١]
فاعلم بأنك ميت ومحاسب   يوماً فينجو متّق وسعيد
اسمح لقومك بالكرامة أنهم   أهل لذلك والكريم يسود
قحطان جدي لن يلاقي مثله   ما عاش ذو روح وأورق عود

قال : ثم ان تبعاً سار إلى المدينة ثائراً في ابنه ، فلما قارب المدينة نزل على بئر – فسميت بئر الملك – حين نزل عليها فالتقاه مالك بن العجلان الخزرجي فقال له : أيها الملك ان اليهود قد استولوا علينا وبيننا وبينهم حرب فانصرنا عليهم فانما نحن منك ولك . قال : وكيف أنصركم عليهم وأنتم قتلتم ولدي وقد جئتكم أريد قتالكم وخراب قريتكم فاخبرني كيف كان قتل ابني خالد ؟ قال : أفسدت أمه بينه وبين امرأته ، ثم احتالت له فقتلته . قال تبع : ولعبت الحبة بالكبة أو لعبت الكبة بالطبة [٢] – فذهبت مثلاً – ثم انصرف مالك بن العجلان إلى أهله فقال لأمه : ان أبا كرب قد وعدني بالنصرة . فقالت أمه : ليت حظنا من أبي كرب أن يسد خيره خبله – فذهبت مثلاً – ثم أن تبعاً بعث إلى ثلاثمائة من اليهود وثلاثين رجلاً فضرب أعناقهم وهم بخراب المدينة ، فقام اليه رجل من اليهود – يقال له كعب بن

---

(١) كذا – ح .

(٢) كذا – فراجعه .

عمرو — وقد أتى عليه من عمره مائتان وستون سنة فقال له : أيها الملك لا تقبل على الغضب وأمرك أعظم أن يطير بك النزق أو يمسك في قلبك الحاح وتنزع إلى ما لا يجمل بك ، وانك لا تستطيع أن تخرب هذه القرية . قال : ولم ذلك ؟ قال : لأنها مهاجر نبي يخرج من هذه البنية — يعني مكة — وهو من ولد اسماعيل بن ابراهيم — خليل الله — قال تبع : ومتى يكون ذلك ؟ قال : بعد زمانك بدهر طويل . فلما سمع كلامه سكن وكف عن خرابها .

قال معاوية : لقد بلغني يا عبيد أن اليهود كانوا بها ما كان للخزرج معهم فيها أمر ، حتى ان الرجل يتزوج الامرأة ، فما يصلها حتى يبدأ بها رجل من اليهود ، وكانوا غلبوهم على أمرهم . قال : معاذ الله يا أمير المؤمنين لقد بلغك ما لم يكن ، ولقد كانت اليهود بها أذلاء ، فكانت الأوس والخزرج أمنع من ذلك وأشد ، ولقد أخرجتهم الأوس والخزرج من المدينة حتى سكنوا خيبر ، وما كانت امرأة من الخزرج يقدر عليها رجل من اليهود أبداً ! قال معاوية : فهل قيل في ذلك شعر ؟ قال عبيد : نعم يا أمير المؤمنين قد قال فيه السموأل بن عاديا الغساني — قال ان رجلاً من اليهود عاب اليهود في صنعتهم — فأنشأ وهو يقول في ذلك :

عبت اليهود ودينها لك نافع   أيضاً يفوز به الحساب المؤنق
دين ابن عمران ويوشع بعـــده   موسى وهارون النبي الموثق

قال معاوية : دع هذا وخذ في حديثك الأول . قال : نعم يا أمير المؤمنين . لما قضى تبع لبانته من يثرب، توجه إلى مكة يريد خرابها فأتاه رجلان من أحبار اليهود لهما علم وعندهما معرفة ، فأخبراه بأشياء وعلامات فعجب لهما وأدناهما وقربهما إليه ، وقد كان آتاه رجلان من هذيل في نفر

من قومهما ، فقالوا له : أيها الملك إن هذا البيت الذي تعظمه الناس وتزوره العرب فيه أموال كثيرة وكنوز من الذهب والفضة واللؤلؤ والجوهر والدر والياقوت مالا يحصيه أحد ولا يعده ، وكانت جرهم تجمعه ، وأنت أيها الملك أحق بها مع أنا نرى هدمه ونقل حجارته إلى اليمن ، فيكون في دار الملك وحيث الريف والخصب فتعظمكم لذلك العرب إلى آخر الدهر يكون مكرمة لك ولآبائك ولقومك ويكون لولدك الطول عليهم بوضعك إياه هنالك . فلما سمع تبع مشورتهم وكلامهم هم بذلك فأخذته الحمى — وكان لا يعرفها ، فكانت لا تقره على الأرض — فلما أحس تبع ذلك دعا الحبرين فقال لهما : ما هذا الذي بي ؟ قالا : هذا شيء سلطه عليك رب هذا البيت . قال : ففزع من ذلك ، ثم مضى حتى نزل لرؤيته. ثم عاد فأصبح في الوضع الذي ارتحل منه وأصبح فيه وجع أشد ما أصاب مخلوق . فلما أحس ذلك دعا الحبرين فقال لهما : ما الذي تريان أن أصنع ؟ قالا له : أيها الملك انا قد سمعنا هذين الهذليين وما آشارا عليك به في هذا البيت ، وان الذي تجد في جسدك من الألم حين هممت بقولهم وأجبتهم إلى ما أشارا عليك به ، فان أحببت العافية فكف عن هدم البيت وانو لهخيراً ، فإنك لا تطيق مبارزة رب العالمين وحدث نفسك باكرامه وإعظامه . قال : ثم سار حتى قرب إلى الحرم فأصابتهم ريح كادت أن تهلكهم جميعاً ، ثم دعا بالحبرين فقال : ماهذا ؟ فقالا : له سرت إلى حرم الله تهم بهدم بيت الله لتهلكن نفسك . ثم لا يرجع ممن ترى معك عين تطرف وما أراد الهذليون إلا هلاكك وهلاك من معك . قال : فأمر تبع بالهذليين فضرب أعناقهما فقال تبع للحبرين : اني أريد أن أدخل البيت وما أصنع إذا دخلته ؟ قالا له : إن أردت أن تدخله فاسلم لربه واحرم وانحر له فإنه سيؤذن لك في دخوله ، فسار تبع حتى دخل

مكة فأسلم وأحرم وطاف بالبيت وحلق ووقف المواقف كلها ونحر البدن وأطعم الناس وكسا البيت الملاء المعصب والخبرات ، وأقام بمكة سبعة أيام . فلما أراد الانصراف إلى اليمن أراد أن يحمل الحجر الأسود إلى اليمن فنهاه الحبران عن ذلك ، فتركه وانصرف إلى اليمن .

قال معاوية : يا عبيد فهل قيل في ذلك شعر ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين قال فيه رجل من قريش . قال معاوية : وما قال من الشعر ؟ قال عبيد : قال هذه الأبيات :

لعمري لنعم المرء حل لديكم ... له المجد والانعام والعز تبع
آتانا كريم ما جد ذو حفيظة ... أغر كريم الوالدين سميدع
فلم نخش منه إذ أتى البيت زائراً ... ولكنه سمح الخليقة أروع
طلبنا اليه أن يقيم بأرضنا ... لنا الركن انا حين يوخذ نجزع
فقال نعم نعمي وأنتم ولاته ... وليس له عن حرها الدهر منزع
مضى رأيه في قومه غير واهن ... فمنه جلود مجدها ليس يدفع

قال معاوية : فانشدني يا عبيد الشعر الذي قال تبع في قتل ابنه خالد قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال هذا الشعر :

ما بال عينك لا تنام كأنما ... كحلت اماقيها بسم الاسود
أرقاً لما فعل اليهود بيثرب ... فلبثت في غمدان كالمتلبد
وحلفت عهداً تبلغن نخيلهم ... زبر الحديد عشية أو من غد
فجعلت عرصة منزلي في روضة ... بين العقيق إلى بقيع الغرقد
وهنا بيثرب روحنا وصدورنا ... تغلي جلائلها بحرب محصد
ولقد ندبت إليهم فأجابني ... من في الحصون إلى مدينة أحمد

غر كرام لم يدنس عرضهم نسب النبيط ولا العلوج الاعبد
ولقد تركنا لابها وسباخهـا كقراقر نبتت بقاع أصلد
ثم انصرفت أريد مكة عامداً لخرابها لا كالذي لم أعمـد
لما آتاني من هذيل أعبـد يتنصحون فرمت أمراً لاعبد
قالوا بمكة كنز قوم داثر وجواهر من لؤلؤ وزبرجد
بيتاً يطاف به وينحر حولـه بدن لدى حجر وركن أسود
فأردت أمراً حال ربي دونه والله يدفع عن خراب المسجد
فرددت ما أملت فيه عليهم وتركتهم مثلاً لأهل المشهد
ما كنت أحسب أن بيتاً طيباً لله في بطحاء مكة يعبـد
حتى آتاني من قريظة عـالم حبر تدين له اليهود وتقتدي
قالوا ازدجر عن قرية محجوبة لنبي مكة من قريش مهتدي
فعفوت عنهم عفو غير مثرب وتركتها لعقاب يوم سرمد
أعفيتهم لله أرجو عفـوه ولحفظ ما بيني وبين محمـد
فكسوته الريط اليماني رغبة وطراز عصب المحكم المتجرد
وجعلت اقليداً لجانب بابه وجعلت بابيه صفيح العسجد
أرجو بذلك عند ربي زلفة وحذار حر من جحيم موقد
وتركت من قومي بمكة أسرة وبيثرب منهم كرام المحتد
قوم يكون النصر في أعقابهم وبقية ممن ينيب ويهتدي
فتركتهم أقيالها وملوكهـا وعطفت نحو المستراد ومولدي
من بعد ما دخت البلاد وجبتها وعركتها عرك الاهاب الاجرد
ولقد طحنت الأرض ثم وطئتها يجدون قصة أمرنا في المسند
قد كان ذو القرنين خالي مسلماً طاف البلاد من المكان الابعد

بلغ المشارق والمغارب يبتغي ... أسباب أمر من حكيم مرشد
فرأى مغار الشمس عند غروبها ... في عين ذي خلب وثأط حرمد
وبنى على ياجوج حين آتاهم ... رد ما بناه بالحديد المحفد
رد ما بناه اذ بناه مخلدا ... انشاه دهر للزمان السرمد
ولقد بنت لي عمتي في مأرب ... عرشاً على كرسي ملك متلد
فثوت به تسعين عاماً قد حوت ... أرض الحجاز إلى مفازة صيهد
يغلو عليها الف الف كلهم ... خدم لها يتعاقبون من الغد
عمرت به أزمانها في ملكها ... مقبوضة إذ حان أمر الهدهد
فرأت سبيل الرشد حين تبصرت ... نبأ آتاها قبل يوم الموعد
نزلت عن الملك العظيم لربها ... قبل المذلة أن يقال لها ردى
نحن الملوك فما يرام لهضمنا ... تسمو مقاولنا بنصر مؤيد

قال معاوية: لله أبوك يا عبيد فهل قال تبع في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شعراً حين ذكر له الحبران أمره ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين قال : — وهو يذكر خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا الشعر ، الذي يقول فيه :

شهدت على أحمد أنه ... رسول من الله باري النسم
له أمة سميت في الزبور ... فأمة أحمد خير الأمم
فلو مد دهري إلى دهره ... لكنت وزيراً له وابن عم
وكنت ظهيراً على المشركين ... أسقيهم كأس حرب وهم
إذا ما صناديدهم كلبوا ... أغشيهم كل صفر هضم
واجعل نفسي له جنة ... وأفرج عن صدره كل غم
ومن نسل قومي له ناصر ... فيؤونه ثم لا يهتضم

فويح قريش إذا جاءهم وجاش بهم بحرهم ثم طم

نبيهم خير أسلافهم يوالي ذوي الدين دون الرحم

نبيهم خاتم الأنبياء ولم يعط زرعاً وحمر النعم

نبي وجدناه في كتبنا به يهتدى وبه يعتصم

يسود الانام ببرهانه وبالرغم يسبي ذراري العجم

ومنا قبائل يؤونه إذا حل في الحل بعد الحرم

ويمنعه حد أسيافنا ووقع الرماح كوقع الرهم

رجال يقومون من دونه ويوفون بالعهد له والذمم

ملكنا الانام فدانوا لنا أذل من النعل تحت القدم

ودانت لنا السند في أرضها ودانت لنا الهند بعد الوهم

سموا وسمونا لهم إذ سموا وفاضوا وفضنا عليهم بجم

بأبناء قحطان من حمير بهاليل أسد طوال اللمم

أبحنا البلاد بأسيافنا وبالسمهرية تلظى بسم

وكل جواد من الصافنات على ظهره بطل مستلم

فكم من قبيل سلبناهم فأمست بهائمهم تقتسم

من العسجدي وكنز اللجين وبز الحرير وبيض الحرم

وسوف إذا غشيتنا البلاد يلي الملك بعدي رجال قدم

قال معاوية : يا عبيد فهل قال تبع في الهذليين ، حيث كان منهما ما كان حين عاقبهم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال فيهم هذا الشعر الذي يقول فيه :

قد أتتني عصابة من هذيـــل　　　آ ل لؤم ومن قبيل لئـــام
زعموا أن بيت مكة بيت　　　قد بنوه على كنوز عظام
فهممنا بقلعه فأبى الله　　　إذ هممنا بقلع بيت حرام
يأمن الناس ان سألت وفيه　　　تأمن الطير في وكور الحمام
قال لي الحبر لا ترومن هذا　　　ذاك مما يروم أولاد حام
ثم يأتيهم من الله طير　　　فترض الرؤوس رض العظام
فرددت الذي أردت على القو　　　م بقطع الأكف والأقدام
ثم صلبتهم بصعر نكالا　　　مثبت قد زبرت في الأحكام
يحمد الله تبع إذ وقاه　　　في ممر الشهور والأعوام
وآراه السلم في كل وجـــه　　　اذ عراه ورده بسلام
ثم أصفاه أنه البس البيت الذي　　　أسسه الخليل المحامي
ذاك بيت مطهر لقريش　　　أوثروا بالنبي خير الانام
بنبي يجيء بعد زمـــان　　　يمنع الناس خدمة الأصنام
قال ذاك الاحبار أن قريشاً　　　سوف تأتي بأفضل الإسلام
تجدون اسم أحمد في كتا　　　ب الله حقاً محرماً للحرام
ومحلا لمـــا طيب الله　　　تروكا للاصر والآثـــام
لو قضى الله ربنا ان آراه　　　كنت منه بمنزل الابهام
ولظاهرته على كل من رام　　　سفاهاً له بكل مرام
ولذاك النبي منا حمـــاة　　　من يرامي عن دينه ويحامي
معشراً وتروا بأحمد قدما　　　ببلاد النخيل والآطـــام
ينصبون الحروب للناس نصباً　　　برماح وكل عضب حسام
كلهم ناصر ومن نصر الحـــــق　　　أضاءت له فجاج الظلام

قال معاوية : لله أبوك يا عبيد حدثتني عجباً ! فانشدني الشعر الذي قاله تبع في كسوة البيت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال هذا الشعر ، وأنشأ يقول :

جددي الحبل لا تربي الوليدا وصليني ولا تخوني العهودا
أن تجدي وصلنا أم عمرو ويكفي المتيم المعمودا
فصليني تواصلي أريحيا أكرم الناس حين أنسب[1] عودا
لست بالفاحش القطيع وليست شيمتي أن أكون باغ حسودا
الصق الخدن ذا الصفاء بودي وأرمي العدو حتى يقيدا
وسلي عن مسيرنا إذ غزونا كيقباذ والترك والاكرودا
يوم لا تعرف التجارة فينـا ولنا الملك أن نقود الجنودا
ورث الملك تبع وبنــوه ورث عن الجدود جدودا
وسلي عن مسيرنا من ظفار بجموع نؤم غوراً بعيدا
بجياد جنبتها بسمرقند عراباً قبَّ الأياطل قــودا
وعلينا سوابغ محكمات قد ورثنا أمامها داودا
كل فضفاضة دلاص تثني إبهم القين قدرها المسرودا
وسيوف قواطع قد جلاها صانع كان قبل ذاك مجيدا
وارتدينا بكل عضب حسام أحكم القين صنعه تجريدا
ومعي للقاء تسعون الفاً قوم حرب مسر بلون الحديدا
وجعلنا للخيل خيلاً وللرجــل رجالاً وللقرود قرودا
وجعلنا على المجنبة اليمنى اخـاً الحرب ذا الكلاع يزيدا
وجعلنا على المجنبة اليســرى صبوراً على اللقاء شديدا
حسن الدين والتحرف والجيـــلة لا طائشاً ولا رعديـدا

---

(١) في الأصل اشب – ح .

قد غشينا بخيلنا أرض مـــرو وقتلنا اليهود قتلاً عنيدا
وزبرجا وقندهارا ومميا ★ ركدت فيهم السيوف ركودا
وهزمنا جموع روم وترك ومن السند قد عفرنا الخدودا
وإلى الصين سرت حولاً جديداً أقتل الكهل ثم أسبي الوليدا
واستبحنا جميع ملك قباذ وجبيناه صاغراً مصفودا
وتركنا جبال كرمان مما دعستها الجياد سهلاً صعيدا
وقتلنا رجال فارس طرا ثم كنا عند اللقاء أسودا
ثم بهران والهرمزان قتلنـــا ثم ولى النصيب منا طريدا
ثم من حمير أثرت وتيـــم ثم من يثرب قتلنا اليهودا
فسبينا نساءه وبنيه والذي قد حوى فأمسى وحيدا
ثم أخربت بالمشقر أرضـــا وآتاني بها النبيط وفودا
واستبحنا البلاد من كل فج وملكنا العباد ملكاً حميدا
جبيت نحونا البلاد بصغر لم يكن غزونا البلاد وحيدا
وأمرنا الملوك حتّى استذلوا فترى حولنا الملوك همودا
ثم دسنا بالخيل أرض معـــد وجعلنا لها معداً عتبـــدا
وتميم عليهم وهس الرمـــل وتهدي إلى جيوشي القيودا
وبني تغلب جعلت وبكراً لبناء المنار طيناً وشيدا
وهذيل جعلت للبري والريـــش وكانوا أقل حي عديـــدا
وثقيفاً لدبغ أسقية الجيـــش وصنع الحبال فتلاقعودا
ثم ابنا نؤم قصـــداً سهيـــلاً ورقمنا لواءنا المعقودا
وكسونا البيت الذي حرم الله ملاء معصبـــاً وبرودا
ثم طفنا لديه عشراً وعـــشراً وخررنا عند المقام سجودا

★ هكذا في طبعة « حيدر اباد »

وأقمنا به من الشهر سبعاً وجعلنا لبابه اقليدا
وأمرنا بأسرة الجرهميين ونواخرهم بحافتيه شهودا
وأمرنا إلى بريق مسا وكنا حين لوناً ولا دماً مفصودا
ونحرنا بالشعب تسعين الفاً فترى الطير نحوهن ورودا
وصفا ملكنا لنا غير أني لست أرجو مع الفناء خلودا
كل ملك يفني سوى ملك ربي فله ملكنا حميداً مجيدا
خلق الخلق فاجراً وتقياً وشقياً بسعيه وسعيدا
قاهراً قادراً يميت ويحيي خلق الخلق مبدياً ومعيدا
حمير أكرم الانام وقدماً سادة الناس حقنا أن نسود

قال معاوية : يا عبيد أنشد شعراً غيره . قال : نعم يا أمير المؤمنين أنشأ تبع يمدح قومه ويقول :

أيها الناس لست أعرف قوماً مثل قومي في سالف الأزمان
نحن كنا إلى المآثر والمجد ورثنا العلاء من قحطان
لم تزل حمير لها الفضل في النا س عطاء من واهب منان
فهم سادة الملوك وكل النا س عبد لنا بسوق هوان
لم نزل نملك البلاد بقهر وندوس البلاد بالفرسان
يوم قدنا الخيول نحو معد من ظفار فجانبي غيمان
وأثرنا الجيوش من ساحل البحر فما دونه إلى نجران
فتوافت لنا بجحفل ازال [1] كشبيه الجراد أو دخان
مائتا الف فارس كل الف في لواء مشهر الألوان

---

(١) أزال — اسم قديم لمدينة صنعاء — كه

معهم مثلهم رجال مصاليت ليوث يمشون في البلدان
ثم قدمتهم سوى الألف القا كلهم ماهر بعطف عنان
يسمع السامعون للأرض منهم هدة لا تزال في رجفــان
يتركون الفضاء ضيقاً بما فيه وما دونه من الغيظــان
ساقهم من بلادهم لبلاد غيرها أسعد ابو حسان
ملك يبرم الأمور بحزم غير زميلة ولا متــواني
لم يزل يقدم الجيوش بخيــل وعليها عديدهم للطعان
كل قيل مملك حميري ليس بالمنثني ولا بالجبان
يشرع الرمح في نحور الأعادي ويروي القناة بعد السنان
ويشق الصفوف في حومة المو ت إلى الموت والرماح دواني
فوطئنا ما بين يثرب والشـــا م بكلب والجمع من غسان
وسددنا ثغر الحجاز بازد الصقوا بالحجاز كل هوان
وورثنا عمان قدما بازد غير هذا فتلك ازد عمان
ثم وجهت ذارعين بجيش من قرى دامغ وأرض الهان
ثم سرحت ذا الكلاع بخيل ورجال كالليل من همدان
ثم قدمت ذا معاهر في الاســـرة من مذحج ومن خولان
ثم أردفتهم بيحصب طرا أو بذي فائش وذي بلجان
ثم تبعتهم وسار لــواني لست أبغي سوى بني عدنان
فرموهم بجحفل ذي زهاء طحنوهم بكلكل وجران
تركوهم مع الضباع يلوذو ن من الخيل ثم بالكثبان
فقضيت الأوطار ممن يلينا من تميم والحي من عيلان
وأقمنا على ربيعة يوماً تذهل المرضعات عن ولدان
ثم سرنا إلى اليمامة قد ضا ق بنا كل غائط ومكان

فقتلنا بها جديساً وطسماً وقصدنا بالمنبت الخيزران
فابرنا أهل المشقر قسراً ثم رمنا زريحاً مع ساسان
وعركنا العراق عركاً شديداً فمحل الأولى من كرمان [1]
ودخلنا بخيلنا جبل البلـــخ الى نحو شاطىء الجوزجان
فقتلنا ملوكهم واضطمينا بعد ذا بالحديد في الهرمزان
ثم اخربت بعد ذاك سمرقند ثم من بعدها قرى أصبهان
ثم حدثت أن بالصين ملكـاً وكنوزاً من خالص العقيان
وجبالاً من اللجين عتيقاً ثم دراً وعسجد المرجان
فتوخيتها بعمرو أخي البـــأس صبور اللقاء غير جبـان
فدعست البلاد بالخيل حيناً ثم وجهتها الى خيزران
فالتقينا العبيد بالخرج والما ل فأبعدتها بحي يمـاني
وشفينا الصدور ثم قفلنا بعد اثرنا البلاد بعد زمان
فطحنا يهود خيبر حـتى أصبحوا مثل دارس العلوان
ثم سرنا نؤم مكة بالخـــيل لنختار عـالي البنيـان
فأبى الله فعل ذاك فطفنا بسبوع العتيق ذي الأركان
وكسوناه خير ما كان يكسى وحمينا له من الأوثان
وحبونا سكانه بعطاء وكتبنا لهم كتاب امان
وقضينا الذي أردنا وابنا وقصدنا نؤم نحو دلان [2]
وحمدنا الله الذي أحيانا ورقانا فوادح الحدثـان
لم تطب مهجتي ولم اراني نمت حتى اتكأت في غمدان

---

(١) كذا في الأصل .

(٢) بالأصل – دمان ودلان موضع باليمن ذكره ياقوت – ك .

وفراشي على الأرائك خز ودمقس يعل بالارجوان
وشربت الرحيق صرفاً بمسك صافي اللون مترعاً في الدنان

قال معاوية : لله أبوك يا عبيد ، لقد حدثتني عن حمير بالعجب ولقد كانوا في رفاهة عيش من دنياهم وأموال قد اوتوها! فاخبرني ما صنع تبع بعد هذا ؟ قال عبيد: يا أمير المؤمنين : كان تبع إذا أراد أن يخرج في الغزو أو في سفر دعا أهل النجوم وأصحاب العلم والمعرفة فسألهم عن علمهم فيأخذ برأيهم فإذا أمروه أن يسير سار . فكان هو أيضاً يعرف النجوم . قال معاوية : يا عبيد فانشدني ما قال في النجوم . قال : يا أمير المؤمنين قال هذه القصيدة :

اضمحل الطلول من دار نحفا فرسوم الديار مثل السطور
اقفرت بعد عامر وأنيس من مهاة ومن غزال غرير
ناضر العيش في عمارة ملك ونعيم وبهجة وسرور
طال ليلي لما تذكرت نحفـا ودعاني الهوى نحو المسير
فتململت في الفراش وأجمعـت مسيراً المصلتين صقور
برجال إذا هم ركبوا الخيـل وساروا في الجحفل الجمهور
تتهادى كأسد غاب عليها كل درع مسرد مشهور
قلت لليلة التي طال فيها أرقي في قرى ظفار انيري
فكمشت الجموع كشاً رحيباً وارتحلنا بصمة الاحمور
ثم سرنا مسير صدق نؤم الجـدي في سيرنا بيمن المسـير
ثم بالدبر ان دارت رحـانا بالصناديد كالرحا المستدير
ثم بالهقعة التقينا فكانت ليلة كرها لكل مغير
ثم بالهنعة ارتحلنا جميعاً وقتلنا الوزير بعد الأمير
ثم سرنا وبالذراع نزلنا وظللنا بنعمة وحبور

ثم بالنثر شط مني نوى البعـــــد فاغنيت كل بائس وفقير
ثم بالطرف احتملنا وكنا آل ملك وثروة ونفير
ثم بالنطح لم نزل ننطح النا س بقرن مذلق مطرور
ثم بالدبران خربت أرضا من وعيدي وزجرتي ونقـــيري
ثم بالصرفة ارتفعنا فكنا جبهة الرأس فوق عين النظير
ثم بالعواء للأعادي نزلنا بقضاء الواحد الكبير القدير
ثم سرنا مع السماك علينا كل فضفاضة كماء الغدير
ثم بالغفر سرت بالخيل قدما بكماة وكل قرم جسور
ثم بالكوكب الزباني معد أزمعت بالعواء بعد الهرير
ثم صبحنا بالاكليل كل عدو واجتلينا مخبيات الخدور
ثم بالقلب قلبت هام قـــوم بسيوف مذلقات ذكور
ثم سرنا وبالنعام نزلنـــا يوم رهج وصولة وهدير
ثم بالبلدة اعترضت الأعادي بجموع وكان ذاك سروري
وبسعد ذبحت أبناء سعد ووضعت المدى بها في النحور
وبسعد السعود أسعد جدي فاستوى الملك واستقام سريري
وبسعد اصطلمت كل عدو ووأدت الأحياء أهل القبور
وبسعد الاخباء أخبيت أرضا بعد نهب وقتل قوم كثير
ثم بالفرغ مقدم الدلو حــولي كل قرم متوج محبور
ثم بالفرغ آخر الدلو صرنا بعد ايغالنا بخير المصير
ثم بالحوت قد حويت الأعادي بالعناجيج والسيوف الذكور
ثم بالسرطان صاحت معد من جموعي إلى العلي الكبير
ووطئنا بالبطن أرض معد بالعناجيج نعتلي بالزعـــور
ورجعنا إلى الثريا فسرنا يوم نقع وظلمة ديجور

اجعل الفرقدين والجدي يمني حيث دارت بنات نعش ندور
لا أبالي النسرين حيث استقلا وسهيلا اذا آجد مسيري
ثم اممت زهرة الردف قصداً لمقامي ونعمتي وحبوري
انما طيرة النجوم لغيري ولنا يمنها بلا تطيير
وفعلنا فعالنا إذ فعلنا واستبنا الأمور بعد الأمور
ثم نادوا ان اركبوا فركبنـــا كل شقراء زينة في الهجـــير
فاذا البأس راح عنا فانا آل ملك ونعمة وحبور
وقيان يرفلن في مخمل الخـــز وطوراً مظهرات الحرير
فانظري في فعالنا أم عمـــرو ليس هذا والأعمى مثل البصير [1]
هل ثنيت البلاد من بعد طي وطويت البلاد طي الحرير
وانظري في البلاد هل مثل ملكي وسلي الناس عن فعالي وسيري
خبري عن فعالنا أم عمرو تجدي علم ذاك عند الخبير
تعلمي أننا عصارة ملك حبذا طيب عودنا المعصور
نفرغ اللحم للضيوف وشحما في جفان سرية وقدور
ليس مثل الذي تعلل بالحنظـــل من جوعه واكل الفطير
اصبحيني وعلليني بـــراح أم عمرو فلست بالمجبور
يفزع الخلق ثم يرعد مني وأنا الغيث في البلاد المطير
قد كتبنا مسانداً في ظفار وكتبنا أيامنا في الزبور
وذكرت الذي يكون لحيني أن ملكي للباقي المنصور

قال معاوية : فهل قال تبع الأوسط في شعره شيئاً يذكر فيه ما وطيء من البلدان ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : تبع ملكي كرب يذكر

(١) كذا – ح‌ه .

مسيره وما وطئه من البلدان ، وأنشأ يقول :

ام عمرو فعجلي لي بزاد قد بدا لي من الحوادث بادي
أيها الناس رأينا رأي حق ومن الرأي سيرنا في البلاد
بالعوالي وبالعناجيج نمشي بالبطاريق مشية القـــواد
وبجيش عرمرم حميري جحفل يستجيب صوت المنادي
شهر البلق جـــانبيه ويزهو من ذراها الينا مثل السوادي [1]
الف الف كمثل ذاك وخلفي موكب فاعلمي شديد المقاد
وإذا سرت سارت الشمس خلفي ومعي في الجبال في كل وادي
ومعي حمير وحمير قومي آل مجد ونجدة وجلاد
لا يرون العدو الا فسادا وكراماً ليسوا بأهل فساد
فطويت البلاد طية برد وثنيت القفار ثني الوساد
وملكنا ما بين ابين والرس وزادت به الجيوش مزاد
ليس للناس في المكارم حظ غيرنا اننا بنو الانجاد
ما تركنا للناس في الأرض مالا لم نصبه من طرف وتلاد
أو رئيس يرى يقود إلينا خيله لم يبت لنا في صفاد
أو رأينا ناراً تشب علينا لم تعد نارها الى اخماد
أوحشدنا خيلا لا هلاك قوم لم ندعها شدأ بلا أيعاد
أو آتانا من البلاد وعيـــد لم نزل فوق ذاك في الميعاد
أو رمانا العدو الا رمينا ه بمشحوذة صلاب شداد
أو سما للعلاء الا سمونا نحو بيت لنا طويل العماد
أو أراد الكبار الا كبرنا من أراد الكبار يوم الحساد

---

[1] كذا – ح .

أو دعا للنهاب الا دعونا آل خطب يأتون كالوراد
قد شككنا الخيول ما بين نجرا ن إلى يحصب فارض مراد
علم الله قد صدقت واني لمصيب في كثرة التعـداد
ولقد سرت بالمساعدة الغر ببيض مأثورة وصعـاد
ورجال من المقاول تردي فوق جرد من الخيول جياد
جمع قحطان في السنور يعدو ومعداً جعلتها لو ساد
حمير معشري وحيدان قومي وهم سلوتي وجمع مرداد
كندة الخير عن يمين مسيري بالسكون السكاسك الأنجاد
والبهاليل مذحج مسترادي أحلس الخيل في عراص البلاد
ومعي من بجيلة الغر قوم يحسنون الطعان يوم الجلاد
وأسود من خثعم غير ميل لا ولا عزل ولا انكاد
فهم أسرتي وعز رجـالي وهم مفخري وذكر مقادي
وتوافت إلى همدان تمشي مستعدين مثل رجل الجراد
وتناهت الي طي مع الاز د وعبس والحي حي اياد
وبنو الحارث الاسود إذا ما ركبوا الخيل كان يوم جلاد
وزبيد والأشعرون وخولا ن وعنز توافى جماعةالحساد [١]
وأتت مذحج من الحزن والسهـل ابحنا بمذحج كل وادي
فتهاب الليوث حين تراهم خلقوا في الكمال خلقة عاد
وإذا ما رأيت حمير خلفي وأمامي فذاك يوم الحصاد
ثم أيقن بأن قومي كرام آل بأس وهم سمام الأعادي
وجدن يرون بالرياسة والمـلك وقتل العداة يوم التعادي

---

(١) بالأصل – وحساد ك على كل فهو غير مستقيم – ح * .

ثم خل الطريق عنك وأيقن　　أنه ليس ذاك يوم شهاد

فهم ينزلون للطعن والضر　　ب إذا كان ذاك حين الوراد

قد بدا لي الغداة أنعت خيلا　　تتعادى بالصيد أي تعادي

فابيد اللئام آل معــد　　أي واشفى غليل آل اياد

وعنيد في الدهر قدما معد　　ولنا العز في جميع البلاد

وكذا كان من مضى من معد　　من ابينا وسالف الأجداد

ثم سيري أريك منا جلادا　　ترعد الناس وقعة في الأعادي

وأريك الليوث يا أم عمرو　　المصاليت كل وارى الزناد

وأريك الفيافي الغبر فيها　　من سيول الدما كصب المزاد

وأريك النواعم البيض تمشي　　بين قومي كمشي غير تهادي

ام عمرو فلو شهدت انتقالي　　كل حي من حاضرين وبادي

أم عمرو فلو شهدت جلادي　　واحتزاز الأعناق في كل وادي

لعرفت الكرام يا أم عمرو　　ونسيت اللئام آل الفســاد

وجعلنا النبيط لحماً عيطا　　وطحنا الأعداء طحن الجراد

سائلي الترك والصقالب والزنــج وأهل القريض كيف اجتنادي

وسلي عن ثمود في أرض حجر　　تستبيني أمراً لكل العباد

وسلي آل حام السود عنا　　ثم أولاد يافث والرفــاد

وسلي عن أخي التجارب والبأ　　س رؤوساً فسائليها تنادي

سلي النبط والقرايات عنــا　　قد حكمنا في أهلها بالسداد

قومنا حمير المقاديم في الحر　　ب فزوع الأيام يوم التنادي

قال معاوية : ما فيهم ابغى ولا أظلم من هذا في قوله ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين كذلك كان في عنف بغيه وجبروته في زمانه وزاد ما وطىء من

البلاد من آثار آبائه وأجداده وما انتهى من مسيرهم قوة في نفسه وجبروته . قال معاوية : لله أبوك زد أنشدني شعراً من شعره . قال : نعم يا أمير المؤمنين – وأنشأ هو يقول :

انعم صباحاً أسعد الكامل ... يا ناقاً بالثأر والتابـــل
اثنى على الله بآلائـــه ... الواحد المقتدر الفاضــل
في كل ما أولاك من نعمة ... وكل ما أعطاك من آجل
في العام أعطاك الذي تبتغي ... ثم يزيد الضعف في قابل
سرنا إلى الأعداء في أرضنا ... لم نلك نرجو قفل القافــل
في جحفل كالليل من حمير ... قد حضروا بالاسل الذابل
ومثلهم أعددت لي موكباً ... مستوسقا مثل الدبا السائل
ومثلهم يقدمنا في الوغى ... إذا دعا النازل بالنازل
كم فيهم من بطل معلــم ... من كل ذي ترس وذي نابل
قد ضاقت الأرض بسرعانها ... من فارس نهد ومن راجل
ما يفقد الغائب من جيشنا ... وعندنا الغائب كالآهل
يا أيها السائل عن خيلنا ... عيت عن المخبر والسائل
تسعون الفاً عدداً بلقهـــا ... ودهمها كالعارض الوابل
والكمت والجرد تعادي بنا ... بكل قرم بطل صائل
الطاعن الطعنة يوم الوغى ... يقصم فيها مفصل الكاهل
فحمير قومي وهم معشري ... أهل الندى والحسب الفاضل
هم معشري حقاً وهم أسرتي ... أهل القرى المستحشد العاجل
ما فيهم عند اشتباك القنا ... في الروع من نكس ولا خاذل
بل قد يرومون لأعدائهـــم ... حتفهم في الموكب الهائل
سائل معداً عندها علمنا ... فليس من يعلم كالجاهل

ألم نكن يوم لقيناهم نقتلهم بالحق والباطل
حتّى رفعنا السيف عن قتاهم وهم كنبت البلد الماحــل
لم ندع في الأرض من أقطارها من شائع الذكر ولا خامل
إلا أذقناه بها حتفه حتف ثمود كان في العاجل
تراهم صرعى بمبسوطة من بين منكب ومن زائل
لم يجدوا من حتفهم مهرباً إذ يتقي المقتول بالقاتل
كانوا عناديد فمن هارب ومن قتيل مقعس مائــل
ومن صريع بين أرماحنا مجندل ذي فرس جائل
ومن أسير مصمت قلبه ومن جريح ذي جوى داخل
مكت بأعلى خندف تركها وأفرغت ذلا على وائل [١]
واستنزلت قيساً وأحلافها حتّى التقى العالي على السافل
ما برحت قيس لنا طعمة نأكلهم بالناب والراول
حتّى استجالت خيلنا والتوت تطلب ذحلا في بني باسل
في جبل الديلم ثم انثنت بالجد والحزم على كابل
ومن سجستان فما دونهـــا فساحة القفر إلى بــابــل
ومن قرى الشام فما حولها في أرض مصر فالى الساحل
والروم قد أدت لنا خرجها من قبل أن يأتيهم عامل
والهند قد صبحهم جيشنا بكل نهد ساخط صاهل
وكانت السغد لنا موعدا والخيل تعدى في قرى كابل
بجمع قحطان وأتباعهـــم ما فيهم من عاجز خاذل
كم نكحوا من ذات بعل بلا مهر ومن بكر ومن حامل

---

(١) كذا في الأصل بلا نقط والله أعلم – ح .

تزويج قهر غير ذي طاعة قول صدوق قائل فاعـــل
ومن نكاح رشدة نلبنا [1] للغازي المجتاز والقافل
والذهب الأحمر يجي لنا إلى ظفار الملك والماجل
والمسك والانجوج يهدى لنا والدر في أصدافه الذابـــل
فكل أهل الأرض عبد لنا لا شك من حافٍ ومن ناعل
ان الذي نالته أرماحنـــا زاد على وصفك للقائل
ما تبع ان قلت ما تبـــع ان نصح المسؤول للسائل
هو الذي ينكى أعداءه فكلهم في نصب شاغـــل
ومن يقول الناس ان احلوا عليكم بالملك الفـــاضل
النافع الضائر والمرتجـــى للخير والمنعم للواصل
نال الذي نال بإيمانـــه فليس بالنكس ولا الجاهل

قال معاوية : لله أنت يا عبيد ! فأين قول تبع الذي قال على الباء :

أرقت وما ذاك بي من طرب ولكن تذكر ما قـــد ذهب

قال عبيد : يا أمير المؤمنين إنك لتكلفني أقوال أقوام قد ذهبوا، كانوا ملوكاً فإذا قالوا صغروا غيرهم لقدرتهم وعظمتهم . قال معاوية : يا عبيد قد غاب ذلك عنا فقل فما جرانا [2] لذلك أن تكن حمير ملكت كما ذكرت فقد أورثنا الله ذلك من ملكهم فهو لنا اليوم قد انتزعه الله بنبيه محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — وهو منا فنحن أسرته وخير الناس بعده ، ولولاه لم نكن شيئاً وجعل حميراً لنا ، والحمد لله الذي أكرمنا بنبيه وأورثنا أرض

---

(١) كذا — ح .

(٢) كذا — ح .

أعدائه الجبابرة العتاة فقل غير متق شيئاً ولا سائب أحداً فأنت في ذمتي وجواري والله لك علي بذلك شاهد .

قال عبيد : يا أمير المؤمنين ، ثم أقبل تبع بن ملكي كرب في جموع حمير من اليمن ومعهم عيالهم وأولادهم حتى وقفوا بأرض العراق للذي بلغه من رفاهية عيشها وكثرة خيرها يريد الأعاجم وملكها قباذ . وان تبعاً سار حتى نزل موضع الحيرة اليوم ، فعسكر بجموعه بالحيرة إلى الكوفة مما يلي شط الفرات قبل أن تكون الحيرة والكوفة. قال معاوية : الحيرة قبل الكوفة ؟

قال عبيد : وقبل البصرة بزمان ، والكوفة قبل البصرة بزمان طويل .

قال معاوية : خذ في حديثك عن تبع . قال عبيد : بلغ الأعاجم جمع تبع فاجتمعوا إلى ملكهم قباذ ببابل – ولم يكن تبع يدرك تلك القبائل – فأجمعوا على الحرب ، فبعث تبع ابن أخيه شمر ذا الجناح على مقدمة الجيوش وجرد معه الخيول وأمره أن يجد في الطلب حتى يلقى قباذ وأصحابه وجموعه . ورحل تبع في الأثر مجداً في الطلب فتحير في صحراء الحيرة ثم نظر تبع فإذا هو غير بعيد من مكانه الذي رحل منه قال تبع : ان لهذا المكان نبأ عظيم فخلف العيال وذوي الزمانة والضعفاء والأثقال وخلف معهم عشرة آلاف فارس تحفظهم وسماها تبع « الحيرة » للذي كان من تحيره فيها ومضى تبع حتى واقع قباذ وجموعه ببابل فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم قباذ وجنوده حتى أتى الري فاتبعه شمر ذا الجناح بالري ، وقد جمع بها من عسكره جموعاً كثيرة ليقاتلهم بها – فواقعه شمر ذو الجناح فقتل قباذ بالري وفض جموعه بها وأقبل تبع حتى نزل الحيرة بعد هزمه قباذ

ببابل [illegible] ف بها من أ[illegible]ب أن يخلف مما جرى عليه من الأعاجم ، وسار على وجهه ذلك إلى خراسان ، وفي ذلك يقول الشعر الذي قال على الباء . قال معاوية : فاسمعني قوله ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . فأنشد عبيد عند ذلك :

أرقت وما ذاك بي من طرب ... ولكن تذكر ما قد ذهب
تذكر ما فات مما مضى ... وهل يطرب الثائر المغتصب
وأمر هممت بامضائه ... إذا الهم خالطني والنصب
وأوتيت ملكاً من الله هاج ... فطم على خلقه والتهب
حباني به الله من عنده ... ولم به صدعنا والشعب
نعم البلاد ونغشى النجاد ... عزيزي المعادة والمنقلب
نهد الحصون ونعلو الحزون ... ونبكي العيون بكاء الحرب
فدان به الناس طر[illegible] لنا ... وقد خاب من جاءني بالكذب
توارث ذلك آباؤنا ... قديم الزمان أبا بعد أب
لقد رمت أمراً فأمضيته ... ومثلي إذا رام أمراً صلب
اعالج أمراً لامضائه ... وذو العز همي وذاكم أرب
وخبرت بالصين لي بغية ... ثياب الحرير وكنز الذهب
فسرت إليهم بجيش لهام ... شديد الزهاء كثير اللجب
بابناء قحطان من حمير ... بهاليل أسد صميم الحسب
بابطال قومي شم الأنوف ... كرام الجدود السراة النجب
غزوت الأعاجم في أرضها ... فاعطوا القياد وخلوا السلب
ولما هبطنا بلاد السواد ... وفر قباذ سريع الهرب
فاتبعته شمراً ذا الجناح ... فسار حثيثاً سريع الطلب

فكان ببابل يوم لهـــم ... طويل العناء شديد الكلب
فلما انتهوا عند غيبوبـــة ... من الشمس كفوا وقل الصخب
فيسقون سماً ويسقونه ... بأسياف صدق كمثل الشهب
فقفر قباذ وأشياعه ... وكان العزيز بها من غلب
واضحوا كأن لم يكونوا بها ... كذاك الزمان إذا ما انقلب
وطاروا ومروا أقاصي البلاد ... فز الت همومي وولت كرب
سبقنا البرية في غزونا ... بحمل المزاد ونوط القرب
ولبس الدروع وقود الجياد ... إذا ما قضينا قضاء وجب
فدانت معد لنا عنوة ... وكلهم ما لهم من حسب
فمنهم رعاء لأموالنا ... عليهم خراج لنا مغتصب
نميراً جعلت لحوك البرود ... وحذ النعال ووضع اليلب
خزيمة كان عليها الدباغ ... وقد السيور وفتل السلب
تميماً جعلت لبري القداح ... وشحذ النصال ورصف القصب
وقيساً وضعت بأرض الحجاز ... لنسج العباء وخرز القرب
هذيلاً جعلت لنحت البرام ... وكانت كنانة فيها القتب
جعلت الرباب لحفر البثار ... وميح الدلاء عليها الكرب
سليماً جعلت لسقي الحجيج ... كذاك اليماني إذا ما غضب
جعلت ربيعة تهدي الطريق ... مناراً على القصد حيث الشعب
وازداً تركت بأرض عمان ... ليوث المغازي كرام الحسب
لرادة أن يسكنون بها ... وأن يقتلون بها من نصب
ومنهم جعلت بأرض الحجاز ... لمن شذ من أهلها أو هرب
قضاعة منا اذا ينسبون ... وفي غيرنا الدار والمغترب
وحيلدان منا وهم معشري ... إذا ما غضبنا اجلوا الغضب

وخولانُ سحمانها واللذاع يشبون ايقادها باللهب
لعمرو ابيهم عقيد اللواء إذا رام داهية لم يهب
يشدون بنيان من قد بنى على شرف وهو فيهم ذنب
لهم صولة لا يرى مثلهـــا إذا ما نأت وإذا تقترب
فمنا السكاسك ثم السكون وهمدان منا وطيء العصب
ومنا بجيلة والأشعرون ومنا المعافر أهل النجب
وجمع العشيرة في صفنا ومذحج طراً عليها اليلب
وفي صفنا الأزد أخواننا كرام الجدود طيال القضب
ومنا الخياصم ما ينثنون جذام ولخم وفينا الخطب
كرام المغافر والدارعين ففيها العديد وفيها الندب
نعد من الأزد أخواننا كراماً ليوثاً كمثل الشهب
وفي صفنا حمير كلها عليهم جواشنهم والزعب
وحمير أرباب أهل البلاد وسائل بذلك تنبأ العجب
ومنا المقاول من حضرموت كرام نعد بهم من خلب
ففي رأس قحطان من ما مضى وفي فرع حيدان لي منتخب
أولئك قوم سموا للعلى وحمل السلاح وفضل الحسب
وما منهم كان إلا فتى إذا رام داهية لم يهب
نعد بطوناً بأسمائها وننسى قبائل كانت ذنب
لها كاهل مشرف رأسه علي المرام رفيع الرتب
فمن ذا من الناس لم نبكه وأخطاه بالقتل يلقي الحرب[1]
قتلنا القبائل في أرضها قتلنا فزارة شر العرب
وفارس والروم تجبي لنا وفي الصين جيش لنا ذو سلب

(١) كذا – ح • .

وديلم والترك تجبي لنا وكلهم ذاعن مغتصب
وبربر والزنج والاحبشون فكلهم عندنا في تعب
لنا الهند والسند والاريسون وأهل الشروق وأهل الغرب
وخاقان الجمته كالحمار واقتبته صاغراً بالقتب
فأذعن إذ ذاك تحت الوكاف وسمح في ذله بالجنب
فألبسته خشنات المسو ح بعد الحرير وخز القصب
وملحان كالبغل أسرجته وغيبته عانياً باللبـــب
ونفير أوثقته بالحديد وأدخلته صاغراً بالشرب
ورستم وسابور والهرمـــزان بشر نكال وأقوى نصب
نعذب أرواحهم بالحريق ونطليهم بدواء الجرب
واضحوا جميعاً بضر لدي وكانوا مجوساً ورغلا سرب
جبوت المجوس وأجناسها لخدمة قومي وأهل النصب
وقد كان للروم يوم عصيب طويل العناء شديد التعب
وعذبت قنطورة بالسياط وأسعطته السم فيه النصب
وازرته بازار الصغــار وكلفته ثم حمل الحطب
وذاق النجاشي من وقعها عذاب ثمود كذاك العقب
صنيع أبي كرب الحميري يقول بحق وما ان كذب
فدع ذا ولكن لما يذكــر و ن من صنع جالوت في المنتخب
فزلت بجالوت ثم النعال وخلى بلاد ولاة الكتب
فدانوا ودنا لما يذكرون قرأنا الكتاب وزدنا النسب
لطول الحصار غرسنا النخيل وحتى أكلنا جناه الرطب
وأهل المواشي من بعدهم سيعطون ملكاً طويل الغلب
ويأتي على الناس من بعدهم زمان عصيب كثير الشغب

يكونون في غمرات العمى فيأتيهم رجل منتخب
فيهديهم لسبيل الهدى ويكسر أصنامهم والصلب
فلو مد دهري إلى دهـــره لكنت نسيباً له في النسب
ويأتي على الناس من بعده ولاة يضيمون من لم يرب
وهم يملكون جميع البلاد لسفك دمائهم والحرب
وقد قيل أملكهم راهب فاني لأعجب كل العجب
لأمر يجيء على معشري يرى في جمادين أو في رجب
ويملك من بعدهم ذو التقى وأهل القضاء وأهل الحسب
هم الراشدون وأهل الهدى أبوهم أخو صالح المنتخب
ويأتي على الناس من بعدهم زمان كما قال أهل الكتب
تمني العجوز لأولادها فراق الحياة وترك النصب
وبالشط أجبه من قومنا ويستغصب الملك منهم حقب
هو القرم في الأرض مستفتحاً يكون له الملك بعـــد الارب
هو الخلف من بعدي المرتجى لفض الجموع وجمع العصب
علينا اليلامق والسابغات سلبنا الملوك وما نستلب
لنا ملكنا اليوم نقضي بـــــه ونحكم في ما لنا ما نحب
نجيز الأمور بسلطاننـــا لنبلغ ملكاً به مغتصب

قال معاوية : ويحك يا عبيد من يعني بهذا البيت الذي يغتصب الملك ؟ قال : يعني رجلاً من ولد قحطان يسمى القحطاني اسمه على ثلاثة أحرف تجمع له الأرض يدعو إلى الله وذلك عند انقضاء ملك قريش . قال معاوية : قال ملكها ليغرب قبل انقضاء الساعة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين إذا اختلفت قريش بينها لم يكن شيء حتى يخرج بعدها عيسى بن مريم يطهر

الحرمين ، فعند ذلك يخرج الرجل من ولد قحطان . قال معاوية : خذ في حديثك الأول عن تبع الأوسط أبي كرب وهو اسعد الكامل ، واسمعني من بعض أشعاره ما حضرك . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال تبع هذا الشعر الذي يقول فيه :

جلبنا الكتائب من منكث فجنبي أزال إلى الواعره
كتائب كالليل من حمير بأيديهم القضب الباتره
سرابيلهم كل فضفاضة دلاص مساميرها ظاهره
آتاني بأن معداً تقــول حمير شرذمة غادره
وأسعد يثأر في عصبة عوائر ليست لها ثائره
فلما آتاني كلام العبيــد أثرت لهم عصبة ثائره
نصبت الحروب فقاسيتهــا ولم أور للخطة الخاسره
فسرت بجيش له أزمل يغط به البدو والحاضره
بأبناء قحطان من حمير على كل سلهبة ضامره
ففرت تميم وأشياعها ومن باليمامة من غاضره
وفرت نمير ومن نمرت وكانت قشير هي القاشره
وفارت بسعد قدور لنا بأمثالهم لم تزل فــائره
وعاجلت عجلاً لدى دارها بصاعقة فيهم بائره
صبحنا حنيفة ملمومة فأمست جدودهم عاثره
وكرت هذيل إلى أرضها وكانت لهم كرة خاسره
وفرت ثقيف وأحلافها فلاقت ثقيف بنا الفاقره
وجاءت كنانة تبغي الامان هنالك عانية صاغره
تركت ديار بني كاهل يبابا معطلة دامره

وقائع من مضر تسعة وفي غيرهم كانت العاشره
فما عطفتني لهم رحمة ولا أصرتني لهم آصره
فكيف رأوا حمير أهل حمت لما قالت الفئة الفاخره
حمت عز قحطان من أن يضام وكانت لمن رامها قاهره
بخيل تكردس بالدارعين وشبه الوعول على الظامره

قال معاوية : أحسنت يا عبيد . فهات انشدني الشعر الذي قال في الزهد . قال : نعم يا أمير المؤمنين قد كان تبع حين نظر إلى البيت الحرام وعرف فضله ما ذكر له الحبران أن الله تعالى وتبارك نبياً من قريش وقع ذلك في قلبه وترك عبادة الأصنام فكان فيما قال هذا الشعر الذي يقول فيه زهداً :

أنيبوا للذي وضع الكتابا وسوى دونه سبعاً صلابا
فسواهن سبعاً مشرفات عظاماً حين تنظرها رعابا
وزين هذه الدنيا نجوماً تناثر عند مغربها انصبابا
مصابيحاً يضئن بكل أفق هدى للناس تنسرب انسرابا
علوت فليس فوقك رب شيء وما شيء يدانيك اقترابا
علمت الغيب والأسرار منا وتعلم من أساء ومن أنابا
نصبت بقدرة حرساً علينا ليحصو ما نجيء به كتابا
يرون بما نجيء ولا نراهم ولا ذكراً نحس ولا خطابا
نموت ونترك الدنيا لقوم ونصبح بعد جدتنا ترابا
فيبعثنا وقد كنا رميماً فيخلقنا وقد نخرت صلابا
وينشرها فيكسوها لحوماً ويبعثنا كما كنا شبابا
أعد الله للكفار ناراً أحاط بهم سرادقها عذابا

إذا القوا مع القرناء عجوا	وقد ذاقوا المذلة والتبابا
واعرض دونها حرس شداد	بعيد رحمهم خلقوا غضابا
بأيديهم مقامع من حديد	بحر النار تضطرب اضطرابا
إذا قرنوا الشقي وصار فيها	علوه بالمقامع ثم غـابا
وصبوا فوق رؤوسهم حميماً	وأسقوهم وكان لهم شرابا
ألم تعلم بأن الله ينـشي	سحاباً ثم يردفه سحابـا

قال معاوية : لله درك يا عبيد انك لتحدثني عجباً ما شفاني عنهم وعن أخبارهم وما كان منهم أحد غيرك . فاخبرني عن قتل تبع أسعد الكامل ؟ كيف كان ولم قتله قومه ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين ان قوم تبع لما هموا بقتله ـ وكان سبب ذلك أن حبرين من اليهود من اليمن دخلا عليه فأحب أمرهما وما هما عليه ورأى أن الذي هما عليه أفضل فآمن بالله وصدق بنبيه موسى بن عمران ـ عليه السلام ـ وما أنزل الله من التوراة . فأمر الحبرين أن يدعوا إلى دينهما في لطف ورفق ففعلا ما أمرهما . فلما رأت ذلك حمير خرجوا إلى تبع فقالوا : أهلكتنا بالغزو فصبرنا لذلك فأما على ديننا وما كان عليه آباؤنا فلا نصبر لك ، فقد فرقتنا في البلدان فأتعبتنا فاقتل عنا هذين الحبرين . قال : معاذ الله أن أقتلهما وهما مني في ذمة فعليكم بهما فكلموهما وحاكموهما إلى من شئتم . فأجمع رأيهم أن يحاكموهما إلى نار في اليمن ـ يقال أنها كانت بصنعاء ـ فانطلقوا حتى أتوا النار فنحروا عليها الجزر وقربوا القربان ، ثم تقرب الحبران فلم يزالا يقرآن كتاب الله من التوراة حتى خرجت لهما فمضيا فيها حتى جاوزاها ودعا تبع سادة أهل اليمن فاجتمعوا وأرسلت النار نحوهم فأحرقتهم ونجا الحبران وأمرا النار أن تطفأ فطفأت . قال : فثارت عليه حمير وأرادوا قتله فقال : لا تعجلوا علي حتى أوصيكم وأوصي ابني حسان . فقالت طائفة منهم اقتلوه ، وقالت طائفة

منهم : مهلاً مهلاً فان في هلاكه هلاككم ، ولكن اسمعوا منه يتم لكم عزكم فان عنده علماً . قال تبع : أما إذا كنتم قد أجمعتم على قتلي فادفنوني قائماً ليتم لكم عزكم ولا يخرج منكم ملككم ، ثم دعا ابنه حسان فأوصاه أن يأتي جبلاً باليمن إذا هو ملك ، ثم ينظر من يأتيه من ذلك الجبل فيأكل ما أطعم ويشرب ما سقى ويفعل ما أمر. ثم وثبوا على تبع فقتلوه فأرادوا أن يدفنوه قائماً فلم يستقر لهم ومكثوا يعالجون ذلك منه حتى ملوا وضجروا وقالوا : أشقيتنا حياً وميتاً وندموا على قتله ، فدفنوه مضطجعاً ، ثم ولوا أمرهم حسان بن تبع — وكان ملك تبع ثلاثمائة سنة وعشرين سنة — فلما اراد حسان الخروج إلى الجبل الذي أمره أبوه تبع استخلف آخاه معديكرب وانطلق حتى أتى الجبل والموضع فلقيته امرأة فرحبت به وقالت : اقعد ، فلما أراد القعود اذ هو بدود كثير على فراشه ووساده فأبى أن يقعد ، ثم قدمت إليه رؤوس الناس وقالت : كل من هذا فأبى أن يأكل وقال : أقعدتني وأطعمتني رؤوس الناس لا حاجة لي في هذا . قالت له : ويحك ما أبعد حظك من حظ أبيك وما أقل ما تملك قومك ؟ إذا ما عصيتني فاشرب ما في هذا لاناء فإذا فيه دم فقال : لا حاجة لي في هذا قالت : هذا الذي أوصاك به أبوك وان الأمر الذي كان يعمل به أبوك من عندنا أصابه ، فأما إذا لم يكن لك نصيب مثل نصيب أبيك فاقتل من أمرك بقتل أبيك وبقاؤك في قومك قليل ، ثم رجع فسألته أمه لما ذهب له فقال لها : صنع لي هكذا وقيل لي هكذا ! فقالت: لو أنك جلست على الدود لاستوطأت الملك ومد لك في العمر ولو أكلت الرؤوس دانت لك حمير وذلت لك العرب وأهرقت دماء أهل الأرض .

قال معاوية : لله أبوك يا عبيد ، ثم صنع حسان ماذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، أقام حسان بحمير زماناً لا يغزو بهم ، حتى طمع في ملكهم ناس

من أهل اليمن وجرهم ــ وكان باليمامة حيان يقال لهما طسم وجديس وهما ابنا لاوذ بن ارم بن سام بن نوح ، وهما من العرب العادية ، وكان منزلهما باليمامة،وكان اسمها يومئذجو القرية بنفسها ــ قال:وكان طسم ظلوماً غشوماً لا ينهاه شيء عن هواه مع اضراره بجديس وتعديه عليهم وقهره إياهم واذلاله لهم ، فثبت في ذلك عصراً من دهره وقد غير عليهم النعمة وانتهك الحرمة ــ وكانت بلادهم أفضل البلاد وأهناها وأكثرها خيراً وأقربها مسيراً ــ ولهم أصناف الثمار من النخيل والاعناب في دار أنيقة وقصور مصطفة ، فلم يزل ملكهم على ذلك حتّى أتته امرأة من جديس وزوج لها قد كان فارقها فأراد قبض ولده منها فأبت عليه حتّى دار بينهما كلام ، فارتفعا إلى الملك عمليق ــ وكان اسم المرأة هزيلة واسم زوجها قاشراً ــ فلما وقفا بين يدي الملك سألهما عن حججهما فقالت له هزيلة : أيها الملك اني امرأة حملته تسعاً وأرضعته سبعاً ، ولم أر منه نفعاً حتّى إذا تمت أوصاله واستوى وصله أراد أن يأخذه كرهاً ويتركني ورهاء . قال زوجها : أخذت المهر كاملاً ولم أصب منها طائلاً الا وليداً جاهلاً فافعل ما كنت فاعلاً . قال: فأمر الملك بالغلام أن يقبض منها وأن يجعل في غلمانه وقال لهزيلة : ابغيه ولداً ولا تنكحي أحداً ؟ قالت هزيلة : أما النكاح فبالمهر وأما السفاح بالقهر وما لي فيها من أمر ! فأمر عمليق عند ذلك أن تباع هزيلة وزوجها ويرد على زوجها خمس ثمنها ويسترق ويرد على هزيلة عشر ثمن زوجها ويسترق . فقالت هزيلة في ذلك هذا الشعر وهي تقول :

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا فابرم حكماً في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورعاً ولا كنت فيما يبرم الحكم عالما
ندمت ولم أندم واني لغــرة وأصبح بعلي في الحكومة نادما

فلما بلغ قيلها عمليقاً أمر أن لا تتزوج بكر من جديس حتّى يبدأ بها فيفترعها قبل أن يتصل بها زوجها . قال : فأصاب القوم من ذلك ذل ذليل فلم يزل ذلك الملك يفعل بهم حتّى تزوجت امرأة منهم ـ يقال لها عفيرة ابنة عفار الجديسية أخت الأسود بن عفار ـ فلما كانت الليلة التي يهدى بها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عمليق ليبدأ بها قبل زوجها ومعها القيان يغنين وهن يقلن :

أبدي بعملاق وقومي فاركبي ... وبادري الصبح لأمر معجب
فسوف تلقين الـذي لم تطلبي ... ومـا لبكر عنده من مهرب

قال : فدخلت العفيرة على عملاق فافترعها وخلى سبيلها وخرجت إلى قومها شاقة ثيابها ودرعها عن دبرها وهي تقول في ذلك :

لا معشر أذل من جديس ... أهكذا يفعل بالعروس
لكل قرن أشوس عبوس ... عدمتكم يا سقط النفوس

ثم قالت لقومها : ويحكم أيرضى بهذا الحر من رجالكم وقد أعطى هذا المهر كاملاً والله ليأخذه الموت أهون عليه من أن يفعل هكذا بعرسه وأنشأت العفيرة ابنة عفار تحرض قومها وتذكر ما فعل بهم العملاق وهي تحثهم على الحرب .

أتصبح تمشي في الدماء فتأتيكم ... صبيحة زفت في النساء إلى البعل
فان أنتم لم تغضبوا بعد هـذه ... فكونوا نساء لا تغبوا من الكحل
وهادونكم طيب العروس فأنتم ... خلقتم لأثواب العروس وللغسل
فلو أننا كنا رجالاً وأنتم ... نساء لما كنا نقر على الذل
فبعداً وسحقاً للذي ليس ناكفاً ... ويختال يمشي بيننا مشية الفحل

فموتوا كراماً أو أميتوا عدوكم بضرب تلظى كالظرام من الجزل
وإلا فخلوا بطنها وتحملوا إلى بلد قفر وهزل من المزل
ولا تجزعوا يا قوم للحرب إنما يقوم رجال للمعالي على رجل
فيهلك فيها كل وغد موكل ويسلم فيها ذو النجادة والفضل

قال : فلما سمعت جديس قولها استحقسوا غضباً وتلظوا كلباً فقام الأسود ابن العفـــار – وكان فيهم سيداً مطاعاً – فقال : يا معشر جديس أطيعوني فيما أمرتكم وأدعوكم إليه فانه عزكم الدهر وذهاب الذل عنكم . قالوا وما ذاك ؟ قال : والله لتطيعوني او لا تكين على سيفي هذا حتى يخرج من صلبي . قالوا : لك الطاعة علينا فما ذلك ؟ قال : إني صانع للملك وقومه طعاماً ، ثم أدعوه إليه فإذا هم أقبلوا يرفلون في حللهم نهضنا إليهم بأسيافنا ، ثم لخذ كل رجل منكم جليسه فضربه بسيفه . قالت العفيرة : لا تغدرن يا أخي وباد القوم في ديارهم تظفروا وتقدروا ، فأبوا أن يطيعوها . فقالت العفيرة في ذلك شعراً تريد أن تسمع قومها – فأنشأت تقول :

لعمرك ما في الغدر اذ تركبونه وفاء ولا عذر وما فيه من حصن
رأيت لواء الغدر في كل مجمع من الناس نصباً للمذلة واللعن
ولا خير في الأقوام حتى يكاثروا بناهضة الأبطال قرناً إلى قـــرن
فان مرام الغدر يا قوم فاعلمـــوا صغار بتقصير من الغدر في الأمن

وقالت العفيرة في ذلك أيضاً :

لا تغدرن فان الغدر منقصـــة وكل أمر له غب وان ظفرا
اني أخاف عليكم مثل تلك غدا وفي الأمور بنا عذر لمن نظرا
كروا عليهم كراراً في مصارخة فكلكم باسل نرجو له الظفرا

وباشروا القوم ضرباً في ديارهم ضرباً [1] حتى تهلموا القصرا

فأجابها أخوها الأسود وهو يقول :

أنا لعمرك ما نبدي مناهــزة نخاف منها صروف الحين ان ظهرا

ففي التحيل للأقوام مدركــة وكل أمر بها نرجو له الظفرا

كفى لديك فلا تبغي لعاقبــة عن الذي قد رآه الرأي أو خطرا

فليس يمنع رأياً أن ندبره زجر الزواجر حتى نركب الخطرا

إني زعيم لطسم حين تحضرنا عند الطعام وذاك الرأي ان قدرا

فإن تلاقوا على بغي ومظلمة ضرباً يبين أكف القوم والقصرا

قال : ثم صنع الأسود طعاماً ، ثم دعا الملك وقومه من طسم فأقبلوا يرفلون في حللهم ، ثم دفنت جديس أسيافهم في الرمل حيث وضعوا الطعام . فلما أتتهم طسم وثبوا إلى أسيافهم وشدوا على عملاق وأصحابه فقتلوهم حتى أفنوهم جميعاً ، وأنشأ الأسود يرتجز وهو يقول :

لا أحد أذل من جديس أهكذا يفعل بالعروس

جاءت تمشي في دم حميس كا لريح في مسهومة اليبيس

يا طسم ما لاقيت من جديس من البلا والعيب والنحوس

وقال الأسود أيضاً :

ذوقي مجللة للحرب نــافحــة فقد أتيت لعمري أعجب العجب

انا انتقمنا فلم ننفك نقتلهــم والبغي هيج منا سورة الغضب

فلم يعودوا لبغي بعدها أبداً ولم يكونوا لذي أنف ولا ذنب

فلو رعيتم لنا قربى مؤكــدة كما الأقارب قد ترعى لذي النسب

(١) بياض بالأصل .

وقال خزيمة بن المستنجم الجديسي في ذلك شعراً :

لقد نهيت أخا طسم وقلت له ... لا تذهبن بك الأهواء والمرح
وأخش العقاب فان الظلم منقصة ... وكل فرحة ظلم بعدها الترح
فقد أطاع لنا أمراً فنعـذره ... وذو النصيحة عند الأمر ينتصح
فلم يزل ذاك ينمي من فعالهم ... حتى استقاد والأمر الغي فافتضحوا
فباد أولهم من بعد آخرهم ... ولم يكن عندهم رشد ولا فلحوا
فنحن بعدهم للحق نملكه ... نسقي الغبوق كما يسقى ونصطبح
فتلك طسم على ما كان اذ فسدوا ... كانوا بما فيه من بعد ها صلحوا
إذا لكنا لهم بحراً وممنعـة ... أنا إذا وزنت أحلامنا رجحوا

وقالت امرأة من طسم – ترثي قومها وتنوحهم – وهي تقول [١] :
ها هنا انقضت النسخ كلها وقد تم الكتاب، والحمدلله تعالى وصلى الله على محمد نبي الرحمة وعلى آله الطاهرين وسلم .

(تمام الحديث عن تاريخ الكامل لابن الاثير)

ثم إن بقية طسم قصدوا حسان بن تبع ملك اليمن فاستنصروه ، فسار إلى اليمامة ، فلما كان منها على مسيرة ثلاث قال له بعضهم . ان لي أختاً متزوجة من جديس – يقال لها اليمامة تبصر الراكب من مسيرة ثلاث وإني أخاف أن تنذر القوم بك فمر أصحابك فليقطع كل رجل منهم شجرة فليجعلها أمامه . فأمرهم حسان بذلك ، فنظرت اليمامة فأبصرتهم ، فقالت بجديس : لقد سارت إليكم حمير . قالوا : فما ترين ؟ قالت : أرى رجلاً في شجرة معه كتف يتعرقها أو نعل يخصفها وكان كذلك ، فكذبوها

(١) بياض بالأصل بقدر سبعة أسطر – ح .

فصبحهم حسان فأبادهم وأتى حسان باليمامة ففقأ عينيها فإذا فيها عروق سود فقال : ما هذا ؟ قالت : حجر أسود كنت اكتحل به – يقال له الاثمد ، وكانت أول من اكتحل به – وبهذه اليمامة سميت اليمامة وقد أكثر الشعراء ذكرها في أشعارهم . ولما هلكت جديس هرب الأسود قاتل عمليق إلى جبلي طيء فأقام بهما ، وذلك قبل أن تنزلهما طيء – وكانت طيء تنزل الجوف من اليمن – وهو الآن لمراد وهمدان ، وكان يأتي إلى طيء بعير أزمان الخريف عظيم السمن ويعود عنهم ولم يعلموا من أين يأتي . ثم انهم أتبعوه يسيرون بسيره حتى هبط بهم على أجا وسلمى جبلي طيء – وهما بقرب فيد فرأوا فيه النخل والمراعي الكثيرة ورأوا الأسود بن عفار فقتلوه وأقامت طيء بالجبلين بعده فهم هناك إلى الآن – وهذا أول مخرجهم إليهما .

وقد ورد في آخر نسخة ب وهي المحفوظة في المتحف البريطاني بلندرة تحت رقم ٢٩٠١ .

تم الكتاب بحمد الله تعالى وحسن توفيقه فلله الحمد على كل حال وكان الفراغ من تحصيل هذا الكتاب من نسخة سقيمة يوم الجمعة المباركة في غرة شهر شعبان الكريم سنة إحدى وثلاثين بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم بخط أفقر عباد الله وأحوجهم إلى رحمته على بن سعيد بن محمد بن هاجر القملاني غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين أجمعين – آمين يا رب العالمين .

– وقال كاتب نسخة الأصل :

وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب يوم السبت ٢٦ شهر رجب الخير سنة أربع وثلاثين والف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . وكتب بالدار الحمراء التي هي السجن بقصر صنعاء اليمن ولنا

فيها سبع سنين وخمسة أشهر نسأل الله أن يفك أسرنا ويفرج عنا وعن كل مسجون من أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً ، بخط أسير الذنوب الراجي رحمة ربه علام الغيوب الفقير إلى كرم الله تعالى مطهر بن عبد الرحمن بن المطهر بن الامام شرف الدين غفر الله له ولوالديه وليعذر الناظر فيه فان النسخة سقيمة

وان تجد عيبا فسد الخللا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ فجل من لا عيب فيه وعلا

تم الكتاب بحمد الله تعالى وحسن توفيقه فله الحمد على كل حال .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(خاتمة الطبـع)

الحمد لله الذي قهر ملكه وسطا سلطانه وغلبت قدرته وبهر برهانه والصلاة والسلام على الرسول النبي الكريم الذي نور المشارق والمغارب نور هدايته ولمعانه وآله الأبرار وأصحابه الأخيار الذين سلكوا مسلكه الذي لا يخفي بيانه .

وبعد فغير خاف على الناظر البصير أن أرباب المجلس لا زالت شموس عنايتهم طالعة على رؤوس التابعين لما رأوا نسخة قلمية من كتاب التيجان في المكتبة الآصفية بحيدرآباد الدكن وأرادوا طبعها من جهة ندرة تلك النسخة ورغبة الطالبين إليها فجعلوا يفتشون عن نسخ أخرى من الكتاب لتصحيحه وطبعه فوجدوا نسختين احداهما في برلين والأخرى في المتحف البريطاني بلندرة فأرسلوا نسخة المكتبة إلى مستر سالم كرنكو الإلماني مصحح دائرة المعارف المقيم بلندرة للمقابلة من تينك النسختين فقابلها لصاحب الموصوف بهما وكتب الاختلافات التي فيما بينها بحيث ما أفاد في صحة الكتاب إلا ازدياد الاختلافات من جهة ان النسخة التي في المتحف البريطاني هي منقولة عن نسخة الهند الموجودة في المكتبة الآصفية كما سيظهر لك عن التنبية المكتوب في ذيل هذه العبارة وفي نسخه المكتبة أغلاط كثيرة جداً لم ينبه المستر المومى اليه على تصحيحها ومن نسخة برلين وذلك يدل على اتفاق النسختين في تلك الأغلاط وهو برهان على قرب النسبة بينهما .

وبالجملة فان النسخة قديمة جداً والكاتب غير مراع لصحة الألفاظ وغالباً يترك الأعجام بالنقط مع غرابة كثير من الأسماء والأشعار والقصص التي في هذا الكتاب ففيها خبط كثير بحيث لا يخفى على البصير .

وبعدما رجعت النسخة من لندرة بعد المقابلة فوضها المجلس إلينا للطبع فاشتغلنا به ومن جهة ضيق الوقت وعدم المواد التي كنا نحتاج إليها في تصحيحها من النسخ المكررة والكتب المتعلقة بها ما أمكننا تصحيحها كما ينبغي – ومع ذلك فبذلنا الجهد بقدر سعة الوقت والمواد التصحيحية التي بأيدينا . وعلى ذلك فالقصص والأشعار التي ذكرت في هذا الكتاب أغلبها نادرة جداً وغريبة حتى الغرابة بحيث لا يوجد أكثرها في غير هذا الكتاب وهذا من جملة المشكلات في التصحيح وما وجد في غير هذا الكتاب كان بغاية التخالف والاضطراب وكثيراً ما كنا نجد الاسم الواحد أو القصة قد اضطربت فيها الكتب على عدة وجوه بحيث لو أثبتنا الاختلافات بالهامش لصارت الحواشي أكثر من الأصل وعلى ذلك كله فقد قال في صبح الأعشى (وبالجملة فأخبار التابعة غير مضبوطة وأمورهم غير محققة) ولذا ما برىء الكتاب عن الخطأ والزلل كما ينبغي فالمرجو من الناظر البصير العفو وغض البصر عما بقي من الخطأ واصلاحها وتصحيحها ان امكن (والعذر عند كرام الناس مقبول) .

السيد زين العابدين الموسوي
مصحح دائرة المعارف العثمانية

(تنبيه)

من مستر سالم كرنكو مصحح دائرة المعارف

الأصل : هو نسخة حيدرآباد المنقولة من أصل محفوظ في صنعاء في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة .

ب ــ علامة عن نسخة محفوظة في المتحف البريطاني بلندرة تحت رقم ٢٩٠١ وهي منقولة من أصل النسخة الهندية بعينها قبلها بثلاث سنين ولكن فيها بعض النقصان وزيادات يسيرة .

ل ــ علامة عن نسخة محفوظة في المكتبة العمومية في برلين وهي أقدم من النسختين المتقدمتين مع اختلاف كثير في الألفاظ ونقصان وزيادات ولكنها غير كاملة فانه فقد آخرها منذ زمان .

ك ــ علامة عن مستر سالم كرنكو الألماني .

ح ــ علامة عن مصححي دائرة المعارف .

الفهرس